جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كربلاء جامعة
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

اخبار الدولة الفاطمية في كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين بن الاثير(630هـ/1233م)دراسة تاريخية

اطروحة تقدم بها

حسين محمد علي العبودي

إلى

مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة كربلاء/ وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه في التاريخ الإسلامي

بإشراف الاستاذ الدكتور عباس جبير سلطان

1444هـ

2023م

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ(55) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ(56)﴾

صدقَ اللهُ العظيمُ

(سورةُ المائدة ، آيةٌ (55-56))

الاهداء

إلى منْ أفتخرُ دوما إنني فردُ منْ أمتهِ أسوتيَ وقدوتي محمدْ بنْ عبدِ اللهْ (صلى اللهُ عليهِ وآلهِ الأطهارَ) . . .

إلى أمامي وسيدي ومولايَ أميرُ المؤمنينَ أبا الحسنيينِ علي بنْ أبي طالبْ عليهمْ السلامُ شفعائنا في الدنيا والآخرةِ إلى الواقفينَ دوما بقلوبهمْ وعقولهمْ معي طوالَ دراستي أبي وأمي . . .

إلى زوجتي العزيزةِ

الى نورَ عيني وثمرةَ فؤادي وبهجةِ روحيٍ أولادي (جنةُ وجمانة وعلي وجهينة)

وإلى كلٍ منْ ساندني . . . أهدي هذهِ الأطروحةِ

حسين

شكر وتقدير

أولُ الشكرِ وآخرهُ للهِ ربَ العالمينِ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدْ صلى اللهُ عليهِ وآلَ بيتهُ الطيبينَ الطاهرينَ وأصحابهُ الغرّ الميامينِ المنتجبينْ ومنْ والاهُ إلى يومِ الدينِ. منْ دواعي سروري وتقديري وأنا أضعُ اللمساتُ الأخيرةُ في هذهِ الأطروحةِ أنْ أتقدمَ بأسمى آياتِ شكري وعظيمِ تقديري إلى الأستاذِ الدكتورِ عباسْ جبيرْ التميمي لإشرافهِ على هذهِ الأطروحةِ ومتابعتهِ العلميةِ المستمرةِ وسعةُ صدرهِ لإتمامها راجيا لهُ دوامُ الصحةِ ولموفقيه.

كما أتقدمُ بالشكرِ والتقديرِ إلى رئاسةِ قسمِ التاريخِ في جامعةِ كربلاءَ وجميعِ أساتذتي الأفاضلَ واخص منهم الدكتور الفاضل محمد مهدي الشبري والدكتور الفاضل حسين كاظم حسون والدكتور الفاضل اياد عبد الحسين صيهود والدكتور الفاضل حيدر محمد عبد الله لما قدمه من مساعدة لي في اختياري لعنوان اطروحتي والدكتور الفاضل زمان عبيد وناس والدكتور الفاضل عمار محمد يونس والدكتورة الفاضلة انتصار لطيف حسن السبتي، ومنتسبي القسمِ الأعزاءِ. ومنْ الوفاءِ أنْ أتقدمَ بفائقِ شكري وتقديري إلى أساتذتي وإخوتي في قسمِ التاريخِ جامعةَ بابلَ وإلى كلِ منْ مدِ يدِ العونِ لي . . . . . وفقهمْ اللهُ جميعا"

الباحث

شهادة المشرف العلمي

أقر بان أنجاز هذه الأطروحة الموسومة بـ "اخبار الدولة الفاطمية في كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين بن الاثير ٦٣٠هـ/١٢٣٣م دراسة تاريخية" التي قدمها الطالب "حسين محمد علي " قد جرى تحت اشرافي في كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة كربلاء بمراحلها كافة, وهي من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في تخصص التاريخ الاسلامي وبناء على ذلك ارشحها للمناقشة..

التوقيع:

إســم المشرف: أ.د عباس جبير سلطان

اللقب العلمي: استاذ

التأريخ:

توصية رئيس القسم

بناء على ترشيح السيد المشرف العلمي وتقرير الخبيرين العلميين أرشح الاطروحة للمناقشة

التوقيع:

الأســم واللقب العلمي: أ.م.د محمد علي الشبركي

رئيس قسم التاريخ

التأريخ: / / ٢٠٢٣

شهادة المشرف العلمي

أقر بان أنجاز هذه الأطروحة الموسومة بـ "اخبار الدولة الفاطمية في كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين بن الاثير ٦٣٠هـ/١٢٣٣م دراسة تاريخية" التي قدمها الطالب "حسين محمد علي " قد جرى تحت اشرافي في كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة كربلاء بمراحلها كافة, وهي من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في تخصص التاريخ الاسلامي وبناء على ذلك ارشحها للمناقشة..

التوقيع:

إســم المشرف: أ.د عباس جبير سلطان

اللقب العلمي: استاذ

التأريخ:

توصية رئيس القسم

بناء على ترشيح السيد المشرف العلمي وتقرير الخبيرين العلميين أرشح الاطروحة للمناقشة

التوقيع:

الأســم واللقب العلمي: أ.م.د محمد علي الشبركي

رئيس قسم التاريخ

التأريخ: / / ٢٠٢٣

قرار لجنة المناقشة

نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة ، نشهد اننا اطلعنا على الاطروحة الموسومة بـ" اخبار الدولة الفاطمية في كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين بن الاثير ٦٣٠هـ/١٢٣٣م دراسة تاريخية " وقد ناقشنا الطالب (حسين محمد علي هداد العبودي) في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، وقد وجدنا انها جدير بالقبول لنيل دراجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي بتقدير ( )

التوقيع:

الإسم: ا.د حسين كاظم حسون
رئيسا"
التاريخ: / / ٢٠٢٣

التوقيع:

الإسم: ا.د محمد عبد الله فزع
عضوا
التاريخ: / / ٢٠٢٣

التوقيع:

الإسم: ا.د حيدر محمد عبد الله
عضوا
التاريخ: ١٠/ ١٠/ ٢٠٢٣

التوقيع:

الإسم: ا.م.د محمد مهدي علي
عضوا
التاريخ: / / ٢٠٢٣

التوقيع

الإسم: ا.م.د عبير محمد عبد الرسول
عضوا
التاريخ: ١٠/ ١٠/ ٢٠٢٣

التوقيع:

الإسم: ا.د عباس جبير سلطان
عضوا (ومشرفا")
التاريخ: ١٠/ ١٠/ ٢٠٢٣

صدقت هذه الاطروحة من قبل مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية-جامعة كربلاء

التوقيع:

الإسم: ا.د حسن حبيب الكريطي
عميد كلية التربية للعلوم النسانية
الجامعة كربلاء
التاريخ: ١٦/ ١٠/ ٢٠٢٣

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة من	الصفحة إلى
الإهداء	أ	
شكر وعرفان	ب	
المحتويات	ت	خ
المقدمة (نطاق البحث وتحليل المصادر)	1	4
التمهيد	5	8
الحياة ابن الاثير ونشاطه الفكري	5	5
نشأته	5	6
وفاته	7	8
الفصل الاول/ أخبار الدولة الفاطمية في بلاد المغرب(297-358هـ/909-968م)**عند ابن الأثير:**	9	73
المبحث الأول : الجذور التاريخية الأولى للفاطميين وعقيدتهم	9	10
1- قضية النسب الفاطمي:	11	20
2- أصول الإسماعيليين- الفاطميين:	21	23
المبحث الثاني : الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي	24	73
1 - دور الدعاة في تمهيد قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب:	24	37
2 - تأسيس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب:	37	44
3- اعلان الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب :	44	52
أ- تأسيس مدينة المهدية (300هـ/912م)	44	47
ب-الثورات والفتن ضده(297هـ-317هـ/909م-929م)	47	49
ت- محاولات فتح مصر (301-323هـ/913-934م)	49	52
4- القائم بأمر الله(322-334هـ/933-945م) ودوره في بلاد المغرب:	52	53
أ- مواجهة ثورة وتمرد ابي يزيد مخلد بن كيداد والخوارج(322هـ/933م)	54	63
ب-علاقته وصقلية	63	66
5- الخليفة المنصور بالله(334-341هـ/945-952م) والخليفة المعز لدين الله (341-	66	71

365هـ/952–975م)ودورهما في بلاد المغرب:		
ت– وفاة المنصور (341هـ/975م)	71	73
الفصل الثاني/ اخبار الدولة الفاطمية في مصر (358-411هـ/968-1020م) عند ابن الاثير	74	161
1- فتح مصر على يد جوهر الصقلي.	74	77
2- تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر.	78	79
3- إجراءات جوهر الصقلي بعد فتح مصر.	79	82
4- جهوده في استكمال فتح بلاد الشام .	82	86
المبحث الثاني :اخبار الدولة الفاطمية في مصر بعد دخول المعز لدين الله(341-365هـ/952-975م) .	87	111
1-انتقال المعز لدين الله الى مصر سنة 362هـ/973م.	87	91
2-موقف الخلافة الفاطمية من الدولة العباسية	91	97
3-علاقة المعز لدين الله مع القرامطة .	97	99
4-علاقته مع بلاد الحجاز.	99	101
5-علاقته مع بلاد الشام	101	103
6-علاقته مع بلاد المغرب	104	107
7-علاقته مع صقلية	107	108
8-علاقته مع الاندلس الإسلامية .	108	111
المبحث الثالث: اخبار الدولة الفاطمية في فترة خلافة العزيز بالله (365-386هـ/975-996م)	112	128
1- ولاية العزيز بالله.	112	112
2-اهل الذمة أيام العزيز بالله.	112	114
3-بلاد الشام والخلافة الفاطمية أيام العزيز بالله.	114	124
4- موقف العزيز بالله من بلاد الحجاز .	124	125
5-علاقة العزيز بالله مع بلاد المغرب	125	128
المبحث الرابع: اخبار الدولة الفاطمية في فترة الحاكم بأمر الله(386-411هـ/ 996 - 1020 م) عند ابن الاثير	129	161
1- مسالة الاوصياء على الحاكم بأمر الله وتصفيتهم.	129	136

2- الاغتيالات السياسية ايام الحاكم بأمر الله.	**136**	**144**
3- اهل السنة ايام الحاكم بأمر الله.	**144**	**146**
4- اهل الذمة ايام الحاكم بأمر الله.	**146**	**149**
5- السياسة الخارجية للحاكم بامر الله.	**149**	**158**
6- مقتل الحاكم بأمر الله والاشكالات المترتبة حول ذلك.	**158**	**161**
الفصل الثالث/ الاحداث السياسية في القاهرة للمدة (411-487هـ/1020-1094م) عند ابن الأثير	**162**	**240**
<u>المبحث الاول:</u> أخبار الدولة الفاطمية في فترة الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/ 1020-1035م)	**162**	**177**
1- الأوضاع السياسية	**163**	**168**
2- الحياة الاجتماعية في خلافة الظاهر	**168**	**170**
3- إجراء ته ضد أهل الذمة	**170**	**171**
4-سياسته الخارجية مع العراق وبلاد الشام والحجاز	**171**	**177**
<u>المبحث الثاني:</u> أخبار الدولة الفاطمية في مدة حكم المستنصر بالله (427-487هـ/ 1035-1094م)	**177**	**196**
1- تولية المستنصر بالله الخلافة.	**177**	**180**
2- وزراء المستنصر بالله.	**180**	**184**
3- الأزمات الاقتصادية والمجاعات في عهده.	**184**	**188**
4- أحوال القاهرة في عهد المستنصر بالله	**188**	**196**
المبحث الثالث/ السياسة الخارجية في عهد المستنصر بالله .	**197**	**240**
1- الدولة العباسية	**197**	**217**
2- دويلات بلاد ما وراء النهر	**217**	**217**
3- اليمن	**218**	**222**
4- بلاد الشام	**222**	**232**
5- بلاد الحجاز	**232**	**234**
6- بلاد المغرب	**234**	**240**
الفصل الرابع/ مرويات سقوط الدولة الفاطمية (567هـ/1172م) عند ابن الاثير	**241**	**252**

المبحث الأول: اخبار الدولة الفاطمية في عصر الوزراء الأقوياء و القادة العسكريين (487هـ/567هـ/1094-1172م) عند ابن الاثير	**241**	**292**
1- وفاة المستنصر بالله وتولي المستعلي بالله قيادة الدولة (487-495هـ/ 1094-1101م)	**241**	**241**
أ- السياسة الخارجية في عهد المستعلي	**241**	**252**
المبحث الثاني: خلافة الامر بأحكام الله (495 هـ - 524 هـ / 1101 – 1129 م) ونهاية الاسرة الجمالية	**253**	**260**
1- السياسية الخارجية للدولة الفاطمية في خلافة الامر بأحكام الله	**260**	**271**
2- خلافة الحافظ لدين الله (524-544هـ/1129-1149م)	**271**	**278**
3- الصراع على ولاية العهد بين أبناء الحافظ	**278**	**284**
4- خلافة الظافر بامر الله (544-549هـ/1149-1154م)	**284**	**288**
5- السياسة الخارجية في عهد الظافر بامر الله	**288**	**290**
6- اغتيال الخليفة الظافر بامر الله	**290**	**292**
المبحث الثالث: سقوط الدولة الفاطمية	**292**	
1-لافة الفائز (549-555هـ/1154-1160م) ووزارة الطلائع بن رزيك	**292**	**295**
2-الخليفة العاضد لدين الله (555-567هـ/1160-1171م)	**295**	**297**
3-نهاية الدولة الفاطمية	**298**	316
الاستنتاجات	**317**	**319**
ثبت المصادر والمراجع	**320**	**341**
ملخص باللغة الانكليزية	**A**	**C**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله المبعوث رحمة للعالمين مخرج الناس من الظلام الى النور النبي الكريم محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين:

شغلت الدولة الفاطمية فكر مؤرخي التاريخ الإسلامي الذين دئبوا في كتابتهم لمجريات الاحداث التي واجهت الدولة العربية الإسلامية بعد سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية، ومدى تأثيرها على العرب المسلمين، سيما بعد ظهور قوى سياسية جديدة على مسرح الاحداث التي تمثلت بظهور دول في المشرق والمغرب والتي استطاعت ان تحصل على استقلالها الذاتي او الانفصال عن جسم الدولة العربية الإسلامية في عهد الدولة العباسية ومنها ما قام في المشرق كالأمارة الطاهرية، والامارة الصفارية والامارة السامانية ، اما المغرب فقد سبقت الدولة الفاطمية ظهور العديد من الدول التي انفصلت أيضا عن الدولة العباسية باستقلال ذاتي او تام، مثل دولة الأغالبة ، والأدارسة ، والموحدين والمرابطين ...الخ، فضلا عن ذلك قيام الدولة الفاطمية التي استطاعت ان تكتسح بقوتها بلاد المغرب محاوله لأسقاط الدولة العباسية ، لتحل محلها ؛ لأنها كانت ترى بانها هي امتداد لرسول الله محمدﷺ وللإمام علي بن ابي طالب عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام ، وهي احق بالخلافة من العباسيين، لذا تسموا بالفاطميين تيمنا" بفاطمة الزهراءعليها السلام ولكسب الموالين لها من الشيعة وبالأخص الناقمين على الدولة العباسية، لذ افقد تمكنوا من ان يقيموا دولة استمرت زهاء قرنين ونصف من الزمان قاموا خلالها بمد نفوذهم شرقاً وغرباً من خلال نشر الدعوة الاسماعيلية بواسطة الدعاة في معظم انحاء العالم الاسلامي وكانوا يدعون الى ضرورة الانضواء تحت حكم الفاطميين الشرعي ونبذ حكم العباسيين المغتصبين للخلافة.

لذا نلاحظ ان المؤرخين قد تسابقوا للكتابة عن هذه الدولة، سيما المدة الممتدة من النصف الثاني من القرن السابع الهجري /القرن الثالث عشر الميلادي اذ تعد هذه الحقبة التاريخية من الحق التي تميزت بظهور العديد من المؤرخين البارزين ومنهم ابن الاثير اذ كتب عنهم في مصنفاته التاريخية لذا جاء موضوع الاطروحة بـ(اخبار الدولة الفاطمية في مصنفات ابن الاثير دراسة تحليله) ،

نقل ابن الاثير الدولة الفاطمية على شكل حوادث سنين مرتبة متسلسلة حسب الفترات الزمنية لخلفاء الدولة الفاطمية ناقلا" الحوادث التاريخية بكل تجرد ، فلحظنا في مشكلة اثبات النسب الفاطمي مثلا انه بين انهم علويون فسماهم العلويين في كتاباته ولم ينعتهم كما نعتهم بعض المؤرخين من أبناء ملته باليهود او الفرس، فضلا عن ذلك فان ابن الاثير كان من المعاصرين للدولة الفاطمية قريبا عن مجريات الاحداث فقد ولد في الجزيرة الفراتية سنة(555هـ/1160م) وان سقوط الدولة الفاطمية كان سنة (567هـ/1171م) أي كان عمرة عند سقوطها اثنا عشر سنة ، أي انه كان قريب من الحوادث التاريخية التي عاصرها مع قرب نهاية الدولة الفاطمية.

ووفقاً للمتطلبات الاكاديمية البحثية والموضوعية تم تقسيم الاطروحة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، تناولت المقدمة التعريف بالموضوع وتحليل لأهم مصادره وتضمن التمهيد: دراسة مختصر لحياة المؤلف ابن الاثير الذي اغنى بكتبة تفاصيل دقيقة عن الدولة الفاطمية، ويرجع السبب في اتباع أسلوب الاختصار في الكلام عن حياته وجود العديد من الدراسات التي تناولته بالتفصيل [1]، فضلا عن ذلك فقد استخدم الباحث طريقة الاختصار في كتابة لهوامش وذلك لعدم اثقال الهامش بذكر تفاصيل المصدر او المرجع الانها قد كتبت كاملا في قائمة المصادر

---

(1) تناولت العديد من الدراسات العراقية والعربية حياة ابن الاثير بالتفصيل منها : أطروحة دكتوراه عن ابن الاثير مؤرخا" للحروب الصليبية للباحثة العراقية ميسون ذنون عبد ارزاق العباجي جامعة الموصل؛ أطروحة دكتوراه عن الكامل في التاريخ لابن الاثير لدراسة أحوال الموصل الحضرية (516–628هـ) للباحثة ميسون ذنون عبد الرزاق العبايجي جامعة بغداد ؛ محسن ، رحيمة ، أطروحة دكتوراه ابن الاثير وموارده في كتابة اسد الغابة في معرفة الصحابة للباحثة رحيمة محسن ، جامعة بغداد ، معهد التاريخ الإسلامي؛ رسالة ماجستير عن ابن الاثير منهجه وموارده في كتاب اللباب في تهذيب الانساب للباحث حسين سامي جامعة بغداد المعهد الاسلامي ،رسلة ماجستير عن مرويات ابن الاثير في التاريخ السياسي من خلال كتابه الكامل في التاريخ رؤية في الاحداث التي عاصرها 573 – 628هجري . جامعة بغداد معهد التاريخ الإسلامي والحديث؛ رسالة ماجستير عن الحياة الاجتماعية في الموصل في كتاب التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل لابن الاثير للباحث حسين علي جامعة بغداد معهد التاريخ الإسلامي والحديث؛ أطروحة دكتوراه عن دور ابن الاثير في كتابة التاريخية للباحث الأردني طارق محمود أبو هدهود في الجامعة= =الأردنية؛ رسالة ماجستير عن موارد ابن الاثير ومنهجه من خلال كتابة اسد الغابة في معرفة الصحابة للباحثة السعودية حنان بنت عبد الباقي في جامعة ام القرى؛ رسالة ماجستير عن الغزو المغولي عند المؤرخين ابن الاثير نموذجا" للباحثة السعودية عبير بنت سيف في جامعة القصيم ؛ فضلا عن العديد من البحوث عن ابن الاثير التي تناولت حياته بالتفصيل.

والمراجع ، اما تقسيم الاطروحة على شكل فترات فقد جاء ذلك بناء على معطيات المادة المدروسة سيما ان المؤرخ كان يكتب ويؤرخ الاحداث التاريخية على شكل سنوات لذا تشابهت عناوين بعض المباحث وفقا لخطة البحث.

استعرض الفصل الأول المقسم الى مبحثين تناول في المبحث الأول قضية نسب الدولة الفاطمية عند ابن الاثير، ثم تطرق إلى أصول الإسماعيلية وعقائدها، و في المبحث الثاني بينا دور الدعاة في التمهيد لقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، من ثم قيامها بقيادة عبيد الله المهدي (297-322 هـ/909-933م) ودوره في بلاد المغرب وتطرقت الى الثورات التي حدثت في عهده والكيفية التي واجهها الخليفة الفاطمي ومن ثم مجريات الاحداث حتى عهد الخليفة الفاطمي المنصور بالله(334-341هـ/945-952م) والخليفة المعز لدين الله (341-365هـ/952-975م).

وتضمن الفصل الثاني اربع مباحث وضح المبحث الأول اخبار الدولة الفاطمية في مصر قبل رحيل المعز الفاطمي اليها واتخذه من مصر مقر له ولدولته، وقد تمثل بجهود جوهر الصقلي لفتح مصر و تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر، و استكمال فتح بلاد الشام ، اما المبحث الثاني فقد تضمن اخبار الدولة الفاطمية في مصر بعد دخول المعز لدين الله وعلاقته الداخلية والخارجية ، وتطرقت في المبحثين الثالث والربع الى فترته الخليفتين العزيز بالله(365-386هـ/975-996م) و الحاكم بأمر الله(386-411هـ/ 996 -1020 م) وسياستهما الداخلية والخارجية ؛ ويرجع السبب الى هذا تقسيم الان هذه الفترة مثلت عصر القوة والانتشار والسيطرة للدولة الفاطمية على بلاد المغرب وبلاد الشام.

وتطرق الفصل الثالث الذي قسم الى أربعة مباحث تمثل المبحث الأول أخبار الدولة الفاطمية في فترة الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/ 1020-1035م) والذي شمل الأوضاع السياسية وإجراءاته ضد أهل الذمة فضلا عن الأوضاع الاقتصادية والمجاعات التي حلت بمصر و سياسته الخارجية مع العراق وبلاد الشام والحجاز ، وتضمن المبحث الثاني أخبار الدولة الفاطمية في مدة حكم المستنصر بالله (427-487هـ/ 1035-1094م) والذي شهد تعيين عدد كبير من الوزراء للخليفة المستنصر بالله بسبب الضعف الذي أصاب الخلافة نتيجة لوصول خلفاء فاطميين صغار السن، وجاء المبحث الثالث متماثلا بالأزمات الاقتصادية والمجاعات في عهده ، اما المبحث الرابع، فقد تمثل بالسياسة الخارجية في عهد المستنصر بالله.

وخصص الفصل الرابع لسقوط الدولة الفاطمية وقد قسم الى ثلاثة مباحث تطرق المبحث الأول الى اخبار الدولة في عصر الوزراء الأقوياء و القادة العسكريين (487هـ/567هـ/1094-1172م)، وتولي المستعلي قيادة الدولة (487-495هـ/ 1094-1101م) ، فضلا عن الصراع مابين النزارية والمستعلية على السلطة ، اما المبحث الثاني فتمثل بخلافة الامر بأحكام الله (495 هـ - 524 هـ / 1101 - 1129 م) ونهاية الاسرة الجمالية، ثم خلافة الحافظ لدين الله (524-544هـ/1129-1149م) و الصراع على ولاية العهد بين أبناء الحافظ ، و تولي الظافر بامر الله (544-549هـ/1149-1154م) الخلافة فضلا عن السياسة الخارجية في عهده ، ثم اغتيال الخليفة الظافر بامر الله ، اما المبحث الثالث فتمثل بسقوط الدولة الفاطمية متضمنا" خلافة الفائز (549-555هـ/1154-1160م) وستوزار الطلائع بن رزيك، وخلافة الخليفة العاضد لدين الله (555-567هـ/1160-1171م) ثم نهاية الدولة الفاطمية .

اعتمدنا في مصادر هذه الاطروحة على المصادر التاريخية الاصيلة والمراجع التي تتسم بالدقة، في توثيق المعلومات وتحليلها، ولأجل الوقوف على مدى فائدتها لرسالتنا سنحاول استعراض أهمها بعد تقسيمها إلى مجموعات بحسب اهميتها والموضوعات والسبق التاريخي.

وبعد هذه الدراسة أقول: إن الكمال لله تعالى وحده وحسبي أنني بذلت ما استطعت من الجهد والتواصل ومن الله التوفيق والحمد لله ربِّ العالمينَ والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين محمد وعلى آله الغر الميامين وأصحابه المنتجبين.

التمهيد:

حياة ابن الاثير ونشاطه الفكري [1]

أبو الحسن علي بن محمد، وهو المعروف باسم عز الدين بن الأثير الجزري، وذلك نسبةً إلى جزيرة ابن عمر، الواقعة على ضفاف نهر دجلة[2]،وُلد سنة 555هـ/1160م، وكانت وفاتهُ سنة 630هـ/ 1233م، وعُرف عنهُ الفطنة والعلم الكبير، حيث تلّقى تربية جيدة وهو من المؤرّخين العرب المسلمين الذين تركوا إرثاً تاريخياً كبيراً[3].

أ- نشأته:

نشأ ابن الاثير ضمن أسرة ثرية استقراطية، وتنقّل مع والده إلى عدد من المدن الإسلامية، مثل القدس وبغداد ودمشق، كما أنّهُ عمل في خدمة الدولة الزنكية، وعاش ضمن بلاطها، ومن أهم كتبهُ الكامل في التاريخ، فقد عُدّ كتابهُ تاريخاً شاملاً لكل الأحداث التي جرت في التاريخ الإسلامي، والمؤلف من 12 مجلد، ورتّبهُ ابن الأثير من سنة 489هـ، إلى سنة 561هـ، ويُعدُّ من أهم أعماله وأغناها[4]. وهذا ما منحهُ الفرصة على الاطلاع على العلوم بكافة أنواعها، فقد حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، و تلقّى الحديث على يد العلماء المشهورين[5]، مثل أبي الفضل عبد الله بن أحمد، وأبي الفرج يحيى الثقفي، وعكف عند ذهابه إلى بغداد ليسمع الأحاديث من الشيوخ الكبار مثل الشيخ أبي القاسم بن صدقة الفقيه الشافعي، وأبي أحمد عبد الوهاب بن علي الصدمي، ومن ثم انتقل إلى الشعر والتأليف، ثمّ توجّه ابن الأثير إلى دمشق، واستمع فيها إلى فقهاء الشام، وبقى فيها فترة من الوقت، ثمّ انتقل إلى حلب، وباحثاً وجامعاً لأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان ابن الأثير من المؤرّخين المعروفين بالاهتمام

---

(1) تناولت الكثير من الدراسات والبحوث المختلفة لحياة ابن الاثير بالتفصيل وسوف نقتصر هنا على ذكر جوانب بسيطة من حياته تفاديا لتكرار تلك المعلومات.

(2)السمعاني، الانساب ، ج3،ص269.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص350.

(4) بيطار، ابن الأثير الموسوعة العربية، ص34.

(5) ابن الاثير ، الباهر في الدولة الاتابكية، ص148 .

بالحديث، فقد كان إماماً بالحديث وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً في أنساب العرب وأخبارهم وأيامهم، ولم ينحصر علمهُ بأنساب علم الرجال فقط، بل بأنساب الصحابة أيضاً[1].

وأمضى ابن الأثير جزءاً يسيراً من حياته في التأليف، وأجاد في علم التاريخ وعلم الحديث، إلى أن صار إماماً في حفظ الحديث وما يختصُّ به، وبلغ ابن الأثير شهرتهُ بفضل هذين العلمين، كما غلبت عليه صفة المؤرّخ، فقد بدأ مسيرتهُ عن طريق أهم المؤرّخين والمحدّثين الكبار، مثل الطبري وغيرهم([2]).

وقد أثنى ابن خلكان على ابن الأثير بقوله: " اجتمعت به كل الفضائل والتواضع وكرم الأخلاق "[3].

كما تحدّث عن صفات ابن الأثير، الذهبي[4] بقوله " كان ابن الأثير يتصف بالعديد من الصفات المتميزة حيث كان إمام، وعلاّمة، وإخباري، وأديب، ورئيس وقور ومحترم، وكان المنزل الخاص به مكان لتلقي العلوم، وفي نهاية عمره أقبل على الحديث إقبال تام".

وقال عنه الصفدي [5]:" علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد العلامة عز الدين أبو الحسن بن الأثير أبي الكرم الشيباني الجزري ... إماما نسابة مؤرخا أخباريا أديبا نبيلا محتشما وبيته مأوى الطلبة أقبل آخر عمره على الحديث وسمع العالي والنازل حتى إنه سمع من أبي القاسم بن صصرى وزين الأمناء بدمشق وصنف التاريخ المشهور المسمى ب الكامل على الحوادث والسنين واختصر الأنساب للسمعاني وهذبه وأفاد فيه أشياء وهو في مقدار النصف أو أقل وصنف كتابا حافلا في معرفة الصحابة وجمع فيه بين كتاب ابن منده وكتاب أبي نعيم وكتاب ابن عبد البر وكتاب أبي موسى في ذلك وزاد وأفاد وشرع في تاريخ الموصل وحدث بدمشق وحلب "

وقد انجذب المؤرّخ إلى علم التاريخ، وجاء أسلوبهُ فيه عميقاً ومتيناً، ومن ذلك ما عبرّ عنهُ في مقدمة كتابه الكامل في التاريخ، بقوله " أما بعد فإنّي لم أزل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة

---

(1) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ص70.

(2) طليمات، المؤرخ ابن الأثير الجزري– حياته ومؤلفاته، ص90.

(3) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص121.

(4) الذهبي، سير وأعلام النبلاء، ج1، ص98.

(5) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج22، ص87.

ما فيها، ومؤثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها، مائلاً إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها "[1].

مؤلفاته

اتبّع المؤرّخ ابن الأثير في كتاباته، الأسلوب السلس وهذا ما جعلهُ يعطي للمادة التاريخية في كتابه الكامل في التاريخ، مصداقية أكبر، وقرباً أكثر من الحقيقية التاريخية، فقد وصل ابن الأثير إلى المصادر المكتوبة من كتب ووثائق وروايات مسموعة من العلماء الثقات، من الرحّالة والتجار والسفراء والرسل وقد عُدّ كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير من أهم مصادر التاريخ الإسلامي، كما استفاد منهُ العديد من المؤرّخين السابقين له، فقد حرص على إيراد الرواية التاريخية الصحيحة[2]. أما سبب وضعه هذا الكتاب فضلا عن رغبته إرضاء السلطة الحاكمة ، فهو ما بينه في مقدمته بأنه لم يزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها ، فلما تأملها رآها متباينة في تحصيل الغرض ، فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات ، ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت ، ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثان ، وسود كثيرا من الأوراق بصغائر الأعراض ، والشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربي قد أهمل أحوال الشرق ، فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخا متصلا إلى وقته يحتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعددة ، مع ما فيها من الإخلاق والإملال ، وهذا ما جعله يؤلف تاريخه الجامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة له يراجعها خوف النسيان ، وليأتي بالحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضا إلى وقته .وهو لا يدعي أنه أتى على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ ، فإن من هو بالموصل لا بد أن يشذ عما هو بأقصى الشرق والغرب ، ولكنه جمع في كتابه هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد . ورأى المؤرخين الذين تقدموه يأتون بالحادثة الواحدة فيذكرون منها في كل شهر أشياء ، فتأتي متقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر ، فجمع الحادثة في موضع واحد ، وذكر كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت ، فأتت متناسقة متتابعة . وبين ما في مطالعة التواريخ من فائدة ، فإن الإنسان يحب البقاء ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء ، فإذا قرأ أخبار الماضين فكأنه عاصرهم ، وإذا علمها فكأنه

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص5.

2 سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص105.

حاضرهم . ثم إن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي، إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان، ونظروا ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد، وهلاك العباد، وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها. والكال في التاريخ كسائر التواريخ القديمة، سرد للحوادث والأخبار بحسب تواريخها. ويعترف صاحبه بأنه نقل عن الطبري، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته فقال إنه أخذ عن التاريخ الكبير لأبي جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعول عليه ، أخذ منه جميع تراجمه ، ولم يخل بواحدة منها ، على أنه لم يتبع خطى الطبري في التأليف ، فإن الطبري كان يذكر في أكثر الحوادث روايات عديدة ، فقصد ابن الأثير إلى أتمها فنقله وأضاف إليه . ويدلنا قوله هذا على أنه لم ينقل الحوادث التاريخية على علاتها ، وإنما كان يختار منها ما يراه موافقا لمعقوله ويؤلفه تأليفا جديدا بما يضيف إليه ، وهو إن لم يكن قد سار على أسلوب فلسفة التاريخ في نقده للحوادث وربطه بين الأسباب والمسببات ، وهو أسلوب لم يعرف إلا مع ابن خلدون ، فإنه كان ينقد ما ينقله ، ولم يكن ينقل إلا كل ما رآه صوابا ، وكان يعرض عن نقل ما يراه غير موافق للعقل[1]. ولعز الدين ابن الأثير مؤلفات عديدة ، منها :

" كتاب اللباب في تهذيب الأنساب " وهو مختصر لكتاب الأنساب للسمعاني، على أنه نبه على ما في هذا الكتاب من هفوات ، وزاد عليه أشياء وكتاب " أسد الغابة في معرفة الصحابة " "والباهر في تاريخ الدولة الأتابكية " التي عاش في ظلها. توفي ابن الاثير في الخامس والعشرين من شعبان سنة 630هـ/1234م[2] .

الفصل الأول

أخبار الدولة الفاطمية في بلاد المغرب (297-361هـ/909-971م) عند ابن الأثير:

المبحث الأول / الجذور التاريخية للفاطميين وعقيدتهم

اتّخذ الفاطميون من بلاد المغرب الإسلامي مقراً لقيام دولتهم، والتي تأسسّت في بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[3]، وامتدّت

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص13، من مقدمة المؤلف.

(2)الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ج3، ص25؛ أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، ص163.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، ص16 من مقدمة المؤلف.

حـدودها لتشـمل مصـر وأجـزاء مـن بـلاد الشـام، ويُعـدُّ المهـدي أبـو محمـد عبـد الله المؤسس للدولة الفاطمية [1].

وكانـت البـدايات الأولـى للدولـة الفاطميـة فـي مدينـة سجلماسـة[2]سـنة 290هـ/903م، وعنـد تثبيـت اركـان دولـتهم اتجهـوا نحـو أرض مصـر[3]، وظلّـوا فيهـا حتـى نهايـة الدولـة الفاطميـة علـى يـد صـلاح الـدين الأيـوبي، وإنهاء خلافة الخليفة الفاطمي العاضد سنة 567هـ/1171م[4].

وقـد ذكـر المـؤرّخ ابـن الأثيـر[5] ذلـك ابتـداء قيـام الدولـة الفاطميـة فـي كتابـة، فقـال: "هـذه دولـة اتسـعت أكنـاف مملكتهـا، وطالـت مـدتها، فإنهـا ملكـت إفريقيـة هـذه السـنة، سـنة 296هـ/360م، وانقرضـت دولـتهم بمصـر سنة سبع وستين وخمسمائة ".

1- النسب الفاطمي

عرفت بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة / التاسع الميلادي، نشاط متميز للفاطميين، الذين تمكنوا من تحقيق نجاح باهر، نتج عنه تأسيس دولة فرضت سيطرتها على كل ربوع المغرب الإسلامي، ويكمن سر هذا النجاح في ترويج دعاة

---

(1) عبد الله المهدي: مؤسس الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا، بدأ بالتجهيز للدعوة الفاطمية من مدينة رقادة عاصمة الأغالبة سنة 297هـ/910م، وتم مبايعتهُ بالخلافة. ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج1، ص122.

(2) سجلماسة: وهي مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن، وهي في وسط رمال كرمال، ويمرُّ بها نهر كبير قد غرسوا عليه بساتين ونخيل مد البصر، وعلى أربعة فراسخ منها رستاق ويُقال له تيومتين على نهرها الجاري فيه من الأعناب الشديدة الحلاوة ما لا يُحد وفيه ستة عشر صنفاً من التمر ما بين عجوة ودقل، وأهل هذه المدينة من أغنى الناس، وأكثرهم مالاً ولأهلها جرأة على دخولها. ينظر: أبن حوقل، صورة الارض ، ص90-96 ؛ البكري ، المسالك والممالك، ج2، ص332-338 ؛ الحموي، معجم البلدان، ج3، ص192.

(3) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج6، ص20.

(4) سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص40.

(5) ابن الاثير، الكامل في التأريخ، ج6، ص577.

الإسماعيلية للمهدي العلوي الفاطمي بحسب عقيدة الفاطميين الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا بعد أن ملئت ظلما وجورا، فمكنتهم فكرة المهدي المنتظر الذي بشر به الرسول الاكرم محمد (صلى الله عليه والة وسلم ذلك من جمع الأتباع والمريدين. لكن ثمة قضية مهمة ترتبط بالفاطميين وهي قضية حقيقة نسب الفاطميين، الذين ملكوا الكثير من الأقاليم، ساعدهم في ذلك النسب العلوي ،وقد اختلف المؤرخون فيما بينهم حول النسب الفاطمي وانقسموا الى قسمين، القسم الأول: يمثل وجهة نظر الدولة العباسية ورجالاتها وعدد من علماء الأنساب الذين يحسبونهم مدعين بالنسب الفاطمي وبصحته، ويذهبون الى أن الذي حكم في المهدية [1]المسمى عبد الله المهدي (ت322هـ/933م)[2] ما هو سوى من المبتدعة لا نسب له ومن نسل ميمون القداح[3] او يهودي الأصل، فينكرون نسبه، والقسم الثاني: الذي يؤيد النسب الفاطمي وصحته ويذهبون بمصداقيته وان الفاطميين ماهم إلا من أفراد البيت العلوي

(1) مدينة المهدية سميت بالبيضاء وسميت ايضا على اسم بانيها عبيد الله المهدي بنيت وانتقل اليها المهدي سنة 308هـ/920م وسبب بناءها هو خوف المهدي من خطر البربر المتزايد فكان يتوقع هجوما مباغتا منهم من جبال اوراس، وطموح المهدي في انشاء اسطول بحري يستخدمه في تحقيق مخططه التوسعي الموجه نحو فرض سيادة بحرية على حوض البحر الابيض المتوسط. ينظر: الحموي، معجم البلدان ج5، ص231 ؛ البكري ، المسالك والممالك، ج2 ، ص203.

(2) ابو محمد عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقرﷺجد الخلفاء الفاطميين. ينظر: أبن ظافر، اخبار الدول المنقطعة ، ص6-13 ؛ ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص35-38.

(3)ميمون بن الأسود القداح ولقب بالقداح لان كان يعالج العيون ويقدح الماء النازل بها ، وقيل هو ميمون بن ديصان وهو رجل يهودي وقيل مجوسي وقد اعتبره بعض المؤرخين بانه يهودي ربيب مجوسي ، ولد بمكة ونشاء فيها ، وكما اختلف المؤرخون في اسمة فقد اختلفوا في وثاقته و نقلة للحديث الشريف حيث عدة البعض ثقة وفريق اخر عده من الكذابين ، وقد اشارت المصادر التاريخية بان ميمون كان من أصحاب الامام زين العابدين والامام= =الباقر والامام الصادقﷺ، وقد اشارت بعض المصادر التاريخية الأخرى الى ان عبد الله بن ميمون الإسماعيلي غير عبد الله بن ميمون الأنثي عشري فهما شخصان وليس شخص واحد اما ابنة فهو عبد الله بن ميمون بن الأسود القداح مولى بني مخزوم ، يبري القداح . روى أبوه عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ ، وروى هو عن أبي عبد اللهﷺ وكان ثقة. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق،ص247؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص214؛ ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب، ج1، ص 455؛ الكشي، اختيار معرفة الرجال ، ص161.

ويرجعون في أصولهم الى إسماعيل(ت 147هـ/764م) الأبن الأكبر للأمام لجعفر الصادق علية السلام(ت 148هـ/765م) ، الذي يربط نسبهم بعلي بن ابي طالب عليه السلام وفاطمة بنت الرسول صلى الله علية واله وسلم ، **ويعد ابن الأثير[1] من المؤرخين الذين يعتقدون بصحة النسب وانتمائهم للبيت العلوي اذ أورد روايتين تؤيدان النسب العلوي الفاطمي فقال: " القداحي طائفة من الباطنية يقال لهم القداحية ينتمون إلى عبيد الله بن ميمون القداح وهو جد زعيم الباطنية بالمغرب وكانت دعوته إلى بدعته سنة عشرين ومائتين وكان عبيد الله بن ميمون غلام جعفر بن محمد الصادق"علية السلام" وكان مع محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق في الكتاب فلما مات محمد كان يخدم إسماعيل فلما مات إسماعيل ادعى انه عبيد الله بن إسماعيل وانتسب إليه وهو ابن ميمون ، قلت هذه الترجمة غلط فإن قوله لما مات محمد بن إسماعيل بن جعفر خدم أباه إسماعيل فلما مات ادعى أنه ابنه من أعجب القول فإن محمدا عاش بعد أبيه وتوفي أبوه إسماعيل في حياة والدة جعفر الصادق وأظهره أبوه للناس حتى رآه جماعة كثيرة من أهل المدينة ميتا لأنه خاف المنصور أن يقول له إن ابنك لم يمت وإنما اختفى ليطلب الخلافة كما فعل محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن فيفعل به كما فعل بأولاد الحسن بن الحسن من الحبس وغيره فكيف يدعي القداح أنه ابن محمد ابن إسماعيل مع وجود جده جعفر هذا مالا يمكن لأنه قال إن القداح ادعى انه ابن إسماعيل بعد موته وإسماعيل مات في حياة أبيه لا شبهة فيه وقوله زعيم الباطنية بالمغرب يعني به عبيد الله الملقب بالمهدي جد الخلفاء العلويين الذين ملكوا أفريقية ومصر وهذا يقوله من يطعن في نسبهم ونسبهم صحيح قال الشريف الرضي في ذلك : من أبوه أبي ومولاه مولاي *إذا ضامني البعيد القصي "**

من خلال ما تقدم يقف ابن الاثير[2] مدافعا عن صحة انتساب الفاطميين الى آل بيت النبوة، فذكر ذلك قائلا : "... المهدي هو عبيد الله بن احمد بن اسماعيل الثاني محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن ابي طالب رضي الله عنهم...".

---

(1) ابن الاثير، اللباب في تهذيب الأنساب، القدسي،3ج، ص18.

(2) الكامل في التأريخ، ج6، ص124.

في حين ذكر الداعي ادريس[1] في خلافة المهدي بان اسمة هو أبو محمد عبد الله بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق علية السلام وهو الاسم الاصح اذ اوردة ابن الاثير بشكل غير دقيق في روايته السابقة.

ومن الأدلة التي قدمها ابن الاثير على صحة انتساب الفاطميين الى العلويين ابيات الشعر التي قالها الشريف الرضي [2] وهو من العلويين اذ انشد قائلا :

ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارمٌ، وأنفٌ حميٌّ
وابا محلق بي عن الضيم كما راغ طائر وحشي
أي عذرا له الى الله المجد ان ذل ل غلام في غمده المشرفي
ألبس الذلّ في بلاد الأعادي، وبمصر الخليفة العلوي
من أبوهُ أبي، ومولاه مولا ي إذا ضامني البعيدُ القصي
لفّ عرقي بعرقه، سيداً النا س جميعاً، محمد، وعلي
إنّ ذُلّي بذلك الجوّ عزٌّ وأوامي بذلك النّفعُ ريٌّ (3)

ان من اهم الأسباب التي دفعت الشريف الرضي الى قول هذه الابيات هو الوضع الذي وصلت اليه الدولة العباسية من الضعف والانحلال وتفكك الوحدة الإسلامية وضعف السلطة المركزية في بغداد اذ يرى ان الشهب اصبح يقبع في هوان وضعف ، ثم يرى في نفس الوقت ان هناك دولة قوية وهي الدولة الفاطمية مهددا بالرحيل اليها للخروج من الذل الذي فرضته الظروف على المسلمين ، فضلا عن ذلك فان هذه الأبيات هي اعتراف صريح

---

(1) تاريخ الفاطميين بالمغرب ، ص143؛ ينظر كذلك: الشهرستاني ، الملل والنحل، ج8،ص101-110.

(2) الشريف الرضي: هو ابو الحسن محمد بن ابي احمد حسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ﷺ ولد سنة 359هـ/969م، مولده ووفاته في بغداد، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده وخلع عليه بالسواد وجدد له التقليد سنة 403 هـ/1013م، له ديوان شعر في مجلدين، وكتب منها: الحَسَن من شعر الحسين، وهو مختارات من شعر ابن الحجاج النيلي في ثمانية أجزاء، والمجازات النبوية، ومجاز القرآن، ومختار شعر الصابئ، ومجموعة ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابئ من الرسائل توفي ببغداد ودفن بداره. ينظر: النجاشي، برجال النجاشي، ص398؛ ابن داود، رجال ابن داود، ص170.

(3) الصابئ، رسائل الصابئ والشريف الرضي، ص78؛ الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، مج 2، ص576؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج3،ص301؛ ابن الاثير، الكامل في التأريخ ، ج6 ، ص124

بالنسب العلوي الفاطمي وأدت الى أزمة كبيرة بين الخليفة القادر بالله(381هـ-422هـ/991-1031م) والبيت الطالبي مما أدى بالقادر الى استدعاء والد الرضي لمعاتبته لفعل ولده الرضي بحق الخليفة ومن ثم مطالبته بالتبرؤ من عائديه هذه الأبيات، لكن الشريف الرضي رفض طلب والده في إعلان التبرئة، كما رفض الإذعان والاستجابة لوالده على الرغم من تهديده في حالة الإصرار على موقفه بأن لا يقيم معه ببلد [1].

كما ارسل كلاً من القاضي الأشعري أبو بكر الباقلاني (ت403هـ/1012م) [2] ومقدم الأشاعرة أبو حامد الأسفرايني (ت406هـ/1015م) [3]؛ لأخذ اليمين على الشريف الرضي في أنه لم يقل الشعر المنسوب اليه ولا يعرفه، وإلا أنه امتنع بإصرار على عدم الإذعان، أن امتناع الشريف عن انكار نسبة هذه القصيدة اليه ومماطلته في التوقيع على المحضر أدى الى صرف الشريف الرضي عن وظيفته النظر في المظالم ونقابة الطالبيين وإمارة الحج[4].

واشار ابن الأثير [5] الى موقف الشريف الرضي قائلا":" أن امتناع الرضي من الاعتذار وفي رفضه من أن يكتب طعناً في نسب الفاطميين، مع الخوف دليل قوي على صحة نسبهم"، مضيفاً بأنه سأل جماعة من العلويين في نسب عبيد الله المهدي فلم يرتابوا في صحته. بقولة "وسألت انا جماعة من أعيان العلويين في نسبه فلم يرتابوا في صحته ".

---

(1) أبن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، ج2، ص40.

(2) القاضي الأشعري أبو بكر الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، ولد سنة (338هـ/ 950م)، وهو من أهل البصرة سافر إلى بغداد وسكن فيها، سمع الحديث في بغداد من أبي بكر بن مالك القطيعي وأبي محمد بن ماسي، وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري، وأخذ علم الكلام عن أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مجاهد الطائي صاحب الأشعري، وأخذ عنه أئمة منهم أبو ذر الهروي وأبو عمران الفاسي والقاضي أبو محمد بن نصر. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج2، ص454؛ السمعاني، ج1، ص265.

(3) أبو حامد الأسفراييني: هو أحمد بن محمد بن أحمد الأسفراييني من أعلام الشافعية، ولد في أسفرايين344هـ/955م، بالقرب من نيسابور ورحل إلى بغداد، فتفقه فيها وعظمت مكانته. وألف كتبا، منها: مطوّل في أصول الفقه (ومختصر في الفقه سماه)الرونق، توفي ببغداد سنة 406هـ/1016م. ينظر: أبن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص73؛ أبن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص3.

(4)أبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج1، ص38؛ المدني، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار عليهم صلوات الملك الغفار، 1999م ، ج2، ص90 – 91.

(5) الكامل في التاريخ، ج8، ص24؛ ينظر كذلك: المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص35 .

وروى ابن الاثير[1] :"أن للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان فإنهم كتامة[2] وبخروجكم من هذا الفج يسمى فج الأخيا"

ومن الروايات التي أوردها ابن الاثير حول صحة النسب قوله: "فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول إن الإمام الذي كان بسلمية [3] وهو الحسين مات ولم يكن ولد فعهد إلى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد الله وعرفه أسرار الدعوة من قول وفعل وأين الدعاة وأعطاه الأموال والعلامات ، وتقدم إلى أصحابه بطاعته وخدمته وأنه الإمام والوصي ، ... وبعض الناس يقولون وهم قليل أن عبيد الله هذا من ولد القداح ، وهذه الأقوال فيها ما فيها ، فياليت شعري ما الذي حمل أبا عبد الله الشيعي وغيره ممن قام في إظهار هذه الدعوة حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودي وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده دينا يثاب عليه " [4] .

---

(1) الكامل، ج6، ص218.

(2)كتامة هي قبيلة بربرية تسكن في المنطقة الشرقية من دولة الجزائر الحالية، في منطقة القبائل الصغرى وما حولها والجزء الشرقي للجزائر وتتميز أرضهم بالجبال والهضاب العالية والخصبة، عرفت القبيلة من قبل الرومان باسم أوكتامنوروم ومن قبل البيزنطيين باسم أوكتوماني، ولقد كان لهذه القبيلة البربرية في العصور الوسطى دور حاسم في تاريخ العالم الإسلامي، فقد ساهموا بدعوة عبيد الله المهدي في تأسيس الدولة الفاطمية، وساهموا في فتوحاتها فكان الخلفاء الفاطميون يعتمدون في أغلب جيوشهم على أفراد قبيلة كتامة، إلى أن أصبحوا فيما بعد ذلك عصبة الحكام الفاطميين وأصحاب دولتهم. ينظر: ابن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج2، ص548؛ ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج1،ص107

(3) سلمية : وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين ، وكانت تعد من أعمال حمص ، ولا يعرفها أهل الشام إلا بسلمية ، وتقع السلمية قرب المؤتفكة ، فيقال : إنه لما نزل بأهل المؤتفكة ما نزل من العذاب رحم الله منهم مائه نفس فنجاهم فانتزحوا إلى سلمية فعمروها وسكنوها فسميت سلم مائة ثم حرف الناس اسمها فقالوا سليمة ، ثم إن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس اتخذها منزلا وبنى هو وولده فيها الأبنية ونزلوها ، وبها المحاريب السبعة يقال تحتها قبور التابعين ، وفى طريقها إلى حمص قبر النعمان بن بشير. ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص158؛ الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 240.

(4) الكامل في التاريخ، ج8، ص33-37.

وفي ضوء ماسبق يظهر ان ابن الاثير ابدى استغرابه من ان الحسين الوصي وابي عبد الله الشيعي[1] ينقلا الدعوة من الاسماعليين الى رجل ذو أصول يهودية وهل يعقل بانه لا يوجد امام تنتقل لية الامامة بعد وفاة الحسين الوصي خاصة وان الدعوة الإسماعيلية لها ثقلها في المجتمع الإسلامي .

وقد أيد الانطاكي(ت458هـ/1064م)[2] صحة النسب بقوله : "... ان عبيد الله المهدي يعود نسبه الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب..."

اما ابن حماد[3] (ت 628هـ/1230م): فقد قال " عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب "رضي الله عنهم"، والذي ادعاه الناس من انكار لا برهان عليه فلا حاجة لي اليه".

من خلال ما سبق فقد أكد المؤرخين السابقين ان النسب الفاطمي لأهل البيت عليهم السلام هو صحيح ولا اشكال فيه ولا يمكن التشكيك بصحة النسب لعدم وجود مايثبت لنفي هذا النسب.

وقد أورد ابن ابي الحديد(ت656هـ/1258م) رواية في صحة نسب الفاطميين فقال:" ولنا ملوك مصر وإفريقية، ملكوا مائتين وسبعين سنة ، فتحوا الفتوح واستردوا ما تغلب عليه الروم من مملكة الاسلام ، واصطنعوا الصنائع الجليلة . ولهم الكتاب والشعراء والامراء والقواد ، فأولهم المهدي عبيد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن

---

(1) الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، أبو عبد الله، المعروف بالشيعي، ويلقب بالمعلّم: ممهد الدولة الفاطمية، وناشر دعوتهم في المغرب. كان من الدهاة الشجعان، من أعيان الباطنية وأعلامهم، من أهل صنعاء .اتصل في صباه بالإمام محمد الحبيب (أبي المهدي الفاطمي) وأرسله محمد إلى (أبي حوشب) فلزم مجالسته وأفاد من علمه. ثم بعثه مع حُجاج اليمن إلى مكة، وأرسل معه (عبد الله بن أبي ملا) فلقي في الموسم رجالا من (كتامة) مثل الحريث الحميلي وموسى ابن مكاد، فأخذوا عنه (المذهب) ورحل معهم إلى المغرب. ودعا كتامة (سنة 286 هـ/899م إلى بيعة (المهديّ). ينظر: القاضي النعمان، شرح الاخبار، ج3، ص 412؛ السمعاني، الانساب، ص355 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج1، ص124 ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ،ج2، ص191 ابو الفداء المختصر في تأريخ البشر، ج2، ص65.

(2)صلة تاريخ سعيد بن البطريق او صلة تاريخ اوتيخا المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ج1،ص105.

(3) اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، 17-18.

الحسين بن علي بن أبي طالب وآخرهم العاضد ، وهو عبد الله بن الأمير أبى القاسم بن الحافظ أبى الميمون بن المستعلى بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن عبد العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى" [1].

ومن المؤرخين الذين توافقوا في صحة نسب الفاطميين مع ابن الاثير المؤرخ ابن خلدون حيث قدم عدة ادلة تشير الى حقيقة النسب الفاطمي فقال:"ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه كثير من المؤرخين والأثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت ... والطعن في نسبهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفا إليهم بالقدح في من ناصبهم" [2].

وجاء المقريزي(ت845هـ/1442م) باعتباره مؤرخ عن الدولة الفاطمية بالشواهد والبراهين التي تدل على صحة انتساب الفاطميين للعلويين اذ اشار الى ذلك قائلا : " ... اعلم ان القوم كانوا ينسبون الى الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ..." [3] ،

اما المؤرخين كابن حماد اليماني[4] الدوداري[5] وابن الجوزي[6] وأبو الفداء[7]، فانهم ينسبون عبد الله المهدي إلى اليهودية او الى ديصان الثنوي ، مستندين في ذلك الى أنه عندما وصل المهدي الى سجلماسة قبض عليه اليسع بن مدرار[8]، ووصلت الاخبار إلى أبي

---

(1) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج15، ص286.

(2) أبن خلدون، تاريخ أبن خلدون، ج1، ص28.

(3) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج1 ، ص348 .

(4) والذي أشار الى ان نسب القاطميين يعود الى اليهود قالا":" وقالوا هم أئمة قُهروا فتستروا ولم يؤمروا بإظهارهم ولا ذكرهم لأحد. وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا إليه.والدليل على أنهم من أولاد اليهود استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم إليهم تدبير السياسة؛ ما زالوا يحكِّمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم. وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد". ينظر : كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة، ص37.

(5) كنز الدرر وجامع الغرر، ج6، ص66.

(6) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،ج15، ص84.

(7) المختصر في اخبار البشر، ج2، ص64.

(8) الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، ص144-145.

أبي عبد الله الشيعي، فجهز جيشاً من كتامة وذهب لكي يخلص المهدي من السجن، وعندما وصل هناك وجد ان اليسع بن مدرار لمّا أراد الخروج من سجلماسة أحضر الشخص الذي اعتقله وقتله قبل هروبه ، وأن الشيعي لمّا دخل وعلم بقتل عبد اللَّه خاف من كتامة لأنه كان يعدهم بخروج المهدىّ وملكه الأرض على زعمه ، وخشي أن يفتضح فيهلك ويزول ما حصل في يده ، فأخرج لهم رجلا يهوديّا كان يخدم الشّخص المقتول ، وقال هذا إمامكم وإمام الإسماعيلية [1].

ومن المؤرخين الذين طعنوا في نسب الفاطميين ابن خلكان(ت681هـ/1282م) [2] اذ يشير الى ان اهل الأنساب المحققين ينكرون دعواه في النسب، ويقدم رواية حول التشكيك في نسبهم مفادها ان اهل مصر طعنوا في نسب المعز لدين الله(341-365هـ) [3] ، اذ اشار الى ان المعز لدين الله عند قدومه الى مصر سنة 362هـ/972م اجتمع اليه العامة للسلام عليه والترحيب به فسأله احدهم وهو الشريف ابن طباطبا[4] ، بقوله : "...إلى من ينتسب مولانا فقال له المعز سنعقد مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز

---

(1)النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج28، ص104.

(2) وفيات الاعيان وأبناء انباء الزمان، ج3 ، ص117.

(3) ابو تميم معد بن المنصور بالله ابي الطاهر اسماعيل بن القائم بأمر الله ابي القاسم محمد بن المهدي عبد الله ولد بالمهدية سنة (319هـ/ 952م)، ملك مصر سنة (358هـ/ 969م)، وانتقل اليها سنة (362هـ/972م). حفر الابار في طريق مصر وأنفق الاموال وجهز مملوكه جوهر الصقلي لفتح مصر. ينظر: اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج2 ، ص383-385؛ العصامي ، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، ج3، ص414-423 ؛الاسحاقي ، اخبار الاول فيمن تصرف في مصر في ارباب الدول ، ص11 ؛ سرور، النفوذ الفاطمي في مصر والشام خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، ص77.

(4) ابن طباطبا: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقد سمي بطباطبا لأنه أمه كانت ترفضه وتقول: كباكبا يعنى نام ،و كان يلثغ في القاف فيجعلها طاء فطلب يوما من غلامه قباء يلبسه فاتاه بفرجية فقال" لا إنما أردت طباطبا أي قباقبا " ،سكن المذكور مصر وكان سيدا فاضلا جوادا ممدحا له المنزلة والجاه عند السلطان والعامة وبها توفي سنة 348هـ/959م .ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج15، ص497. ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء انباء الزمان، ج3، ص83.

بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم وقال هل بقي من رؤسائكم أحد فقالوا لم يبق معتبر فسل عند ذلك نصف سيفه وقال هذا نسبي ونثر عليهم ذهبا كثيرا وقال هذا حسبي فقالوا جميعا سمعنا وأطعنا ..." (1) ومن هنا نشأ القول المأثور (سيف المعز وذهبه) للإشارة الى بطلان الشيء او انه مأخوذ كرها.

الا ان من الواضح ان الشريف ابن طباطبا وحسب ما ذكره ابن خلكان توفى سنة 348هـ/959م، وكان قدوم المعز لدين الله الى مصر سنة 362هـ/972م وهذا يعنني ان هناك فترة زمنية او فارق زمني بين وفاة المؤرخ ابن طباطبا ووصول المعز لدين الله الى مصر اذ ان الفارق هو أربعة عشر سنة وهذا يدل على عدم دقته الرواية المذكورة وبطلانها [2].

بعد هذا الاستعراض لآراء المؤيدين والطاعنين بصحة النسب الفاطمي، نستطيع ان نبين جملة من الأمور:

1. أن جميع منكري النسب الفاطمي كانوا يستهدفون شخصية عبد الله المهدي على وجه الخصوص بينما سلمت سائر شجرة النسب الفاطمي قبله وبعده من الطعن.
2. لم يذكر أن محضر الطعن العباسي [3] بالنسب الفاطمي الا عندما بلغت الاحقاد اقصى حد لها بعدما توغل الفاطميون في املاك العباسيين وبسطوا سلطانهم على البلاد التابعة

---

(1) ابن خلكان، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص326؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج17،ص26؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج11، ص226

(2) حسن ، الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، ص69.

(3)والذي نص على "(في ربيع الاخر من سنة(402هـ/1011م) كتب هؤلاء في بغداد محاضر الطعن والقدح في نسب الفاطميين وهم ملوك مصر وليسوا كذلك ،وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والاشراف والعدول ،والصالحين والفقهاء والمحدثين ،ومهدوا جميعا ان الحاكم بمصرهم منصور بن نزار الملقب بالحاكم ،حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والاستيصال ،ابن معد بن اسماعيل بن عبد الله بن سعيد، لا اسعده الله ،فانه لما صار الى الغرب تسمى عبيد الله وتلقب بالمهدي كان من تقدم من سلفه من الانجاس الارجاس ،عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين، ادعيا خوارج لانسب لهم في ولد علي بن ابي طالب ولا يتعلقون بسبب وانه منزه عن باطلهم وانه الذي ادعوه..."ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم،ج15،ص82؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11،ص340.

للدولة العباسية وحكموها باسم الخليفة وتسموا بامير المؤمنين ،الامر الذي اثار خلفاء بني العباس وخاصة فيما يتعلق النسب والقرب من اهل البيت عليهم السلام .

3. حاول الأمويون في الاندلس الاستفادة من محاضر الطعن في النسب الفاطمي ووظفوه لمصلحتهم في محاولة ضرب الفاطميين بسبب الاختلاف المذهبي والسياسي مع الفاطميين في شمال افريقيا ومصر، ولكن على الرغم من ذلك نجد أن مواقف الامويين تجاه النسب الفاطمي كانت متذبذبة ومتناقضة، ففي الوقت الذي كانوا يستفيدون فيه من محضر الطعن المشكك بالنسب الفاطمي ، نجدهم في جانب آخر أهتموا بالنسب الفاطمي.
4. نزول عبد الله المهدي بسلمية متخفيا خوفا من بطش الخليفة العباسي المكتفي بالله (289-295هـ/902-908م)، وهي سنة حسب مفهوم التقية لدى الشيعة، والتي اكد عليها الامام الصادق عليه السلام وفرضها على اتباعه و المولين الاهل البيت عليهم السلام خوفا من التنكيل والبطش بهم من قبل السلطات العباسية، ولو لم يكن اماما علويا صحيح النسب من اهل البيت لما توالت عليه كتب الخليفة العباسي المكتفي الى ولاته في المدن التي نزل بها المهدي في هجرته من سلمية الى سجلماسة للقبض عليه.
5. الروايات التي ذكرها الطاعنون في النسب كامثال ابن حماد والدواداري المذكورة آنفا من ان ابا عبد الله الشيعي عندما دخل سجلماسة لتحرير المهدي عبيد الله من قبضة بني مدرار وجده مقتولا. فاخرج رجلا يهوديا وقال للناس انه المهدي، كيف عثر ابو عبد الله الشيعي على الرجل اليهودي بهذه السرعة مع وجود ابي القاسم محمد الملقب بالقائم بامر الله [1] ،ابلغ الامر بالشيعي وهو المعروف عنه بالفطنة والذكاء من ان ينصب أي رجل

(1) القائم بأمر الله (322-334هـ/933-945م) :هو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله، ولد في نصف ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وأمه أم ولد أرمنية اسمها :بدر الدجى، وقيل :قطر الندى كان جميلًا، مليح الوجه، أبيض، مشربًا حمرة، حسن الجسم، ورعًا، دينًا، زاهدًا، عالِمًا، قوي اليقين بالله تعالى، كثير الصدقة والصبر، له عناية بالأدب، ومعرفة حسنة بالكتابة، مؤثرًا للعدل والإحسان وقضاء الحوائج، لا يرى المنع من شيء طلب منه. ينظر: ابن خلكان، وفيات العيان ونباء أبناء الزمان، ج4، ص111-112؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، ص287.

مسلم، او ان ينصب القائم بامر الله بوصفه ابن المهدي وانه لم يقتل، بل وكيف يقبل القائم بأمر الله ان ينصب غيره وهو موجود ، ان هذه الروايات روايات ضعيفة ومدسوسة ولا اساس لها في الصحة وضعت لتشويه نسب الفاطميين . فضلا عن ان هذه الروايات التي وضعت تعود إلى ضعف خلفاء بني العباس وعظمة وقوة سلطان الفاطميين ثم ان التنافس كان شديدا بين السلطتين من اجل الحكم مما جعل العباسيون ينتهجون ذلك النهج لتشويه أصل الفاطميين والمساس بمكانتهم السياسية والدينية بين عامة الرعية، ومع كل ذلك استمرت الدولة الفاطمية لقرنين ونصف من الزمان.

6. الروايات المتضاربة التي اوردها ابن خلكان عن نسب المعز لدين الله، وكيف سل سيفه الى النصف وقال هذا حسبي ونثر الذهب وقال هذا نسبي. وقد فند المؤرخ حسن ابراهيم حسن الرواية ونضيف عليها ونقول كيف سمح قائد المعز لدين الله جوهر الصقلي [1] لابن طباطبا المعروف بين الناس بان يطعن في نسب مولاه المعز لدين الله ويبقيه حرا طليقا حتى يوم قدوم الخليفة المعز لدين الله إلى مصر ليلقاه بهذه المناسبة.

2-أصول الإسماعيليين:

تحدّث ابن الأثير [2] عن الإسماعيلية مطولاً في تاريخه، وقد أسماهم بالقرامطة[3] ، وذكر بداية أمرهم، في البحرين، حيث ظهر رجل منهم

---

(1) جوهر الصقلي: هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية وجهزه إلى الديار المصرية ليأخذها بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي وسير= =معه العساكر وهو المقدم وكان رحيله من إفريقية سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وتسلم مصر من السنة المذكورة، ودعا لمولاه المعز، وسار جوهر إلى جامع ابن طولون وأمر بأن يؤذن فيه بحي على خير العمل وهو أول ما أذن ثم أذن بعده بالجامع العتيق . ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان ج1، ص375؛ ابن العماد الحنبلي؛ شذرات الذهب، ج3 ، ص98-100 ؛ حسن،علي ابراهيم ،تاريخ جوهر الصقلي (قائد المعز لدين الله الفاطمي)،المكتبة التجارية الكبرى للنشر، مصره،1933م،ص122.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص504.

(3) وهي فرقة ظهر في العراق ونسبوا الى حمدان بن الأشعث كان بسواد الكوفة وإنما سمي قرمطا لأنه كان رجلا قصيرا وكان رجلاه قصيرتين وكان خطوه متقاربا فسمي بهذا السبب قرمطا وكان قرمط قد أظهر الزهد والورع وتسوق به على الناس مكيدة وخبثا ،وكان أول سنة ظهر فيها أمر القرامطة سنة أربع وستين ومائتين

يُـدعى أبـي سـعيد الجنـابي[1]، وقـد اجتمـع إليـه جماعـة مـن الأعـراب، إلـى أن قـوي أمـرهُ، فأغـار علـى مـا حولـه مـن قـرى، ثـم سـار إلـى منطقـة القطيـف[2]، وأغـار إليهـا وقتـل منهـا عـدداً كبيـراً، ومـن ثـمّ أراد الوجـه نحـو البصـرة لتملكهـا[3]. وأمـا فـي منطقـة القطيـف فقـد نشـط رجـلٌ مـن القرامطـة يُـدعى يحيـى بـن المهـدي[4]، الـذي قصـد القطيـف، ونـزل عنـد رجـل يُـدعى علـي بـن المعلـى بـن حمـدان[5]، وكـان مغاليـاً فـي التشـيع، فـأظهر لـه يحيـى أنـه رسـول يحيـى بـن المهـدي، وكـان ذلـك نحـو سـنة 281هـ/894م، وذُكـر أنـه خـرج فـي

وذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة إنما هو نسبة إلى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الإسلام فيكون على هذه المقالة عزوة إلى مذهب باطل لا إلى رجل ، وإنما قيل لهذا القرمطي صاحب الخال لأنه كان على خده الأيمن خال ويعرف بابن المهزول زكرويه بن مهري الصواني من أهل صوان من سواد الكوفة وقيل هو وأخوه من قيس من بني عبادة بن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي. ينظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب ،ج2،ص929؛ ابن الاثير ، الالباب في تهذيب الانساب ، ج3، ص28؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان وأبناء الزمان ، ج4، ص336.

(1) أبو سعيد الجنابي: هو أبو سعيد حسن بن بهرام الجنابي، وقد تمكن أتباعه من السيطر على أجزاء كبيرة من البحرين، كما حقق انتصاراً كبيراً على الجيش العباسي سنة 279هـ/900م، وامتد حكمه إلى جنوباً حتى عُمان، وتوفي سنة 301هـ/ 913م، وخلفهُ ابنه الأكبر سعيد. ينظر: الصفدي، لوافي بالوفيات، ج15، ص225.

(2) القطيف: وهي مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها وأعظم مدنها وكان قديما اسما لكورة هناك غلب عليها الآن اسم هذه المدينة، والقطيف قرية لجذيمة عبد القيس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص378

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص70.

(4) يحيى بن المهدي: وهو من رجال أبو سعيد الجنابي، من قرامطة البحرين، وكان قد أُرسل من قبل قادته إلى مدينة القطيف، ويُقال أنّ اسمه أبو زكريا بن الصمامي، وقد توجه إلى مدينة القطيف، لجمع الاتباع المالين للقرامطة سنة 281هـ/894. ينظر: عارف، تامر، القرامطة، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1988م، ط1، ص67.

(5) علي بن المعلى بن حمدان: هو من أهل مدينة القطيف، وهو مولى الزيديين، وكان مغالياً من التشيع، فقابله رسول من يحيى بن المهدي، وكان قصد مقابلته لنشر الدعوة في القطيف. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج15، ص312.

شـيعته يـدعو النـاس إلـى أمـره، فوجـه علـي بـن المعلـى إلـى سـائر أهـل القطيـف فلبوه[1].

كمـا جـاء ذكـر القرامطـة عنـد ابـن الأثيـر[2] فـي موضـع اخـر اذ أشـار الـى ابتـداء أمـر ظهـورهم سـنة 278هـ/892م فـي منـاطق مختلفـة مـن الـبلاد العربيـة الإسـلامية منهـا انهـم ظهـروا بسـواد الكوفـة ، فـذكر أن رجـلا مـنهم قـدم مـن ناحيـة خوزسـتان[3] إلـى سـواد الكوفـة كـان يظهـر الزهـد والتقشـف ويأكـل مـن كسـب يـده ، ويكثـر الصـلاة فأقـام علـى ذلـك مـدة [4]، فكـان إذا قعـد إليـه رجـل ذاكـره أمـر الـدين وزهـده فـي الـدنيا وأعلمـه أن الصـلاة المفروضـة علـى النـاس خمسـون صـلاة فـي كـل يـوم وليلـة حتـى فشـا ذلـك عنـه بموضـعه ، ثـم أعلمهـم أنـه يـدعو إلـى إمـام مـن آل بيـت الرسـول فلـم يـزل علـى ذلك حتى استجاب له جمع كثير[5].

امـا فـي بـلاد الشـام فقـد ظهـروا سـنة 289هـ/902م، اذ ذكـر ظهـور رجـل مـن القرامطـة بالشـام، اسـتطاع أن يجمـع حولـهُ عـدداً مـن الأعـراب، وقـدم إلـى

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص505.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص444.

(3) خوزستان وهي كور الأهواز وهي بلاد بين فارس والبصرة يقال لها بلاد الخوز. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص404؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، ص393.

(4) الرازي، تجارب الأمم، ج4، ص487؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، ص78.

(5)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص445–448؛ ابو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج2، ص55. ص55.

دمشق، وكان يحكمها الأمير طغج بن جف[1]، من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، وقد جرت بينهما عدة معارك[2].

ولم يظهر ابن الأثير من كان الفريق الغالب، حيث يبدو أنّ تلك المواقع والمعارك، لم تكن نتيجتها حاسمة.

فضلا عن ظهورهم في البحرين سنة 281هـ/899م اذ قال ابن الاثير: "**وفيها ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة وقوي أمره فقتل من حوله من أهل القرى، ثم سار إلى القطيف فقتل من بها ... وكان ابتداء القرامطة بناحية البحرين أن رجلا يعرف بيحيى بن المهدي، قصد قطيف فنزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان ، وكان يغالي في التشيع فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي وكان ذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين**"[3]

(1) الأمير طغج بن جف: هو الأمير طغج ين جف بن يلتكين بن فوران بن فوري بن خاقان، وكان من قواد الأتراك من خدم الدولة العباسية، وهو والد محمد الإخشيد، مؤسس الدولة الإخشيدية، والتحق طفج بالدولة الطولونية، وتمرد خمارويه وحكم دمشق وأعمال طبرية. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج25، ص4.

(2) الكامل في التاريخ، ج6، ص521.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص494.

المبحث الثاني : الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي

1- دور الدعاة في التمهيد لقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب

شكّل قيام الدولة الفاطمية تغييرات كبيرة في العالم الإسلامي، اذ وُجدت الخلافة العباسية في بغداد، وقد كانت على درجة كبيرة من القوة، وامتد نفوذها على مساحة كبيرة من الأراضي، وفرضت سيطرتها على اغلب أراضي العالم الإسلامي ممثلة له سياسيا على المناطق التي خضعت لها[1].

لكن بحلول سنة 268هـ/881 م، بدأ مجموعةٌ من الدعاة ينشطون في أراضي اليمن، تمهيداً لقيام دولتهم، وقد اختاروا اليمن[2]، الأسباب عديدة ، ولعلّ أهمّها بعدها عن الخلافة العباسية، كما أنّهم وجدوا فيها ملاذاً آمناً لينطلقوا بدعوتهم[3].

وقد ذكر ابن الاثير لقاء أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي، وكان لقبهُ الصنعاني، وليس من أصل صنعاني، حيث أنه يعود في أصله إلى مدينة الكوفة[4]، مهد الحركة الشيعية، وهي المركز الذي خرج منه الدعاة الذين انتشروا في أرجاء العالم الإسلامي لنشر الدعوة الإسماعيلية والتعريف بها والدفاع عن أهل البيت (عليهم السلام)، حيث كان أبو عبد الله يعتنق في البداية عقائد الاثنا عشرية، وقد تولى منصب الحسبة أثناء تواجده في مدينة بغداد، فلما اتصل بالداعي الإسماعيلي ابن حوشب والتقى فيه في مدينة عدن، أنس فيه ورأى من ذكائه ونجابته ما اعجبه، فأوفدهُ إلى بلاد اليمن سنة 278هـ/892م، بعد

(1) سرور، محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية في مصر، 18.

(2) النويري، نهاية الأرب، ج23، ص77؛ حسين، دور الدعاة في قيام الدولة الفاطمية ، ص73.

(3) الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص92.

(4) الكامل في التاريخ، ج8، ص35؛ ينظر :ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر ، ج1،ص 64.

ان اخبره بمكان اقامته في عدن وارسل معه علي بن الفضل الخنفري[1] من اهل اليمن وكان من كبار الشيعة[2]، وقد أوصى الصنعاني ابن حوشب بالاهتمام بابن الفضل واخذ منه العهد بالمحافظة علية وقال له:" الله الله مرتين بصاحبك احفظه واحسن اليه وامره بحسن السيرة فهو شاب لا امن علية ، ثم قال الابن الفضل الله الله اوصيك بصاحبك خيراً وقره واعرف حقه ولا تخرج عن امره فانه اعرف منك فأن عصيته لن ترشد"[3]، ووصل ابن حوشب الى عدن بعد ان فارقة علي بن الفضل متوجة الى ناحية جيشان في اليمن وكان ذلك حسب توصيات الصنعاني ، **وقد روى ابن الاثير[4] الكيفية التي وصل فيها ابن حوشب الى اليمن بقوله: "فسار النجار إلى اليمن ونزل بعدن بقرب قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى وأخذ في بيع ما معه . وأتاه بنو موسى وقالوا له فيم جئت فقال للتجارة قالوا: لست بتاجر وإنما أنت رسول المهدي وقد بلغنا خبرك ونحن بنو موسى ولعلك قد سمعت بنا فانبسط ولا تحتشم فإنا إخوانك فاظهر أمره وقوى عزائمهم وقرب أمر المهدي فأمره بالاستكثار من الخيل والسلاح وأخبرهم أن هذا أوان ظهور المهدي ومن عندهم يظهر. واتصلت أخباره بالشيعة الذين بالعراق فساروا إليه فكثر جمعهم وعظم بأسهم وأغاروا على من جاورهم وسبوا وجبوا الأموال وأرسل إلى من بالكوفة من ولد عبد الله القداح هدايا عظيمة".**

---

(1)هو ابو الحسن علي بن الفضل الجدني الخنفري، من ذرية جدان من اهل جيشان في اليمن والتي كانت مركز تجاري عالمي فضلا عن كونها مدينة تزخر بالكثير من المظاهر العلمية في مختلف المجلات ،وكانت مركز لتجمع شيعة اهل البيت عليهم السلام، ويعتبر من كبار الشيعة ، انظم الى المذهب الاسماعليلي واصبح احد دعاتهم في بلاد اليمن، توجه الى الكوفة ومن ثم الى كربلاء زائرا الامام الحسين عليه السلام، توفي سنة 303هـ/915م : ينظر. الحمادي ، كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة ، ص70.

(2) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4،ص30.

(3) الخزرجي، طراز اعلام الزمن في طبقات اعيان اليمن، ج3، ص1648.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص30.

ثـم اتصـل الصـنعاني بـابن حوشـب مـرة أخـرى فـي بـلاد المغـرب وعهـد إلـى أبـي عبـد الله بالـدعوة بالمـذهب، ومـن ثـمّ صـار مـن أكبـر أصـحابه، وقـد تميّـز بالفهم والمكر[1].

وقـد نجـح الـدعاة الفـاطميون فـي اسـتقطاب اعـداد كبيـرة مـن الاتبـاع وانضـمامهم للـدعوة الإسـماعيلية سـرا" اذ كـانوا يحرصـون كـل الحـرص ان يـتم اختيـار الثقـات مـنهم والـذين لـيس مـن السـهل ان يفشـوا اسـرار التنظـيم الـديني الإسـماعيلي السـري ، لـذا كـانوا يعتمـدون علـى المنظمـين الجـدد بـان يسـتقطبوا مـن هـم مـؤهلين بصـفات الحـرص والسـرية والايمـان بالـدعوة ، وكـان سـبب نجـاح ابـن حوشـب فـي اسـتقطاب هـذه الجمـوع، الأوضـاع الداخليـة والخارجيـة التـي كانـت تعـاني منهـا بـلاد الـيمن والانعـزال عـن بقيـة اقطـار العـالم الإسـلامي وانتشـار الفوضـى والاضـطراب فيهـا ، فضـلا عـن التنـافس بـين امـراء الـيمن فيمـا بيـنهم فاحسـن ابـن حوشـب اسـتغلال الوضـع لصـالح الفـاطميين[2] ، ومـن ثـمّ بـدأ يرسـل أعوانـهُ لاختيـار مكـان مناسـب لنشر الدعوة، وقد وقع الاختيار على المغرب[3].

وهـذا يـدلُّ علـى أنّ دور الـدعاة فـي المغـرب قـد نجـح بشـكل كامـل، حيـث أصـبحت بـلاد المغـرب أرضـاً صـالحة معـده لبـدء الـدعوة الفاطميـة والانطـلاق في ربوعها[4].

ويمكـن تحديـد بدايـة الـدعوة السـرية الإسـماعيلية كـان بتوجيـه الـدعاة إلـى بـلاد المغـرب، وقـد شـهدت الـدعوة الإسـماعيلية قبـل توجـه الـدعاة إلـى بـلاد المغـرب، تمركزهـا فـي مدينـة سـلمية، والتـي شـكّلت مركـز التنظـيم السـري

(1) المصدر نفسه، ج6، ص584.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص583؛ النويري، نهاية الأرب، ج23، ص77؛ سليمان، تاريخ اليمن السياسي، ص131.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص120.

(4) سرور، محمد جمال، الدولة الفاطمية في مصر، ص40.

الإسماعيلي، دون أن تعرف السلطات العباسية بتلك النشاطات، حيث أرسل عبد الله بن ميمون القداح سنة 270هـ/823م، إلى سلمية، والإقامة هناك حتى يتقرر إرسالهم إلى بلاد المغرب[1].

فقد أعطى ابن الاثير[2] بعض التفاصيل عن هذه الشخصية والتقائه بابن حوشب الذي سيره الى اهل كتامة ويرجع السبب في ذلك الى الاختلاف مابين كتامة وقبائل البربر الاخرى ، وأعطاهُ ابن حوشب مالاً، وسيّر معهُ أبو العباس بن أبي ملاحف[3]، واجتمعا مع أهل كتامة ،وعند وصوله الى مكة في موسم الحج هذا حصل اللقاء مع اهل كتامة وأخذوا يستفتونه في أمورهم الشرعية وأحبوه كثيراً، وكان أبو عبد الله الشيعي يسألهم عن بلادهم لكي يتعرف على جغرافية المنطقة، وعن الوضع السياسي فيها وطاعتهم للسلطان وحكمه عليهم، وبدأ بذكر صفات أهل البيت (عليهم السلام) وفضائلهم، ولما أدرك أنّهُ استمال قلوبهم، أراد الانصراف إلى شؤونه، فطلبوا زيارتهُ، فقالوا أين تقصد، قال: أريد زيارة مصر، ففرحوا بصحبته[4].

ومن ثمّ بدأ الدور الفعّال لأبي عبد الله، اذ أراد الاجتماع برؤساء الكتاميين، والتقى بعدد من زعمائهم، وأظهر لهم الزهد والعبادة، وسألهم عن أحوالهم وبلادهم وطاعتهم لصاحب إفريقية[5] (الاغالبة) [6] إبراهيم بن أحمد

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص66.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8 ، ص32

(3) أبو العباس بن ابي الملاحف: هو محمد بن احمد بن محمد بن زكريا، أخو أبي عبد الله الشيعيّ، ويعرف بابن أبي الملاحف، كان أكبر سنا" من أخيه، واعلم وكان راجح العقل. ينظر: المقريزي، المقفى الكبير، ج ص165؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب، ج28،ص75.

(4) الكامل في التاريخ، ج8، ص 31.

(5) الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، ص72؛ سرور، محمد جمال، الدولة الفاطمية في مصر، ص51.

(6) دولة الاغالبة: قامت هذه دولة في تونس لما جاءها إبراهيم بن الأغلب التميمي واليا، واستمرت هذه الدولة أكثر من قرن، أي منذ سنة (184 –292 هـ /800–905م)، وقد توسع نفوذ الاغالبة في البحر المتوسط، حتى

الأغلب[1] ، فكان جوابهم ليس له علينا بالطاعة، وعرضوا عليه أن يقدم معهم إلى بلادهم، وكان مسيرهُ إلى جبل يُدعى إنكجان[2]. وقد تكرر الاختلاف في قضية مبيت أبي عبد الله الشيعي وقد وصلت الى المشاجرة والمنابذة ثم جمع رأيهم انهم يخبرونه في أي بيت يريد الذهاب و تراضوا على ذلك الخيار فسألهم عن مكان فج الأخيار[3][4] عندهم فقالوا:" هو عند بني سكنان وطريقهم" [5] ، **ومن هذا الموضع قال ابن الاثير[6] : "فلما قاربوا بلادهم لقيهم رجال من الشيعة فأخبروهم بخبره فرغبوا في نزوله عندهم واقترعوا فيمن يضيفه منهم ثم رحلوا حتى وصلوا إلى أرض كتامة منتصف شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين فسأله قوم منهم أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه ، فقال لهم أين يكون فج الأخيار؟ فتعجبوا من**

أنهم أخذوا يغيرون على السواحل – الجنوبية لأوروبا –الإيطالية والفرنسية وسردينيا، كما أنهم فتحوا جزيرة صقلية ومالطة وما قارب مدينة روما، حتى أنهم أصبحوا مورد فزع وخوف لتلك المناطق التي كانت تدين بالمسيحية. ينظر: الغفار، الكليني والكافي، ص231.

(1) إبراهيم بن الاغلب: هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب من أمراء الأغالبة، المولود 237هـ/852م تولى الحكم في إفريقية سنة 261 هـ وانتقل إلى تونس سنه 281هـ/894م فسكنها واتخذ بها القصور، وغزا الإفرنج، فافتتح كثيرا من حصونهم وقلاعهم. وأخيرا أصيب وقتل كثيرا من أصحابه وكتابه وحجابه ونسائه، وقتل اثنين من أبنائه وثمانية إخوة له وبناته. عزله المعتضد العباسي سنة 289 هـ/895م ومات في نفس السنة في صقلية ودفن بها وقيل حمل إلى القيروان ومدة ولايته 28 سنة وستة أشهر. ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 204؛ ابن عذاري، بيان المغرب ،ج1، ص116.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص273.

(3) فج الاخيار: تقع هذه المنطقة في ارض كتامة في جبل ايكجان على مقربة من مدينة سطيف وكان يعروف بحصانته سكنته قبائل كتامة وفيه اقام ابو عبد الله الشيعي دار هجرته. ينظر: القاضي النعمان المغربي، شرح الاخبار، ج4، ص416؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ج2، ص31.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص32.

(5) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص33.

(6) الكامل في التاريخ، ج8، ص33.

ذلك ولم يكونوا ذكروه له، فقالوا له: عند بني سليان فقال إليه نقصد ثم نأتي كل قوم منكم في ديارهم ونزورهم في بيوتهم فأرضى بذلك الجميع".

وسار إلى جبل يقال له انكجان وفيه فج الأخيار فقال: هذا فج الأخيار وما سمي إلا بكم وروى ابن الاثير ذلك بقوله:" **أن للمهدي هجرة تنبئ عن الأوطان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان فإنهم كتامة وبخروجكم من هذا الفج يسمى فج الأخيار** " [1].

وبدأت القبائل في المغرب تتناول أخبارهُ، حتى وصلت إلى مسامع صاحب إفريقية، إبراهيم بن أحمد الأغلب، الذي سارع بإرسال عامله على مدينة ميلة [2] ليسأل عن أمر هذا الرجل، فقيل لهُ أنّهُ يلبس الخشن ويأمر بالخير والعبادة، فسكت عنهُ[3].

وكان أبو عبد الله يُدرك ما قام به كل من أبي سفيان والحلواني، فقال للكتاميين، " **أنا صاحب البذر الذي ذكر لكم أبو سفيان والحلواني** "[4]. وقبل البداء بالحديث عن تولي أبو عبد الله الشيعي قيادة الدعوة الفاطمية لا بد لنا من الإشارة الى ما أشار به ابن الاثير حول ارسال الداعيتين الحلواني وأبي سفيان اذ اكد على ان الامام الصادق عليه السلام هو من

---

(1) المصدر نفسة ، ج8، ص33؛ ينظر كذلك: النعمان المغربي، شرح الاخبار، ج3، ص416؛ ادريس، عيون الاخبار وفنون الاثار، ج1، ص279؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص35؛المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ج2، ص32.

(2) ميلة: هي مدينة أزلية في افريقيا بها آثار للأول تدل على أنها كانت كبيرة، وهي الآن عامرة آهلة كثيرة الخصب رخيصة السعر على نظر واسع وقرى عامرة، وهي كثيرة الأسواق والمتاجر، وعليها سور جليل، وفي وسط مدينتها عين خرارة عذبة من بناء الأول لها سرب كبير يدخل فيه فلا يوجد له آخر ولا يعلم من أين يأتي ذلك الماء، ويقال إنه مجلوب من جبل بالقرب منها يسمى تامروت. ينظر: الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراف الافاق، ج1، ص265؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص569.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص585؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج5، ص396.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص142.

قام بأرسل الداعيتين الى المغرب[1] وقد سبقة في ذلك القول القاضي النعمان المغربي [2]، وقال ابن خلدون[3]: " وكان أصل ظهورهم بإفريقية دخول الحلواني وأبي سفيان من شيعتهم إليها أنفذهما جعفر الصادق عليه السلام وقال لهما بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجئ صاحب البذر فنزل أحدهما ببلد مرغة[4] والآخر ببلد سوف جمار[5] وكلاهما من أرض كتامة ففشت هذه الدعوة في تلك النواحي"

وبوفود الداعية ابي عبد الله الشيعي الى المغرب اخذت الدعوة الفاطمية منحى جديد مسنوده من قبل الكتاميين اللذين كان لهم الأثر الأكبر في تمكين المشروع الفاطمي و للفترة الممتدة من سنة 288-296هـ/901-908م ، وبذلك اصبح ابي عبد الله من القوة والانصار ما يستطيع منازلة خصومة ، كما اعجب اهل المغرب بابي عبد الله الشيعي وعظموا شأنهُ، وما لبث أن حدثت فتنةٌ بين البربر وكتامة بسبب أبو عبد الله **اذ قال ابن الاثير[6]" "أتاه البربر من كل مكان وعظم أمره إلى تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر وسلم من القتل مرارا وهو في كل ذلك لا**

(1) الكامل في التاريخ، ج8، ص31.

(2) افتتاح الدعوة، ص54.

(3) تاريخ ابن خلدون، ج4، ص31.

(4) مرغة: كورة كبيرة من عمل رستاق تبسا، وكان للفاطميين بها ذكريات روحية قديمة إذ بها أقام وتوفي الداعي أبو سفيان الذي أرسله الإمام جعفر الصادق عليه السلام سنة 145 هـ/763م. وقال عنها القاضي النعمان انها دار شيعة. ينظر: افتتاح الدعوة، ص28؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص227؛ الحميري، الروض المعطار، ص540.

(5) سوف جمار: وهي مدينة تقع جنوب شرق قسطليطة اختلف المؤرخون في تسميتها منها سوجمار او سوق حماد او سوف جمار. ينظر : النعمان المغربي ، افتتاح الدعوة ، ص29؛ المقريزي ، الخطط ، ج1،ص41؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج4،ص 31.

(6) الكامل في التاريخ، ج8، ص33.

يـذكر اسـم المهـدي فـاجتمع أهـل العلـم علـى مناظرتـه وقتلـه فلـم يتركـه الكتاميون يناظرهم، وكان اسمه عندهم أبا عبد الله المشرقي "

وعنـد اشـتداد القتـال بينهمـا، أرسـل بعضـهم فـي قتلـه، فـاختفى وكـان قـد اسـتجار بأحـد كبـار كتامـة ويُـدعى الحسـن بـن هـارون[1]، فخبـأهُ عنـده، ومـا لبـث أن اشـتدّ القتـال مـرة أخـرى، إلـى أن انتهـى القتـال بـين البربـر والكتـاميين، واستقام لأبي عبد الله أمر البربر وكتامة[2].

بعـد ازديـاد شـعبية أبـو عبـد الله زحـف إلـى مدينـة ميلـة سـنو 289هـ/901م فجـاءه منهـا رجـل اسـمه الحسـن بـن أحمـد فأطلعـه علـى احـوال البلـد فقاتـل أهلـه قتـالا شـديدا وسـيطر علـى المدينـة ومـا جاورهـا مـن منـاطق، فطلبـوا منـه الأمـان ودخـل مدينـة ميلـة وبلـغ الخبـر أميـر أفريقيـة وهـو حينئـذ إبـراهيم بـن أحمـد فنفـذ ولـده الأحـول فـي اثنـي عشـر ألفـا وتبعـه مـثلهم فالتقيـا فاقتتـل العسـكران فـانهزم أبـو عبـد الله الشـيعي[3]، وكثـر القتـل فـي أصـحابه وتبعـه الأحـول وسـقط ثلـج عظـيم حـال بيـنهم [4]، وسـار أبـو عبـد الله إلـى جبـل جبـل إنكجـان فوصـل الأحـول إلـى مدينـة ناصـرون احـدى ضـواحي جبـل انكجان فأحرقها وأحرق مدينة ميلة ولم يجد بها أحداً [5].

وبنـى أبـو عبـد الله فيهـا دار هجـرة فقصـده أصـحابه، وعـاد الأحـول إلـى أفريقيـة فسـار أبـو عبـد الله بعـد رحـيلهم فغـنم مـا رأى ممـا تخلـف عـنهم وأتـاه خبـر وفـاة إبـراهيم بـن الاغلـب فسـر بـه ، ثـم أتـاه خبـر قتـل أبـي العبـاس عبـد الله بـن إبـراهيم الاغلـب وولـده الاحـول ، وولايـة زيـادة الله الاغلبـي

(1) الحسن بن هارون الغشمي رئيس غشمان وهو من أكابر كتامة و من أنصار أبي عبد اللّه الأقوياء و كان قد دخل في المذهب الجديد، و كان رجلا من خيار المؤمنين و له أدب و حسن خلق و كرم و كان مطاعا في قومه و مسكنه بتازروت. ينظر: الداعي ادريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين ، 89.

(2) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص60؛ سرور، محمد جمال، الدولة الفاطمية في مصر، ص64.

(3) ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج9، ص3905.

(4) الكامل في التاريخ، ج8، ص35.

(5) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص44؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص59.

سنة(290هـ/902م) [1] واشتغاله باللهو واللعب فاشتد سروره[2]. وكان الأحول قد جمع جيشا كثيرا أيام أخيه أبي العباس ولقي عبد الله فانهزم الأحول. وبقي الأحول قريبا منه يقاتله ويمنعه من التقدّم، فلما ولي أبو مضر زيادة الله أفريقية أحضر الأحول وقتله كما ذكرنا ولم يكن أحولا وإنما كان يكسر عينه إذا أدام النظر فلقب به فلما قتل انتشرت حينئذ جيوش أبي عبد الله في البلاد وصار أبو عبد الله يقول:" المهدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض، فيا طوبى لمن هاجر إلي وأطاعني ! ويغري الناس بأبي مضر ويعيبه" [3].

وهنا لا بد من القول ان اختيار ابن حوشب للداعية كان اختيارا" دقيقا" وموفقا، وكان الشخص المناسب للمهمة التي بعث من اجلها، وقد تمكن أبي عبد الله الشيعي من استقطاب قبيلة كتامة وجعل منها اليد الضاربة بين يدية، ووفق الى حد كبير من احتواء البربر الذين كانوا آنذاك

(1) أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ابن إبراهيم ، وزيادة الله الأصغر آخر ملوك بني الأغلب بإفريقية التميمي ، قد ملك إفريقية سنة 290هـ/902م في بعد قتل أبيه باتفاق من زيادة الله المذكور فإن زيادة الله كان قد حبسه أبوه عبد الله على شرب الخمر فاتفق مع ثلاثة من خدم أبيه الصقالية على قتل أبيه فقتلوه في شعبان سنة 290هـ/902م وأحضروا رأسه إلى زيادة الله في الحبس فلما تولى زيادة الله أمر بهم فقُتلوا وهو الذي كان أمرهم بذلك ولما تولى زيادة الله على إفريقية انعكف على اللذات وملازمة المضحكين وأهمل أمور المملكة وقتل من الأغالبة كل من قدر عليه من أعمامه وأخوته، وفي أيام زيادة الله قوي أمر أبي عبد الله الشيعي القائم بدعوة الدولة العلوية الفاطمية بالمغرب، ثم قدم دمشق سنة 302هـ/915م مجتازا إلى بغداد حين غلب على ملكه بإفريقية ، توفي بالمرملة في سنة 304هـ/917م.ينظر:ابن عساكر، تاريخ مدينة ، دمشق، ج19، ص127ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء انباء الزمان، ج2، ص193؛ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص63.

(2) الكامل في التاريخ، ج8، ص36.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج5، ص395؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص587؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص200.

بحاجة الى من يستثمر قواهم في التناحر فيما بينهم وتوظيفه ضد سلطان الاغالبة البربر والكتاميين[1].

وقد نجح أبي عبد الله المهدي أن يحشد عدداً كبيراً من الأتباع، ومن ثمّ كبر شأنهُ وعظُم، واضطرّ لمواجهة دولة الأغالبة في حروب استمرت مدة خمس سنوات[2] وذلك بحلول سنة 296هـ/906م، حيث تمكّن من القضاء على دولة الأغالبة، ومن ثمّ سارع في إرسال رسله إلى ابن حوشب، يخبرهُ أنّ الوقت بات جاهزاً لقيام الدولة الفاطمية في المغرب.([3])

وبدأ النشاط الفعلي لأبي عبد الله الشيعي، في قطع جذوة العباسيين، حيث دخل مدينة رقادة([4])، وقام بحذف اسم الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر بن احمد(295-320هـ/908-935م) من الخطبة، فضلا عن اجراء مجموعة من الإجراءات منها ان عين اخاه ابا العباس والياً على افريقية ومنحه سلطات عليا في البلاد[5]، وعين على القيروان الحسن بن احمد المعروف بأبن ابي خنزيرة، والذي عرف بحسن إدارته ، وهذا ما ساعد ابو عبد الله الشيعي على ضبط الامور بسرعة ، وظلّ هو في رقادة ينتظر وصول ابي عبد الله المهدي الذي غادر السلمية بحسب مخاطبات ابي

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص21.

(2) الغنيمي، عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، دار العلوم الحديثة، القاهرة، 1994م، ط1، ج2، ص57.

(3) القاضي النعمان المغربي، افتتاح الدعوة، ص149؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص41؛ السرجاني، راغب، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2013م، ط1، ج1، ص415.

(4) رقادة: بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام، واكن دورها أربعة وعشرين ألف ذراع وأربعين ذراعاً، وأكثرها بساتين، ولم يكن بإفريقية أطيب هواء ولا اعدل نسيماً وأرق تربة منها، ويُقال إن دخلها لا يزال مستبشراً من غير سبب، وذكروا أنّ أحد بني الأغلب أرق وشرد عنه النوم فعالجهُ إسحاق المطببّ الذي ينسب إليه اطريفل إسحاق، وقد سكنها أبي عبد الله الشيعي إلى أن انتقل إلى المهدية سنة 308هـ، للمزيد ينظر ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 54.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص21.

عبد الله الشيعي، خاصة بعد النجاح الكبير الذي حققه الاسماعيليين في بلاد المغرب[1]، فضلا عن مجموعة أسباب أخرى دفعته لترك السلميه منها ان المهدي ادرك ان هذه المنطقة أصبحت غير امنه بعد الإجراءات التي قام بها العباسيين من تضيق الخناق على الدعاة الإسماعيلية؛ لذا وجد ان البقاء فيها يشكل خطر على حياته[2]، فضلا عن اشتداد خطر القرامطة[3].

وقد ابلغ الحسين بن احمد بن عبد الله قبل وفاته ولده عبد الله المهدي بأنّ عليه أن يهاجر هجرة بعيدة، محفوفة بالمخاطر والمحن، **وقد ذكر ابن الاثير ذلك بقوله:" انت المهدي وسوف تهاجر بعدي هجرة بعيدة وتلقى محن شديدة "**[4]. وما لبث أن وصل إلى عبد الله من المغرب رجالاً من كتامة يدعونه للقدوم إلى المغرب وأنّهم بانتظاره [5].

وشاع خبره عند الناس أيام الخليفة العباسي المكتفي بالله (289-295هـ/902-908م) فطلب من قبل الخليفة العباسي اذ كتب الى عمله بالقبض عليه وقتله، فهرب هو وولده أبو القاسم نزار الذي ولي بعده وتلقب بالقائم وهو يومئذ غلام وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب وذلك أيام زيادة الله ، فلما انتهى إلى مصر أقام مستترا بزي التجار، وكان عامل مصر حينئذ عيسى النوشري[6] فأتته الكتب من الخليفة بصفته وحليته

---

(1) المصدر نفسة، ج8، ص45.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص45؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ،ج5، ص160.

(3) القاضي النعمان المغربي، افتتاح الدعوة ، ص160؛ المقريزي ، الخطط ، ج1، ص354.

(4) الكامل في التاريخ، ج6، ص129؛ ينظر كذلك: ابن خلدون، تاريخ ان خلدون، ج3، ص363؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج5، ص119؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص62.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص588؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص251.

(6) نائب المكتفي على مصر، الأمير أبو موسى ، عيسى بن محمد .وليها خمس سنين ، وحارب محمد بن الخليج، وتمكن ، وضبط الإقليم إلى أن توفي في شعبان سنة سبع وتسعين ومئتين ، وكانت دولته خمس سنين

وأمر بالقبض عليه وعلى كل من يشبهه، وكان بعض خاصة عيسى متشيعين فاشاروا عليه بالهروب من مصر فخرج مع أصحابه ومعه أموال كثيرة فأوسع النفقة على صحبه فأخبر المهدي، وأشار عليه فلما وصل الكتاب إلى النوشري فرق الرسل في طلب المهدي، وخرج بنفسه فلحقه فلما رآه لم يشك فيه فقبض عليه ونزل ببستان ووكل به، فلما حضر الطعام دعاه ليأكل فأعلمه أنه صائم فرق له، وقال له أعلمني بحقيقة حالك حتى أطلقك فخوفه بالله تعالى وأنكر حاله ولم يزل يخوفه ويتلطفه فأطلقه وخلى سبيله ، وأراد أن يرسل معه من يوصله إلى رفقته فقال لا حاجة لي في ذلك ودعا له [1].

وبعد أن خرج عبد الله المهدي من مصر سالماً، وصل إلى المغرب وتحديداً مدينة طرابلس، وتفرق عنه أتباعهُ، فبعث أخاهُ وهو العباس إلى القيروان، وأمرهُ أن يلحق بكتامة، وفي القيروان كان زيادة الله بن الاغلب، يعلم بقدوم عبيد الله فحبس أخاهُ، وسمع المهدي بذلك فسار إلى قسطيلية[2]، ولم يستطع إدراك أخيه العباس لأنّ ذلك سيؤدي إلى مقتله، فتركهُ وسار إلى سجلماسة[3].

.ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج14، ص46، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، ص144.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص38، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3، ص363.

(2) قسطيلية: وهي بلاد واسعة ومدن عديدة بها النخل والزيتون ، من مدنها : توزر والحمة وتقيوس ، ومدينتها العظمى توزر،ولها سور حصين وبها نخل كثير جدا وتمرها كثير يعم بلاد إفريقية وبها الأترج الكبير الحسن الطيب وأكثر الفواكه التي بها. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، ص277؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص480.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص39.

ولـــدى ســـماع أميـــر سجلماســـة اليســـع بـــن مـــدرار، بقـــدوم عبيـــد الله المهـدي، فأحبـه وقربـهُ إليـه وكـان ذلـك سـنة (296هـ/908م) [1] ، فأتـاهُ كتـاب زيـادة الله يعرفـهُ أنـه الرجـل الـذي يـدعو إليـه أبـو عبـد الله الشـيعي، فقـبض عليـه وحبسـهُ، فـدخلها أبـو عبـد الله وأطلـق سـراح عبيـد الله، ومـن ثـمّ أخـذ البيعـة لعبيـد الله المهـدي فـي مدينـة سجلماسـة، وقلّـدهُ السـيف ومنحـهُ خلعـة للدلالة على مكانته[2].

وبـذلك تمكـن مـن الاسـتيلاء علـى سجلماسـة عـن طريـق سلسـلة مـن العمليـات العسـكرية، فقـد نجـح فـي اسـتمالة قبيلـة كتامـة إلـى جانبـه، والتـي مكنتـه مـن حسـم الموقـف لصـالحه، وفـرض سـيطرته علـى الموقـف فـي إفريقيـا، حيـث عمـل طيلـة هـذا الوقـت أبـو عبـد الله علـى ابتنـاء داراً للهجـرة مـن البربـر، وجـاعلاً مـن المغـرب مقـراً للـدعوة فـي المغـرب، حيـث نجـح فـي تحويـل الائتلاف القبلي لقبيلة كتامة إلى مذهبه[3].

ومـن ثـمّ بـدأ أبـو عبـد الله الشـيعي يقـدّم لعبـد الله المهـدي، أنصـارهُ وأتباعـهُ، وظـلّ أبـو عبـد الله الشـيعي وعبيـد الله المهـدي فـي المدينـة لمـدة أربعـين يومـاً[4]، ومـن ثـم غادراهـا بحشـود كبيـرة مـن العسـاكر، متجهـين إلـى إفريقيـة [5]، وأشـار ابـن الاثيـر[6] الـى انهـم مـرّوا فـي القيـروان، ولقيـوا فيهـا ترحابـاً شـديداً مـن الأهـالي؛ اذ ان اغلـبهم قـد دخلـوا فـي طاعـة الـدعاة الفـاطميين، ثـم أكملـوا مسـيرهم باتجـاه مدينـة رقـادة، ونزلـوا فـي أحـد قصـورها،

---

(1) المصدر نفسة ، ج4، ص130؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص123؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص78.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص90.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص133؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1 ، ص158 ؛ ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر،ج2، ص؛69 دفتري، الإسماعيليون–تاريخهم وعقائدهم، ص87.

(4) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص159.

(5) ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص80؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص80.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص14.

وبهذا تلقب عبيد الله المهدي بأمير المؤمنين، وأصبحت مدينة رقادة حاضرةً لهُ.

ويمكن القول ان نجاح الدعاة الإسماعيليين، وفي مقدمتهم ابي عبد الله الشيعي اسهم بشكل كبير جدا في تهيئة الأمور لإقامة دولة اسماعيلية في بلاد المغرب الإسلامي ، وانتشرت الدعوة الإسماعيلية بين قبائل البربر والعل قبيلة كتامة هي صاحبة الباع الطويل في تحقيق اهداف الفاطميين الذين تكلل نجاحهم في تأسيس دولة لها كيان ونفوذ قوي بعد ان تم استغلال بعد المكان الذي مارسوا فيه نشاطهم الدعوي في تلك البلاد سيما الاغالبة الذين ضعفت دولتهم بسبب سياسة والاتهم الفاشلة إزاء أهالي تلك المناطق ، كذلك كان لكره البربر وقبائلهم هناك للولاة العباسيين الذين استغلوا مناصبهم وجمعوا ثرواتهم باستخدام نظام ضريبي فاثقلوا كاهلهم في العيش مستغلين تشتتهم ، وقد نجح الدعاة من لملمة شتاتهم وتوظيفه لخدمة أهدافهم ،ونجحوا في تحقيق ذلك.

2-تأسيس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب:

بعد استقرار الأوضاع للفاطميين في بلاد المغرب ، انطلق عبد الله المهدي بممارسة نشاطاته من مدينة رقادة التي اتخذها عاصمة له ، فبدأ باختيار عماله، وكان اغلبهم من أهل كتامة، وممن يثق بهم من المغاربة، وهنا أوكل إلى أبي عبد الله الشيعي[1]، بمهمة إخضاع المغرب الأوسط والأقصى، لأنّ هذه المناطق لم تكن تحت سيطرة الفاطميين بعد، فخرج أبو عبد الله المهدي سنة 297هـ/909م، مع بعض قادة كتامة، وكان هدفهُ إخضاع قبائل زناتة[2] التي تقطن جنوبي كتامة اذ كانت هذه القبائل

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص17؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص105.

(2) زناتة: وهي قبيلة من البربر ببلاد المغرب ، والمشهور بهذه النسبة عبد الرحمن بن عطاف اليفرني البربري ، قال ابن ماكولا: هو من قبيلة منهم يقال لها يفرن ، وربما قيل فيها : أفرن ، استخلفه يحيى بن علي العلوي الحسني الملقب بالمعتلي أيام غلبته على قرطبة وتسميه بالخلافة ، فأقاظ بها أميرا سنة ست عشرة أو سبع عشرة

معارضة للتواجد الفاطمي في بلاد المغرب بسبب الاختلاف المذهبي[1]، فضلا عن ذلك ميل الزناتيين الى الدولة الاموية في الاندلس ، فضلا عن ذلك فان الزعامة في المغرب الأوسط كانت لقبيلة زناته وان الوجود الفاطمي في المغرب سيشكل خطر عليها[2] ، فتمكّن من دخولها وأصبحت تحت سيطرته، وأصبح يفرض الضرائب على اهلها[3].

ومن ثمّ لقّب نفسهُ باسم المهدي أمير المؤمنين، وصار بذلك خليفة للدولة الفاطمية الناشئة في تونس، وبهذا تكلّلت جهود أبو عبد الله الشيعي في قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي [4].

الا ان الاستقرار في بلاد المغرب لم يدم طويلا بسبب وقوع الخلاف ما بين ابي عبد الله الشيعي وعبيد الله المهدي ، فمنذ وصول المهدي الى عاصمته رقادة اراد ان يكون هو المتصرف الأول والمسيطر على الدولة فاخذ بتوزيع المناصب على خواصه من دون الكتاميين وبني الاغلب ،وقام باختيار عدد من العمال لأشغال المناصب الإدارية ، **وقد نقل ابن الاثير[5] ذلك بقوله: " فلما قرب من رقادة تلقاه أهلها وأهل القيروان وأبو عبد الله ورؤساء كتامة مشاة بين يديه وولده خلفه فسلموا عليه فرد ردّاً جميلا ، وأمرهم بالانصراف ونزل بقصر من قصور رقادة ، وأمر يوم الجمعة بذكر اسمه في الخطبة في البلاد وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين ... وقسم عليهم أعمال أفريقية ودون الدواوين وجبى الأموال واستقرت قدمه ودانت له أهل البلاد واستعمل العمال عليها جميعها".**

فعلى الرغم من الجهود المتميزة التي بذلها أبو عبد الله الداعي لخدمة الدولة الفاطمية، إلا أن علاقته سرعان ماتغيرت بالمهدي ،وذلك على أثر إعتراضه على سياسة

وأربعمئة .ينظر: السمعاني ، الانساب ، ج5، ص702؛ ابن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب ، ج3، ص416.

(1) ابن حزم، جمهرة انساب العرب،ص498.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص25؛ إبراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، ص157-159.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص92؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص88.

(4) الغنيمي، عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، ج2، ص59.

(5) الكامل في التاريخ، ج8، ص50.

الأخير الرامية الى مكافأة ابناء قبيلة كُتامة بأسناد المناصب المهمة لهم،الإمر الذي أثار إستياء الداعي الذي وجد في هذه السياسة أضراراً بالروح العسكرية لأبناء كُتامة؛ الامر الذي سيؤدي بالتالي الى فقدان الدولة الفاطمية لأهم مصدر من مصادر أمدادها بالقوات المُقاتلة؛ وقد أبدى الداعي أعتراضه على هذه السياسة للمهدي صراحةً، اذ لم ترق هذه الاعمال التي قام بها المهدي ابي عبد الله الشيعي فقد اعترض على السياسية التي اتبعها المهدي مع قبيلة كتامة، والتي وجد فيها ابي عبدالله الشيعي احداث ضرر للدولة الفاطمية الناشئة فقال له: " يا مولانا إن كتامة قوم قد قومتهم بتقويم وأحريتهم على ترتيب وتعليم، وتم لي منهم بذلك ما أردت وبلغت بذلك منهم ما قصدت، وهذا الذي فعلته أنت بهم من إعطائهم الأموال وتوليتهم الاعمال وما أمرتهم به من اللباس والحلي فساد"[1].

اثار هذا الكلام غضب عبيد الله المهدي وقد عد ذلك تدخل في قيادته للدولة الفاطمية، وادرك ان ابي عبد الله الشيعي يريد ان يجرد الخليفة الفاطمي من صلاحياته في الإدارة لذا بدأ يفكر في عزله مما اثار ذلك مخاوف أبي عبد الله الشيعي، الا ان أبا العباس اخ أبا عبد الله الشيعي كان أكثر تخوفا ، لذا اخذ يطعن بالمهدي وأخذ أبو العباس يخبر كل من وفد على المهدي والمذهب الإسماعيلي بما في داخله لأثارة الشك بين الفاطميين والمنظمين للدعوة الاسماعيلية ، وأرسل أبو العباس داعياً للمهدي وهو أبو موسى هارون بن يونس شيخ المشايخ المسلاتي زعيم قبيلة مسلاته الكتامية وواجه المهدي[2] وقال له: "انا قد شككنا في امرك فأتنا بآية ان كنت المهدي كما قلت"[3]، واوقفه المهدي عن فساد قوله من كتاب الله سبحانه وتعالى، بآياته التي ذمت الامم عندما سألو انبيائهم عندما ارادوا منهم آيات عن نبوتهم[4] وقال المهدي لهارون: "ويحك انكم كنتم ايقنتم واليقين لا يزيله الشك"[5] .

(1) القاضي النعمان المغربي، شرح الاخبار، ص 39.

(2) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة ،261.

(3) عماد الدين، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، ج5، ص116.

(4) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص262؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج4،ص37.

(5) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص107.

اما أبو عبد الله الشيعي فقد بدأ يتخوف من عبيد الله المهدي، وان المهدي بدا يتخذ إجراءات للحد من نفوذة فأتفق ابي عبد الله الشيعي مع أبا العباس واتباعة من قبيلة كتامة للقضاء على المهدي، وقد دخلوا عليه لقتله في قصره مراراً لكنهم لم يتجروا على ذلك، وقد وصلت اخبارهم الى المهدي بوشاية من قبل احد المتآمرين لقتله، فقام المهدي بتفريقهم في البلاد ليخلص من اجتماعاتهم، التي يعقدونها عند ابا زاكي تمام بن معارك[1] ، وقد روى ابن الاثير[2] تفاصيل دقيقة حول ما جرى من حوادث حول مقتل الداعي ابي عبد الله الشيعي واخاه ابي العباس، وذلك لأهمية هذه الشخصيات ودورها الفعال في قيام الدولة الفاطمية وما جرى من حوادث بعد قتلهما، بقوله :" **وكان أبو يوسف ماكنون بن ضبارة عم ابا زاكي والياً على طرابلس[3] فلما وصله كتاب المهدي وعرفه بفعل ابن اخيه ابي زاكي قتله وبعث براسه الى المهدي، كذلك قتل جماعة من البلدان في رقادة ، ومن بينهم ابن القديم الذمي[4] الذي جعله المهدي على ديوان الخراج بعد ان اظهر ولائه للدولة الفاطمية ،وقد استمال عدد كبير من الناس بأموال كثيرة، فقتله المهدي وكان المهدي سمع شيئا مما يجري بين أبي عبد الله وأخيه فتحقق ذلك غير أنه رد ردا لطيفاً ، فصار أبو العباس يشير إلى المقدمين بشيء من ذلك فمن رأى منه قبولا كشف له ما في نفسه وقال ما جازاكم على ما فعلتم ،**

---

(1) تمام بن معارك الاجاني وفي بعض المصادر الايكجاني وهو ابن اخي ماكنون و كان حدثا ذا حركة و نباهة و نشاط في حوائجه و خفة و رغبة في ذلك و كان كثير الحرص عليه يخدمه و لا يفارقه أبدا ينظر: ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، ج4، ص37؛ ابن عذاري ، بيان المغرب ،ج1، ص136.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص50.

(3) طرابلس: وهي من مدن المغرب بناها وسماها اليونان طرابلس تقع على ساحل البحر المتوسط، يحيط بها سور عظيم مبني من الحجر الصلد، خصبة وعامرة، كثيرة الفواكه والخيرات، فتحها العرب على يد عمرو بن العاص سنة 23هـ /644م. ينظر: الإدريسي، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ص548؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص478.

(4) ابن القديم: هو عبد الله بن القديم، كان من رجالات زيادة الله الثالث الاغلبي، وعندما دخل المهدي المغرب استعان به لخبرته بأمور البريد وفق السياسة التي انهجها المهدي في الاستفادة من الإداريين الذين كانوا يعملون لدى الاغالبة فضلا عن ضمان عدم قيامهم بالتمرد ضد الدولة الفاطمية الفتيه، قتله المهدي كإجراء لتصفية اقطاب المتآمرين ضده. ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص50.

وذكر لهم الأموال التي أخذها المهدي من إنكجان([1])، وقال هلا قسمها فيكم ، وكل ذلك يصل بالمهدي وهو يتغافل، وأبو عبد الله يداري ثم صار أبو العباس يقول إن هذا ليس الذي كنا نعتقد طاعته وندعو إليه، لأن المهدي يختم بالحجة ويأتي بالآيات الباهرة ، فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس ومنهم رجل من كتامة يقال له شيخ المشايخ ، فواجه المهدي بذلك وقال إن كنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فقتله المهدي ، فخافه أبو عبد الله وعلم أن المهدي قد تغير عليه فاتفق، هو وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زاكي وعزموا على قتل المهدي واجتمعت معهم قبائل كتامة إلا قليلا منهم".

وقد وصل هذا الكلام الى المهدي، فقد كان مع المجتمعين رجل يظهر أنه كان منهم ينقل ما يجري إلى المهدي، اذ ان المتآمرين على قتل الخليفة دخلوا عليه مرارا فلم يجسروا على قتله، فاتفق أنهم اجتمعوا ليلة عند أبي زاكي فلما أصبحوا لبس أبو عبد الله ثوبه مقلوبا ودخل على المهدي فرأى ثوبه فلم يعرفه به ثم دخل عليه لثلاثة أيام والقميص بحاله، وكان المهدي يراقب تحركاتهم، فسائلة المهدي عن السبب الذي اربكه وجعله لا ينتبه الى ثوبه المقلوب منذ ثلاثة أيام ، فكان جوابه انه لم ينتبه الى ذلك ، ثم سائله عن مكان تواجده خلال الثلاثة أيام ، الا ان عبد الله ارتبك ولم بجب الخليفة عن مكان تواجده، فبين له المهدي انه كان يعلم بمبيته في دار أبي زاكي فلم ينكر ذلك اذ اجابه انه كان قد بات في دار ابي زاكي فعلم أن أمره ظهر للمهدي فخرج وأخبر أصحابه وخافوا وتخلفوا عن الحضور[(2)].

فذكر ذلك للمهدي وعنده رجل يقال له ابن القديم[(3)] كان من جملة القوم وعنده أموال كثيرة من أموال زيادة الله، فقال "**يا مولاي إن شئت أتيتك بهم ، ومضى فجاء بهم ، فعلم المهدي صحة ما قيل عنه فلاطفهم وفرقهم في البلاد ، وجعل أبا زاكي واليا على طرابلس وكتب إلى عاملها أن يقتله عند وصوله ، فلما وصلها قتله عاملها وأرسل رأسه إلى المهدي فهرب ابن القديم فأخذ فأمر المهدي بقتله فقتل**" [(4)].

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص548؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص408.

(2) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص22.

(3) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص107.

(4)ابن الاثير، الكامل، ج8، ص52.

وأمر المهدي عروبة[1] ورجالا معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه أبا العباس ويقتلوهما ، فلما وصلا إلى قرب القصر حمل عروبة على أبي عبد الله فقال لا تفعل يا بني فقال الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك فقتل هو وأخاه وكان قتلهما في اليوم الذي قتل فيه أبو زاكي فقيل إن المهدي صلى على أبي عبد الله وقال رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيرا بجميل سعيك(2)، وقد كتب عبد الله المهدي لأتباعه بالمشرق :"أما بعد فقد علمتم محل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس من الاسلام فأستفز لهم الشيطان فظهر لهما بالسيف والسلام"(3).

وفيما تقدم فان السبب الرئيس الذي دفع الخليفة عبد الله المهدي الى التخلص من الداعي ابي عبد الله الشيعي واخاه ابي العباس هو محاولتهما قتل الخليفة الفاطمي والسيطرة على بلاد المغرب، بعد ان ادرك ابي عبد اله الشيعي واخيه ابي العباس ان الخليفة الفاطمي بدا يعمل على جعل السلطة بيده ، وبذلك فقد السلطة التي كان يحلم بها .

أدرك عبد الله المهدي خطورة الأوضاع في المغرب بعد ثورة قبائل كتامة، فأراد الاستعانة بأنصار جُدد، فقام بتعيين أخي عروبة بن يوسف على بلاد المغرب الأوسط[4]، وكان مقّرهُ مدينة تاهرت[5]، كما عيّن حباسة

---

(1) عروبة بن يوسف من وجهاء كتامة واحد قاده المهدي استخدمه لقتل ابي عبد الله الشيعي واخيه ابي العباس، ثم ولاه مدينة باغاية سنة 298هـ/911م،كان اخوه حباسة من أعظم القواد. وولي عمل برقة. ثم قتله المهدي سنة ٣٠٢هـ/915م فغضب عروبة لقتله. وثار في أوليائه من كتامة وغيرهم. فجهز له المهدي مولاه غالبا. فقتله وقضى على ثورته من سنتها. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص90؛ الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، ص145.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج6، ص135؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص164.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب ،ج1،ص65.

(4)المغرب الأوسط: هي الجزائر حاليا ، وكانت مدينة تاهرت عاصمتها في عهد الدولة الرستمية ، تقع في ككان تياريت في ولاية وهران غربي الجزائر ، وقد انتقلت العاصمة أيام دولة بني عبد الواد الى تلمسان التي عاصرت الدولة الحفصية . ينظر: ابن عذاري المركشي، البيان المغرب،ج1، ص5؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص13.

(5) تاهرت: جاء وصفها في كتاب معجم البلدان، بانها أشد ما خلق الرحمن من طرفة، وتقع في الإقليم الرابع، وعرضها ثمان وثلاثون درجة، وهي مدينة جليلة، في أقصى المغب، وتُسمى قديماً بعراق المغرب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص130.

بـــن يوســـف[1]، علـــى المغـــرب الأدنـــى[2]، ثـــمّ وجّـــه جهـــودهُ لإخضـــاع قبائـــل صنهاجة[3]، والقضاء على الأدارسة[4] في مدينة فاس[5].

وكـــان لـــهُ ذلـــك فقـــد تـــمّ فـــي ســـنة 308هـ/921م، الســـيطرة علـــى حاضـــرة الصـــنهاجيين، ثـــمّ أكمـــل لإخضـــاع الأدارســـة فـــي فـــاس، حيـــث التقـــى بيحيـــى بـــن إدريـــس[6]، بـــالقرب مـــن مدينـــة مكناســـة[7]، وقـــد كانـــت الغلبـــة لعبيـــد الله المهدي[8].

واضـــطرّ يحيـــى إلـــى طلـــب الصـــلح مـــن عبيـــد الله المهـــدي، وعـــرض عليـــه أن يبايعـــهُ شـــريطة أن يولّيـــه علـــى فـــاس، كمـــا ولّـــى موســـى بـــن أبـــي العافيـــة [9]

---

(1) حباسة بن يوسف الكتامي: قائد بربري من قادة الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي ينتمي إلى قبيلة كتامة ولاه الخليفة على برقة بعد مقتل الشيعي وهو اخو عروبة بن يوسف، المقريزي، تقي الدين، كتاب المقفى الكبير- تراجم مغربية ومشرقية من العترة العبيدية، ج3، ص90.

(2) المغرب الأدنى ويشمل تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائرية وكانت مدينة القيروان عاصمة المغرب الأدنى أيام الاغالبة، ومن بعدها المهدية خلال الحكم الفاطمي. ينظر:المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليمج1، ص201؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص12.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص40.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص99؛ دفتري، فرهارد، الإسماعيليون، ص90.

(5) فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب، من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجلّ مدنه قبل أن تختط مراكش، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين، وقد تصاعدت فيها العمارة، وتفجرت فيها عيوناً. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص230.

(6)يحيى بن إدريس بن عمر، حاكم وسلطان المغرب، وهو الحاكم التاسع من الأدارسة، وقد تولى الحكم بعد يحيى الثالث سنة 904م، وتوفي سنة 917م، عندما غزا الفاطميين المغرب. ينظر: الصفدي، الوافي، ج23، ص526.

(7) مكناسة: وهي حصن بالأندلس من أعمال ماردة، ويقطنها البربر، وقد بناها يوسف بن تاشفين سنة 457هـ. 457هـ. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج6، ص87.

(8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص20-26.

(9) موسى بن ابي العافية بن ابي باسيل ابن ابي الضحاك المكناسي ، يرجع نسبة الى قبيلة مكناسة وهي من بربر البتر، كان ابن ابي العافية احد رؤساء قبيلة مكناسة ،اشترك مع ابن عمه مصالة بن حبوس فسيطروا على أجزاء واسعة من الأراضي التابعة لدولة الأدارسة (172-375هـ/788-957م) ، وعند سيطرة الفاطميين على

على سائر بلاد المغرب الأقصى [1]، وما لبث أن تغلّب على ملك الأدارسة ببلاد المغرب، وقصد يحيى بن إدريس مدينة المهدية حيث قضي بها بقية حياته[2].

3- اعلان الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب:

أ- تأسيس مدينة المهدية (305هـ/918م):

ادرك عبد الله المهدي ان مدينة رقادة أصبحت غير امنة لدولته نتيجة للازمات السياسية التي مر بها والتي تمثلت بالانشقاق الذي حدث بينة وبين الداعية ابي عبد الله الشيعي، بعد ان تغافل المهدي عن حجم التضحيات التي قدمها ابي عبد الله واتباعه من اجل الدعوة الإسماعيلية وحرمانهم من جميع الامتيازات ومصادرة الأموال التي كانت بأيديهم[3]، ثم الاحداث التي تلت مقتل ابي عبد الله واخاه والثورات التي حدثت ضده في

بلاد المغرب اصبح موسى ابن ابي العافية وابن عمه مصالة من المقربين من الخليفة الفاطمي المهدي وعينة والي على مدينة تاهرت الا ان أطمع ابن ابي العافية في التوسع والسيطرة على بلاد المغرب قد ادخله في عداء مع الدولة الفاطمية فاتصل بالأمويين في الاندلس عداء الفاطميين وخلع طاعة الفاطميين وخطب للناصر الاموي في بلاد المغرب، مما اثار ذلك غضب الدولة الفاطمية ، اذ تمكنت القوات الفاطمية من تحقيق الأنصار عليه في مدينة تازا ، الا ان تمردة قد استمر من سنة (317- 322هـ/929-933م) الى ان تم هزيمته وهام في الصحراء بعد هزيمته امام ميسور الفتى اذ قتل موسى سنة (328هـ/939م) . ينظر:ابن حزم ،جمهرة انساب العرب،ص462؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص184؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص128؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج7، ص270؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص72.

(1) المغرب الأقصى: وهي المدينه التي أسس فيها الادارسة دولتهم في بلاد المغرب وكانت عاصمتهم فاس ثم جاء من بعدهم المرابطون الذين اسسوا الدولة المرابطية وعاصمتهم مراكش التي تم بنائها سنة 463هـ/1070م ، ثم من بعدهم الموحدين والذين اتخذوا من مراكش عاصمة لهم . ينظر: الصلابي ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، ص481 .

(2) ابن عذاري، البيان، ج2، ص123.

(3) القاضي النعمان المغربي، افتتاح الدعوة، ص306؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص56

مناطق متعددة من المغرب اثرت كثيرا على استقرار دولته[1] ، لذا قرّر عبيد الله المهدي أن يدعم دولتهُ الناشئة، بإنشاء مركزا محصّناً يدعمها ويحميها ويصدُّ عنها هجمات الأعداء، وأراد أن يبني حاضرة دولته في مكان يتوسط مناطقها، واتخاذ هذه الحاضرة حصناً يعتصم به هو وأنصارهُ، ويصدُّ هجمات الأعداء عنهم[2].

وقد اختلف المصادر التاريخية بشان بناء مدينة المهدية اذ تم ذكر بناء المدينة سنة (299هـ/911م) [3]، وارود مصدر اخر انها بنيت سنة (300هـ/915م) [4]، وأشار مصدر اخر الى ان بنائها كان سنة (303هـ/918م) [5]، اما الحميري فقد بين ان بناء مدينة المهدية كان سنة (306هـ/921م)[6].

وقد أورد ابن الاثير[7] بعض التفصيل البسيطة حول بناء مدينة المهدية بقوله:" **خرج المهدي بنفسه إلى تونس[8] وقرطاجنة[9] وغيرهما**

---

(1) الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص88.

(2) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص254.

(3) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج24، ص154 .

(4) ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص11.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص56؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص192؛ أبي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص68؛ الأمين، الاسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ص257.

(6) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص405.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص56؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص172.

(8) تونس: وهي مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم ، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة ، وكان اسم تونس في القديم ترشيش ، وهي على ميلين من قرطاجنة ، ويحيط بسورها أحد وعشرون ألف ذراع ، وهي قصبة بلاد أفريقية ، بينها وبين سفاقس ثلاثة أيام ومائة ميل بينها وبين القروان ونحو منه بينها وبين المهدية ، وليس بها ماء جار إنما شربهم من آبار ومصانع يجتمع فيها ماء المطر. ينظر: ابن الفقيه الهمداني مختصر كتاب البلدان ؛ ص132؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج2،ص60.

(9) قرطاجنة : وهي مدينة في إفريقية ، كانت فيها البيوت المعظمة عند أوائل الروم قبل ظهور دين النصرانية ببلاد المغرب بقرطاجنة ، وكانت من أرضي الإفرنجة ،وبين قرطاجنة وتونس عشرة أميال أو نحوها ومرساهما

يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة وكان يجد في الكتب خروج أبي يزيد[1] على دولته ومن أجله بنى المهدية فلم يجد موضعا أحسن ولا أحصن من موضع المهدية وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصل بزند فبناها وجعلها دار ملكه وجعل لها سورا محكما وأبوبا عظيمة وزن كل مصراع مائة قنطار ... فلما فرغ منها قال اليوم أمنت على الفاطميات ".

وكان لدى الخليفة الفاطمي عدة دوافع لبناء مدينة المهدية تمثلت بدوافع شخصية واضحة فلم يختره حسب ما أورد ابن الاثير أي مدينة من المدن التي مر بها مثل تونس على الرغم من موقعها المميز على البحر الأبيض المتوسط، ومن المرجح ان المهدي كان يرغب في تأسيس مدينة تحمل اسمه وترتبط به تاريخيا[2].

ومما سبق فان كلام ابن الاثير حول دوافع بناء مدينة المهدية هو اقرب الى الصواب وبعيد عن الخرافات والاساطير او التنجيم حيث ان الهدف من بناء المدينة هو الاستقلال بالدولة من أي تبعية او أي خطر ممكن ان يؤدي الى اسقاط الدولة الناشئة فضلا عن تحقيق الطموحات التوسعية على حساب الدولة العباسية، و ما تمتلكه المنطقة من موقع تجاري وبحري مميز، فضلا عن رغبتة بتخليد اسمة بعد تاسيسة لمدينة

واحد وقرطاجنة من المدن المشهورة وفيها من الآثار وعجائب البنيان ما ليس في بلد شرقاً ولا غرباً ولو دخلها إنسان ومشى فيها عمره يتأمل آثارها لرأى كل يوم فيها أعجوبة لم يرها قبل ذلك . ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اخترق الافاق، ج1، ص286.

(1) أبو يزيد: هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد، وهو من قبيلة زناتة، كان ولدة يعمل بالتجارة، وقد تعلم ابي يزيد العلوم الإسلامية في مدينة توزر واعتنق هناك مذهب الاباضية ثم رحل الى تاهرت حيث الدولة الرستمية 144-296هـ/761-908م واقام بها حتى سقطت على يد الدولة الفاطمية، وقد فر الى مدينة تيقوس وقد اشترى ارض واقام فيها يعلم الصبية مذهب الاباضية الخوارج .ينظر: ابن حماد ،اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص85 ؛ابن عذاري ، البيان، ج1،ص213؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ،ج1، ص80

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص95.

تحمل اسمه ويقيم بها هو وعائلته وحاشيته المقربه منه كما هو الحال لخلفاء بني العباس للذين اسسو مدن واطلقوا عليها أسماء تخلد أسمائهم مثل المنصور الدوانيقي الذي أسس مدينة بغداد .

ب-الثورات والفتن ضده:

عمّت الفوضى والتوتر أرجاء بلاد المغرب ، خاصة بعد مقتل ابي عبد الله الشيعي واخاه ابي العباس ، وغدا الجو العام مشحوناً بتيارات متناحرة فيما بينها([1]) ، **وقد أورد ابن الاثير[2] تمردات لقادة الجند ومنهم حباسة بن يوسف واخاه والذي ثار على عبد الله المهدي بعد عودته من محاولة الفاشلة لغزو مصر فقال: "... وعادوا إلى الغرب ، فلما وصلوا إلى الغرب قتل المهدي حباسة ، خالف عروبة بن يوسف الكتامي على المهدي بالقيروان واجتمع إليه خلق كثير من كتامة والبرابر فأخرج المهدي إليهم مولاه غالبا فاقتتلوا قتالا شديدا في محضر القيروان فقتل عروبة وبنو عمه وقتل معهم عالم لا يحصون ، وجمعت رؤوس مقدميهم في قفة وحملت إلى المهدي فقال ما أعجب أمور الدنيا قد جمعت هذه القفة رؤوس هؤلاء وقد كان يضيق بعساكرهم فضاء المغرب"** .

فضلا عن تمرد محمد بن خزر الزناتي امير قبيلة مغرورة الزناتية وكان من أعداء الفاطميين[3]، الذي قام بقتل عدد كبير من الكتاميين، **وقد نقل ابن الاثير([4]) ذلك بقوله: "سير المهدي العلوي صاحب إفريقية ابنه أبا القاسم من المهدية إلى المغرب في جيش كثير في صفر لسبب محمد بن خزر الزناتي ، وذلك أنه ظفر بعسكر من كتامة فقتل منهم خلقا كثيرا**

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص112؛ أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية تفسير جديد، ص150.

(2) الكامل في التاريخ، ج8، ص90.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص39.

(4) الكامل في التاريخ، ج8، ص179.

فعظم ذلك على المهدي فسير ولده فلما خرج تفرق الأعداء وسار حتى وصل إلى ما وراء تاهرت فلما عاد من سفرته هذه خط برمحه في الأرض صفة مدينة وسماها المحمدية وهي المسيلة " .

ت- محاولات فتح مصر (301-323هـ/913-934م)

بعد نجاح الفاطميون في إرساء أوضاع دولتهم في المغرب، فإنهم توجهوا بطموحاتهم إلى أرض مصر، طامعين في السيطرة عليها، وقد بدأت محاولات الفاطميين في الاستيلاء على مصر منذ عهد الخليفة الفاطمي المهدي، حيث شكّلت السنوات الأولى من عهده قيام محاولتين اثنتين للفاطميين للسيطرة على مصر، وقد فشلت كلتا المحاولتين، **وكانت المحاولة الأولى سنة 301هـ/913م نقلها ابن الاثير[1] بقوله: "وجهز المهدي العساكر من أفريقية وسيرها مع ولده أبي القاسم إلى الديار المصرية فساروا إلى برقة واستولوا عليها في ذي الحجة ، وساروا إلى مصر فملك الإسكندرية والفيوم وصار في يده أكثر البلاد وضيق على أهلها ، فسير إليها المقتدر بالله مؤنسا الخادم[2] في جيش كثيف فحاربهم وأجلاهم عن مصر فعادوا إلى المغرب"** ، واما الحملة الثانية فكانت سنة 307هـ/919م[3]، اذ جهز المهدي صاحب أفريقية جيشا كثيفا مع ابنه القائم بأمر الله وسيرهم إلى مصر وهي المرة الثانية فوصل إلى الإسكندرية فخرج عامل الخليفة العباسي المقتدر بالله عنها ودخلها القائم

---

(1) المصدر نفسة، ج8، ص84.

(2) مؤنس الخادم الأكبر الملقب بالمظفر المعتضدي : هو احد اكبر قادة الدولة العباسية الذين بلغوا رتبة الملوك ، وكان خادما أبيض فارسا شجاعا سائسا داهية ندب لحرب المغاربة العبيدية ، وولي دمشق للخليفة العباسي المقتدر (295-320هـ/908-932م)، ثم وقع خلاف بين مؤنس والخليفة العباسي المقتدر ، فارسل له قوات عسكرية عباسية فانتصر عليها ، فخرج الخليفة العباسي بنفسة لقتالة اذ تمكن من قتلة سنة 321هـ/931م. ينظر: المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج4، ص220؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء ، ج15،ص56.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص71-72.

بامر الله ورحل إلى مصر فدخل الجيزة وملك الأشمونين[1] وكثيرا من بلاد الصعيد ، وكتب إلى أهل مكة يدعوهم إلى الدخول في طاعته فلم يقبلوا منه [2]، ووردت بذلك الأخبار إلى بغداد فبعث المقتدر بالله مؤنسا الخادم والذي جد في السير فوصل إلى مصر وكان بينه وبين القائم عدة وقعات ، ووصل من أفريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم فأرست بالإسكندرية وعليها سليمان الخادم ويعقوب الكتامي[3]، وكانا من الرجال الشجعان ، فأمر المقتدر بالله أن تسير مراكب طرسوس إليهم فسار خمسة وعشرون مركبا ، فالتقت المراكب فيما بينها واقتتلوا قتلا شديد فظفر أصحاب مراكب المقتدر وأحرقوا كثيرا من مراكب أفريقية ، وهلك أكثر أهلها وأسر منهم كثير ووقع في الأسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامي فقتل من الأسرى كثير وأطلق كثير[4]، ومات سليمان في الحبس بمصر وحمل يعقوب إلى بغداد ثم هرب منها وعاد إلى أفريقية[5].

وأما عسكر القائم بامر الله الفاطمي فكان بينه وبين مؤنس وقعات كثيرة كان النصر فيها لمؤنس الذي لقبة الخليفة العباسي بالمظفر، وتصادف أيضا ان وقع غلاء ووباء في عسكر القائم فمات منهم كثير من الناس والخيل فعاد من سلم إلى أفريقية وسار عسكر مصر في أثرهم حتى أبعدوا قوات القائم إلى المهدية[6].

---

(1) الأشمونين : وهي مدينة قديمة أزلية عامرة آهلة ، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل ذات بساتين ونخل كثير، سميت باسم عامرها وهو أشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص200.

(2) الكامل في التاريخ، ج8، ص115.

(3) لم اعثر لهما على ترجمة في المصادر التي اطلعنا عليها.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، 371.

(5) المقريزي ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج23، ص55

(6) الكامل في التاريخ، ج8، ص116 .

وبعد انتهاء عهد الخليفة المهدي واستلام ابنه الخليفة القائم بأمر الله (322-334هـ/ 933م – 945م) الحكم، فقد رافق طموح الفاطميين بالاستحواذ على مصر وجعلها حاضرةً للدولة الفاطمية، حيث وضع الخليفة القائم نصب عينيه ضم مصر الى دولته، اذ أراد فتحها واخضاعها لدولته، فبدأ بتجهيز الجيوش، وأرسل جيشاً ضخماً مع أحد قادته ويُدعى ميسور الفتى، الذي انطلق من المغرب، ومرّ في مدينة فاس، ومن ثم تكرور، وهزم فئة من الخوارج هناك[1]، وأخذ ولدهُ أسيراً، كما سيّر جيشاً ثاني باتجاه البحر الأبيض المتوسط، وجعل عليهم قائداً ويُدعى يعقوب بن إسحاق، وجه إلى بلد الروم، والذي قام بأعمال السلب والنهب وإحضار الغنائم[2].

أما الجيش الثالث فكان باتجاه مصر، اذ بالغ في تجهيزه بالجنود والأسلحة ودخل الإسكندرية، والتي كانت تعسكر فيها قوات محمد بن طغج الأخشيد (323-334هـ/935-946م) [3]، الذي ردّ على محاولات الخليفة القائم بامر الله، بإرسال جيش كثيف، وبدأ القتال بين الطرفين، وتمكن جيش الإخشيد من هزيمة جيش القائم بامر الله ، فاضطرّ الجيش الفاطمي إلى العودة إلى المغرب بعد ان اسرف فيهم جيش الاخشيد بالقتل والأسر[4].

---

(1) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8، ص284

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص198 .

(3) محمد بن طغج بن جف بن يلتكين ابن فوران الأخشيد أبو بكر التركي الفرغاني صاحب مصر، تولي بعض مناطق في بلاد الشام سنة 306هـ/ 916م للخليفة العباسي المقتدر وبقي فيها إلى سنة 318هـ/ 928م، ثم أضيفت له ولاية الرملة سنة 318هـ/ 928م، وعند تولي الخليفة العباسي القاهر أسندت اليه ولاية مصر سنة 321هـ/ 931م، وستمر فيها حتى عهد الخليفة العباسي الراضي سنة 323هـ/ 933م، وتم منحه لقب الأخشيد سنة 327هـ/ 937م، توفي محمد بن طغج سنة (334هـ/ 944م). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص143؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج25، ص31؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، ص236.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص22؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص133.

وبشكل عام فقد تكرّرت محاولات الفاطميين لفتح مصر في عهد الخليفة القائم، وجاءت المحاولة الثالثة سنة 323هـ/934م، ولكنها فشلت كالسابقتين في تحقيق حلم الفاطميين لفتح مصر، وهذا ما أوردهُ المؤرخ ابن الاثير[1] الذي تحدث عن محاولات الفاطميين الحثيثة لفتح مصر، وأنّ كثرت هذه المحاولات أدت إلى تنبيه الدولة العباسية، إلى استشعار خطر الفاطميين، وأنه عليهم إيجاد حل سريع لوقف الخطر الفاطمي، ولا يتم هذا إلا بوجود جيش قوي للعباسيين في مصر.

وقد خشي القائد العباسي في مصر مؤنس الخادم من خطر الفاطميين فتصدى لهجومهم التالي، اذ أصبح للفاطميين انصار كثُر وجواسيس في مصر يعملون لصالحهموينقلون اخبار العباسين ، ومن ثمّ قام العباسيون بتولية محمد بن طغج الإخشيد على ولاية مصر، إضافة إلى ولايته في الشام[2].

كما فسّر ابن خلدون[3] محاولات الفاطميين الحثيثة لفتح مصر من ناحية عاطفية، تعود إلى الخليفتين القائم والمهدي، ذوي الأصول الشرقية، والتي كانت تحركهما هذه الانتماءات وكانت أنظارهما موجهة دائما" إلى الشرق، غير أنّ الخليفتان المنصور بالله(334 – 341 هـ/945 – 952م) والمعز لدين الله (341 – 365 هـ/952 – 975م)، ذوي الأصول الإفريقية فقد كانا أكثر التصاقاً بإفريقية وأمورها وقضاياها المتعددة، حيث انشغل الخليفة المنصور بالله بإخماد الثورات والفتن التي قادها المتمردون ضده، مثل حركة مخلد بن كيداد النكاري سنة 336هـ/948م، بينما اهتم الخليفة المعز لدين الله مباشرةً بالاهتمام بالقضايا الخارجية، فعمل بكل جهدهُ

(1)الكامل في التاريخ، ج8، ص285؛ سرور، محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية، ص100.

(2) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج2، ص187.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص44؛ دفتري، فرهارد، الإسماعيليون، ص104.

على توطيد سيادته ونفوذه في المغرب الأقصى، ولم يهتم كثيراً بشؤون مصر إلا في المراحل الأخيرة من حكمه.

ولعلّ اهتمام الفاطميين بالاستيلاء على مصر، يقف وراء قولهم أنّ الأئمة والدعاة كانوا يتحينون الفرص للعودة إلى المشرق، وهذا ما يفسّر لنا فضل محاولات الفاطميين الأولى في الاستيلاء على مصر، هي أنّ قوتهم كانت محصورة فقط في قبيلة كتامة، ولم يكونوا يمتلكون بعد المقدرات والاحتياجات العسكرية اللازمة لعمية الفتح، وكان هدف محاولاتهم الأولى واستطلاعاتهم مركزة على السيطرة على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، وتمكين نفوذهم في الصحراء الواقعة بين ممتلكاتهم في طرابلس الغرب، ووادي النيل [1].

كما كانت الثورات المتتالية التي اندلعت في عهد الخليفة الفاطمي الثالث المنصور بالله، قد دفعت الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله إلى نقل دولة الفاطميين إلى الشرق، وخاصة مع خطورة هذه الثورات وقوتها الكبيرة وتهديدها لدولتهم في المغرب، وأفرزت محاولات الخلفاء الفاطميين المتتالية لفتح مصر، إلى اكتشاف الرغبة الكبيرة عندهم وسعيهم في القضاء على نفوذ الخلافة العباسية فيها.

4 -القائم بأمر الله (322-334هـ/ 933-945م) :

تُوفي الخليفة المهدي سنة (322هـ/933م)، وقام ولدهُ أبو القاسم بإخفاء خبر وفاته، لتدبير أمور الدولة، وذلك لاختلاف الناس من بعده وانتشار الفوضى في أرجاء الدولة، وكان المهدي قبل وفاته قد عهد إلى ابنه أبو القاسم محمد بالحكم [2]، فحكم الخليفة الفاطمي الثاني وهو القائم بأمر بالله، واسمهُ محمد بن عبيد الله الملقب بالقائم بأمر الله، وكانت ولادتهُ في بلاد

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص97؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص182.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص21؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص150.

الشـــام، وقـــد حكـــم مـــدة 12 عامـــاً، وهـــي الفتـــرة الممتـــدة مـــن (322-334هـ/ 933-945م).

وقـد شـهدت خلافـة القـائم عـدداً مـن الفـتن والثـورات، وكانـت البدايـة فـي تمـرد ضـده، حيـث ثـار عليـه جماعـة مـن النـاس يقـودهم رجـلٌ يُـدعى طـالوت القرشـي، والـذين انطلقـوا مـن مدينـة طـرابلس، فزحـف الخليفـة القـائم إليهـا، وتمكّـن مـن إنهـاء التمـرد وقتـل طـالوت **وقـد أورد ذلـك ابـن الاثيـر[1] بقولـه: "ولمّـا تـوفّي ملـك بعـده ابنـه أبـو القاسـم محمـد وكـان أبـوه قـد عهـد إليـه ولمـا أظهـر وفـاة والـده كـان قـد تمكـن وفـرغ مـن جميـع مـا أراده واتبـع سـنة أبيـه وثـار عليـه جماعـة فـتمكن مـنهم وكـان مـن أشـدهم رجـل يقـال لـه ابـن طـالوت القرشـي[2] فـي ناحيـة طـرابلس ويـزعم أنـه ولـد المهـدي فقـاموا معـه وزحـف إلـى مدينـة طـرابلس فقاتلـه أهلهـا ثـم تبـين للبربـر كذبـه فقتلـوه وحملـوا رأسـه إلى القائم ".**

وجهـز القـائم أيضـا جيشـا كثيفـا مـع ميسـور الفتـى[3] إلـى المغـرب فـانتهى إلـى فـاس، وإلـى تكـرور[4] . وثـار فـي عهـد القـائم رجـلٌ يُـدعى مخلـد بـن كيـداد

---

(1) الكامل في التاريخ، ج8، ص285؛ ينظر كذلك: الأنطاكي، صلة تاريخ اوتيخيا، ص71؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص209؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص85.

(2) ابن طالوت القرشي: هو محمد بن طالوت القرشي من قبيلة قريش ادعى ان المهدي والده وقد صدق به اهلي طرابلس من البربر وعندما اكتشفوا كذبه قتلوه. ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص201؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص40؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص115.

(3) ميسور الصقلبي: هو احد قادة الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله، ويسمى أيضا بميسور الفتى، ارسل بحملة عسكرية من مدينة برقة ،للقضاء على تمرد موسى بن ابي العافية. ينظر: ابن عذاري، بيان المغرب، ج1، ص209 النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص115.

(4) تكرور: مدينة في بلاد السودان بقرب مدينة صنغانة على النيل، وهي أكبر من مدينة سلى وأكثر تجارة، وإليها يسافر أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها بالتبر والخدم، وطعام أهل سلى وأهل تكرور السمك والذرة والألبان. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ،ص134.

الـذي سـياتي الحـديث عنـه، فنشـط الخليفـة القـائم فـي إخمـاد ثورتـه والـتخلص من خطره[1]

أ- مواجهة تمرد ابي يزيد مخلد بن كيداد والخوارج:

اختلفـت المصـادر التاريخيـة فـي ذكـر مخلـد بـن كيـداد، فكثيـرٌ منهـا وصـفهُ بـأقبح النعـوت والصـفات [2]، ولـم ينصـفهُ إلاّ عـدد قليـل منهـا، ولعـلّ أهمهـم ابـن خلـدون، وقـد اشـير الـى أنّ زعـيم الثـورة مـن قبيلـة زناتـه، كمـا ذُكـر فـي مصـادر أخـرى باسـم الأباضـي النكـاري[3]، وكـان يلقـب بصـاحب الحمـار[4] وهـو شـخص أظهـر الزهـد، ولكـن يغلـب عليـه التقشـف، ويلـبس جبـة صـوف قصيرة ضيقة الكمين[5].

وقـد أخـذ العلـم عـن المشـايخ، وقـرأ مـذهب الإباضـية وصـدّق فيـه، ثـم لقـي شـخص يُـدعى أبـو عمـار الأعمـى[6] الصـفري النكـار، فـتلقّن عنـهُ، **وقـد أورد**

---

(1) المصدر نفسه، ج8، ص76؛ أيمن، فؤاد، الدولة الفاطمية، ص161.

(2) يرجع السبب في ذلك الى انه يرى دم المسلمين وفروجهم وأموالهم له حلالاً، ويسب الامام علياً عليه السلام ويكفر أهل القبلة وحاصر الأربس والقيروان وباجة وأكثر بلاد إفريقية وأذاق الناس شراً عظيماً وأتى أمراً شنيعاً، وخاف الناس فتنته وحذروا منه. ينظر: ابي الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج2، ص92؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص504.

(3) النكارية: وهم فرقة من الاباضية ومن أفكارهم الالحادية يقولون إن الله لم يأمر بالنوافل ، وأنه يجوز شرب الخمر على التقية. و قد اشتهرت النكارية، باستحلال الأمانة ، وقتل الأطفال، والشغبية بمعنى العصيان والتمرد والفوضى وهم خوارج المغرب والاندلس .ينظر: الحنفي ،موسوعة الفرق والجماعات المذاهب،ص655؛ العاملي، علي والخوارج،ج2، ص237.

(4) بعد ان تمكن مخلد من السيطرة على مدينة مرماجنة اهدي له حمار اشهب فكان دئما يركب عليه اثناء تنقله في المدينة. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص387؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص20؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج5، ص119.

(5) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص254؛ أيمن، فؤاد، الدولة الفاطمية، ص164.

(6) أبو عمار الاعمى: هو عبد الله او عبد الحميد الحميدي الحجري كان راس النكارية، وقد تتلمذ على يديه أبو أبو يزيد الخارجي. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب،ص217؛ الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث ،ج2،ص144.

ذلك ابن الاثير[1] بقوله: "وكان شيخاً لا يقدر على ركوب الخيل، فركب حماراً أشهباً، أهده إليه رجل من أهل مرمجنة[2]، فدأب أبو يزيد على ركوبه ولذلك سُمّي بصاحب الحمار"

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد السبب الذي دفع ابي يزيد لقيادة تمرد ضد الدولة الفاطمية فبعضها بينت على ان سبب الخروج هو عقائدي ديني كما اشرنا سابقا ، في حين اشارت مصادر أخرى الى رغبته بأخذ الثائر من الدولة الفاطمية لأنها كانت السبب في اسقاط الدولة الرستمية144-296هـ/761-908م [3] وهروب الاباضية[4] وتحصنهم في جبل اوراس[5] اذ تم محاصرتهم وتحجيم تحركاتهم من قبل الحاميات الفاطمية ومنعهم من الخروج من مناطقهم المحاصرة طيلة خلافة عبيد الله

---

(1) الكامل في التاريخ ، ج8،ص94

(2) مرمجنة : مدينة بإفريقية قريب من الأربس، وبينها وبين مجانة مرحلتان، وهي مدينة كبيرة قديمة فيها آثار قديمة، وبها عيون سائحة ، وهي على نظر واسع كثير الخيرات. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص109؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص540.

(3) الدولة الرستمية: وهي دولة قامت في بلاد المغرب الأوسط وهي دولة خارجية اباضية، مؤسس هذه الدولة عبد الرحمن بن رستم ، فارسي الأصل، وكان مذهب الخوارج في بادئ الأمر أكثر المذاهب انتشاراً بين قبائل البربر لأنه دعا الى عدم حصر الخلافة في بيت معين أو جنس معين، وينبغي تركها لاختيار الأمة، لهذا وجد البربر أن مذهب الخوارج يناسب وضعهم الاجتماعي والسياسي فاتخذوه عنواناً للمعارضة القومية ضد أي سيادة تفرض عليهم، لذا فقد نجح الخوارج في الدعاية لمذهبهم ونشره بين القبائل وخاصة في المغرب الأوسط. ينظر: المسعودي، وروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص186؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص121.

(4) الاباضية : وهي فرقة اجتمعت على القول بإمامة عبد الله بن إباض ، وافترقت فيما بينها فرقا ، يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة برآء من الشرك والايمان ، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ، ولكنهم كفار ، وأجازوا شهادتهم ، وحرموا دماءهم في السر، واستحلوها في العلانية وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض ، والذي استحلوه : الخيل والسلاح .ينظر: خليفة ، طبقات خليفة ،ص316؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج1،/ ص134؛ الدرجيني، طبقات الاباضية، ج2، ص7.

(5) جبل بأرض افريقية قريب من مدينة باغية، مياهه كثيرة وعمارته متصلة، فيه بلاد عدة وقبائل من البربر. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص330؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص8

المهـــدي وبدايـــة خلافـــة القـــائم بـــامر الله الفـــاطمي(322-334هـ/ 933-945م) (1) ، فضـــلا عـــن ان بعـــض المصـــادر قـــد اعتقـــدت ان ســـبب هـــذا التمـــرد هـــو رغبـــة البربـــر فـــي الـــتخلص مـــن الســـيطرة الفاطميـــة ،فضـــلا عـــن التـــدخل الخـــارجي فـــي المغـــرب مـــن قبـــل الدولـــة الامويـــة فـــي الانـــدلس عـــدوة الدولة الفاطمية [2] .

زادت قـــوّة مخلـــد بـــن كيـــداد بعـــد انتصـــاره فـــي مدينـــة كتامـــة، وهزيمتـــه لأهلهـــا ، وقـــد نقـــل ابـــن الاثيـــر [3] تلـــك الاحـــداث قـــالا": "**اشـــتدت شـــوكته وكثـــر أتباعـــه فـــي أيـــام القـــائم ولـــد المهـــدي فصـــار يغيـــر ويحـــرق ويفســـد وزحـــف إلـــى بـــلاد القـــائم وحاصـــر باغايـــة وهـــزم الجيـــوش الكثيـــرة عليهـــا ثـــم حاصـــر قســـطيلية ســـنة ثـــلاث وثلاثـــين وثلاثمائـــة ، وفـــتح تبســـة ومجانـــة[4] وهـــدم ســـورها ، وآمـــن أهلهـــا ، ودخـــل مرمجنـــة ... ثـــم إنـــه هـــزم كتامـــة وأنفـــذ طائفـــة مـــن عســـكره إلـــى ســـبيبة[5] ففتحهـــا وصـــلب عاملهـــا وســـار إلـــى الأربـــس ففتحهـــا وأحرقهـــا ونهبهـــا وجـــاء النـــاس إلـــى الجـــامع فقـــتلهم فيـــه فلمـــا اتصـــل ذلـــك بأهـــل المهديـــة اســـتعظموه وقـــالوا للقـــائم الأربـــس بـــاب أفريقيـــة ولـــو أخـــذت زالـــت دولـــة بنـــي الأغلـــب فقـــال لا بـــد أن يبلـــغ أبـــو يزيـــد المصـــلى وهـــو أقصـــى غايته** ".

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص189؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص80؛ جمال الدين، الدولة الفاطمية، ص65.

(2) سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص29-30.

(3) الكامل في التاريخ، ج8، ص214.

(4) مجانة: وهي بلد بإفريقية فتحه بسر بن أرطاة وهي تسمى قلعة بسر وبها زعفران كثير ومعادن حديد وفضة، بينها وبين القيروان خمس مراحل، يحدها جبل من جنوبها وتقلع حجارة للطواحين تحمل إلى القيروان وغيرها من مدن المغرب. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص56.

(5) مدينة سبيبة: وهي مدينة أزلية كثيرة المياه والجنات وعليها سور من حجارة حصين ولها ربض فيه الأسواق والخانات وشربهم من عين جارية كبيرة عليها جناتهم وبساتينهم. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، ص294.

واخذت اعداد اتباعه بالازدياد بسبب كثرة الغنائم التي حصل عليها بعد استيلائه على عدد كبير من المدن التابعة للدولة الفاطمية، ومدن أخرى محاصرة طلبت العون من الخليفة الفاطمي الذي بدورة أرسل قوات عسكرية لفك الحصار عنها [1].

وتبادل مع الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله، النصر والهزيمة **فقال ابن الاثير[2]" ثمّ إن القائم أخرج الجيوش لضبط البلاد فأخرج جيشا إلى رقادة وجيشا إلى القيروان وجمع العساكر فخاف أبو يزيد وعول على أخذ بلاد أفريقية وإخرابها وقتل أهلها وسير القائم الجيش ...فانهزم عسكر أبي يزيد وبقي في نحو أربعمائة مقاتل فقال لهم ميلوا بنا نخالفهم إلى خيامهم ففعلوا ذلك فانهزم بشرى[3] إلى تونس وقتل من عسكره كثير من وجوه كتامة وغيرهم**".

ونتيجة للهزائم التي مني بها أبو يزيد ؛ دخل مدينة باجة[4] فأحرقها ونهبها وقتلوا الأطفال وأخذوا النساء ، وكتب إلى القبائل يدعوهم إلى نفسه فأتوه وعمل الأخبية والبنود وآلات الحرب، ولمّا وصل بشرى الفتى إلى تونس جمع الناس وأعطاهم الأموال فاجتمع إليه خلق كثير فجهزهم وسيرهم إلى أبي يزيد وسير إليهم أبو يزيد جيشا فالتقوا واقتتلوا فانهزم أصحاب أبي يزيد ورجع أصحاب بشرى إلى تونس غانمين ووقعت فتنة في تونس ونهب أهلها دار عاملها فهرب وكاتبوا أبا يزيد فأعطاهم الأمان

---

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص19؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص75.

(2) الكامل في التاريخ ، ج8، ص427.

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(4) باجة: هي مدينة كبيرة فيها آثار قديمة ولها حصن قديم مبني بالصخر أتقن بناؤه يقال إنه من عهد عيسىﷺ، وباجة على جبل شديد البياض يسمى الشمس لبياضه، وهي في وطاء من الأرض، وهي كثيرة الأنهار والعيون ، وإحدى تلك العيون عين كبيرة تسمى عين الشمس. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص75.

وولـى علـيهم رجـلا مـنهم يقـال لـه رحمـون[1]، وانتقـل إلـى فحـص أبـي صـالح[2] وخافـه النـاس فـانتقلوا إلـى القيـروان وأتـاه كثيـر مـنهم خوفـاً ورعبـاً وأمـر القـائم بشـرى أن يتجسـس اخبـار أبـي يزيـد فمضـى نحـوه وبلـغ الخبـر إلـى أبـي يزيـد فسـير إلـيهم طائفـة مـن عسـكره وأمـر مقـدمهم أن يقتـل ويمثـل وينهـب ليرعـب قلـوب النـاس ففعـل ذلـك والتقـى هـو وبشـرى فـاقتتلوا وانهـزم عسـكر أبـي يزيـد وقتـل مـنهم أربعـة آلاف وأسـر خمسـمائة فسـيرهم بشـرى إلـى المهديـة فـي السلاسل فقتلهم العامة[3].

وارسـل أبـو يزيـد رجـلا مـن أصـحابه اسـمه أيـوب الزويلـي[4] إلـى القيـروان بقـوات عسـكرية فـتمكن مـن السـيطرة عليهـا، ونهـب المدينـة واسـرف فـي القتـل وحاصـر والـي المدينـة خليـل بـن إسـحاق فـي داره، ممـا دفعـه الـى الاستسـلام وطلـب الأمـان هـو ومـن معـه مـن أصـحابه ،فمـنح الامـان وحمـل إلـى أبـي يزيـد فقتلـه[5]، وخـرج شـيوخ أهـل القيـروان إلـى أبـي يزيـد وهـو برقـادة فسـلموا عليـه وطلبـوا الأمـان فمـاطلهم وأصـحابه وعسـكرة وينهبـون القيـروان، فعـادوا الشـكوى وقـالوا :" خربـت المدينـة فقـال ومـا يكـون خربـت مكـة والبيـت المقـدس ثـم أمـر بالأمـان" وبقـي طائفـة مـن البربـر ينهبـون فأتـاهم الخبـر بوصـول

---

(1) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(2) فحص أبي صالح: مدينة في إفريقية قرب جبل زغوان، وقد سميت بهذا الاسم لان أبو صالح مولى حسان بن النعمان نزلها حين وجهه حسّان إلى محاصرة قلعة زغوان، فسمي الفحص به ، وحاصرهم أبو صالح ثلاثة أيام فلم يقدر منهم على شيء، فرحل إليه حسّان في خيل مجردة ففتحها صلحاً. ينظر: الحميري، الرض المعطار في خبر الأقطار، ص436.

(3) ابن أبي دينار، المؤنس في اخبار افريقا وتونس، ص60.

(4) أيوب الزويلي: هو أبو سليمان أيوب بن خيران الزويلي من فبيلة مزاته كان رجل كثير الشر. ينظر: مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والاخبار، ج1، ص384.

(5) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة،ص206؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص427؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4، ص41.

ميسور في عساكر عظيمة فخرج عند ذلك البربر من المدينة خوفاً منه [1].

وفي ضوء ما تقدم فان ما حققه ابي يزيد من انتصارات عبى القوات الفاطمية جعلته يشكل خطرا كبيرا" على المهدية عاصمة الدولة الفاطمية على الرغم من ان هذه الانتصارات العسكرية لم تكن حاسمة سيما وان الفاطميين كانوا اكثر قوة منه في المنطقة وان حركته لا تعدوا الا تمرد، فضلا عن اخلاص ميسور الفتى للفاطميين ، فضلا عن ذلك ان ميسور لم يهزم امام ابي يزيد بعد، وفي هذه الاثناء كان ميسور قد تحرك بقواته من رقاده باتجاه مدينة القيروان ، وقد وصل خبر للخليفة الفاطمي القائم بأمر الله أن جماعة من بني كملان وهم بطن من بطون هوارة، كانوا ضمن قوات ميسور كاتبوا أبا يزيد على أن يمكنوه من ميسور ويعملوا على اغتياله بالاتفاق مع ابي يزيد[2] ، فكتب الخليفة الفاطمي إلى ميسور يعرفه ويحذره ويأمره بطردهم فقام ميسور بطردهم من معسكره، فالتحقوا بأبي يزيد وقالوا له :"إن عجلت ظفرت به " [3] . فتحرك بعد ان حصل على معلومات من المنظمين له عن قوة ومكان ميسور فالتقوا واشتد القتال بينهم وانهزمت ميسرة أبي يزيد فلما رأى أبو يزيد ذلك حمل على ميسور فانهزم أصحاب ميسور فعطف ميسور فرسه فسقط عنها وقاتل أصحابه عليه ليمنعوه عنه بنو كملان الذين طردهم فاشتد القتال حينئذ فقتل ميسور

(1) ابي الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج2، ص91-93.

(2) القاضي النعمان، المجالس والمسيرات، ص542؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 183؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص76.

(3)الكامل في التاريخ ، ج8، ص427؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص45؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص77.

وحمل رأسه إلى أبي يزيد وانهزم عامة عسكره ، وسير الكتب إلى عامة البلاد يخبر بهذا الظفر وطيف برأس ميسور بالقيروان[1].

ثم فرض ابي يزيد حصار مشدد على مدينة المهدية، وتمكّن الجوع من أهلها فاضطرّوا إلى أكل الجيفة والكلاب والقطط، وكثرت مراسلات الخليفة الفاطمي القائم بامر الله يدعو أنصارهُ لنجدته، فأرسل الرسل إلى صنهاجة وكتامة، الذين سارعوا لإرسال المدد، لكنّ مخلد تنبّه لهم فأرسل إليهم رجلاً من قوّاده يُدعى أبو يزيد يكموس المزاتي، فقام بتبديد شملهم وتفريقهم [2].

يروي ابن الاثير([3]) ذلك بقوله: " سمع أبو يزيد بتأهب صنهاجة وكتامة وغيرهم لنصرة القائم خاف ورحل من ساعته نحو المهدية فنزل على خمسة عشر ميلا منها وبث سراياه إلى ناحية المهدية فانتهبت ما وجدت وقتلت من أصابت فاجتمع الناس إلى المهدية واتفقت كتامة وأصحاب القائم على أن يخرجوا إلى أبي يزيد ليضربوا عليه في معسكره لما سمعوا أن عسكره قد تفرق في الغارة فخرجوا يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى من السنة".

وعندما وصل خبر تجمع الناس بالمهدية لمقاتلة أبي يزيد أتاه ولده فضل بعسكر من القيروان فوجههم إلى قتال كتامة وقدم عليهم ابنه فالتقوا على ستة أميال من المهدية واقتتلوا، وبلغ الخبر أبا يزيد فركب بجميع من بقي معه فلقي أصحابه منهزمين وقد قتل كثير منهم فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال وأبو يزيد في أثرهم إلى باب الفتح واقتحمت مجموعة من البربر فدخلوا باب الفتح احد أبواب مدينة المهدية على بعد ميلين منها[4]،

---

(1) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص302.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص167.

(3) الكامل في التاريخ، ج8، ص430.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 431؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1، ص84.

ووصل أبو يزيد إلى باب المهدية وبينه وبين المهدية رمية سهم وتفرق أصحابه في زويلة[1] ينهبون ويقتلون وأهلها يطلبون الأمان والقتال عند باب الفتح بين كتامة والبربر وهم لا يعلمون ما صنع أبو يزيد في ذلك الجانب فحمل الكتاميون على البربر فهزموهم وقتلوا فيهم ، وسمع أبو يزيد بذلك فضلا عن صول زيري بن مناد[2] في صنهاجة، مما اثار ذلك الخوف لديه فقصد باب الفتح ليأتي زيري وكتامة من ورائهم ،فلمّا رأى أهل الأرباض ذلك ظنوا أن الخليفة الفاطمي القائم بامر الله قد خرج بنفسه من المهدية فكبروا وقويت نفوسهم واشتد قتالهم فتحير أبو يزيد وعرفه أهل تلك الناحية فمالوا عليه ليقتلوه فاشتد القتال عنده فهدم بعض أصحابه حائطا من سور المدينة وخرج منه فتخلص ووصل إلى منزله بعد المغرب وهم يقاتلون العبيد فلمّا رأوه قويت قلوبهم وانهزم العبيد وافترقوا [3].

وبعد هذه الهزيمة التي مني بها أبو يزيد انسحب إلى معسكر ترنوط[4] وحفر على عسكره خندقا واجتمع إليه خلق عظيم من إفريقية والبربر ونفوسة والزاب وأقاصي المغرب فحصر المهدية حصارا شديدا ومنع الناس من الدخول إليها والخروج منها، ثم زحف إليها بقواته سنة 333هـ/944م فجرى قتال عظيم قتل جماعة من وجوه عسكر الخليفة الفاطمي القائم بامر الله واقتحم أبو يزيد بنفسه حتى وصل إلى قرب الباب فعرفه احد العبيد

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1، ص78.

(2) زيري بن مناد الحميري الصنهاجي جد المغر بن باديس، وهو الذي بني مدينة آشير وحصنها أيام خروج أبي زيد مخلد الخارجي لما خرج على الخليفة الفاطمي القائم بن المهدي وعلى ولده المنصور وملكها وملك ما حولها وأعطاه المنصور مدينة تاهرت وأعمالها وكان حسن السيرة شجاعا صارما، وكانت بينه وبني جعفر الأندلسي ضغائن وأحقاد أفضت إلى الحرب فلما تصافا أنجلي المصاف عن قتل زيري سنة 360هـ/971م .ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج2، ص343؛الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص38.

(3) التيجاني ، رحلة التيجاني ، ص326.

(4) ترنوط: هي مدينة افريقية تبعد ستة أميال من مدينة المهدية منه اتخذها أبو يزيد مخلد بن كيداد النكار قاعدة عسكرية للهجوم ومحاصرة المدينة. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص133.

فقبض على لجامه وصاح هذا أبو يزيد فاقتلوه فأتاه رجل من أصحاب أبي يزيد فقطع يد العبد وخلص أبو يزيد[1].

فلما رأى أبو يزيد شدة القتال وتماسك أصحاب الخليفة الفاطمي القائم بامر الله كتب إلى عامل القيروان يأمره بإرسال مقاتله إليه ففعل ذلك فوصلوا إليه فزحف بهم[2] فجرى قتال شديد انهزم فيه أبو يزيد هزيمة منكرة وقتل فيها جماعة من أصحابه وأكثر أهل القيروان ثم زحف الزحفة الرابعة ، فجرى قتال عظيم وانصرف إلى منزله وكثر خروج الناس من الجوع والغلاء ففتح عندها الخليفة الفاطمي القائم بامر الله الأهراء[3] التي عملها المهدي وملأها طعاما وفرق ما فيها على رجاله وعظم البلاء على الرعية حتى أكلوا الدواب والميتة[4].

نستنتج مما تقدم بان إجراءات القائم للقضاء على تمرد ابي يزيد الخارجي كانت ضعيفة جدا، وان رده لم يتسم بالسرعة والتي مكنت ابي يزيد من السيطرة على أجزاء واسعة من بلاد المغرب ، هذه الانتصارات لابي يزيد جعلت من هذا الخارجي قوة عسكرية خاصة بعد سيطرته على القيروان ومحاصرة مدينة المهدية، فضلا عن دخوله في طاعة الدولة الاموية في الاندلس ،والتي بدورها أرسلت له مساعدات عسكرية ووقفت بجانبه في حربه ضد الفاطميين على الرغم من الاختلاف العقائدي بينهم ، وعلى الرغم من انضمام اعداد كبيرة من البربر الى جانبه الا ان الأسلوب الذي اتبعه ابي يزيد الخارجي اتجاه المناطق التي سيطر عليها كان يدل على عدم ادارته الحكيمة ،فقد تمثل بالسب والنهب والتدمير وحرق المدن

(1) ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص56؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 431.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص221.

(3) الاهراء: وهو بيت ضخم يجمع فيه طعام السلطان. ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص197.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 432.

وكان هدفة من ذلك زرع الخوف في نفوس الناس حتى يجبرهم على الدخول في طاعته.

وهنا وجد الفاطميون أنّ الفرصة باتت وشيكة، لاستعادة الهمم والانطلاق لفك الحصار عن مدينتهم، فقرّروا القيام بحرب خاطفة مفاجأة، وبالفعل نجحوا في ضرب قوات كيداد، التي بدأت تتلقى الهزائم الواحدة تلو الأخرى[1].

ب-علاقتة جزيرة صقلية(300- 304هـ/913-917م)

بعد ان تمكن ابو عبد الله الشيعي من السيطرة على بلاد المغرب ، وقضى على الاغالبة واستقر في عاصمتهم رقادة، وبسبب تقلب ولاء اهل صقلية كاتبوا ابي عبد الله الشيعي بان يرسل لهم والي على صقلية بدل الوالي الاغلبي بعد ان ثاروا عليه فأجابهم الشيعي الى ذلك وارسل لهم والي جديد[2]، وكان سبب في اعلان دخولهم في طاعة الدولة الفاطمية الى رغبة اهالي صقلية المسلمين ان يكون لهم من يقف معهم ويساندهم في صراعهم المستمر مع الدولة البيزنطية، وبعد وصول الخليفة الفاطمي المهدي الى المغرب وتوليه قيادة الدولة الفاطمية فيها، عين علي بن عمر البلوي[3] واليا على صقلية سنة 299-300هـ/912-913م) وقد كان شيخا لينا فلم يرض أهل صقلية بسيرته فعزلوه عنهم وولوا على أنفسهم أحمد بن قرهب[4] فلما

(1) سرور، محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية في مصر، ص56.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص59؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج24، ص199.

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(4) احمد بن زيادة الله بن قرهب، كان من اثريا العرب في صقلية ينتمى الى اسرة لها صلة قوية بالأغالبة ، اذ كان الاغالبة يمنحون المناصب الإدارية العالية الى كبار رجالات العائلات العربية الشهيرة وكان من بين هذه العائلات ممن يحملون لقب قرهب. الأمين، اعيان الشيعة، ج5، ص127؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص44.

ولـــى ســـير ســـرية إلـــى أرض قلوريـــة[1] فغنمـــوا منهـــا وأســـروا مـــن الـــروم وعـــادوا ، وأرســـل ســـنة 300هـ/910م ابنـــه عليـــا إلـــى قلعـــة طبـــرمين[2] فـــي جـــيش وأمـــره بحصـــارها وكـــان غرضـــه إذا ملكهـــا أن يجعـــل بهـــا ولـــده وأموالـــه وعبيـــده فـــإذا رأى مـــن أهـــل صـــقلية مـــا يكـــره امتنـــع بهـــا ، فاحاصـــرها ابنـــه ســـتة أشـــهر ثـــم اختلـــف العســـكر عليـــه وكرهـــوا المقـــام فـــأحرقوا خيمتـــه وســـواد العســـكر وأرادوا قتلـــه فمـــنعهم العرب [3].

ومـــن خـــلال تطـــورات الاحـــداث فـــي صـــقلية ومـــا قـــام بـــه أهلهـــا مـــن تمـــردات متكـــررة وعـــدم تقـــبلهم لـــولاة الدولـــة الفاطميـــة على الـــرغم مـــن ان اهلـــي صـــقلية قـــد طلبـــوا مـــن الفـــاطميين ارســـال ولـــي الـــيهم الا ان اهلـــي صـــقلية اخـــذوا يخططـــون الإعـــلان ثـــورة ضـــد الدولـــة الفاطميـــة والـــتخلص مـــن ســـيطرتها ، ســـيما ان اغلـــب اهلـــي صـــقلية كـــانوا علـــى المـــذهب المـــالكي، لـــذا حـــاول أصـــحاب هـــذه القـــوة ان يقنعـــوا ابـــن قرهـــب بـــالإعلان الاســـتقلال عـــن الدولـــة الفاطميـــة ، الا ان ابـــن قرهـــب رفـــض ذلـــك فـــي بدايـــة الامـــر وختفـــى عـــنهم الا انهـــم عثـــروا عليـــة وهـــددوه بالقتـــل فـــي حـــال عـــدم الموافقـــة علـــى خلـــع طاعـــة الفـــاطميين، وبالمقابـــل فقـــد تعهـــدوا لـــه بـــالوقوف الـــى جانبـــه والإخـــلاص لـــه دون قيـــد او شـــرط فقبـــل بـــذلك اذ انـــه لـــم يجـــد طريقـــا اخـــر[4]، ويرجـــع الســـبب فـــي تـــردد ابـــن قرهـــب فـــي قبـــول خلـــع طاعـــة الفـــاطميين هـــو تخوفـــه مـــن تقلـــب ولاء اهـــل صـــقلية وخشـــيته مـــن ان يغـــدروا بـــه كمـــا فعلـــوا مـــع الـــولاة الســـابقين،اذ أن ابـــن قرهـــب كـــان قـــد كتـــب إلـــى المهـــدي يقـــول

(1) قلورية: وهي جزيرة في شرقي صقلية وأهلها إفرنج ولها مدن كثيرة وبلاد واسعة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص392.

(2) طبرمين : حصن بصقلية منيع ، بينه وبين مسيني مرحلة ، وهو بلد شامخ رفيع أزلي من أشرف البلاد ، وهو على جبل مطل على البحر ، وبه مرسى حسن ، والسفر إليه من كل الجهات ، ويحمل منه كثير من الغلات وفيه منازل وأسواق ، وتجتمع فيه القوافل الواصلة من مسيني ، وبه ضياع صالحة ومزارع طيبة ، وبه معدن الذهب. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص385.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 73.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص168؛ المدني، المسلمون في جزيرة صقلية، ص111.

لـــه إن أهـــل صـــقلية يكثـــرون الشـــغب علـــى أمـــرائهم ولا يطيعـــونهم وينهبـــون أمـــوالهم ولا يـــزول ذلـــك إلا بعســـكر يقهـــرهم ويزيـــل الرياســـة عـــن رؤســـائهم ففعـــل المهـــدي ذلك [1].

وبالمقابـــل فقـــد اشـــترط ابـــن قرهـــب ان يعتمـــد فـــي ثورتـــه اعـــلان ولاءه للدولـــة العباســـية؛ لانـــه ادرك بـــان الجنـــد الصـــقلي لا يمكـــن الاعتمـــاد عليـــه اذ اختلفـــوا علـــى ابنـــه اثنـــاء حصـــاره لطبـــرمين[2]، لـــذا دعـــا أحمـــد بـــن قرهـــب النـــاس إلـــى طاعـــة الخليفـــة العباســـي المقتـــدر بـــالله (295-320هـ/908-932م) فأجـــابوه إلـــى ذلـــك فخطـــب لـــه بصـــقلية وقطـــع خطبـــة للخليفـــة المهـــدي الفـــاطمي ، وأخـــرج ابـــن قرهـــب جيشـــا فـــي البحـــر إلـــى ســـاحل أفريقيـــة فلقـــوا هنـــاك أســـطول المهـــدي ومقدمـــه الحســـن بـــن أبـــي خنزيـــر فـــأحرقوا الأســـطول وقتلـــوا الحســـن وحملـــوا رأســـه إلـــى ابـــن قرهـــب[3] ســـنة 301هـ/914م ، وســـار الأســـطول الصـــقلي إلـــى مدينـــة ســـفاقس[4] فخربوهـــا وســـاروا إلـــى طـــرابلس فوجـــدوا فيهـــا القـــائم بـــن المهـــدي(322-334هـ/934-945م) فانســـحبوا دون قتـــال وعـــادوا الـــى صـــقلية[5]، ووصـــلت الخلـــع الســـود والألويـــة إلـــى ابـــن قرهـــب مـــن الخليفـــة العباســـي المقتـــدر بـــالله[6]، ثـــم أخـــرج مراكـــب فيهـــا جـــيش إلـــى قلوريـــة فغـــنم جيشـــه وخربـــوا وعـــادوا، وســـير ابـــن قرهـــب أســـطولا اخـــر إلـــى أفريقيـــة فخـــرج عليهـــا أســـطول المهـــدي الفـــاطمي فظفـــروا بالـــذي لابـــن قرهـــب وأخـــذوه ؛ بســـبب قـــوة الاســـطول الفـــاطمي، فضـــلا عـــن الهزيمـــة التـــي منـــي بهـــا الاســـطول الصـــقلي علـــى يـــد القـــوات الإيطاليـــة اثنـــاء هجومهـــا علـــى الســـواحل

---

(1) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج23، ص39.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص168؛ عباس، العرب في صقلية دراسة في التاريخ والادب، ص40.

(3) النويري، نهاية الارب في فنون الادب ، ج23، ص39.

(4) مدينة سفاقس: وهي مدينة قديمة عامرة لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة وعليها سور من حجارة وأبواب عليها صفائح من حديد منيعة وعلى أسوارها محارس نفيسة للرباط وأسواقها متحركة وشرب أهلها من المواجل ويجلب إليها من مدينة قابس نفيس الفواكه. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، ص280.

(5) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص274؛ أبن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص10.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 74.

الإيطالية اذ تحطم اسطول ابن قرهب بعد هبوب رياح وعواصف قوية فكان ذلك بداية النهاية لابن قرهب في صقلية، اذ بداء البربر بالتمرد ضده بعد ان اتهم بالتواطؤ مع البيزنطيين[1]، ولم يستقم بعد ذلك لابن قرهب حال وأدبر أمره وطمع فيه الناس وكانوا يخافونه ،وخاف منه أهل جرجنت[2] وعصوا أمره وكاتبوا المهدي ، فلما رأى ذلك أهل البلاد كاتبوا المهدي أيضا وكرهوا الفتنة وثاروا بابن قرهب وأخذوه أسيرا 304هـ/917م وحبسوه وأرسلوه إلى المهدي مع جماعة من خاصته فأمر بقتلهم على قبر ابن أبي خنزير فقتلوا واستعمل على صقلية أبا سعيد موسى بن أحمد وسير معه جماعة كثيرة من شيوخ كتامة فوصلوا إلى طرابنش[3] [4]

5- الخليفة المنصور بالله(334 – 341 هـ/945 – 952م) ودورهُ في بلاد المغرب وصقلية :

توفي الخليفة القائم بامر الله، فخلفهُ في حكم الفاطميين ابنهُ الخليفة المنصور بالله، إسماعيل بن محمد بن عبيد الله، ثالث الخلفاء الفاطميين [5]، استلم الحكم سنة 334هـ/945م، **وذكر ابن الأثير[6] وفاة الخليفة**

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص175.

(2) كركنت : مدينة بجزيرة صقلية ، وهي متحضرة عامرة بالوارد والصادر ولها قلعة سامية حصينة ، ومدينتها حسنة زاهية قديمة العمران وهي من أعظم الحصون مقصودة من سائر الآفاق وبها أسواق جامعة لأصناف الصنائع وضروب المتاجر. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص493.

(3) طرابنش: وهي بجزيرة صقلية، والنصارى يسمونها أطرابنه، وبينها وبين مرسى علي ثلاثة وعشرون ميلاً ، وهي مدينة قديمة مسورة بيضاء كالحمامة ، وبينها وبين مدينة تونس مسيرة يوم وليلة، والسفن منها وإليها لا تتعطل شتاء ولا صيفاً، وبها السوق والحمّام وجميع ما يحتاج إليه من مرافق المدن. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص390.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 74.

(5) الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص32؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص146؛ ابن تغري تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص84.

(6) الكامل في التاريخ، ج7، ص162؛ ينظر كذلك: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1، ص267؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص49؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص84.

القائم بقوله : " توفي القائم بأمر الله صاحب إفريقية العلوي لثلاث عشرة مضت من شوال، وقام بالأمر بعده إبنه إسماعيل وتلقب بالمنصور بالله ."

وقد أخفى المنصور بالله وفاة والده القائم بامر الله، خوفاً من أن يعلم بذلك أبو يزيد، فلما انتهى من أمره اعلن عن وفاة والده، وتسمّى بالخلافة، وبدأ بتجهيز آلات الحرب والقتال، وقد عُرف عنه الشجاعة والشهامة، وضبط النفس، وتحقيق الأمن في البلاد[1].

أ- القضاء على تمرد مخلد بن كيداد وابنه فضل :

كان أبو يزيد محاصر لمدينة السوسة، وقد اجهد أهلها الحصار فلما ولي إسماعيل المنصور بالله كان أول عمله بعث الأساطيل من المهدية إلى سوسة مشحونة بالإمدادات العسكرية والأمتعة والميرة الى فقراء المدينة لفك الحصار عنهم[2]، بقيادة رشيق[3] الكاتب فوصلت إلى سوسة سنة[4] (334هـ/945م) ، وقد أوصاه أن لا يقاتل حتى يأمره بذلك، وقاد الخليفة المنصور بالله بنفسه حملة برية مع مجموعة من أصحابه الذين لا يتجاوز عددهم ستمائة فارس، ولما وصلت الحملة إلى لمطة[5] وهي تقع في منتصف الطريق بين سوسة[6] والمهدية ، وانضم إلى حملة رشيق

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص162؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص40

(2) الداعي ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص343.

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص458.

(5) لمطة : هي من بلاد السوس الأقصى بالمغرب ، بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل ، وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة وفيها جزولة ولمطة. ومدينة لمطة إحدى مدن الإسلام، وهي مدينة كبيرة في أول= =الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، وعليه قبائل لمطة ولمتونة، سميت لمطة لأن قبيل لمطة يسكنونها ، وماؤها جار ، وهي آخر بلاد السوس. ينظر:الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص584.

(6) ابن خلدون، العبر، ج7، ص22؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص82.

وصـــاروا عســـكراً واحـــداً أمـــام أبـــي يزيـــد واقتتلـــوا واشـــتدت الحـــرب بيـــنهم ، وانهـــزم بعـــض أصـــحاب الخليفـــة المنصـــور بـــالله حتـــى دخلـــوا المدينـــة، فـــألقى رشـــيق النـــار فـــي الحطـــب الـــذي جمعـــه أبـــو يزيـــد، وفـــي الدبابـــة[1] فـــأظلم الجـــو بالـــدخان واشـــتعلت النـــار فخـــاف أبـــو يزيـــد وظـــن أن أصـــحابه فـــي تلـــك الناحيـــة قـــد هلكـــوا فـــانهزم وأصـــحابه ودخلـــوا مدينـــة القيـــروان وقتـــل عســـاكر الخليفـــة المنصـــور مـــن تخلـــف مـــنهم مـــن البربـــر وأحرقـــوا خيامـــه[2]، وعنـــدما وصـــل أبـــو يزيـــد إلـــى القيـــروان رفضـــوا أهـــل المدينـــة اســـتقباله وأغلقـــوا أبـــواب مـــدينتهم فاضـــطر الـــى المبيـــت خـــارج المدينـــة، والواقـــع إن ســـكان القيـــروان الـــذين أرهقـــتهم مســـاوئ إتبـــاع أبـــو يزيـــد لـــم يعـــودوا يخشـــون التعبيـــر عـــن غضـــبهم، فتظـــاهروا أمـــام دار أبـــي عمـــار الأعمـــى وهتفـــوا باســـم الخليفـــة المنصـــور، بـــل أنهـــم هـــددوا أبـــو عمـــار وأصحابه بعد أن علموا بهزيمة أبي يزيد[3].

اســـتعمل أبـــو يزيـــد الحيلـــة فـــي إخـــراج رفيقـــه أبـــو عمـــار مـــن القيـــروان واخـــذ أبـــو يزيـــد امرأتـــه وتبعـــه أصـــحابه بعيـــالاتهم وتركـــوا القيـــروان إلـــى ناحيـــة ســـبيبة[4] ســـبيبة[4] فنزلـــوا بهـــا[5]، ولمـــا وصـــل خبـــر هزيمـــة أبـــو يزيـــد الـــى الخليفـــة المنصـــور بـــالله الفـــاطمي ، قـــرر الخـــروج بنفســـه لمطـــاردة عـــدوه، فســـلم جـــوذر

---

(1) الدبابة: هي آلة مصنوعة من جلود وخشب يدخل فيها الرجال تغلف بالجلود المنقعة في الخل لدفع النار تركب على عجل مستديرة وتحرك فتنجر وتتخذ في الحروب يدخل فيها الرجال بسلاحهم ، ثم تدفع في أصل حصن فينقبون وهم في جوفها. ينظر: الفراهيدي، العين، ج8، ص13؛ابن سيدة، السفر السادس، ص74؛ابن الاثير،النهاية في غريب الحديث والاثر،ج2، ص96.

(2) أبن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج 8، ص434؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص90؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص54.

(3) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص278؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص356؛

(4) مدينة سبيبة: وهي مدينة قديمة كثيرة المياه وعليها سور من حجارة حصين ولها ربض فيه الأسواق والخانات والخانات وشربهم من عين جارية كبيرة عليها وبساتينهم وغلاتهم من الكمون والكروياء والبقول. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص86.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8/ 435؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص83.

الحاجب[1] مفاتيح الخزانة وفوض إليه جميع السلطات وجعله على رأس قصر الخلافة وسائر أنحاء المملكة[2]، وخرج من مدينة المهدية سنة (334هـ/945م) إلى مدينة سوسة وعندما وصلها أعطى أهلها الأمان، ووصل الى الخليفة جماعة من أهل القيروان فاخبروه بهزيمة أبي يزيد وطرده من القيروان، ملتمسين منه العفو عن أهل المدينة وأشاروا على الخليفة بالمسير معهم إلى القيروان[3]، وقام الخليفة المنصور بالله بأرسال وفد الى القيروان ليعلم أهلها أنه قد صفح عنهم وأمنهم، ثم توجه بنفسه إلى المدينة سنة (334هـ/945م) فخرج إليه أعيانها فقربهم وأنسهم وآمنهم في أموالهم وأنفسهم[4] ، "ووجد في القيروان من حرم أبي يزيد وأولاده جماعة، فحملهم إلى المهدية، وأجرى عليهم الأرزاق"[5].

زحف أبو يزيد إلى القيروان فتصدى له الخليفة المنصور بالله وباشر بنفسه القتال فانهزم أصحاب المنصور بالله ودخلوا الخندق وبقى الخليفة في نحو عشرين الف فارساً وقصده أبو يزيد فلما رآه شهر سيفه وثبت مكانه وحمل بنفسه على أبي يزيد حتى كاد يقتله فولى أبو يزيد هارباً وقتل الخليفة المنصور من أدرك منهم وتلاحقت به العساكر فقتل من أصحاب أبي يزيد خلقاً كثيراً، وكان يوماً من الأيام المشهودة التي لم يكن فيما مضى من

---

(1) جوذر الكاتب: هو أبو علي منصور العزيزي الجوذري خادم عبيد اللّه المهدي اول خلفاء الفاطميين، وعلى الرغم من انه كان يتولى مناصب إدارية مهمة في الدولة الفاطمية الا ان المصادر التاريخية لم تذكره ،الا ما ورد في بعض منها وما كتبه عن نفسة في كتابة اذ انه تدرج في خدمة خلفاء الدولة الفاطمية حتى جعله الخليفة المنصور بالله نائب عنه في المهدية عند خروجه لمقاتلة ابي يزيد. ينظر: الجوذري، سيرة الأستاذ الجوذري،ص33؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج3، ص402؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج3، ص7.

(2) الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص44.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص82.

(4) ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، ص62؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص444؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص92؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص22.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص197.

الأيام مثله، وعاين الناس من شجاعة الخليفة المنصور ما لم يظنوه فزادت مهابته في قلوبهم[1].

وحاول المنصور بالله قتل مخلد، إلاّ أنه سارع في الاختفاء في الجبال الوعرة، إلاّ أنّ المنصور بالله صممّ على قتل مخلد، وإنهاء ثورته بشكل جذري، فأرسل في ملاحقته، وتمكن الجيش الفاطمي من محاصرته عند قلعة كتامة، ولما اشتدّ الأمر على مخلد، أرسل في طلب الأمان من المنصور بالله، فأمنهُ وأخرجهُ من مخبئه ومن ثم تم أخذه إلى الخليفة المنصور بالله [2].

وبعد أن سيق مخلد مكبلاً إلى الخليفة المنصور بالله، أراد التنكيل به على الرغم من كبر سنه، فتمّ وضعه في قفص حديدي والطواف فيه في انحاء البلاد، ومن ثمّ أمر المنصور بالله بقتلة وسلخه، وطُّيف فيه في أروقة القيروان والمهدية [3].

وفيما تقدم يمكن ان نستنتج الاثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي خلفها تمرد ابي يزيد الخارجي وابنه ، فقد أظهرت هذه المعارك من الناحية السياسية مدى قوة الجيوش الفاطمية وقدرته على التصدي للأخطار الداخلية والخارجية اذ نجد ان أبي يزيد قد اتصل بالدولة الاموية في الاندلس والتي وجدت في تمرده فرصة سانحة للقضاء على الدولة الفاطمية سيما وان العديد من القبائل المغربية كانت قد انظمت لهذا التمرد الا ان الخلفاء الفاطميين تمكنوا من كسب هذه القبائل مرة أخرى لصفها نتيجة للسياسة الخاطئة التي انتهجها المتمردين اتجاه المدن التي سيطروا عليها ، اما من الناحية الاجتماعية فقد خلف هذا التمرد اثار

(1) أبن الأثير، الكامل، ج8، ص436. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص83؛ القرشي، عيون الأخبار، ج5، ص239–240.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص45.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص202؛ السرجاني، راغب، الموسوعة الميسرة، ص88.

سلبية على المجتمع المغربي اذ قتل عدد كبير من الرجال والشيوخ والأطفال وسبيت اعداد كبيرة من النساء ، والذي ترك اثار سيئة على أهالي بلاد المغرب ، فضلا عن الجوانب الاقتصادية التي خلفتها المعارك من تدمير الأرضي الزراعية والحرق والسب وقطع طرق التجارة ، والأموال التي كلفت الدولة الفاطمية للأنفاق على تجهيز الجيوش .

ت-وفاة الخليفة المنصور 341هـ/ 951م:

نقل لنا ابن الاثير([1]) الكيفية التي توفي فيها الخليفة المصور بالله بقوله: "توفي المنصور بالله أبو الطاهر إسماعيل بن القائم أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي سلخ شوال وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما وكان عمره تسعا وثلاثين سنة وكان خطيبا بليغا يخترع الخطبة لوقته وأحواله مع أبي يزيد الخارجي وغيره تدل على شجاعة وعقل "

وكان سبب وفاته أنه خرج إلى سفاقس وتونس ثم إلى قابس وأرسل إلى أهل جزيرة جربة يدعوهم إلى طاعته فأجابوه إلى ذلك وأخذ منهم رجالا معه وعاد وكانت سفرته شهرا وعهد إلى ابنه معد بولاية العهد ، ثم خرج متنزها إلى مدينة جلولاء وهو موضع كثير الثمار، فأصابه في الطريق ريح شديد وبرد ومطر وكثر الثلج فمات جماعة من الذين معه واعتل المنصور علة شديدة[2] ،و لما وصل إلى المنصورية[3] أراد دخول الحمام فنهاه طبيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي[4] عن ذلك قلم يقبل منه ودخل الحمام ففنيت

---

(1) المصدر نفسة، ج8، ص498.

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج11،ص257.

(3) المنصورية: مدينة قرب القيروان من نواحي افريقية استحدثها المنصور بن القائم الخليفة الفاطمي، وعمر أسواقه،ا واستوطنها لذلك سميت المنصورية. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج3، ص391؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،ج25، ص41.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص499.

الحرارة الغريزية منه ولازمه السهر فاقبل إسحاق يعالج المرض والسهر باق بحاله [1] فاشتد ذلك على المنصور سال لبعض الخدم فيما اذا كان هناك طبيب غير إسحاق حتى يتخلص من هذا المرض من هذا الأمر، فتم له ذلك باحضار طبيب اخر فشكا إليه ما يجده من السهر فجمع له أشياء منومة وجعلت في قنينة على النار وكلفه شمها فلما أدمن شمّها فنام الخليفة ، فجاء إسحاق فطلب الدخول عليه فقيل هو نائم فقال :"ان كان له شيء ينام منه فقد مات فدخلوا عليه فوجدوه ميتا"[2]، فدفن في قصره وأرادوا قتل الطبيب الذي اعطى الدواء للمنصور بالله فقال إسحاق:" ما له ذنب إنما داواه بما ذكره الأطباء غير أنه جهل أصل المرض وما عرفتموه وذلك أنني كنت في معالجته أنظر في تقوية الحرارة الغريزة وبها يكون النوم فلما عولج بالأشياء المطفئة لها علمت أنه قد مات" [3] ، ويذكر القاضي النعمان المغربي سبب آخر لوفاة الخليفة المنصور هو أنه أصيب بإسهال من قرحة كانت في كبده[4]، ولما مات المنصور قام بالأمر بعده ولده معد وهو المعز لدين الله ودفن جسده في مدينة المنصورية. وأظهر المعز الصبر والتأسي لفقد والده[5].

(1) القلقشندي، صبح الأعشا في صناعة الانشا، ج5، ص124.

(2) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج4،ص46.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1، ص90؛ حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية، ص92.

(4) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص48.

(5) افتتاح الدعوة، ص279.

الفصل الثاني

المبحث الأول :اخبار الدولة الفاطمية في مصر (358-411هـ/975-1020م) عند ابن الاثير

1- فتح مصر على يد جوهر الصقلي

كان امل الفاطميون هو التوسع باتجاه الشرق ومجابهة الخلافة العباسية تمهيدا لإسقاطها، او التوسع على حساب ممتلكاتها في الشرق، ومن اجل تحقيق ذلك اخذ المعز لدين الله الفاطمي يعد العدة لفتح مصر قبيل وفاة كافور الاخشيدي(357هـ/968م)[1]، وهيأ لهذا بقيامه بمد الطرق

(1) كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك: الأمير المشهور، صاحب المتنبي. كان عبدا حبشيا اشتراه الإخشيد ملك مصر (سنة 312هـ/924م) فنسب إليه، وأعتقه فترقى عنده. وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر (سنة 355هـ/966م) وكان فطنا ذكيا حسن السياسة، اخباره كثيرة، وإن مدة إمارته على مصر اثنتان

وحفر الآبار في طريق مصر منذ سنة (356 هـ /966 م)، وأقام المنازل على رأس كل مسافة التي يقطعها السائر اثناء السفر[1] ،فلما اكتملت استعدادات الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، حشد كل ما استطاع من جند وذخيرة مال وعهد بتلك الحملة الزاخرة إلى جوهر الصقلي[2].

وقد ذكر ابن الاثير[3] الاستعدادات التي قام بها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي بقوله: " سير المعز لدين الله أبو تميم معد بن إسماعيل المنصور بالله القائد أبا الحسن جوهرا غلام والده المنصور وهو رومي في جيش كثيف إلى الديار المصرية فاستولى عليها، وكان سبب ذلك أنه لما مات كافور الإخشيدي صاحب مصر اختلفت القلوب فيها ووقع بها غلاء شديد ...سير جوهرا إليها فلما اتصل خبر مسيره إلى العساكر الإخشيدية بمصر هربوا عنها جميعهم قبل وصوله، ثم إنه قدمها سابع عشر شعبان وأقيمت الدعوة للمعز بمصر في الجامع العتيق في شوال وكان الخطيب أبا محمد عبد الله بن الحسين الشمشاطي ، وفي جمادى الأولى من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة سار جوهر إلى جامع ابن طولون وأمر المؤذن فأذن بحي على خير العمل وهو أول ما أذن بمصر ثم أذن بعده في الجامع العتيق وجهر في الصلاة (ببسم الله الرحمن الرحيم)"

وذكر ابن الاثير (4) سببا اخرا لدخول الفاطميين الى مصر، وهو ان الروم كانوا قد استولوا على الشام وهذا يدل على ضعف بني العباس وانهم لا حكم لهم معهم، لذا قرر الخليفة المعز لدين الله الدخول الى مصر والسيطرة عليها.

وعشرون عاما، قام في أكثرها بتدبير الامارة في ولاية أبي القاسم ثم أبي الحسين ابني الإخشيد. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج7، ص50؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص296.

(1) ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، ص 64؛ حسن ، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين لله الفاطمي، ص19.

(2) القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية ولد بجزيرة صقلية رومي الأصل صقلي النشأة ، ولد 300هـ/913م تقريبا وقد شب بين موالي المعز، وقربه لما اكتشفه فيه من المواهب الفذة والثقافة الواسعة لعب جوهر دورا هاما في توطيد أركان الدولة الفاطمية في كل من المغرب ومصر. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 193؛ بن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 4، ص 29؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص148.

(3) الكامل في التاريخ، ج8، ص548.

(4) الكامل في التاريخ، ج7، ص67.

وفي ضوء ما تقدم فان الوضع الداخلي في مصر كان حرج جدا"، فقد عانت الدولة الاخشيدية من اضطرابات داخلية نتيجة الصراع على السلطة بين امراء الجيش الاخشيدي، فضلا عن الثورات المتلاحقة التي ارهقت الدولة والضغط المستمر من قبل القرامطة في بلاد الشام والبحرين، بقيادة الحسن الاعصم ، هذه الظروف كانت تنذر بتغيير الحكم لصالح الفاطميين في مصر ، وكان من ابرز المناصرين للدولة الفاطمية الوزير جعفر بن الفضل (ت391هـ-1000م) والذي ولي الوزارة للدولة الفاطمية من (382هـ-383هـ/992-993م) وما قام من اجراءات تصب في مصلحة الفاطميين تمثلت بالقبض على عدد من كبار الموظفين واركان السلطة في الادارة الاخشيدية ومصادرة ممتلكاتهم[1].

وعلى هذا الأساس تقدم جوهر الصقلي بالقوات المعزية صوب مصر بعد ان ودعه المعز لدين الله الفاطمي بقوله:" والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، وليدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب، ولينزلن في خرابات ابن طولون[2]، وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا [3]" ،أراد الخليفة الفاطمي من هذا الكلام زرع الثقة بقائده وجنده، فضلا عن ضعف مصر وعدم قدرتها صد أي هجوم موجه من الخارج، وبعد أن استكملت الاستعدادات للحملة العسكرية خرج المعز لوداع جيشه وقد أمر أولاده ورجال دولته بالترجل بين يدي جوهر عند وداعه، وامر المعز صاحب مدينة برقة ان يترجل لقائده إذا عبر عليه ويقبل يديه فبذل مائة ألف دينار على أن يعفى من ذلك فأبى المعز إلا ذلك فترجل من مكانه وقبل يديه [4]، وعند الوداع قام الصقلي بتقبيل يد مولاه ثم أذن له بالمسير ولما عاد المعز إلى قصره بعث للقائد الفاطمي ما كان عليه

---

(1) كاشف، سيدة اسماعيل ، مصر في عصر الاخشيديين ، مطبعة جامعة فؤاد ، القاهرة ، 1950م، ص364.

(2) أحمد بن طولون التركي العباس أمير الشام والثغور ومصر ولاه الخليفة العباسي المعتز بالله مصر ثم استولى على دمشق والشام وأنطاكية والثغور في مدة انشغل الموفق ابن المتوكل بحرب الزنج، اذ أسس الدولة الطولونية في مصر سنة(254-292هـ/868-905م)، وكان أحمد بن طولون عادلا جوادا شجاعا متواضعا حسن السيرة توفي سنة(270هـ/884م). ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج1،ص173؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص265؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، ص1.

(3) عماد الدين القريشي، عيون الاخبار وفنون الاثار، ص139.

(4) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج3، ص349.

من لباس الخارجي ماعدا خاتمه[1]، توجه الصقلي بجيشه من القيروان سنة (358هـ/968م) ترافقه بعض القطع البحرية، فسيطر على الإسكندرية بدون مقاومة واصدر امر لجنوده بعدم التعرض لأهلها، واتبع جوهر سياسة حكيمة تمثلت باستمالة قلوب المصريين فمنع جنوده من اعمال السلب والنهب التي كان يرتكبها الجنود الفاتحين، ويرجع ذلك إلى سياسته في إغداقه ببعطايا والأرزاق والهبات لجنوده ما لم يترك في نفس جندي حاجة[2].

وقد اضطرب أهالي الفسطاط[3] فور سماعهم سيطرة القوات الفاطمية على الإسكندرية فعقد الوزير جعفر بن الفرات مجلساً مع اعيان وكبار رجالات الدولة ،فاجمعوا رأيهم على طلب الصلح وندبوا الوزير ابن الفرات للتفاوض معهم لطلب الصلح والأمان على أرواحهم وممتلكاتهم ، فأناب الوزير عنه رجل يدعى ابا جعفر مسلم الحسيني[4] ،وكان من ذوي المكانة ومن اشراف العلويين في مصر فقبل بهذه المهمة[5]، والتقى أعضاء الوفد مع جوهر وقبل ما عرضوه عليه، وعقد معهم الصلح ومنحهم الأمان في وثيقة كان مما جاء فيها أن يتعهد لهم بنشر العدل وبث الطمأنينة في نفوس الناس وحماية مصر ضد هجمات المغيرين عليها وترك الحرية للمصريين في إقامة شعائرهم الدينية والعمل على إصلاح المساجد وترميمها وتحسين السكة ومنع ما عسى ان يتطرق إليها من الغش والزيف وتجميل البلاد وما إلى ذلك من الإصلاح الذي يعنى به كل فاتح مصلح[6].

---

(1) ابن ايبك الدواداري، كنز الدرر، ج6، ص138؛ المقريزي، المقفى، ص33.

(2) الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص145.

(3) الفسطاط: وهي مدينة مصرها عمرو بن العاص سنة 20 هـ/641م وقد سميت الفسطاط لان عمرو لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاط، فإذ فيه يمام قد فرخ فقال عمرو لقد تحرم بمتحرم، فأمر به فأقر كما هو، وأوصى به صاحب قصر الشمع فلما قفل المسلمون من الإسكندرية قالوا أين ننزل، فقال بعضهم الفسطاط لفسطاط عمرو الذي كان خلفه، فنزلوا ووضعوا أيديهم في البناء، ولم يزل عمرو قائما حتى وضعوا قبلة المسجد. ينظر: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص311؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص37.

(4) أبو جعفر مسلم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين وكان أميرا شريفا جم الفضائل والمحاسن، قطن بمصر وروى كتاب الزهري في النسب، وكان قريبا من السلطان محتشما ويعرفه المصريون بمسلم العلوي. ينظر: ابن عنبة، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص335؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص3.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص31.

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص3.

قائلا:" هذا كتاب من جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه لجماعة أهل مصر الساكنين بها، من أهلها ومن غيرهم... وذكروا عنكم أنكم التمستم كتابا يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم، فعرفتم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وحسن نظره لكم"[1].

ووصل جوهر الصقلي بجيشه إلى الجيزة وأفلحت فرقة من جيشه بعبور النيل وهزيمة الجند الاخشيدي وقتل عدد كبير منهم، فاستقر رأي المصريين على مطالبة الوفد الذي أنابوه عنهم في مفاوضة جوهر من جديد في الصلح وطلب الأمان [2]، فمنحهم جوهر الأمان مرة أخرى وعاد الهدوء إلى الفسطاط ثانية[3]، فخرج الأشراف والأعيان لاستقبال القائد الفاطمي، ودخل جوهر عاصمة البلاد في شعبان سنة (358هـ/968م)، وخطب للخليفة المعز لدين الله على منابر الفسطاط ، وأرسل خبر الفتح إلى الخليفة المعز فسر سروراً عظيماً[4].

ومما تقدم تبين لنا ان الوضع الداخلي والخارجي لمصر كان مهيئا لاستقبال أي قوة عسكرية قادرة على تخليص البلاد من الانهيار الاقتصادي والسياسي، وعلى الرغم من أهمية الموضوع باعتبار ان مصر أصبحت بعد ذلك عاصمة للدولة الفاطمية وانتقلت اليها بعد مدة قصيرة، نلاحظ ان ابن الاثير لم يذكر بشكل مفصل الحوادث التي رافقت جوهر الصقلي اثناء عملية السيطرة على مصر سوى بعض الاسطر التي شرح فيها الوضع الداخلي لمصر.

2- تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر (358ه/969م)

عسكر جوهر بجيشه في الموضع الذي بنى فيه مدينة القاهرة ، والواقع في شمال شرق مدينة الفسطاط ، ويبعد عن النيل بحوالي ميل ، وكان يحد هذا السهل من ناحية الشرق جبل المقطم، وفي الغرب قناة الخليج أو خليج أمير المؤمنين الذي حفره عمرو بن العاص، يقول المقريزي[5]: "... وكانت حينذ رملة فيما بين مصر وعين شمس[1] يمر بها الناس عند مسيرهم

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص103.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص378؛ المقريزي، المقفى، ص339؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص32.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص109؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص32.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص378؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1 ، ص110؛ حسين، ، التشيع في في الشعر المصري في عصر الايوبيين والمماليك ، ص178.

(5) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج1، ص359؛ الشيال، تاريخ مصر الاسلامية، ج1، ص215.

مسيرهم من الفسطاط الى عين شمس ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة بناء سوى اماكن هي بستان الاخشيد أبا محمد الحسن بن عبدالله بن طغج [2] المعروف اليوم بالكافوري من القاهرة ودير للنصارى يعرف بدير العظام تزعم النصارى ان فيه بعض من ادرك المسيح (علية السلام) وكانت بهذه الرملة ايضا مكانا ثالث يعرف بقصير الشوك بصيغة التصغير تنزله بنو عذرة[3] في الجاهلية..." ،

وقد أشار ابن الاثير[4] الى ان جوهر الصقلي بدأ فور دخوله مصر ببناء مدينة القاهرة قائلا "ولما استقر جوهر بمصر شرع في بناء القاهرة" الا انه لم يعط تفصيلات أكثر عن كيفية بناء المدينة ، فبعد ما فرغ جوهر من بناء القصر وبنى جوهر سورا خارجيا من الطوب اللّبن على شكل مربع طول كل ضلع من أضلاعه 1200 ياردة، وتبلغ مساحة الأرض المحصورة داخل السور 340 فدان[5]، وإن سمكه كان كافيا لأن يمر فوقه فارسان جنبا إلى جنب[6] .

---

(1) عين شمس: مدينة فرعون مما يلي جبل المقطم من البلاد المصرية، وهي مدينة فيها صنمان من حجارة: أحدهما مما يلي المشرق والآخر مما يلي المغرب، طول كل صنم منهما ست أذرع ، فإذا نظر الناظر إليهما خيّل إليه أن الشرقي منهما يضحك والغربي يبكي، وبين عين شمس ومصر أربعة فراسخ، وفيها آثار كثيرة وبنيان عجيب من أساطين رخام وتماثيل ونقوش ، وفيها بركة عظيمة قد نقرت في حجر صلد. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص422.

(2) أبا محمد الحسن بن عبد الله بن طغج أميرٌ إخشيديٌ الأَصْلِ حَكَمَ فِلسطين فَتْرَةً وجيزةً وكانَ وَصِيّاً على ابن أخيه القَاصِر أحمد بن علي بن الإخشيد، تَوَلّى السّيطرةِ على ما تبقى من مناطق الإخْشِيديّين جنوبيّ سُوريا وفِلِسْطين إلى حينِ استولى عَلَيها الفَاطِميُّون سنة359هـ/970م. تُوفّى في القاهرة سنة371هـ/982م. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 16، ص186.

(3) بنو عذرة: بطن من قضاعة من القحطانية. وهم بنو عذرة بن سعد هذيم زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة. وقد سكنت عدة عشائر من قضاعة في الأخطاط التي بين المدينة وينبع إلى الشمال في متسع من أرض الحجاز. وبلاد عذرة وراء ذات القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص450؛ ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج1، ص101.

(4) الكامل في التاريخ، ج8، ص548؛ ينظر كذلك: ابن كثير، البداية والنهاية ،ج11،ص302؛الدميري، حياة الحيوان، ج1،ص135.

(5) الفدان هو وحده مساحة تستعمل في دولتي مصر والسودان وهو نظام غير متري وقد قدر الفدان بثلاثمائة وثلاثة وثلاثين قصبة مربعة وكسورًا من قصبة، وهو ما يعادل 7466 ذراعًا معماريًا مربعًا وكسورًا من الذراع، أو 4200 مترًا مربعًا وكسورًا من المتر. ينظر: بليغ، الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية، ص 15.

(6) ابن حوقل، صورة الأرض، ص123؛ المقريزي، الخطط، ج 2، ص235.

اما تسمية المدينة فهناك قصص تناقلتها بعض المصادر على أن اصل تسمية القاهرة هو أن جوهر الصقلي لما أراد انشاء القاهرة جمع المنجمين وأمرهم باختيار طالع لوضع أساس المدينة، وهناك عدة قصص دارت حول بناء مدينة القاهرة منها:" تأتي الدولة الفاطمية لتقضي على الدولة الإخشيدية بقيادة المعز لدين الله الفاطمي، وقائده جوهر الصقلي الذي اختار الأخير القاهرة لتكون حاضرة بمصر، وفي ذلك أن جوهرا لما قصد إقامة السور وبناء القاهرة جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الأساس وطالعا لرمي حجارته فجعلوا بدائر السور قوائم من خشب وبين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس وأفهموا البنائين ساعة تحريك الأجراس أن يرموا ما في أيديهم من اللبن والحجارة ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع فاتفق وقوف غراب على خشبة من تلك الخشب فتحركت الأجراس وظن الموكلون بالبناء أن المنجمين حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة في الأساس فصاح المنجمون لا لا القاهر في الطالع ومضى ذلك وفاتهم ما قصدوه هوكان غرض جوهر أن يختاروا للبناء طالعا لا يخرج البلد عن نسلهم أبدا فوقع أن المريخ كان في الطالع وهو يسمى عند المنجمين القاهر فحكموا لذلك أن القاهرة لا تزال تحت حكم الأتراك وأنهم لا بد أن يملكوا هذه البلد فلما قدم المعز إليها وأخبر بهذه القصة وكان له خبرة بالنجامة وافقهم على ذلك وأن الترك تكون لهم الغلبة على هذا البلد فغير اسمها وسماها القاهره وقيل فيها وجه آخر وهو أن بقصور القاهرة قبة تسمى القاهرة فسميت على اسمها والقول الأول هو المتواتر بين الناس والأقوى"[1]

3- إجراءات جوهر الصقلي بعد فتح مصر.

لعل من اهم الإجراءات التي قام بها جوهر الكاتب هي اختطاط القصر وحفر أساسه في أول ليلة نزوله القاهرة وأدخل فيه دير العظام وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلق قبالة حوض جامع الأقمر قريب من بئر العظام، يسميه المصريون بئر العظمة ويزعمون أن طاسة وقعت من شخص في بئر زمزم وعليها اسمه فطلعت من هذه البئر، ونقل جوهر القائد العظام التي كانت في الدير المذكور والرمم إلى دير في الخندق فدفنها، لأنه يقال إنها عظام جماعة من الحواريين وبنى مكانها مسجدا من داخل السور، وأدخل أيضا قصر الشوك في القصر

(1) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج14، ص198؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص41.

المذكور وكان منزلا تنزله بنو عذرة وجعل للقصر أبوابا أحدها باب العيد وإليه تنسب رحبة باب العيد وإلى جانبه باب يعرف بباب الزمرد وباب آخر قبالة دار الحديث يعني المدرسة الكاملية .[1]

وقال ابن الأثير[2]عن جوهر الصقلي " فاتح مصر وباني القاهرة وكان يظهر الإحسان إلى الناس ويجلس بنفسه في كل يوم سبت للمظالم بحضرة الوزير والقاضي وجماعة من أكابر الفقهاء. ولم يبق بمصر شاعر إلا رثاه وذكر مآثره حين موته".

وضع جوهر الكاتب في مصر سياسة تمثلت بأن يحل المغاربة، وهم الذين قامت على أكتافهم الدولة الفاطمية بدل المصريين في مناصب الدولة المهمة ومن المعروف أن جوهر قد منح تفويض من الخليفة الفاطمي أمر مصر وادارتها، و من اجل توطيد الأمن والاستقرار فيها، وقد كان في تلك السياسة الكثير من الحكمة وبعد النظر، حيث فسح المجال أمام المغاربة للتعلم والتدريب على أساليب العمل وتحمل المسؤوليات، والتعرف على النظم الإدارية التي كانت تسير مصر بموجبها في العهد الاخشيدي، وقد نفذ هذه السياسة بشكل تدريجي حتى لا يثير كبار المتنفذين المصريين الذين كانوا يرغبون بإدارة المناصب العليا في بلادهم، بالتالي تتعطل الأعمال الإدارية، وتصاب المصالح العامة بالشلل، الذي ينجم عنه اضطراب الأمن والاستقرار الداخلي ، وانهيار النظام، وبذلك نجح جوهر في سياسته، ونفذ سياسته الداخلية بصمت و بهدوء ففي عام ٣٦٢ هـ/973م تغيرت إدارة الدولة، اذ كان مقر الشرطة السابق في الفسطاط ، وعندما سيطر جوهر على مصر نقل مقر الشرطة الى القاهرة وقد اشارت المصادر الى إن صاحب الشرطة توفي في اليوم الذي وصل فيه جوهر إلى مصر، فأسندت هذه الوظيفة إلى أحد المصريين و بقيت دار الشرطة في الفسطاط ، واسند الخطابة إلى جعفر بن الحسن الحسيني[3] في جامع عمرو، كما أسندت إلى أخيه المهمة هذه في الجامع الأزهر ، وعين على بيت المال الحسين بن المهذب المغربي[4]،وهؤلاء جميعا من المغاربة الفاطميين، وعندما وقعت الأزمات الاقتصادية والقحط، وانتشار المجاعة في مصر سنة (359هـ/970م) أنشأ مخزنا عاما لبيع

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص36.

(2) الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٥٥.

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(4) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

القمح، وعهد برقابتها إلى المحتسب[1]، فمنع احتكار الحبوب، والتلاعب بأسعارها، و قد جعل على جباية الخراج[2]علي بن يحيى بن العرمرم[3]، فأقره جوهر في منصبه، ولكن لم يكد يمضي شهر على ذلك حتى أشرك معه رجاء بن صولا (وقيل رجاء بن صولات اوصولان) [4] وهو مغربي ايضا، و أخيرا جعل موظفي الخراج تحت إشراف يعقوب بن كلس [5] ، وعسلوج بن الحسن (المغربي) [6] وتم عزل ابن العرمرم، وابن صولاب عن الخراج ، وقسّما جباية الخراج إلى قسمين وضعا نظاما دقيقا لجبايتها على اختلاف أنواعها، وقد اهتمّت الدولة بتحصيل كل ما كان متأخرا منها، كما عنيت بدراسة الشكايات التي كانت تقديم إليها فيما يختص بجباية الضرائب، وسلكت في تنفيذ النظام الجديد سبيل الحزم و العدل، فحمت دافعي الضرائب من شطط عمال الجباية بهم، فكان من أثر هذه السياسة الاقتصادية الحكيمة ان زادت موارد البلاد، وعمّ الرفاه، والازدهار[7].

---

(1) المحتسب: نظام إسلامي شانه الاشراف على المرافق العامة، وتنظيم عقاب المذنبين تقوم وظيفة الحسبة على فكرة الامر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله، رغم انه في الأصل في النظام الإسلامي قيام الناس جميعا بهذا الواجب. ينظر: القرشي، معالم القربة في احكام الحسبة، ص23؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج6،ص291.

(2) الخراج: وهي ظريبة تفرض على الأرض كراء الارض ، وفي معناه المقاسمة غير أن المقاسمة تكون جزء من حاصل الزرع، والخراج مقدار من النقد يضرب عليها. ينظر: ابي يوسف، الخراج، ص23؛ الحنبلي، الاستخراج لاحكام الخراج، ص11؛ الكركي ، الخرجيات، ص70؛ القطيفي، السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج ،ص1.

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(4) القضاعي، عيون المعارف وفنون اخبار الخلاف، ص405.

(5) يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن كلس ابو الفرج الوزير اليهودي الأصل اول وزراء الدولة الفاطمية ولد ونشأ في بغداد وتعلم الكتابة والحساب ثم سافر إلى بلاد الشام، ومنها رحل إلى مصر سنة 330هـ/942م. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج28، ص 86؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج7، ص27.

(6) أبو علي الحسن بن عسلوج يهودي الأصل مشرف على الأموال أيام جوهر الصقلي واستمر أيام الخليفة المعز لدين الله واستمر أيضًا مع الخليفة العزيز بالله، لكنه قتل بالحرق بأمر من الحاكم بأمر الله الفاطمي، سنة 393هـ/ 1002م. ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص 45.

(7) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، ص70؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص144؛ حسن، الفاطميون في مصر، ص225؛ تامر، عارف، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، دمشق ،1980، ج4، ص42-48.

ومما تقدم فقد كان جوهر أحسن مثل للحاكم العادل يجلس بنفسه في كل يوم سبت للمظالم بحضرة الوزير والقاضي وجماعة من أكابر الفقهاء وكان يعاقب المسيء ، وينصف المظلوم، ويقضي بين الناس بالعدل، ويرد الحقوق إلى أصحابها، ويضرب على أيدي المعتدين، والعابثين بالأمن والنظام، ولو كان من خاصته وخلصائه ، كما أمر جوهر بالزيادة التعقيب بعد خطبة الجمعة بقول" اللهم صلى على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اللهم صل على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين" وصلى جوهر الصقلي في جامع ابن طولون بعسكر كثير كما امر الخطباء بخلع لبس السواد شعار العباسيين وارتداء الملابس ذات اللون الاخضر شعار العلويين ولبس الملابس البيضاء في الصلاة[1]، وأذن بحي على خير العمل وهو أول من أذن به بمصر ثم أذن به في سائر المساجد وقنت الخطيب في صلاة الجمعة وفي جمادي الأولى من السنة أذنوا في جامع مصر العتيق بحي على خير العمل[2]

4- جهوده في استكمال فتح بلاد الشام.

بعد تمكن جوهر الصقلي من إحكام سيطرتهم على مصر بشكل كامل ورتب أوضاعها الداخلية، وأصبحت القاهرة احدى المراكز المهمة لنشر للدعوة الفاطمية، وفي نفس الوقت كان الفاطميين يشعرون بمدى خطورة بلاد الشام حيث تواجد القرامطة والبيزنطيين[3] ، لذلك توجهت انظارهم باتجاه بلاد الشام فوجهو قواتهم العسكرية للسيطرة عليها وتوسيع نفوذهم على حساب الموالين للدولة العباسية، فقد جهز جوهر الصقلي سنة358هـ/968م أحد القادة البارزين من اجل تنفيذ هذه المهمة بنجاح [4]وهو قائده جعفر بن فلاح[5].

---

(1) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص641 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج3 ، ص100 ؛ شلبي ، ، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ج5 ، ص109.

(2) ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص23؛ ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص50؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص31؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص379؛ الدواداري، كنز الدرر، ج6.

(3) سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، ص16-17؛ المعاضيدي، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي، ص22.

(4) الصفدي، امراء دمشق في الاسلام، ص138.

(5) أبو الفضل جعفر بن فلاح الكتامي أحد قادة المعز العبيدي (صاحب إفريقية) كان شجاعا مظفرا، سيره المعز مع القائد جوهر لافتتاح الديار المصرية، فدخلاها وبعثه جوهر إلى الشام، فامتلك الرملة سنة

وقد نقل ابن الاثير[1] تفاصيل التحرك العسكري لجوهر الصقلي باتجاه بلاد الشام قائلا: "لمّا استقر جوهر بمصر وثبت قدمه سير جعفر بن فلاح الكتامي إلى الشام في جمع كبير فبلغ الرملة[2] وبها أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طغج فقاتله في ذي الحجة من السنة وجرت بينهما حروب كان الظفر فيها لجعفر بن فلاح وأسر ابن طغج وغيره من القواد فسيرهم إلى جوهر وسيرهم جوهر إلى المعز بأفريقية ودخل ابن فلاح البلد عنوة ". وبذلك تمكن الفاطميون من تحقيق نجاح عسكري مهم في بلاد الشام و قضوا على قوة كانت موالية للاخشيديين[3].

وعندما وصلت اخبار سيطرة الجيش الفاطمي على بلاد الشام الى القرامطة ووقوع ابن طغج أسيراً بايديهم ادرك القرامطة خطورة الموقف، خاصة من الناحية المالية لان الأخشيديين كانوا يبعثون لهم أموال سبق الاتفاق بينهما سنة 357هـ/967م مقدارها ثلاثمائة ألف دينار سنوياً ، فضلاً عن ان الأخشيديين عليها كانوا على وفاق مع القرامطة، وبذلك فقد خسروا قوة يمكن الاعتماد عليها[4].

وتعرضت مدينة الرملة على أثر دخول الجيش الفاطمي لأعمال نهب وسلب من قبل الجند الفاطمي فأمر القائد جعفر جنده بالكف عن هذه الأعمال بعد أن قدم أبي بكر النابلسي[5]

358هـ/969م، ثم امتلك دمشق سنة 359هـ/970م، قتله الحسن بن احمد القرمطي المعروف بالاعصم، وقد خلد الشعراء وجود جعفر بن فلاح في بلاد الشام. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان ونباء الزمان ، ج1،ص361؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص304 أبو الفداء، المختصر،ج1،ص448؛ الصفدي ، امراء دمشق في الاسلام ، ص138.

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج8،ص 581.

(2) الرملة: مدينة في فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر يوما، وتقع بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال شرقي القدس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص421.

(3) حسن، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني، ص214.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص42؛ سرور، النفوذ الفاطمي في مصر والشام خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ص119–120.

(5) محمد بن أحمد بن سهل بن نصر أبو بكر الرملي الشهيد المعروف بابن النابلسي قال أبو ذر الهروي سجنه بنو عبيد وصلبوه ،وكان يرى قتال المغاربة بني عبيد وكان قد هرب من الرملة إلى دمشق فقبض عليه متوليها أبو محمد الكتاني وجهزه في قفص خشب إلى مصر فلما وصل قالوا له أنت الذي قلت لو أن معي عشرة اسهم لرميت تسعة في المغاربة وواحدا في الروم فاعترف بذلك فأمر أبو تميم فسلخ وحشى جلده تبنا وصلب سنة

التماساً له وطلب منه وقف أعمال السلب والنهب فاستجاب الى طلبه[1]،وهنا تتضح سياسة الفاطميين الاستيعابية للمناطق المفتوحة، اذ ان النابلسي المعروف صاحب التأثير الكبير على المجتمع الشامي، استجاب لطلبه القائد الفاطمي تقديرا له ، واعطاءه مكانة او أشعاره بمكانته عند الفاطميين ، وهذه السياسية يمكن وصفها بانها سياسة احتواء لردات الفعل المحتملة من قبل أهالي بلاد الشام، واشعارهم بان العلماء لهم احترام وكلمة مسموعة عند الفاطميين وان اختلفوا معهم في العقيدة والمذهب، وبعدها تحرك جعفر الى طبرية[2] بعد أن استخلف ولده على مدينة الرملة والتي كان يليها ابن ملهم[3] منذ عهد كافور الاخشيدي، فلما وصلها خشيا منه ابن ملهم وغلامه فاتك[4] ولم يتمكنا من مقاومته، مما يسر دخول جعفر للمدينة بدون مقاومة تذكر وأقام فيها الخطبة للخليفة المعز الفاطمي[5]، وسار إلى طبرية، فرأى ابن ملهم قد أقام الدعوة للمعز لدين الله ، فسار عنها إلى دمشق فقاتله أهلها فظفر بهم وملك البلد ونهب بعضها وكف عن الباقي وأقام الخطبة للمعز سنة 359هـ/968م وقطعت الخطبة للعباسيين ، وكان بدمشق

363هـ/973م .ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج7 ،ص54؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج2،ص34؛ اليافعي، مرآة الجنان و عبرة اليقظان، ج2،ص285.

(1) المعاضيدي ، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ، ص23 .

(2)طبرية: وهي بلدة مطلة على بحيرة طبرية وهي في طرف جبل وجبل الطور مطلّ عليها، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت القدس، وبينها وبين عكّا يومان، وهي مستطيلة على البحيرة عرضها قليل حتى تنتهي إلى جبل صغير بنى هذه المدينة طيباريوس أحد= =ملوك الروم فسميت باسمة فعربتها العرب حين افتتحت البلاد فقالت طبرية .ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج4، ص17؛الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص385.

(3) حامد بن ملهم أبو الجيش القائد أحد المتعاونين مع جعفر بن فلاح عند توجهه إلى بلاد الشام ولم يناصر الحسن بن طغج الاخشيدي، ولي إمرة دمشق سنة 399هـ/1009م بعد علي بن جعفر بن فلاح فوليها حامد سنة وأربعة أشهر ونصف ثم عزل عنها. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج12، ص11؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص221.

(4) ابو شجاع فاتك الكبير المعروف بالمجنون كان روميا أخذ صغيرا هو وأخ له وأخت لهما من بلد الروم من موضع قرب حصن يعرف بذي الكلاع فتعلم الخط بفلسطين وهو ممن أخذه الإخشيد من سيده بالرملة كرها بلا ثمن فأعتقه صاحبه وكان كريم النفس بعيد الهمة شجاعا كثير الإقدام، ولذلك قيل له المجنون كان صاحب كافور الاخشيدي الا انه تخلى عن نصرة ابن طغج الاخشيدي، وفي آخر المطاف أوقع به جعفر عندما حاصره جند المغاربة وقتلوه، ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج4،ص21؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص56

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص32.

الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الهاشمي[1] وكان جليل القدر نافذ الحكم في أهلها فجمع أحداثها، ومن يريد الفتنة فثار بهم ضد الدولة الفاطمية وأبطل الخطبة للمعز لدين الله، وأعاد خطبة المطيع لله، ولبس السواد وعاد إلى داره فقاتله جعفر بن فلاح ومن معه قتالا شديدا وصبر أهل دمشق ثم افترقوا آخر النهار فلما كان الغد تزاحف الفريقان واقتتلوا ونشبت الحرب بينهما وكثر القتلى من الجانبين ودام القتال فعاد عسكر دمشق منهزمين والشريف ابن أبي يعلى مقيم على باب البلد يحرض الناس على القتال ويأمرهم بالصبر[2]، وواصل المغاربة الحملات على الدماشقة حتى ألجأوهم إلى باب البلد ووصل المغاربة إلى قصر حجاج[3] **وقال ابن الاثير**[4] "**ونهبوا ما وجدوا فلما رأى ابن أبي يعلى الهاشمي والأحداث مل لقي الناس من المغاربة خرجوا من البلد ليلا فأصبح الناس حيارى ، فدخل الشريف الجعفري وكان خرج من البلد إلى جعفر بن فلاح في الصلح فأعاده وأمره بتسكين الناس وتطييب قلوبهم ووعدهم بالجميل ففعل ما أمره وتقدم إلى الجند والعامة بلزوم منازلهم وأن لا يخرجوا منها إلى أن يدخل جعفر بن فلاح البلد ويطوف فيه ويعود إلى عسكره ففعلوا ذلك ... ودخل صاحب الشرطة جعفر بن فلاح البلد يوم الجمعة فصلى مع الناس وسكنهم وطيب قلوبهم وقبض على جماعة من الأحداث في المحرم سنة 360هـ/971م، وقبض على الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى الهاشمي المذكور وسيره إلى مصر واستقر أمر دمشق، كان ينبغي أن يؤخر ملك ابن فلاح إلى آخر السنة وإنما قدمته ليتصل خبر المغاربة بعض ببعض**"

من خلال ما تقدم يمكن ان نبين بان هناك فرق كبير بين القائد جوهر الصقلي الذي اتبع أسلوب الحنكة في التعامل مع اهل مصر وبين أسلوب القائد جعفر بن فلاح والذي أدى بالتالي إلى إخفاق السياسة الفاطمية في بلاد الشام فعلى الرغم من النصر الذي تحقق على يد جعفر بن فلاح في بلاد الشام فإن لسياسة العنف والشدة التي اتبعها في دمشق ، وسوء سيرة جنده فيها واستباحة الدماء أثارت أهالي بلاد الشام عليه ، فثار أهل دمشق الكثير من الثورات

---

(1) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(2) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج16، ص139؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص27.

(3) قصر حجاج: محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق، منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص357؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، 243.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 582.

للحيلولة دون استقرار سياسة الفاطميين في الشام فقد عانى جعفر من قلة الأموال التي كانت من الممكن ان تساعده في كسب ولاء جنده وتكبح عبثهم في الشام ، كما انه لم يتمكن من المحافظة على الهدوء الذي كان من المفترض أشاعته في الشام فاتبع أسلوب الغدر مع فاتك فعلى الرغم من انه قد اعلان الولاء وطاعته للفاطميين فقد قام جعفر بقتله دون سبب[1] ، فضلا عن طريقة تعامله مع وفود دمشق التي تفاوضت معه فعلى الرغم من الاتفاق الذي حصل بين جعفر والوفد تم الاعتداء على الوفد عند ما كانوا عائدين من عنده، حيث اعترضهم بعض الجنود من المغاربة، و سلبوهم ثيابهم، و جرحوا عدد كبير منهم، ممّا أثار ذلك غضب أهالي دمشق بشكل عام ، فعادوا من جديد يشقون عصا الطاعة، و يذكون نار الفتنة، على أن هذه الفتنة لم تلبث أن خمدت أمام قوة جعفر فقد بادر إلى إطفائها بالقوة، و اعتقال مسبيها، و هنا أيضا لم يجد الأهلون بدا من أن يخطبوا وده، و يطيعونه من جديد، فذهب وفد منهم لمقابلته و طلب الأمان إنه لم يقبل منهم، بل طلب إليهم أن يخرجوا إليه، و معهم نساؤهم مكشوفات الشعور فيتمرغن في التراب بين يديه، فرضوا بذلك صاغرين على أن جعفر لم يلبث أن هدأت ثائرته، و عاد إلى هدوئه، و تبسط معهم في الحديث[2].

(1) حسن ، المعز لدين الله، ص95-96.

(2) ثامر، الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين، ج4، ص94.

المبحث الثاني :اخبار الدولة الفاطمية في مصر بعد دخول المعز لدين الله(341-365هـ/952-975م) .

1- انتقال المعز لدين الله الى مصر(362هـ/972م)

رأى جوهر أن الوقت أصبح مناسبا لقدوم المعز الى مصر وتسليمه زمام الحكم فقد كتب جوهر بذلك للمعز، ثم بعث إليه رسولا ينقل إليه اخبار سيطرته التامة على مصر والشام والحجاز، وان الخطبة قد أقيمت له في كافة أنحاء هذه البلاد ولما تقررت قواعد ملكه في مصر انتقل المعز إليها [1].

كان انتقال الفاطميين إلى مصر عبارة عن نقل مقر الخلافة من المغرب الى مصر اكثر من كونه توسعا بغرض كسب ارض جديدة للخلافة الفاطمية فعندما ارسل جوهر كتابا يدعوه فيه المعز للحضور واستلام القاهرة قطع الفاطميون صلاتهم بأفريقية ، والدليل على ذلك فقد نقل المعز كل ذخائره وأمواله وحتى رفات آبائه وهو في طريقه الى مصر[2] ،وقبل مغادرة افريقية اراد استخلاف علي بن جعفر لينوب عنه في إدارة المغرب فقال له علي : " تترك معي أحد أولادك أو إخوتك جالسا في القصر و أنا أدبر ، و لا تسألني عن شئ من الأموال ، لأن ما أجبيه يكون بإزاء ما أنفقه . وإذا أردت أمرا فعلته ولم أنتظر ورود الأمر فيه لبعد ما بين مصر والمغرب. و يكون تقليد القضاء و الخراج و غيره من قبل نفسي"[3]، فأبى المعز و استخلف على افريقية اسرة محلية هي أسرة بني زيري كان على رأسها يوسف بن بلكين الصنهاجي[4] ،وبعد أن ضمن الخليفة المعز ولاء بلكين بن زيري فوض أليه أمور البلاد وأمر الناس بالسمع له

---

(1) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص194.

(2) المقريزي: المقفى الكبير ، ج2 ، ص 179؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الادب، ج 28 ، ص89.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص99.

(4) أبو الفتوح يوسف بن زيرى بن مناد بن منقوش، رئيس بربر صنهاجة، والى الفاطميين على القيروان منذ سنة 361 هـ/972م، والذي أعلن استقلاله عن الفاطميين، وأسس دولة بنى زيرى توفى سنة 373 هـ/ 984م. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص286؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 56؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج24، ص156.

والطاعة[1]، قالا" له: "إن نسيت ما وصيناك به فلا تنس ثلاث أشياء إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تول احد من أخوتك وبني عمك، فأنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيراً"[2].واستخلف على حكم صقلية[3]للحسن بن علي بن ابي الحسن الكتامي، إما طرابلس فقد عهد بها إلى عبد الله بن يخلف الكتامي[4]، وبذلك ضمن أمن الشمال الإفريقي ووضع حاجز بينه وبين أمويين الأندلس، ووضع يده على الطرق التي تتحكم بمنافذ مصر،وقد **روى ابن الاثير**[5] **مسيرة المعز لدين الله الفاطمي من بلاد المغرب الى مصر بقوله: :"سار المعز لدين الله العلوي من أفريقية يريد الديار المصرية وكان أول مسيره أواخر شوال من سنة إحدى وستين وثلاثمائة وكان أول رحيله من المنصورية فأقام بسردانية وهي قرية من القيروان ولحقه بها رجاله وعماله وأهل بيته وجمع ما كان في قصره من أموال وأمتعة وغير ذلك حتى أن الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين وحمل كل طاحونتين على جمل وسار عنها واستعمل على بلاد أفريقية يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الحميري إلا أنه لم يجعل له حكما على جزيرة صقلية ولا على مدينة طرابلس الغرب ولا على أجدابية [6] وسرت[7] وجعل على صقلية حسن بن علي بن أبي الحسين وجعل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي وكان أسيرا عنده وجعل على جباية أموال أفريقية زيادة الله**

---

(1) ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص393 .

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1 ، ص101.

(3) جزيرة صقلية :جزيرة تحادي بلاد إفريقية وباجة وطبرقة إلى موسى الخزر، وغربيها في البحر جزيرة قرشف وجزيرة سردانية من جهة جنوب قرشف ، ومن جنوب صقلية جزيرة قوصرة ، وعلى ساحل البحر شرقيها من البر الأعظم الذي عليه قسطنطينية مدينة ريو ثم نواحي قلورية ، والغالب على صقلية الجبال والحصون . ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص587؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج3، 418 .

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 304؛ ابن سعيد، النجوم الزاهرة في حضرة القاهرة ، ص 57؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 4 ، ص 76 .

(5) الكامل في التاريخ، ج8، ص 620.

(6) اجدابية : وهي مدينة في حيز برقة وهي آخر ديار لواتة، وهي في صحصاح من حجر مستو، وكان لها سور لم يبق منه إلا قصران في الصحراء، وفيها يهود ومسلمون ويطيف بها خلق من البربر، وليس بها ماء جار إنما مياههم في المواجل والسواني التي يزرعون عليها الشعير وقليل الحنطة. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص12.

(7) سرت: وهي وهي مدينة بالاندلس متصلة الاعمال بأعمال شنت برية، وهي شرقي قرطبة منحرفة نحو الجوف، بينها وبين طليطلة عشرون فرسخا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص207.

بن القديم وعلى الخراج عبد الجبار الخراساني وحسين بن خلف الموصدي وأمرهم بالانقياد ليوسف بن زيري" . فأقام بسردانية[1] أربعة أشهر حتى فرغ من جميع ما يريد ثم رحل عنها ومعه يوسف بلكين وهو يوصيه بما يفعله يوسف بلكين وأهله ما تمس الحاجة إليه ورد يوسف إلى أعماله وسار إلى طرابلس ومعه جيوشه وحواشيه فهرب منه بهما جمع من عسكره إلى جبال نفوسة فطلبهم فلم يقدر عليهم .ثمّ سار إلى مصر فلما وصل إلى برقة [2] ومعه محمد بن هانئ الشاعر الأندلسي[3] قتل غيلة فرؤي ملقى على جانب البحر قتيلا لا يدري من قتله وكان قتله أواخر رجب من سنة 362هـ/973م وكان من الشعراء المجيدين إلا أنه غالى في مدح المعز حتى كفره العلماء فمن ذلك قوله :

(ما شئت لا ما شاءت الأقدار * فاحكم فأنت الواحد القهار) [4]

ثم سار المعز حتى وصل إلى الإسكندرية أواخر شعبان من السنة وأتاه أهل مصر وأعيانها فلقيهم وأكرمهم وأحسن إليهم وسار فدخل القاهرة سنة 362هـ/973م وأنزل عساكره مصر والقاهرة في الديار وبقي كثير منهم في الخيام [5].

---

(1) جزيرة سردانية كبيرة القطر كثيرة الجبال قليلة المياه وطولها مائتان وثمانون ميلا وعرضها من المغرب إلى المشرق مائة وثمانون ميلا وطولها مار من الجنوب إلى الشمال مع قليل تشريق وفيها ثلاثة بلاد منها القيطنة وهي مما يلي جنوبها وهي مدينة عامرة ممدنة ومنها مدينة قالمرة، وهي رأس المجاز إلى جزيرة قرشقة ومدينتها الثالثة تسمى قشيلية، وأهل جزيرة سردانية في الأصل روم أفارقة متبربرون ومتوحشون من أجناس الروم وهم أهل نجدة وحزم لا يفارقون السلاح ، وقد غزاها المسلمون وملكوها في سنة 92هـ/711م في عسكر موسى بن نصير ، ووجدت لبعضهم أن سردانية مدينة بصقلية. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ج2، ص584.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 620.

(3)أبو القاسم الأزدي الأندلسي من ولد روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب أديب شاعر مفلق من المغاربة وهو وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق، ولد بإشبيلية ونشأ بها ونال حظا واسعا من علوم الأدب وفنونه وبرز في الشعر فلم يباره في حلبته مبار ولم يشق غباره لاحق وكان متهما بالفلسفة يسلك في أقواله وأشعاره مسلك المعري وما زال يغلو في ذلك حتى تعدى الحق وخرج في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل فأزعجه أهل الأندلس واضطروه إلى الخروج من وطنه، وأشار عليه صاحب إشبيلية بذلك درءا للفتنة فخرج متنقلا في البلاد، ووصل إلى عدوة المغرب. ينظر: الحموي، معجم الادباء، ج19، ص92.

(4) ابي العلاء المعري، رسالة الغفران، ص234.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 621.

وأمّا يوسف بلكين فإنه لما عاد من وداع المعز أقام بالمنصورية لمتابعة شؤون الولايات في بلاد المغرب ،الا ان الوضع لم يستقر طويلا" اذ ثار أهل مدينة باغاية على عامله فقاتلوه فهزموه ، فسير إليهم قوات عسكرية بقيادة يوسف فقاتلهم فلم يتمكن من السيطرة عليهم ، فأرسل إلى يوسف يعرفه الحال فتأهب يوسف وجمع العساكر ليسير إليهم فبينما هو في التجهز أتاه الخبر بان اهلي مدينة تاهرت قد ثاروا عليه وأخرجوا عامله فرحل إلى تاهرت فقاتلها فظفر باهلها وخربها فأتاه الخبر بها أن زناتة قد نزلوا على تلمسان فرحل إليهم فهربوا منه[1]، وأقام على تلمسان فحصرها مدة ثم نزلوا على حكمه فعفا عنهم إلا أنه نقلهم إلى مدينة أشير[2] فبنوا عندها مدينة سموها تلمسان[3]، ثم إن زيادة الله بن القديم جرى بينه وبين عامل آخر كان معه اسمه عبد الله بن محمد الكاتب منافسة تحولت الى حرب بين الطرفين، اذ اجتمع مع كل واحد منهما جماعة وكان بينهما حروب عدة دفعات وكان يوسف بلكين مائلاً مع عبد الله لصحبة قديمة بينهما، ثم إن أبا عبد الله قبض على ابن القديم وسجنه واستبد الأمور بعده ،وبقي ابن القديم محبوسا حتى توفي المعز بمصر وقوي أمر يوسف بلكين[4].

وفي سنة 364هـ/975م خرج خلف بن حسين [5] إلى قلعة منيعة فاجتمع إليه خلق كثير من البربر وغيرهم وكان من أصحاب ابن القديم المساعدين له فسمع يوسف بذلك فسار إليه ونازل

---

(1) ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص112.

(2) أشير: بلدة أو حصن بينها وبين المسيلة مرحلة، من بلاد الزاب بناها زيري بن مناد الصنهاجي وتعرف بأشير زيري، وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة وإنما بنى زيري سورها وحصنها وعمرها فليس في تلك الأقطار أحصن منها، وهي بين جبال شامخة محيطة بها، وداخل المدينة عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك لهما قعر من بناء الأول، وبالقرب من المدينة بنيان عظيم عجيب يعرف بمحراب سليمان. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص203؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج24، ص161.

(3) تلمسان: وهي قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأوسط من واد يسمى مجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، ومدينة تلمسان مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وبينها وبين وهران مرحلتان وهي في سفح جبل أكثره شجر الجوز وكان لها ماء مجلوب من عمل الأول من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال، ولها نهر كبير يسمى سطفسيف. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص135.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص341.

(5) خلف بن خير او سمي بخلف بن خير وهو احد الثوار في المغرب تزعم حركة معارضة بني هراش وخاض حربا ضد أبو الفتوح بن زيري ممثل المعز الفاطمي في بلاد المغرب وقد هزم وتم اسرة وابنة وابن اخية وسير الى مدينة بلكين فطيف بهم ورؤوس اتباعهم ثم تم ارسالهم الى القاهرة. ينظر: المقريزي، المقفى الكبير، ج3، ص433.

القلعة وحاربه فقتل بينهما عدة قتلى وافتتحها وهرب خلف بن حسين[1]، وقتل ممن كان بها خلق كثير وبعث إلى القيروان من رؤوسهم سبعة آلاف رأس ثم أخذ خلف وأمر به فطيف به على جمل ثم صلب وسير رأسه إلى مصر فلما سمع أهل باغاية بذلك خافوا فصالحوا يوسف ونزلوا على حكمه فأخرجهم من باغاية وخرب سورها [2] .

لقد كان هدف الفاطميون من التوجه الى المشرق وتركهم بلاد المغرب وانتقالهم الى مصر، هو لتنفيذ خططهم في المشرق لأن الفاطميين اعتبروا بلاد المغرب خطوة تمهيدية في البرنامج المستقبلي الذي وضعوه لهم، حيث وجد المعز ان خير وسيلة للاحتفاظ بالمغرب، هي عندما يستقر في مصر، وان تكون ادارة شؤون المغرب من أبناء عرفوا بإخلاصهم لبيته، خصوصاً اذا عرفنا ان المغرب لم تحكمه اسرة مغربية على كثرة ثوراته منذ الفتح العربي حيث كانت تحكمه أسر تأتيه من الخارج من شيعة وخوارج فرغب المعز ان يعتمد على اصدقائه المغاربة الذين ساعدوه في قيام دولته، وبذلك كان الفاطميون بعيدو النظر في اختيارهم بلكين ولم يجدوا صعوبة في العثور على الوالي الحريص الذي يحسن ادارة شؤون الحكم في افريقية، والذي يقف حائلاً أمام كل التحديات التي من المحتمل ان يتعرض لها الفاطميون[3]

2-موقف الخلافة الفاطمية من الدولة العباسية

قبل البدء بالحديث عن علاقة المعز لدين الله الفاطمي بالخلافة العباسية والبويهيين لا بد لنا من الإشارة الى أوضاع الدولة العباسية وما شهدته من تطورات داخلية وخارجية وطبيعة العلاقة بين العباسيين والاسماعيليين قبل وبعد قيام الدولة الفاطمية، حيث شهدت الخلافة العباسية تدهورا كبيرا ابان قيام الدولة الفاطمية في المغرب ثم انتقالها الى مصر، فقد انهارت السلطة المركزية للعباسيين، وانفصلت عن الدولة العباسية العديد من الإقاليم واقيمت إمارات مستقلة منفصلة عن السلطة المركزية ، فضلاً عن ظهور البويهيين [4] كقوة عسكرية وسيطرتها على الدولة العباسية سنة (334-447هـ/ 945-1055م) .

---

(1) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج24، 173.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 621.

(3) ناجي،تاريخ طرابلس الغرب، ص136.

(4) البويهيين: وهي دولة شيعية قامت في الجزء الجنوبي الغربي من بلاد فارس اسستها اسرة إيرانية وهي من الاسر الفقيرة التي كانت تعتمد الصيد والاحتطاب مهنة لها ، جدهم الأعلى أبو شجاع بوية وكان له ثلاثة أولاد وهم عماد الدولة على وركن الدولة الحسن ومعز الدولة أحمد، اضطر لفقره أن يدخل أولاده الثلاثة في الخدمة

فبعد ان سيطر الفاطميين على المغرب ومصر، وجهوا الكثير من دعاتهم الى المناطق التابعة للدولة العباسية في المشرق [1]، وقد كان للخليفة الفاطمي عبد الله المهدي دعاة في بغداد يزودونه بأخبار العباسيين حتى قبل قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، وبفضل هؤلاء الدعاة المرابطين في بغداد و الشام استطاع من الوصول الى السلمية بعد التغلب على الصعوبات التي تعرَّض لها في طريقه الى المغرب ، فقد حذروه من خطر العباسيين ومكائدهفي محاولة قتلة او اسره خلال رحلته من المشرق الى المغرب[2].

وقد أوردت بعض المصادر التاريخية بان المهدي ومن خلال الاعتماد على أنصاره اشعلوا نار الفتنة و التمرد والعصيان ضد العباسيين، ففي سنة (316هـ/928م) اجتمع أكثر من عشرة آلاف ثائر بالسواد يقودهم حريث بن مسعود [3] لدعم المذهب الإسماعيلي بسواد واسط رافعين شعار الفاطميين، وما ثار به عيسى بن موسى[4] خلال خلافة الخليفة العباسي المقتدر بالله، الذي كان يدعو باسم الدعوة للفاطميين في قرى عين التمر، حتى أنهم تمكنوا في بعض من الوقت بالانتصار على أحدى تشكيلات عسكر الخلافة[5] .

في حين لم يشر ابن الاثير[6] الى ان ابن مسعود قد رفع شعار الفاطميين او دعى للمهدي الفاطمي بقوله: :"وسار حريث بن مسعود إلى أعمال الموفقي[7] وبنى بها دارا سماها

العسكرية جنودا مرتزقة ، ولكن سرعان ما ارتقوا بدهائهم ومهارتهم إلى مرتبة القواد وأمراء الجيش ، وأخذوا يستميلون الناس بحسن المعاملة ، ويكسبون محبة الضباط بالمال ، فقويت شوكتهم ، وانتشر صيتهم ، ولما اطمأنوا إلى قوتهم خرجوا عن طاعة الحاكم الذي يعملون بأمره ، وكان اسمه " مرداويج " واستقلوا عنه ، ثم= =سيطرو على بلاد فارس والعراق .ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج11، ص198؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج3،ص 395.

(1) الخالدي ، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق، ص71.

(2) سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص311.

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(4) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(5) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج25، ص294؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، 179؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج3،ص378.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص187.

(7) اعمال الموفقي: ويقصد بها مدينة واسط :واسط : مدينتان على جانبي دجلة ، المدينة القديمة في الجانب الشرقي ، وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي، وجعل بينهما جسراً بالسفين ،سميت بواسط لتوسطها بين

دار الهجرة واستولى على تلك الناحية فكانوا ينهبون ويسبون ويقتلون وكان يتقلد الحرب بواسط بني بن نفيس[1] فقاتلهم فهزموه فسير المقتدر بالله إلى حريث بن مسعود ومن معه هارون بن غريب[2] وإلى عيسى بن موسى ومن معه بالكوفة صافيا البصري[3] فأوقع بهم هارون وأوقع صافي بمن سار إليهم فانهزمت القرامطة وأسر منهم كثير وقتل أكثر ممن أسر واخذت أعلامهم وكانت بيضاء وعليها مكتوب :﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾(4) فأدخلت بغداد منكوسة واضمحل أمر من بالسواد منهم وكفى الله الناس شرهم" .

اما الإقليم التابع للدولة العباسية في بلاد المشرق (فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر) فقد كان سكانها يعانون من الظلم والاستبداد الذي كان يمارسه امراء هذه الإقليم مما جعل الاجواء مناسبه لنشر الدعوة الإسماعيلية وكسب سكان هذه المناطق من خلال مساندة الثورات والنزاعات المسلحة بين هذه الإقليم وجيوش العباسيين ، وبذلك فقد انتشرت الدعوة الفاطمية في مناطق واسعة من أقاليم الدولة العباسية، وانظم كبار رجالات وامراء الخلافة العباسية إلى صفوفهم منهم أمير قزوين الأصفر بن شيرويه[5] وقائده مرداويج الديلمي[1] اللذان كانا تحت رئاسة الأمير

المصرين : البصرة والكوفة ، والمدائن ، بينها وبين كل واحدة منها أربعون فرسخاً. ينظر: القرطبي، صلة تاريخ الطبري، ص96؛ الهمذاني، البلدان، ص260؛ الحميري، الروض المعطار في خب الأقطار، ص599.

(1) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(2) هارون بن غريب: قائد من ولاة العصر العباسي، كان أبوه خال الخليفة المقتدر بالله، فعرف بابن الخال. وكانت إقامته ببغداد، ينتدبه الخليفة للمهمات، إلى أن مات أبوه (سنة 305هـ/918م) فقلده المقتدر أعمال أبيه، وخلع عليه، وعقد له اللواء بذلك. وكانت له يد في قمع ثورة ببغداد (سنة 308هـ/921م) وقاتل القرامطة في واسط (سنة 316هـ/928م) فقتل جماعة منهم وأرسل الأسرى إلى بغداد على الجمال. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج13، ص273؛ الزركلي، الاعلام، ج8، ص62

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(4) سورة القصص، اية رقم (5).

(5) الاصفر بن شيرويه الديلمي من أعيان الديلم وكان من أصحاب ما كان بن كالي حارب الداعي العلوي وقتله، واستولى على طبرستان والري وجرجان وزنجان وأبهر وقم وقلعة الموت. قتله مرداويج أحد قواده، وتملك من بعده سنة 315هـ/927م. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص175؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص441.

يوسف بن أبي الساج[2] أمير الري وفارس من قبل العباسيين أيام خلافة المقتدر بالله، حيث بعث مرداويج إلى المهدي الفاطمي الهدايا والأموال الكثيرة، ورغب في الدخول بطاعته، إلا أن المهدي طلب منه التريث حتى يحين الوقت المناسب[3] ،**وقد أورد ابن الاثير[4] رواية تقول:" أن محمد بن خلف النيرماني[5] عظم شأنه وكثر ماله فحدث نفسه بوزارة الخليفة فكتب إلى نصر الحاجب ممثل الخليفة المقتدر يخطب الوزارة ويسعى بابن أبي الساج ويقول له أنه قرمطي يعتقد إمامة العلوي الذي بأفريقية وأنني ناظرته على ذلك فلم يرجع عنه، وأنه لا يسير إلى قتال أبي طاهر القرمطي[6] وإنما يأخذ المال بسبب ويقوى به على قصد حضرة السلطان وإزالة الخلافة من بني العباس**"

---

(1) مرداويج بن زيار الديلمي ملك الديلم عتا وتمرد، وسفك الدماء، وحكم على مدائن الجبل وغيرها. وخافته الملوك، وكان بنو بوية من أمرائه قتل سنة 323هـ/935م وكان سبب قتله أنه كان كثير الإساءة للأتراك فقتلوا. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص298؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص215.

(2) يوسف بن أبي الساج، أحد ولاة الري في عهد المقتدر بالله، وكان استقل عن الخليفة، ثم عاد إلى طاعته. ينظر: المسعودي، التنبية والاشراف، ص331؛ أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص100؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج23، ص46.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص186.

(4) الكامل في التاريخ، ج8، ص451 .

(5) أبو سعد الكاتب النيرماني ونيرمان قرية من قرى الجبل بالقرب من همذان كان من جلة الكتاب الفضلاء والرؤساء النبلاء وكان يخدم في ديوان بني بوية ببغداد وصنف لبهاء الدولة المنثور البهائي في مجلده وهو نثر كتاب الحماسة وتوفي سنة 414هـ/1024م. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص299؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص130.

(6) ابو طاهر: هو سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الهجري القرمطي، ملك البحرين وزعيم القرامطة ، خارجي ، طاغية جبار ، وثب على البصرة سنة 311هـ/924م ونهبها وسبى نساءها، وكتب إلى المقتدر أن يضم اليه البصرة والأهواز فلم يجبه ، فأغار على الكوفة سنة 312هـ/925م فأقام فيها ستة أيام وحمل منها ما حمل ، وسير المقتدر جيشاً لقتاله فشتته القرمطي ، وأغار على مكة يوم التروية سنة 317هـ/929م وبلغ عدد القتلى ثلاثين ألفاً واقتلع الحجر الأسود ، ومات كهلا بالجدري سنة 332هـ/944م. ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج15، ص321؛ الصفدي الوافي بالوفيات، ج15، ص225؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص445.

اما ابن مسكوية فقد قال: "إن أبن أبي الساج أفضى إلى كاتبه محمد بن خلف، أنه متى جمع خراج واسط والكوفة وسقى الفرات عن سنة (314هـ/926م) شق عصا طاعة الخليفة العباسي وأظهر الدعوة للمهدي الفاطمي متخذاً منها حجة لإعلان عصيانه على الخليفة المقتدر" [1].

وعند تولي المعز لدين الله قيادة الدولة الفاطمية قويت سطوته في بلاد المشرق بعد انتشار واسع للدعوة الإسماعيلية خاصة وان البويهيين كانوا من الشيعة، وكانوا يميلون الى الفاطميين اكثر من العباسيين حتى ان معز الدولة البويهي[2] فكر بنقل الخلافة الى الفاطميين ، **فقد أورد ابن الاثير[3] ما نصه انه :"لمّا ولي المستكفي بالله الخلافة خافه المطيع وهو أبو القاسم الفضل بن المقتدر لأنه كان بينهما منازعة وكان كل منهما يطلب الخلافة وهو يسعى فيها فلما ولي المستكفي خافه واستتر منه فطلبه المستكفي أشد الطلب فلم يظفر به فلما قدم معز الدولة بغداد قيل أن المطيع انتقل إليه ، واستتر عنده وأغراه بالمستكفي حتى قبض عليه وسمله فلما قبض المستكفي بويع للمطيع لله بالخلافة ولقب المطيع لله ... وكان من أعظم الأسباب في ذلك أن الديلم يتشيعون ويغالون في التشيع ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها** " ، ولكن بعض خواص معز الدولة أشار عليه أن لا يفعل ذلك فإنه قال:" ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنك ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلوا أمرهم بقتلك لفعلوه فأعرض عن ذلك "[4].

---

(1) مسكوية، تجارب الأمم، ج1، ص167؛ ينظر كذلك: حسن، الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية، ص97.

(2) أبو الحسن أحمد بن بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي من سلالة سابور ذي الأكتاف الساساني، من ملوك بني بويه في العراق. فارسي الأصل، مستعرب، كان في أول أمره يحمل الحطب على رأسه، ثم ملك هو وأخواه (عماد الدولة وركن الدولة) البلاد. وكان أصغر منهما سنا. ويقال له الأقطع لان يده اليسرى قطعت في معركة مع الأكراد، تولى في صباه كرمان وسجستان والأهواز تبعا لأخيه عماد الدولة، ملك بغداد ولد سنة 303 هـ وتوفي سنة 356 بعلة الذرب ودفن بباب التبن في مقابر قريش مدفن الامامين الكاظمين عليهم السلام ومدة امارته 21 سنة. ينظر: المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، ص290؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص173؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص14 .

(3) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص452.

(4) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص186.

وعلى الرغم من ذلك فقد استمر العزيز بالله الفاطمي على علاقته الحسنة مع البويهيين من اجل استخدامهم كوسيلة للسيطرة على العراق اذ حدث تبادل للرسائل والوفود بين الفاطميين والبويهيين[1].

ومن خلال ما تقدم فقد شجعت هذه العلاقة على انتشار واسع للدعوة الفاطمية في العراق سيما وان الخليفة العباسي الطائع لم تكن لديه أي سلطة فعليه على الأمير البويهي عضد الدولة وان إدارة الدولة أصبحت تدار من قبل البويهيين بشكل كامل، ولم يبقى للخليفة العباسي غير الخطبة والدعاء واصبح وجوده شكليا اما القائد الفعلي للدولة فهو عضد الدولة البويهي ،والدليل على انتشار الدعوة الفاطمية في العراق ظهورها في الحلة والموصل وفي بغداد مركز الخلافة العباسية.

الا ان تلك العلاقة لم تستمر طويلا اذ ادرك البويهيون خطورة الانتشار الفاطمي في العراق والذي ينعكس بالتالي على وجودهم في العراق[2]، لذا نجد ان عضد الدولة جهز قوات عسكرية استعداداً لغزوا مصر واعادتها للدولة العباسية الا ان الحملة العسكرية لم يكتب لها النجاح بسبب وفاة عضد الدولة البويهي سنة 386هـ/996م[3]

وعلى الرغم من ذلك نجد ان الفاطميين مستمرين بمحاولتهم في السيطرة على الخلافة العباسية واسقاطها وقد صرح المعز لدين الله بذلك من خلال قوله إلى لمبعوث البيزنطيين الذي كان يتردد عليه وهو بأفريقية :" اتذكر إذ أتيتني رسولا وأنا بالمهدية فقلت لك لتدخلن علي وأنا بمصر مالكا لها قال نعم ! قال : وأنا أقول لك لتدخلن علي بغداد وأنا خليفة فقال له الرسول إن

---

(1) من هذه الرسائل هي الرسالة التي أرسلها العزيز بالله الى عضد الدولة البويهي قال فيها "من عبد الله ووليه نزار أبي منصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة الإمام نصير ملة الإسلام أبي شجاع بن أبي علي سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله الصلاة على جده محمد رسول رب العالمين وحجة الله على الخلق أجمعين صلاة باقية نامية متصلة دائمة بعترته الهادية وذريته الطيبة الطاهرة وبعد فإن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك فأدى ما تحمله من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق إمامته ومحبتك لآبائه الطائعين الهادين المهديين فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنك ووافق ما كان يتوسمه فيك وأنك لا تعدل عن الحق..." فرد عليه معز الدولة البويهي اذ كتب إليه كتابا يعترف فيه بفضل أهل البيت ويقر للعزيز أنه من أهل تلك النبعة الطاهرة وأنه في طاعته ويخاطبه بالحضرة الشريفة .ينظر ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج4، ص125.

(2) العسكري، الدعوة الفاطمية في العراق وموقف الخلافة العباسية منها ، رسالة ماجستير، ص121.

(3) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص259.

أمنتني على نفسي ولم تغضب قلت لك ما عندي فقال له المعز قل وأنت آمن قال بعثني إليك الملك ذلك العام فرأيت من عظمتك في عيني وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه ووصلت إلى قصرك فرأيت عليه نورا عظيما غطى بصري ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك فظننتك خالقا فلو قلت لي أنك تعرج إلى السماء لتحققت ذلك ثم جئت إليك الآن فما رأيت من ذلك شيئا أشرفت على مدينتك فكانت في عيني سوداء مظلمة ثم دخلت عليك فما وجدت من المهابة ما وجدته ذلك العام فقلت ذلك"[1].

كذلك يمكن القول ان البويهيين لم يكن في نيتهم تعيين خليفة علوي في بغداد او غيرها، ولو كان في قصدهم ذلك لفعلوها عندما دخلوا بغداد اول الامر وكان بإمكانهم فعل ذلك وكانت بداية قوتهم أيام الامراء البويهيين الثلاثة الأقوياء فكيف يفعلون هذا ويسلموا زمام الأمور للفاطميين سيما وان مصالحهم قائمة على اكمل وجه بوجود خليفة عباسي ضعيف.

3-علاقة المعز لدين الله مع القرامطة

على الرغم من ان القرامطة كانوا مؤيدين ومناصرين للفاطميين اثناء محاولات الفاطميين السيطرة على مصر حيث روى أبن خلدون[2] ذلك قالا": " وصل أبو القاسم القائم إلى مصر واستدعى أبا طاهر القرمطي وانتظره فأعجله مؤنس الخادم عن انتظاره وسار من قبل المقتدر فهزمه ورجع إلى المهدية ثم سار أبو الطاهر سنة سبع إلى البصرة فاستباحها ورجع واضطربت بغداد " ، يبدو ان هدف أبو طاهر من هذه العمليات العسكرية هو اشغال قوات العباسيين ومنح الفرصة للفاطميين في السيطرة على مصر[3].

الا ان الخليفة المعز واجه عدة مشاكل خلال مدة حكمه، والتي تمثلت بالتصدي لخطر القرامطة وفي مقدمهم الحسن بن أحمد، في منطقة الإحساء، إلى ديار مصر، وبدأت المشكلة عندما سمع المعز بأنّ الحسن يريد دخول مصر، فسارع إلى أن كتب له كتاباً، يذكر فيه فضله واهل بيته، وأن الدعوة واحدة، والأهداف كذلك، وأن القرامطة كانت دعوتهم إليه [4].

---

(1) أبن الأثير، الكامل، ج8، ص663؛ العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار،ج24،ص104؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1 ، ص226.

(2) تاريخ ابن خلدون، ج4، ص89.

(3) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص181؛ مسكوية ، تجارب الأمم، ج5، ص90.

(4) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص214؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص318؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص113.

فقد أورد ابن الاثير[1] ذلك بقوله: "سار القرامطة ومقدمهم الحسن بن أحمد من الإحساء[2] إلى ديار مصر فحصرها ولما سمع المعز لدين الله صاحب مصر بأنه يريد قصد مصر كتب إليه كتابا يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته وأن الدعوة واحدة وان القرامطة إنما كانت دعوتهم إليه وإلى آبائه من قبله ووعظه وبالغ وتهدده وسير الكتاب إليه فكتب جوابه وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفضليه ونحن سائرون إليك على أثره والسلام" .

وعلى الرغم من ان المعز لدين الله الفاطمي أراد ان يثني القرامطة عن الزحف الى مصر الان انهم وصلوا إلى مصر سنة 363هـ/974م فنزلوا عند عين شمس اذ عسكروا فيها وأنشب القتال وارسل الحسن بن احمد القرمطي السرايا في البلاد ينهبونها ، وخذت قواته بالازدياد اذ انظم اليه عدد من العرب وكان من ضمن الوافدين حسان بن الجراح الطائي[3] أمير العرب في بلاد الشام ومعه قوات عسكرية ، ويعود السبب في انضمامه الى القرامطه هو رغبته في التخلص من الوجود الفاطمي في بلاد الشام ، سيما وان المعز لدين الله ارد من بلاد الشام ان تكون ممر لقواته لأسقاط الخلافة العباسية ، وتكون حصن منيع في التصدي لخطر البيزنطيين ،فلمّا رأى المعز بالله كثرة جموعه استعظم ذلك وأهمه وتحير في أمره ولم يقدم على إخراج عسكره لقتاله فاستشار أهل الرأي فأشاروا عليه ان يعمل على بث التفرقة بينهم والقاء الخلف بينهم ولا يتم ذلك إلا بابن الجراح[4]، فراسله المعز واستماله وبذل له مائة ألف دينار أن هو خالف الحسن القرمطي فأجابه ابن الجراح إلى ما طلب منه فاستحلفوه ، فحلف أنه إذا وصل إليه المال المقرر انسحب عن القرامطة [5]. وقد وضع حسان خطة لتنفيذ ما وعد به الخليفة الفاطمي بعد وصول الأموال المتفق عليها بين الطرفين، اذ طلب إلى المعز بالله أن يخرج في عسكره لكي يقاتلونه،

---

(1) الكامل في التاريخ، ج7، ص318.

(2) الأحساء: هي مدينة على البحر الفارسي تقابل جزيرة أوال وهي بلاد القرامطة ، والأحساء مدينة صغيرة وبها أسواق تقوم بها. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، ص386؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص14.

(3) هو حسان بن المفرج بن الجراح الطائي ، وهو من اشهر الزعماء الطائيين الذين برزوا من هذه الاسرة وقد ذكر اسمه لاول مرة سنة 358هـ/968م وقد حالف القرامطة عندما هاجموا مصر سنة 361هـ/971. ينظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج5، ص2239؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج1، ص205.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص319.

(5) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج10، ص216.

وفانه سوف ينهزم امامهم، ففعل المعز بالله ذلك فانهزم وتبعه العرب كافة [1]، فلما رآه الحسن القرمطي منهزما تحير في أمره وثبت وقاتل بعسكره إلا أن عسكر المعز بالله طمعوا فيه وتابعوا الحملات عليه من كل جانب فأرهقوه فولى منهزما واتبعوا أثره وظفروا بمعسكره فأخذوا من فيه أسرى وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير فضربت أعناقهم ونهب ما في المعسكر[2]، وجرد المعز بالله القائد أبا محمد بن إبراهيم بن جعفر[3] في عشرة آلاف رجل وأمره باتباع القرامطة والإيقاع بهم فاتبعهم وتثاقل في سيره خوفا أن ترجع القرامطة إليه وأما هم فإنهم ساروا حتى نزلوا أذرعات[4] وساروا منها إلى بلدهم الإحساء واظهرون أنهم يعودون [5].

وبذلك فان حملة القرامطة بقيادة حفيد الأسرة الحسن الأعصم على مصر أخفقت، والتي كانت قد هددت في وقت ما النفوذ الفاطمي تهديداً جدياً، أما الفضل في الانتصار الفاطمي هذا فيعود إلى جملة إجراءات اتخذها القادة، فضلاً عن نجاح الخليفة الفاطمي المعز في دس العيون في صفوف القرامطة، حتى إنهم تمكنوا من إحداث الانشقاقات بين صفوف محاربيهم، مما سبب في انتشار الفوضى بين ظهرانيهم وهزيمتهم [6].

ويعزو أبن ظافر[7] سبب هزيمة القرامطة إلى انشغال جيش الأعصم بالمسلوبات التي وقعت بيدهم، حتى قيل أنه كان معهم خمسة عشر ألف جمل وبغل تحمل صناديق الأموال واواني الذهب والفضة والسلاح، سوى ما تحمل المضارب والخيم والبنود وغير ذلك من الأثقال.

4- علاقة المعز لدين الله مع الحجاز

بعدما تمكن الفاطميون من السيطرة على بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام ، طمحوا إلى مد نفوذهم نحو الحجاز لتقوية نفوذهم الديني والدنيوي أمام العالم الإسلامي، والعمل على التقليل من هيبة الخلافة العباسية التي ضعفت بسبب سيطرة وهيمنة القوى الخارجية عليها، لذا

(1)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص319؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص309.

(2) ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص25؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1، ص188.

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(4) اذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص130.

(5) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص181.

(6) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص638؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص130، 189؛ سرور، تاريخ، ص286.

(7) أخبار الدولة المنقطعة، ج2، ص177.

اخذ العباسيون يعملون على تعزيز نفوذهم بالحجاز، وذلك لما للحرمين من تأثير على ولاء رعاياهم من المسلمين وبالمقابل اخذ الفاطميون يطمحون للسيطرة على الحجاز والتي تعتبر بمثابة البوابة لهم لأسقاط الخلافة العباسية لذا دخلت مدينة الحجاز التنافس السياسي الديني فيمن يمتلك الحجاز لينال لقب امير المؤمنين على حد قول ابن خلدون[1] "وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق والمواطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة وأهل الملة والفتح وازداد لذلك في عنفوان الدولة" ، فضلا عن وجود طرف ثالث كانت له الهيمنة على الحجاز وهم الحسنيون العلويين الذين يتمتعون دائماً حول المدينة بمال وجاه عظيم، ولذلك استطاعوا أن يفتحوا مكة حوالي منتصف القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ، دون أن يعترض عليهم الطرفان الآخران، وهما العباسيون والفاطميون[2]

وقد سنحت الفرصة للمعز لدين الله، التدخل في شئون الحجاز، تمهيدا لفرض الحماية على الحرمين الشريفين، واكتساب مودة الأشراف حيث توسط المعز لدين الله لتحقيق الصلح بين فرعي بني الحسن[3] ، وبني جعفر بن أبي طالب[4] ، الذين اقتتلوا فيما بينهم وذلك في سنة 348هـ/959م ، وقد انفذ أموالا ورجالا وتحمل ديات القتلى وكان أكثرهم من بني الحسن ، فصار ذلك جميلا عند بني الحسن للمعز قابلوه بالدعاء له في مكة عقب فتح مصر ، وتولى ذلك منهم حسن بن جعفر الحسني ، الذي أرسل إليه المعز لدين الله بتقليد الحرم وأعماله [5].

إلا أن النفوذ الفاطمي سرعان ما تعرض لنكسة بعد مرور سنة حيث نجح العباسيون في استعادة نفوذهم في مكة بالتعاون مع القرامطة سنة 359هـ/969م الذين انقلبوا على الفاطميين

---

(1) تاريخ ابن خلدون، ج1، ص228.

(2) الشيرازي، تلخيص الحضارة الإسلامية، ج1، ص14.

(3) بني الحسن: بطن من هاشم بن عبد مناف، من قريش، من العدنانية، وهم: بنو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي. كان لهم رضوى على سبع مراحل من المدينة المنورة. ينظر: مصعب الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله (ت: 236هـ/846م)، نسب قريش، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1951م، ص52؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج2، ص260.

(4) بني جعفر بن ابي طالب: بطن من الطالبين من بني هاشم من العدنانية وهم بنو جعفر الطيار بن أبي طالب إحدى القبائل التي يتألف منها أشراف الحجاز المنقسمين إلى 21 قبيلة تقع ديارهم شمالي جيزان. ينظر: القلقشندي، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، ج1، ص124؛ الزبيدي ، تاج العروس، ج6، ص301.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص100؛ الأمين، اعيان الشيعة، ج5، ص110.

وأقاموا الخطبة للخليفة العباسي والحسن الأعصم القرمطي[1] إلا أن الخليفة المعز الفاطمي لم يقبل بعودة النفوذ العباسي مرة أخرى إلى مكة فبادر إلى إرسال حملة كبيرة من المغرب إلى بلاد الحجاز سنة 360هـ/ 970م لإعادة النفوذ الفاطمي وأنضم أشراف المدينة الحسينين إليه[2]، وكان لضعف الخلافة العباسية دوراً في انضواء الحجاز تحت الهيمنة الفاطمية، ولم يلبث الأشراف الحسنيين أن ضموا مكة لسيطرتهم وأقاموا الخطبة للخليفة المعز لدين الله الفاطمي في الحرمين وكتب إلى جوهر الصقلي بذلك، فبعث جوهر إلى المعز الفاطمي يعرفه بإقامة الدعوة له في الحرمين الشريفين[3]، ولترسيخ مكانة الخليفة المعز الفاطمي في الحجاز قام بإرسال الأموال والهبات والخلع إلى أشراف الحجاز وأسرهم[4]، فقد أنفذ سنة 363هـ/ 973م،عسكراً وأحمال مال عدتها عشرون حملاً للحرمين وعدة أحمال متاع [5]. وبذلك تيسر له نشر نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز.

5-علاقة المعز لدين الله مع بلاد الشام

بعد هزيمة افتكين[6] أمام قوات عز الدولة بختيار[7] في بغداد ، قرر التوجه بتجاه بلاد الشام سنة 364هـ/974م برفقة عدد من القوات التركية التي يصل عددها الى أربعمائة عنصر وبذلك فقد شكل خطرا كبيرا على الدولة الفاطمية في بلاد الشام ، **وقد نقل ابن**

---

(4) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص297.

(5) أبن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص101؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، جـ1، ص101.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص273.

(7) الفاسي، العقد الثمين، ج1، ص186.

(8) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص101.

(1) هفتكين ويقال له أفتكين التركي ، من أمراء سبكتكين بالعراق . مات مخدومه سبكتكين بواسط ، ومعهم الخليفة الطائع ، فتقدم هفتكين على الأتراك ، وحاربوا عز الدولة بختيار بن بويه أياما والظفر للترك ، فاستنجد عز الدولة بابن عمه عضد الدولة ، فسار هفتكين إلى الشام ، واستولى على كثير منها ، ونزل بظاهر حمص ، فسار إليه الأمير ظالم العقيلي ليحاربه ، فبادر هفتكين إلى دمشق بمكاتبة من الكبراء ، وتملك ، وخطب للطائع ومحا ذكر المعز العبيدي. ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج16،ص302؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج27، ص216؛ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ص67.

(7) أبو منصور بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه الديلميّ ، ولى ملك العراق بعد أبيه ، وكان شجاعا قويا ، ، وقامت بينه وبين ابن عمه عضد الدولة منافسات وحروب على الملك . خرج عليه ابن عمه عضد الدولة وقتله في شوال من عام 367 هـ /977م. ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج1، ص267 ؛الذهبي ،سير أعلام النبلاء، ج31، ص274.

الاثير[1] طبيعة الاحداث التي جرت بين المعز لدين الله الفاطمي وبين افتكين قالا": "انهزام افتكين التركي مولى معز الدولة بن بويه من مولاه بختيار بن معز الدولة ومن عضد الدولة في فتنة الأتراك بالعراق فلما انهزم منهم سار في طائفة صالحة من الجند الترك فوصل إلى حمص[2] فنزل بالقرب منها فقصده ظالم بن موهوب العقيلي[3] الذي كان أمير دمشق للمعز لدين الله ليأخذه فلم يتمكن من أخذه فعاد عنه ، وسار افتكين إلى دمشق فنزل بظاهرها . وكان أميرها حينئذ ريان الخادم[4] للمعز، وكان الأحداث[5] قد غلبوا عليها وليس للأعيان معهم حكم ولا للسلطنة عليهم طاعة فلما نزل خرج أشرافها وشيوخها إليه وأظهروا له السرور بقدومه وسألوه أن يقيم عندهم ويملك بلدهم ويزيل عنهم سمة المصريين فإنهم يكرهونها لمخالفة الاعتقاد، ولظلم عمالهم ويكف عنهم شر الأحداث ".

---

(3) الكامل في التاريخ ، ج8، ص657.

(2) حمص: مدينة بالشام من أوسع مدنها ، لها نهر عظيم يشرب منه أهلها . وهي مدينة حسنة في مستو من الأرض وهي عامرة بالناس ، والمسافرون يقصدونها بالأمتعة والبضائع من كل فن ، وأسواقها قائمة وخصبهم تام ومعايشهم رقيقة ، وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم. ينظر: ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص62؛الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص198.

(4) ظالم بن مرهوب أو موهوب العقيلي متغلب من القواد، كانت له إمارة ووقائع. تغلب على دمشق مرة سنة 357 هـ/968م وأخرى سنة 358هـ/969م، وولاه عليها الحسن بن أحمد القرمطي سنة 360هـ/971م ،ثم= =قبض عليه القرمطي، فتخلص وهرب إلى حصن له في شط الفرات، وكاتب حكومة مصر، فرغبته بالعودة إلى دمشق، للتشويش على القرمطي، فعاد سنة 363هـ/974م، وأقام (دعوة) صاحب مصر، وكان في ذلك الحين (المعز لدين الله) ولم يلبث أن وصل إلى دمشق وال عليها من قبَل المعز، في أواخر السنة نفسها، فانصرف العقيلي إلى بعلبكّ وغلب عليها.ينظر ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج23، ص360؛ ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ،ج2، ص113؛ الزركلي ، الاعلام ، ج3، ص237.

(1) ريان الخادم هو احد قادة وولاة المعز لدين الله الفاطمي في طرابلس وقد امره بالمسير إلى دمشق ، وكشف الأمر فيها وكتب به إلى المعز ، وتقدم إلى القائد أبي محمود بالانصراف عنها ، فسار في جماعة قليلة من العسكر إلى الرملة ، وبقي الأكثر منهم مع ريان .وبقي الأمر كذلك إلى أن ولي افتكين. ينظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج56، ص345؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص51.

(2) الاحداث وهي ثورات اجتماعية تقوم بها فئات معينة من فقراء الناس، غالباً ماتظهر نتيجة فشل السلطة الحاكمة في توفير الأمن والاستقرار في البلاد، وكان اول ظهورها في العراق، ثم امتدت الى المدن الشامية فيما بعد. ينظر: محاسنة، تأريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، ص110.

فما كان من افتكين الى ان توجه بقواته صوب دمشق وتمكن من دخولها وطرد واليها الفاطمي ريان، وقد وقف الأهلي الى جانبه رغبه منهم في التخلص من السيطرة الفاطمية واعادة الامن والهدوء والاستقرار للبلاد والقضاء على الاحداث ، فما ان سيطر افتكين على دمشق قام بقطع الخطبة للخليفة الفاطمي وخطب للخليفة العباسي المطيع سنة (364هـ/974م)، وعمل على تثبيت نفوذه في دمشق اذ قام بأجراء إصلاحات مالية وإدارية ، الا انه كان خائفا من ردة فعل الفاطميين، سيما وان دمشق تمثل البوابة التي يعول عليها الفاطميين لتحقيق هدفهم لأسقاط الخلافة العباسية[1]، وقد كاتب افتكين الخليفة المعز لدين الله بمصر ليخبره بما جرى من احداث في دمشق واظهر له الانقياد والطاعه، فشكره وطلب منه أن يحضر عنده ليخلع عليه ويعيده واليا من جانبه فلم يثق إليه وامتنع من المسير فتجهز المعز وجمع العساكر لقصده فمرض ومات سنة 365هـ/975م ، وولي بعده ابنه العزيز بالله فأمن الفتكين بموته جهة مصر[2]، ولم يكتفي افتكين بذلك بل توجه بقواته إلى صيدا التي كانت تحت سيطرة الدولة الفاطمية فحصرها، وقاتل أهلها وكانوا في كثرة فطمعوا فيه وخرجوا إليه فاستجرهم حتى أبعدوا ثم عاد عليهم فقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل وطمع في أخذ عكا فتوجه إليها وقصد طبرية ففعل فيها من القتل والنهب مثل صيدا وعاد إلى دمشق[3] .

ومن خلال ما تقدم وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المعز لدين الله الفاطمي لايجاد حالة من الاستقرار في بلاد الشام نجد ان أي مشكلة تحدث داخل حدود الدولة العباسية تهدد الوجود الفاطمي في المنطقة، والتي تصبح مرهقة للدولة الفاطمية فضلا عن انعدام الامن والاستقرار في بلاد الشام هو مؤشر على ان الدولة الفاطمية لا تمتلك سلطة مركزية فاعلة بسبب كثرة المشاكل في مصر وبلاد المغرب ، فضلا من ان الدولة الفاطمية فشلت في كسب اهلي بلاد الشام الى جانبها سيما العناصر القيادية الفاعلة فيها ، وضعف القوات العسكرية المرابطة في البلاد لذ نلاحظ انها فشلت في التصدي لخطر الروم والقرامطة ، اذ

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص319؛ أبو الفداء، المختصر في اخبار البش، ج3، ص144.

(3) الكامل في التاريخ، ج8، ص657.

(4) أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج3، ص114؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28، ص156؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص51.

لم تخض هذه القوات معركة فاصلة تعزز من سيطرة الفاطميين على المنطقة وتقطع دابر أي حركة معادية لها ، اذ بقيت بلاد الشام مصدر قلق للفاطميين مع وجود قوى محليه قريبة من المنطقة متمثلة بالحمدانين والعقيليين وبني الجراح والقرامطة والروم .

6-علاقته مع المغرب

تُوفي الخليفة المنصور بالله سنة 341هـ/952م، فآلت الخلافة من بعده إلى ابنه المعز لدين الله، واستمرّ في تولّيه الحكم حتى وفاته سنة 356هـ/967م، وفي عهده بدأت فكرة الانتقال إلى مصر [1].

وقد ابتدأ المعز لدين لله خلافتهُ بخطبة ألقاها على رؤساء كتامة في مدينة المنصورية فقال لهم:" إنه شغل بكتب ترد عليه من المشرق والمغرب، يجيب عنها بنفسه"، كما بيّن أنه سيوجه عنايتهُ إلى صيانة أرواح رعاياه، وتعمير بلاده وقمع الفتن والثورات حتى يسود الأمن والطمأنينة بين ربوع دولته، وختم قولهُ :"إنكم إذا لزمتم ما آمركم به، رجوتُ أن يقرب الله علينا أمر المشرق، كما قرب أمر المغرب بكم"[2].

ومن ثمّ بدأ المعز الفاطمي بالعناية بأمور دولته، والعمل على توطيد نفوذ الخلافة الفاطمية في المغرب، فعيّن جوهر الصقلي قائدا للجيش الفاطمي وأمرهُ بإخضاع الأمراء الثائرين على الحكم الفاطمي، فاتجه جوهر الصقلي على رأس جيش باتجاه مدينة تاهرت، ونجح في الاستيلاء عليها، وقضى على واليها، الذي عُرف بمناصرته للخليفة الأموي عبد الرحمن الأموي[3].

ومن ثمّ استأنف جوهر مسيرهُ باتجاه مدينة فاس، كان عليها عاملاً من قبل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، فخرج أهل فاس على الخليفة المعز لدين الله وبايعوا للخلافة الأموية في الأندلس

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص137؛ السرجاني، راغب، الموسوعة الميسرة، ج1، ص478.

(2) حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص525.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص287.

الذي عيّن على فاس عاملاً من قبلهم بقى على ولايتها عاماً واحداً ثم أرتحل إلى الأندلس للجهاد، واستخلف على فاس أبن عمه الزناتي[1] فقاتلهم جوهر مدة فلم يقدر عليهم، فأشاروا عليه أصحابه بالرحيل إلى سجلماسة[2] ، أكمل سيرهُ باتجاه مدينة سجلماسة، وكان قد استبدّ بها رجلٌ يُدعى ابن واسول[3]، وجعل لقباً لهُ الشاكر بالله، وخاطبهُ الناس بأمير المؤمنين، كما قام بنقش اسمه على السكة، فطاردهُ جوهر حتى قبض عليه وأخذهُ أسيراً، وبذلك نجح الفاطميون في استعادة سيطرتهم على مدينة سجلماسة[4].

اما افريقية فقد خرجت عن سيطرة الدولة الفاطمية سنة 359هـ/970م فقال **ابن الاثير**[5] " **ففي هذه السنة خرج محمد بن الحسين بن خزر الزناتي واجتمع إليه جموع عظيمة من البربر والنكار فخرج المعز إليه بنفسه يريد قتاله حتى بلغ مدينة باغاية وكان الزناتي قريبا منها وهو يقاتل نائب المعز عليها فلما سمع أبو خرز بقرب المعز تفرقت عنه جموعه**". ونتيجة لذلك جهز المعز لدين الله قواته العسكرية وسار بها للقضاء على تمرد أبو خزر فلما قارب الخليفة من مدينة باغاية هرب المتمرد من وجهة[6]، فارسل الخليفة الفاطمي أبا الفتوح يوسف بلكين بن زيري فسار في أثره حتى خفي عليه خبره ووصل المعز إلى مستقرة بالمنصورية، وصل أبو خزر

---

(1) يعلى بن محمد بن صالح الزناتي، كان واليا من قبل المعز لدين الله على ايفكان وتاهرت ثم تحالف مع الأمويين في الاندلس، فقتله جوهر في حملته المغربية الكبرى سنة 347هـ / 958م. ينظر: القاضي النعمان، المجالس والمسيرات، ص275؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص96؛ وابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 223.

(2) أبن خلدون، العبر، ج7، ص25؛ الشيال، جمال الدين، تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، مصر، 1967م، ج1، ص206.

(3) محمد بن الفتح بن واسول المكناسي، وهو من سلالة ميمون بن مدار بن اليسع من بني واسول المكناسي ، تغلب على سجلماسة ودعا لنفسه ، وأرى الناس أنه يدعو لبني العباس، قبض عليه جوهر سنة 347هـ/958م بعد أن تغلب على سلجماسة. ينظر: القاضي النعمان، المجالس والمسيرات، ص11؛ الأمين، اعيان الشيعة، ج4، ص167

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص256؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص156.

(5) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص299؛ ينظر كذلك: الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج10، ص42.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص303.

الخارجي إلى المعز بالله يطلب الأمان و الدخول في طاعته فقبل منه المعز لدين الله ذلك وفرح به وأجرى عليه رزقا كثيراً[1].

اما صاحب مدينة مسيلة وأعمال الزاب جعفر بن علي[2]، فقد كان بينه وبين زيري محاسدة، اذ ارتفع شان زيري عند المعز لدين الله ، مما اثار ذلك ساء ذلك جعفرا ففارق بلاده ولحق بزناتة فقبلوه قبولا عظيما وملكوه عليهم ، وجعلوه عداوة لزيري وقد ثار على الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، فارسل له زيري إليه في جمع كثير من صنهاجة وغيرهم فالتقوا واشتد القتال بينهم فكبا بزيري فرسه فوقع فقتل سنة 360هـ/970م [3].

ورأى جعفر ابن الاندلسي ان قبيلة زناتة تغيرا عن طاعته وندمت على قتل زيري، الذ وضع خطة للهرب الى الاندلس ، اذ انه قد حذر زناته من ان ابنه يوسف بلكين لا يترك ثأر أبيه ولا يرضى لا بقتالكم ، وأشار عليهم بان يتحصنوا بالجبال المنيعة ، فأجابوه إلى ذلك فحمل ماله وأهله في المراكب وبقي هو مع الزناتيين وأمر اصحابه في المراكب أن يعملوا في المراكب فتنة ففعلوا وهو يشاهدهم من البر فقال لزناتة " أريد أنظر ما سبب هذا الشر فصعد المركب ونجا معهم وسار إلى الأندلس إلى الحاكم الأموي فأكرمه وأحسن إليه" [4].

وفي الوقت نفسة كان يوسف بلكين قد توجه بقوات عسكرية ضخمة وقصد زناتة فأكثر القتل فيهم وسبى نساءهم وغنم أولادهم، وقطع الخطبة عن للخليفة العباسي المستنصر بالله واعادها للمعز لدين الله الفاطمي، ولما سمع

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص300؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص49.

(2) جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون وقيل حمدان المعروف بابن الأندلسي، أبو علي، صاحب المسيلة وأمير الزاب، كان سمحا، كثير العطاء، مؤثرا لأهل العلم. وكان بينه وبين زيري بن مناد الصنهاجي محاسدة أفضت الى القتال، هرب بعد ذلك الى الاندلس وقد قتل على يد الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة 372هـ/983م. ينظر: ابن الابار، حلة السيراء، ج١، ص،٣٠٥ ؛ ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد، ص١٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٣٤٢؛ ابن خلكان، ووفيات الاعيان، ج١، ص٣٦٠؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص١٥٤.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص362؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء الزمان ، ج1،ص 287.

(4) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج5، ص180.

المعـز بـذلك سـره أيضـا وزاد فـي إقطـاع بلكـين المسـيلة وأعمالهـا وعظـم شـأنه [1]، حتـى ان المعـز انابـه علـى ولايـة افريقيـا والمغـرب سـنة 361هـ/971م قبيـل انتقاله الى مصر تقديراً لثقة به واخلاصه له [2].

ومن خلال ما تقدم وما تناقلته المصادر ومنها ابن الاثير حول أوضاع بلاد المغرب في عهد المعز الفاطمي تبين ان المنطقة كانت تعاني من اضطراب سياسي وعسكري وتذبذب في الولاء للدولة الفاطمية اذ ان اهلي بلاد المغرب وخاصة زناتة وكتامة كانتا تحاولان فرض السيطرة على البلاد، وكانت تتحين الفرص للانفصال عن الدولة الفاطمية لا ان الفاطميين كانوا متمسكين ببلاد المغرب الأهمية المنطقة من حيت الموقع الاستراتيجي التجاري، فضلا عن اتخاذه قاعدة عسكرية لأي هجوم محتمل من البيزنطيين او اعدائهم الدولة الاموية في الاندلس، لذا نجد ان الخلافة الفاطمية ترسل جيوش وقادة عسكريين لإخضاع المناطق التي تحاول الانفصال، عنها ومن الملاحظ أيضا اخلاص القادة العسكريين للدولة في عهد المعز لدين الله الفاطمي.

7-علاقته مع صقلية

منذ سيطرة الفاطميين على بلاد المغرب توجهوا بأنظارهم باتجاه جزيرة صقلية، لأسباب عديدة منها سياسية حيث كان الفاطميون يرغبون باتخاذ جزير صقلية قاعدة لأسطولها على البحر المتوسط فتؤمن بذلك قدرتها العسكرية في التصدي لأي خطر بيزنطي محتمل على الساحل الأفريقي وبلاد المغرب، وتحقق أهدافها في السيطرة على مصر بتحريك اسطولها من البحر المتوسط باتجاه الإسكندرية[3].اما من الناحية الاقتصادية فقد شكلت صقلية ثروة اقتصادية كبيرا" وذلك بما تمتلكه من مراكز زراعية وتجارية، فضلا عن الموارد المعدنية الثمينة كالذهب والفضة والنحاس وغيرها [4].

ترجع العلاقات الفاطمية مع صقلية الى أيام عبيد الله المهدي فمنذ ان قامت الدولة الفاطمية بأسقاط الدويلات الحاكمة باسم الدولة العباسية في بلاد المغرب العربي ومنها دولة الاغالبة(184 -292 هـ /800-905م) والرستمية (144-296هـ/761-908م)، اذ ارسل

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص156.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1،ص100.

(3) جمال الدين، الدولة الفاطمية ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر الى نهاية القرة الرابع، ص164.

(4) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3، ص416؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص367.

عبيد الله المهدي كتب الى صقلية يدعوهم الى الدخول في طاعة الدولة الفاطمية قال فيه: "وانتم معشر اهل جزيرة صقلية احق بما أوليته من المعروف والإحسان وأسديته واولى يد واقرب اليه لقرب داركم من دار المشركين " [1]، وقد تجاوب وانحاز اهل جزيرة صقلية الى الدعوة الفاطمية وطردوا الوالي احمد بن ابي الحسين بن رباح السني الذي كان يحكم باسم الاغالبة[2] وولوا عليهم علي بن ابي الفوارس[3] سنة 296هـ/909م والذي كان قد تزعم الفئة المناصرة للفاطميين وكتبوا الى الداعي الفاطمي يطلبون منة الإقرار على ما فعلوا فأجابهم على ذلك، اذ وجد ان الوقت غير مناسب لفرض الدعوة الإسماعيلية على صقلية كما فعل مع بلاد المغرب فاعترف اهل صقلية بسلطان افريقية الجديد الفاطمي دون اعتراض[4].

استمرت حركته الاضطرابات الداخلية في جزيرة صقلية والثورات المتوالية ضد ولاة الدولة الفاطمية حتى عهد المنصور بالله الفاطمي فارسل سنة 336هـ/947م حسن بن علي بن ابي الحسين الكلبي زعيم قبيلة الكلبيين وقد أوصاه باستعمال الشدة **فقد أشار ابن الاثير لذلك بقوله: "بلد قد اسكرت اهلة النعمة وابطر هم الاحسان واعتادوا مع خليل أشياء لا يخرجها من رؤوسهم الا السيوف"**[5].

8-علاقة المعز مع الاندلس الاسلامية

بعد اعلان عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) ،الخلافة الاموية في الاندلس اصبح للدولة الفاطمية عدو اخر غير الدولة العباسية، وهي الخلافة الاموية، التي وجدت في محاولات الدولة الفاطمية للسيطرة على المغرب الأقصى القريب من السواحل الاندلسية خطر يهدد كيانها[6]، لذا اراد الخليفة عبد الرحمن الناصر استغلال حركة أبو يزيد الخارجي من اجل توطيد نفوذه في المغرب الأقصى بل وفي إفريقية، ورأى أن فشل هذه الحركة يحتم عليه

---

(1) القاضي النعمان المغربي، افتتاح الدعوة ، ص257.

(2) ماري، المكتبة العربية الصقلية نصوص في التاريخ والبلدان والمراجع، ص234.

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(4)النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج24، ص200؛ طقوش ، تاريخ الدولة الفاطمية في شمال افريقية ومصر وبلاد الشام ، ص88؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص200.

(5) الكامل في التاريخ، ج8، ص169.

(6) العبادي ، احمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت،1971م ، ص243.

مضاعفة جهوده في رد الخطر الفاطمي بعيداً عن بلاده وذلك بمساعدة حلفائه من البربر والموالين له[1]، فضلا عن مساعيه في تقوية الاسطول الاندلسي لمواجه الاسطول الفاطمي في حال حدوث صراع مسلح[2].

وبالمقابل فقد كانت سياسة الفاطميين في مواجهة الأمويين تقوم على كسب قبائل المغرب الأقصى والسيطرة عليه لتكون في مواجهة مع الأمويين في الأندلس إلا إنها فشلت في إخضاعها، فعلى الرغم من ان الفاطميين قد اقروا موسى بن ابي العافية[3] على المغرب الأقصى الا انه خلع طاعة عبيد الله المهدي وإعلن الولاء والطاعة لعبد الرحمن الناصر، واقام الخطبة له في المغرب الأقصى سنة 319هـ/931م، الا ان هذه الخطبة لم تدم طويلا حيث تعرضت للقطع بعد طرد موسى من بلاد المغرب من قبل القوات الفاطمية و أعيدت الخطبة للخليفة القائم الفاطمي[4]. وعندما تولى المعز لدين الله الفاطمي قيادة الفاطميين في بلاد المغرب تمكن من اخضاع المغرب لسلطة دولته فقد جعل من جميع بلاد شمال أفريقيا كتلة قوية لا يستطيع البيزنطيون النيل منها ، وفضل عدم التحالف معهم ضد الأمويين في الأندلس على الرغم من اختلافهم في المذهب الديني ليكونوا قوة أمام الروم البيزنطيين الذي يراهم العدو الحقيقي[5] .

وعلى الرغم من ذلك نجد ان الامر لم يرق للخليفة الاموي فقد تطور الصراع بين الطرفين الى حدوث صدام عسكري مسلح حيث هاجمت احدى السفن الاندلسية مركب صغير

---

(1)دياب، صابر محمد، سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1973م، ص117.

(2)أبن خلدون، تاريخ بن خلدون ، ج1، ص21.

(3)ابن ابي العافية موسى بن ابي العافية بن ابي بسال بن ابي الضحاك المكناسي: مؤسس الامارة (المكناسية) بمراكش، وتسمى امارة (آل ابي العافية) كانت له بلدة مكناسة، وعقد له ابن عمه مصالة بن حبوس على سائر ضواحي المغرب وامصاره (سنة 305هـ/918م) بالإضافة إلى عمله من قبل، وهو: تسول، وتازا، وكرسيف. واقره عبيد الله المهدي الفاطمي. ثم ضم اليه مدينة فاس (سنة 313 هـ/926م) وقاتل الادارسة واجلاهم عن بلادهم، وصار في ملكه (سنة 317هـ/929م) من احواز تيهرت إلى السوس الاقصى. وملك تلمسان (سنة 319هـ/931) وانتظم في ملكه المغربان الاقصى والاوسط. ينظر: ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، ج6، ص135؛ المراكشي، بيان المغرب، ج1، ص94؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص323-324.

(4) السيلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ص244.

(5) الأمين، دائرة المعارف الإسلامية، ج4، ص63 .

تابع لوالي الفاطميين في صقلية ، **وقد أورد ابن الاثير[1] رواية حول الحادثة بقوله:" انشأ عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس مركبا كبيرا لم يعمل مثله ، وسير فيه أمتعة إلى بلاد الشرق فلقي في البحر مركبا فيه رسول من صقلية إلى المعز فقطع عليه أهل المركب الأندلسي وأخذوا ما فيه وأخذوا الكتب التي إلى المعز فبلغ ذلك المعز فعمر أسطولا واستعمل عليه الحسن بن علي صاحب صقلية وسيره إلى الأندلس فوصلوا إلى المرية فدخلوا المرسي وأحرقوا جميع ما فيه من المراكب وأخذوا ذلك المركب وكان قد عاد من الإسكندرية ، وفيه أمتعة لعبد الرحمن وصعد من في الأسطول إلى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين إلى المهدية ، ولما سمع عبد الرحمن الأموي سير أسطولا إلى بعض بلاد أفريقية فنزلوا ونهبوا فقصدتهم عساكر المعز فعادوا إلى مراكبهم ورجعوا إلى الأندلس وقد قتلوا وقتل منهم خلق كثير**".

وعندما علم الخليفة الاموي الناصر أرسل حملة بحرية لغزو السواحل المغربية، الا انها فشلت في تحقيق أهدافها بسبب قوة الاسطول الفاطمي وتحصينات السواحل المغربية [2]، فأعاد المحاولة عام (345هـ/956م) بعد أن عقد صلح مع الممالك الاسبانية الشمالية المتمردة على سلطة الامويين في الاندلس، لوقف الحرب معهم ليأمن خطرهم من جهة وليتسنى له التفرغ للهجوم على الفاطميين من جهة أخرى [3]، ولإحكام خطته طلب الناصر العون من إمبراطور الروم قسطنطين السابع (300-348هـ/913-959م)، مستغلاً بذلك ضعف العلاقة بين الروم والفاطميين[4].

وكان رد الإمبراطور البيزنطي بالموافقة على التحالف مع الأمويين ضد الدولة الفاطمية، وأرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر رسله الى القسطنطينية ومعها الكثير من الهدايا، كما استقبل الناصر رسل البيزنطيين في الأندلس وعقدت معاهدة تضمنت توحيد جهودهما في محاربة الفاطميين[5]، اشار القاضي النعمان[6] الى ذلك قائلاً: " فألف المراكب وجمع جميع رجاله ... واخرج اسطولاً

---

(1) الكامل في التاريخ، ج8، ص513.

(2)المصدر نفسة ، ج8، ص522.

(3) العبادي ، عبد العزيز احمد مختار ، البحرية الإسلامية في المغرب والاندلس ،دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة ،1989،ص384.

(4) القاضي النعمان المغربي ، المجالس والمسايرات، ص166.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص213.

(6) المجالس والمسايرات، ص166.

... بعد ان كتب الى طاغية الروم يسأله النصرة ، واهدى اليه هدايا وارسل اليه رُسلاً من قبله ، فأجابه الى ذلك وجاءت اساطيل الروم ... ومراكب بني امية بالأندلس" ، وقد تمكن الفاطميون من تحقيق الانتصار على الروم فهزموهم في البحر وقتل منهم خلقاً عظيماً وولوا هاربين بين امام الاسطول الفاطمي ليحموا بلدهم واتبعهم الاسطول الفاطمي إلى ما هناك فلقوه في البحر ايضاً فهزمهم، ثم تحولت المعركة من بحرية الى برية بعد نزول القوات الفاطمية جانب البر بأرضهم فاكثروا فيهم القتل، وأحرق مدائنهم ، الا ان الاسطول الفاطمي اخفق في التصدي للأمويين، اذ تقدم قائدهم غالب بن عبد الرحمن الناصري [1] باتجاه سواحل افريقية الشمالية في سنة 345هـ/956م في تسعين سفينة فدمرها وعاث فيها ثم انسحب الى الاندلس[2] .

وقد حاول الناصر بعد هذه المعارك استمالة المعز لدين الله الفاطمي فارسل له العديد من الرسائل والوفود لغرض المصالحة بين الطرفين فرفض المعز ذلك بسبب استعانة الناصر بالروم، وكذلك عدم جدية الناصر بالمصالحة حيث كان يهدف من ذلك كسب الوقت من اجل القيام بغزوات جديده للسواحل المغربية [3].

وبعد رفض المعز لدين الله لجميع محاولات الناصر بالصلح قام في سنة 346هـ/ 956م بتحصين الثغور، واخذ يستعد للقيام بهجوم واسع على السواحل الفاطمية، اذ قام بأرسال حملة برية وبحرية للمناطق الخاضعة لسيطرة الفاطميين بالمغرب الأوسط فوصلت الحملة الى تلمسان، فأوقعت الهزيمة بالقوات الفاطمية، مما اثر على حركة الملاحة البحرية والتجارة لعدة اشهر [4]، كما قام بتحريض القبائل البربرية ضد الخلافة الفاطمية، وتمكن من استمالة العديد من قبائل المغرب الى جانبه من زناته، و أقيمت له الخطبة على منابر في تاهرت وطنجة وبويع في مدينة

---

(1)غالب بن عبد الرحمن أحد أمراء البحر ومولى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، واصبح من أبرز رجال الدولة في عهد الخليفة الحكم المستنصر، وشغل حكم الثغر الأعلى، قتل على اثر معركة حدثت بينة وبين المنصور بن ابي عامر سنة 371هـ .ينظر: ابن عذاري ، بيان المغرب ، ج2،ص417.

(2)ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص46.

(3) القاضي النعمان، المجالي والمسيرات، ص170؛ حسن ، المعز لدين الله الفاطمي ، ص42؛ سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص221.

(4)حمودة، تاريخ الاندلس السياسي،ص210.

فاس وبذلك اصبح يسيطر على مناطق واسعة من المغرب الأوسط والاقصى[1]،وعلى اثر ذلك جهز الخليفة المعز الفاطمي جيشاً ضخماً لاستعادة سلطان الخلافة الفاطمية على تلك البلاد، أسند قيادتها إلى جوهر الصقلي، الذي مضى في فتح مدن المغرب حتى أسترد سجلماسة وفاس، لكنه عجز عن الاستيلاء على سبتة وطنجة بسبب قوة المقاومة فيها [2] .

المبحث الثالث: اخبار الدولة الفاطمية في فترة خلافة العزيز بالله (365-386هـ/975-996م) عند ابن الاثير

1- ولاية العزيز بالله

هو أبو المنصور نزار بن معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد المهدىّ ، وهو الخامس الخلفاء الفاطميين ، والثاني خلفاء الدولة الفاطمية في مصر وبلاد الشام كان قد ولى العهد من أبيه في حياته ، ثم بايعه النّاس في يوم وفاة أبيه ، سنة 365هـ/975م[3] ، **وقد ذكر ابن الاثير[4]سبب بيعة العزيز الأولى بقوله : "أن أباه المعزّ لدين اللَّه كان مغرما" بالنجوم ويعمل بأقوال المنجمين قال له منجمه أن عليه قطعا في وقت كذا وأشار عليه بعمل سرداب يختفي فيه إلى أن يجوز ذلك الوقت ففعل ما أمره وأحضر قواده فقال لهم إن بيني وبين الله عهدا أنا ماض إليه وقد استخلفت عليكم ابني نزارا يعني العزيز فاسمعوا له وأطعيوا ونزل السرداب فكان أحد المغاربة إذا رأى سحابا نزل وأومأ بالسلام إليه ظنا منه أن المعز فيه فغاب سنة ثم ظهر وبقي مده ومرض وتوفي** ".كان العزيز بالله عالما فاضلا جوادا شجاعا جاريا على منهاج أبيه من حسن السيرة وإنصاف الرعية[5]، وستر ما يدعون إليه إلا عن الخاصة ثم أظهره وأمر الدعاة باظهاره إلا أنه لم يخرج فيه إلى حد يذم به[6].

---

(1) القاضي النعمان، المجالي والمسيرات، ص375؛السيلاوي، الاستقصا،ج1، ص203؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج1،ص305.

(2) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص89؛ ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص63.

(3) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5،ص371؛الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج15، ص166 .

(4) الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 664 .

(5) الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج15، ص166؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص525؛ المقريزي الخطط، ج4، ص413.

(6) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج14، ص388؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر مصر والقاهرة، ج4، ص117؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1،ص321.

2- **اهل الذمة[1] أيام العزيز بالله**

لم يوثق لنا ابن الاثير الكثير من المعلومات عن علاقة الخليفة العزيز باهل الذمة سوى اسطر قليلة في الوقت الذي بينت فيه المصادر طبيعة هذه العلاقة اذ اتفقت على ان الخليفة الفاطمي كان متسامح مع اهل الذمة من حيث حرية ممارسة الشعائر الدينية، وكذا الحال مع اهل السنة على الرغم من ان الإسماعيلية هم من المكون الشيعي[2] ، فقد اظهر لهم تسامح كبير حيث كانت تدرس المذاهب الأخرى في المجالس العلمية كالمالكية والشافعية ، ولم يفرض على المصريين من السنة اعتناق المذهب الإسماعيلي [3]، فضلا عن عدم التدخل في شؤون الاقباط وتعيين روؤسائهم الدينين ، وسمح لهم بترميم الكنائس القبطية [4].

كما قرب اهل الذمة من الدولة الفاطمية ورفع من مكانتهم حتى انه ارسل كتابا الى والي صقلية يامره ان يسلم للراهب اخو زوجتة النصرانية قلاعا من بلاد صقلية وهي طبرمين ورمطة [5]. وعمل كثير منهم في مؤسسات الدولة كجبايه الضرائب من الجزية والخراج، فتغيرت أحوالهم أحوالهم تغيرا كبيرا، وزاد من تقربهم ان اتخذ منهم وزراء كأمثال يعقوب بن كلس[6]، وعيسى بن

---

(1) أَهلُ الذِّمـة : أَهلُ العَقْدو الذِّمَّـةُ : الأَمـانُ ، وسُمِّي الـذِّمّي ، لأَنّـه يَـدْخُل فـي أَمـانِ المُسلِمين والذِّمَّـة : الكَفالَـةُ والضَّـمان وهـم الـذين يُـؤَدُّون الجِزْيـة أي يـدفعون الجزيـة للمسـلمين .ينظـر : ابـن فـارس، معجـم مقـاييس اللغـة، ج2،ص346؛ابن منظور ، لسان العرب ، ج12، ص221.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص28.

(3) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص297.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج4، ص413.

(5) عباس، العرب في صقلية، ص52.

(6)يعقوب بن كلس : هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس وزير العزيز ،كان يعقوب يهوديا يزعم أنه من ولد هارون بن عمران أخي موسى بن عمران عليهما السلام وقيل إنه كان يزعم أنه من ولد السموال بن عاديا اليهودي، ولد يعقوب ببغداد ونشأ بها تعلم الكتابة والحساب وسافر به أبوه من بغداد إلى الشام وأنفذه إلى مصر سنة 331هـ/943م فانقطع إلى بعض خواص كافور الإخشيدي فجعله على عمارة داره، ثم صار ملازما لباب داره فرأى كافور من نجابته وشهامته وصيانته ونزاهته جعله كافور على سائر الدواوين أن لا يمضي دينار ولا درهم إلا بتوقيعه فوقع في كل شيء، وتوفي في عام 380 هـ/990م ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج7، ص28؛ابن الصيرفي ، القانون في ديوان الرسائل والاشارة الى من نال الوزارة ، ص54؛الذهبي، تاريخ الإسلام، ج26، ص550.

نسطورس[1]، ومنشأ بن إبراهيم بن القزاز اليهودي[2]، الذي كان مسؤولا عن ديوان الشام من سنة(385-389هـ/995-999م)[3] ، الا ان اهل الذمة اخذوا يستغلون مناصبهم في الإساءة للمسلمين فابعدوا الكثير منهم عنه العمل في دواوين الدولة وقربوا أبناء ملتهم مما اثار سخط المسلمين عليهم، وقد **اوراد لنا ابن الاثير[4] ذلك بقوله:** " قيل إنه ولى عيسى بن نسطورس النصراني كتابته واستناب بالشام يهوديا اسمه منشا فاعتز بهما النصارى واليهود وآذوا المسلمين فعمد أهل مصر وكتبوا قصة وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس ، فيها بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك الا كشفت ظلامتي وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز والرقعة بيدها فلما رآها أمر بأخذها فلما قرأ ما فيها ورأى الصورة من قراطيس علم ما أريد بذلك فقبض عليهما وأخذ من عيسى ثلاثمائة ألف دينار ومن اليهودي شيئا كثيراً "

3- بلاد الشام والخلافة الفاطمية أيام العزيز بالله

بعد أستقرار العزيز بالله في خلافته حاول استمالة افتكين التركي فأرسل له يدعوه الى الطاعة ويمنحه الأمان إلا ان أفتكين أغلظ في جوابه وقال :"هذا بلد أخذته بالسيف ولا أدين لأحد فيه بطاعةً " [5]؛ الامر الذي اثار العزيز فأنفذ إليه جوهرا في عساكر كثيرة وعندما علم افتكين بذلك دعا أهل البلد وأعلمهم ما قد أضلهم وانه على مفارقتهم فقالوا :"علمتم أنني ما وليت أمركم إلا عن رضا منكم وطلب من كبيركم وصغيركم لي وإنما كنت مجتازا وقد أظلكم هذا الأمر وأنا سائر عنكم لئلا ينالكم أذى بسببي فقالوا : لا نمكنك من فراقنا ونحن نبذل الأنفس والأموال في هواك وننصرك ونقوم معك فاستحلفهم على ذلك فحلفوا له فأقام عندهم"[6].

---

(1) عيسى بن نسطورس نصراني تولى منصب الوساطة سنة 383هـ/993م كما أشرف على دواوين الدولة في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله. ينظر: المقريزي، الخطط، ج2، ص 232؛ شافعي، محمود سلام، اهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأوّل، الهيئة المصرية العامة، 1955م، ص 30.

(2) منشأ بن إبراهيم يهودي الأصل تم تعينة من قبل نسطورس على بلاد الشام لإدارة دواوين المدينة وقد اساء معاملة المسلمين اذ اثقل في فرض الضرائب على الناس . ينظر : ابن ظافر ، اخبار الدولة المنقطعة ، ص41 .

(3) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص32؛ ابن ظافر، اخبار الدول المتقطعة ، ج1،ص189؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج4،ص158.

(4) الكامل في التاريخ ، ج9، ص118؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج12، ص214.

(5)الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري، ج1، ص226.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج8، ص657

ولما وصل جوهر الى الرملة كاتب افتكين وعرفه انه قد استصحب له أمانا وكتابا بالعفو عما فرط فيه وأموالا فأجابه افتكين إجابة مغالط معتذراً بعدم موافقة أهالي دمشق على عودة الحكم الفاطمي الى مدينتهم ، مما دفع جوهر الى الحرب، والتي استمرت شهرين ظهر من شجاعة افتكين وغلمانه ما عظموا به في النفوس [1]، وكتب القائد جوهر الى أفتكين يعرض عليه أماناً حمَله له العزيز، إلا أن أفتكين رفض عرض العزيز للمرة الثانية، فتقدمت القوات الفاطمية واصطدمت بقوات أفتكين وأهالي دمشق بمعركة في ربيع الأول عام366هـ/976م، أسفرت عن انتصار قوات الفاطميين، ؛ ولذلك لجأ أفتكين الى الاستعانة بعدو الفاطميين القرامطة وطلب منهم مساعدته للتصدي لقوات العزيز [2] ،وقد استجاب القرامطة لذلك والذين كانوا يتحينون الفرص للانتقام من الفاطميين بعد الخسائر الكبيرة التي تكبدوها على يد القوات الفاطمية ، فهاجمت قوات مشتركة دمشق وعندما علم جوهر والذي كان محاصر للمدينة بذلك انسحب نحو الرملة لعدم قدرته على المقاومة امام عدوين في نفس الوقت، الا ان القوات المشتركة لاحقت جوهر واصطدمت به في معركة انتهت بهزيمة جوهر وانسحب داخل مدينة الرملة وتم عقد صلح بين الطرفين تضمن عدة شروط مذلة لجوهر [3]

عاد جوهر الى القاهرة واصف للخليفة الفاطمي سوء أوضاع بلاد الشام في ضل سيطرة افتكين وأشار علية بالخروج بنفسة لمقاتلة افتكين[4] ، فوافق العزيز بالله الفاطمي على ذلك وقد محاول استمالة افتكين بعرض الصلح عليه للمرة الثالثة الا ان افتكين رفض ذلك فوقع القتال بينهم وانهزمت القوات الفاطمية في بداية القتال الا ان الخليفة الفاطمي تمكن من تحويل الهزيمة الى نصر وانهزم افتكين والقرامطة [5] . وعرض الخليفة الفاطمي مكافئة مالية كبيرة لمن يأتيه

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص30.

(2) ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص112؛ حسن، تأريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، ص106.

(3) من الشروط هذه: أن يخرج جوهر وأصحابه عراة لا يسترهم شيء، كما نص ذلك الأتفاق على أن تكون الأراضي الواقعة من غزة ومايليها جنوباً تابعة للفاطميين مقابل أن تصبح عسقلان ومايليها شمالاً من نصيب أفتكين، وتُقام الخطبة في مناطق أفتكين للعزيز. ينظر: أبن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ص 17؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج 8 ص 659 ،المقريزي ؛اتعاظ الحنفا، ج 1 ص 241؛ ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة، ص 31.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11،ص318؛النويري، نهاية الارب في فنون الادب ، ج26،ص209

(5) الكامل في التاريخ ، ج8، ص660؛ أبن خلدون، تأريخ أبن خلدون،ج28،ص157.

بافتكين الذي ولى على وجهه لا يعرف اين يتجه حتى سقط بيد دغفل بن الجراح[1] الذي اخذه اسيرا الى العزيز بالله الفاطمي[2] ،الذي قرر العفو عنه واكرمه واطلق عدد من الاسرى المقربين من افتكين بطلب من افتكين، ولا يعرف السبب الذي دفع العزيز بالله الفاطمي بهذا التصرف اتجاه افتكين، ربما أراد ان يظهر نفسه بمظهر الخليفة المتسامح مع الخارجين بالعفوا عنهم على الرغم من الخسائر الكبيرة في الاروح والأموال التي تكبدتها الدولة الفاطمية ، ولم يكن العزيز الوحيد الذي تصرف هكذا فقد سبقه والده المعز بالله في محاولة استمالة الحسن الاعصم سابقا ، ثم اصطحبه معه افتكين الى مصر وانزله في دار خصصها له وخلع عليه الخلع ، وبقي يكرمه حتى وفاته او مقتل الفتكين الذي قتل مسموما"، وقد شير باصابع الاتهام الى وزير العزيز بالله الفاطمي يعقوب بن كلس، اذ امر الخليفة الفاطمي بحبس ابن كلس ومصادرة بعض من امواله ممتلكاته الا انه اضطر الى اطلاق سراحه لحاجته ليه في إدارة أمور الدواوين التي توقفت لانه كان يدير بعضها ولم يجد من يحل محله في ادارتها [3]، ولكن بعد ذلك ثبتت براءته [4].

ومن خلال ما تقدم نجد ان الدولة الفاطمية في عهد خلافة العزيز بالله الفاطمي ما زالت قوية قادرة على درء أي خطر خارجي يهدد وجودها في المنطقة اذ تمكن الفاطميون من افشال مخططات القرامطة في السيطرة على بلاد الشام ، فضلا عن اخفاق افتكين التركي في السيطرة على المنطقة وجعلها تحت سيطرة وسلطان الاتراك، اذ بقيت بلاد الشام اسميا" تحت نفوذ الدولة الفاطمية على الرغم من حجم المشاكل التي كانت تعاني منها الدولة في خلافة العزيز بالله، وقد عين الخليفة الفاطمي ابا محمود إبراهيم بن جعفر الكتامي[5] واليا على دمشق ،الا انه لم يتمكن

---

(1) دغفل بن المُفرج بن الجراح الطائي هو أمير القبائل الطائية في بلاد الشام في القرن الرابع الهجري ، وكانت تعرف أيضا بإمارة بنو الجراح نسبة الى جده جراح، وإمارة بنو لام نسبة الى الجد الأعلى، والتي امتدت نفوذها من جبال طي ، قتل أخر أمراء بني حمدان أبو تغلب في الرملة عام 368هـ/978م؛العمري، المجدي في أنساب الطالبين، ص 387.

(2) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري،ج1، ص227؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء الزمان ،ج4، ص54؛ الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ص183.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص663؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص318؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج26، ص209.

(4) ثامر، موسوعة الخلفاء الفاطميين، ج4، ص117.

(1) أبو محمود إبراهيم بن جعفر الكتامي كان على مستوى القيادة وعلى درجة لا تقل عن قيمة جوهر ما تطلعت نفسه إلى الرئاسة العليا وإلى الاستقلال ببلاد الشام عن التبعية لجوهر في مصر، وقد حرص على الاتصال

يتمكن من دخولها ، حيث مال أهلها لرجل يدعى قسام الحارثي[1] فدخلوا في طاعته لرغبتهم بالتخلص من الحكم الفاطمي اذ سيطر على بلاد الشام **ونقل ابن الاثير[2] تفاصيل ومجريات الاحداث في بلاد الشام بقوله: "لما فارق افتكين دمشق ، تقدم على أهلها قسام، وكان سبب تقدم قسام أن افتكين قربه ووثق إليه وعول في كثير من أموره عليه فعلا ذكره وصيته وكثر أتباعه من الأحداث ، فاستولى على البلد وحكم فيه وكان القائد أبو محمود قد عاد إلى البلد واليا عليه للعزيز ، فلم يتم له مع قسام أمر ، وكان لا حكم له . ولم يزل أمر قسام على دمشق، نافذا ، وهو يدعو للعزيز بالله العلوي، ووصل إليه أبو تغلب بن حمدان[3] صاحب الموصل منهزما "**،

فمنع قسام ابي تغلب من دخول الى دمشق؛ لخوفه من ازدياد نفوذ ابي تغلب في بلاد الشام ، والسيطرة عليها وبالتالي سوف يقوم الخليفة الفاطمي بأسناد البلاد اليه ليحكمها باسم الدولة الفاطمية [4]، وعلى الرغم من ان ابي تغلب قد طلب الاذن من قسام بدخول دمشق لشراء ما يحتاج ليه جنده من غذاء وسلاح من أسواق دمشق فسمح له في البداية الا انه ارسل من يتصدى له ويمنعه من دخول المدينة[5]، اذ وجرى بينه و بين أصحاب أبي تغلب شيء من قتال وعاد أبو تغلب إلى طبرية، وقد وصلت اخبار ما جرى في دمشق الى الخليفة الفاطمي مما اثار

مباشرة بالخليفة المعز لدين الله في المنصورية دون وساطة جوهر، ثم ولي بلاد الشام في عهد العزيز بالله الفاطمي. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص340، الأمين، مستدركات اعيان الشيعة، ج5، ص100.

(1) قسام الحارثي: من بني حارث بن كعب، امتلك دمشق لمدة طويلة أصله من قرية تلفتيا إحدى قرى جبل سنير بين حمص وبعلبك، وكان ينقل التراب على الحمير. وتنقلت به الأحوال حتى صار له ثروة وأتباع غلب بهم على دمشق سنة 365 هـ. ينظر: الدمشقي، توضيح المشتبه، ج7، ص216؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج26، ص596.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص697.

(3) أبو تغلب الغضنفر بن حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان التغلبي اسمه فضل الله بن ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي ،كانت إليه الموصل وديار بكر وديار مضر ، وكان متحالفا مع عضد الدولة البويهي ، ثم نقض عهده وتحالف مع بختيار ، وأعانه في معركته مع عضد الدولة ، فانكسرا وقتل بختيار ، وتقلبت الحال بأبي تغلب حتى قتل في السنة 369هـ .ينظر : مسكوية ، تجارب الأمم ، ج6، ص450؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج16، ص243؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج4، ص137؛ الأمين ، اعيان الشيعة ، ج2، ص310.

(4) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج2، ص350.

(5) ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج2، ص123.

ذلك غضب الخليفة العزيز بالله سيما بعد وصول كتاب من ابي تغلب الى الخليفة الفاطمي شارحا" له ما جرى عليه ورجاله في دمشق، فارسل العزيز بالله قوات عسكرية بقيادة الفضل بن الفضل[1] فحاصرت قسام بدمشق الا انه لم يستطع من تحقيق الانتصار عليه[2] ، وبقي قسام كذلك إلى سنة 399هـ/1009م فسير من مصر أميرا إلى دمشق اسمه أبا تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي فوصل إليها فنزل بظاهرها[3]، ولم يتمكن من دخولها ؛ بسبب مقامة اهلي دمشق للقوات الفاطمية ، كما ان قسام لجاء الى الحيلة لكسب ود الحليفة الفاطمي اذ ارسل له كتاب يوضح للخليفة بانه نهى الناس عن حمل السلاح وعدم مقاتلة القوات الفاطمية فلم يسمعوا منه فقاتلوه سلمان وأخرجوه من الموضع الذي كان فيه ، لذا ارسل الخليفة الفاطمي امرا" الى سليمان بن جعفر بالانسحاب من دمشق سيما وان قسام قد تعهد للخليفة الفاطمي بالولاء والطاعة وعدم الخروج عليه ، والمحافظة على الوجود الفاطمي في دمشق والتصدي لأي محاولة عباسية للسيطرة على بلاد الشام، والتصدي لعضد الدولة البويهي الذي كان يستعد للهجوم عليها[4].

اما ابا تغلب فبعد الهزيمة التي مني بها على يد قسام أرسل رسولا إلى العزيز بمصر يستنجده ليفتح له دمشق فوقع بين أصحابه وأصحاب قسام فتنة فرحل إلى مدينة نوى وهي من أعمال دمشق فأتاه كتاب رسوله من الخليفة الفاطمي يطلب منه ان يحضر الى مصر ليرسل معه قوات عسكرية، الا انه تردد في قبول دعوة الخليفة ورحل إلى بحيرة طبرية [5].

وكان بالرملة دغفل بن المفرج بن الجراح الطائي قد استولى على هذه الناحية [6]، واظهر طاعة العزيز بالله الفاطمي من غير ان يتصرف على احكامها وقويت شوكته في البلاد، وسار إلى احياء بني عقيل المقامة بالشام ليخرجها من الشام فاجتمعت عقيل إلى أبي تغلب وسألته نصرتها وكتب إليه دغفل يسأله ان لا يفعل[7]، الا ان أبو تغلب رحل في جوار عقيل مما اثار

---

(1) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص22؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص397.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص698؛ ابن عساكر . تاريخ مدينة دمشق، ج21، ص470.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص331.

(5) الدوداري، كنز الدرر وجامع الغرر،ج6، ص117؛ مسكوية ، تجارب الأمم، ج6، ص450.

(6) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8، ص670؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج26، ص398.

(7) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج1، ص199.

ذلك مخاوف دغفل والفضل قائد القوات الفاطمية ، وظنا انه يريد السيطرة على تلك المناطق، ثم إن أبا تغلب سار إلى الرملة فلم يشك ابن الجراح والفضل انه يريد حربهما وكانا بالرملة فجمع الفضل العساكر من السواحل، وكذلك جمع دغفل من أمكنه جمعه واستعدت الجيوش للحرب فلما رأت عقيل كثرة الجمع انهزمت، ولم يبق مع أبي تغلب إلا نحو سبعمائة رجل من غلمانه وغلمان أبيه فانهزم ولحقه القوات المشتركة ، فوقف يحمي نفسه وأصحابه فضرب على رأسه فسقط واخذ أسيرا وحمل إلى دغفل فأسره وكتفه، وأراد الفضل اخذه وحمله إلى العزيز بمصر فخاف دغفل ان يصطنعه العزيز كما فعل بافتكين[1] فقام بقتلة الا ان الفضل لم يقبل على ذلك ،ثم اخذ رأسه وحمله إلى مصر، وكان معه أخته جميلة بنت ناصر الدولة[2] وزوجته وهي بنت عمه سيف الدولة ،فلما قتل حملهما بنو عقيل إلى حلب إلى سعد الدولة بن سيف الدولة[3] فاخذ فاخذ أخته وسير جميلة إلى الموصل فسلمت إلى أبي الوفاء نائب عضد الدولة فأرسلها إلى بغداد فاعتقلت في حجرة في دار عضد الدولة [4].

وسيرت العساكر من مصر لقتال المفرج بن جراح سنة 370هـ/980م. **ويرى ابن الاثير**[5] **سبب ذلك "ان ابن جراح عظم شانه بأرض فلسطين وكثر جمعه ، وقويت شوكته وبالغ هو في العبث والفساد وتخريب البلاد فجهز العزيز بالله العساكر وسيرها وجعل عليها القائد بلتكين**

---

(1) ابو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج2، ص121.

(2) جميلة بنت ناصر الدولة: اشتهرت بالكرم والعقل والجمال. لم تتزوج أنفة من أن يتحكم بها الزوج. ولما تغلب عضد الدولة البويهي على أخيها أمير الموصل، فرت مع أخيها إلى الرملة، فخرج عليهم دغفل بن مفرج أمير طئ فقتل أبا تغلب، وحمل جميلة إلى عضد الدولة فألقاها في دجلة فماتت غرقاً. ينظر: الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح ، المستطرف في كل فن مستطرف ،تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1986، ج1، ص30؛ الزركلي ، الاعلام ، ج2، ص139؛ الأمين ، اعيان الشيعة ، ج4، ص223.

(3) سعد الدولة: أبو المعالي، شريف بن سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد اللَّه الحمداني، صاحب حلب وحمص وما بينهما، جلس على سرير أبيه سيف الدولة سنة 356هـ/967م، وحصلت وحشة بينه وبين خاله، أبي فراس فقتل أبو فراس سنة 357هـ/968م على يد قرغويه غلام سعد الدولة، وعقد مع الروم معاهدة، ثم حاربهم فظفر بهم، واستمر قويا مهيبا، وتوفي سنة 381هـ/992م. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج3، ص406؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص86؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص118.

(4) ابو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج2، ص121.

(5)الكامل في التاريخ ، ج8، ص698.

التركي[1] فسار إلى الرملة واجتمع إليها من العرب من قيس وغيرها جمع كثير وكان مع ابن جراح جمع يرمون بالنشاب ويقاتلون قتال الترك فالتقوا ونشبت الحرب بينهما وجعل بلتكين كمينا فخرج على عسكر ابن جراح من وراء ظهورهم عند اشتداد الحرب فانهزموا وأخذتهم سيوف المصريين ومضى ابن جراح منهزما إلى أنطاكية فاستجار بصاحبها فأجاره وصادف خروج ملك الروم من القسطنطينية في عساكر عظيمة يريد بلاد الاسلام فخاف ابن جراح فكاتب بكجور[2] بحمص والتجئ إليه" .

وبعد ان تم التخلص من خطر ابن الجراح ، عسكرت القوات الفاطمية في دمشق وقد اظهروا لقسام الذي كان يحكم دمشق انهم جاؤوا لإصلاح البلد والقضاء على قطاع الطرق وإعادة الامن والاستقرار للبلاد؛ وكان القائد أبو محمود قد مات سنة 370هـ/980م وهو والي البلد ولا حكم له وانما الحكم لقسام فلما مات قام بعده في الولاية جيش بن الصمصامة[3] وهو ابن أخت أبي محمود فخرج إلى يلتكين وهو يظن انه يريد اصلاح البلد فأمره ان يخرج هو ومن معه وينزلوا بظاهر البلد ففعلوا واحضر قسام وأمر من معه بمباشرة الحرب لغرض ضرب القوتين بعضهما ببعض، فقاتلوا على شكل عدة حملات حقق فيها عسكر يلتكين العديد من الانتصارات

---

(1)بلتكين التركي مولى هفتكين أمير دمشق لوزير مصر يعقوب بن كلس ،وعظم قدره إلى أن جرد إلى الشام في جيش ، وولي إمرة دمشق للفاطميون. وكان مدبر جيشه منشا اليهودي. وكانت دمشق إذ ذاك مفتتنه بقسام المتغلب= =عليها ، وبها جيش بن صمصام بعد موت عمه أبي محمود الكتامي ، فلم يزل بلتكين يقاتل أهل البلد ويقاتلونه ، حتى تفرق عن قسام جموعه وضعف أمره واختفى ، وتسلم بلتكين البلد. ينظر: الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج26، ص550؛الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج29، ص26.

(2)بكجور التركي ، الأمير أبو الفوارس ، مولى سيف الدولة بن حمدان ، ولي إمرة حمص ، ثم ولي دمشق للعزيز العبيدي ، فجار وظلم وصادر ، وخرج عن طاعة العزيز فجهز إليه منير الخادم من مصر ، في سنة ثمان وسبعين ، فبعث بكجور عسكراً ، فالتقوا ، فانتصر منير ، ثم تصالحا ، وذهب بكجور إلى الرقة ، فأقام بها دعوة العزيز ، ثم قتل بنواحي حلب .ينظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج10،ص 375؛الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج27، ص 30؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج10 ، ص127.

(3) ابن الصمصامة: هو أمير دمشق، القائد أبو الفتح، وليها من قبل خاله أبي محمود الكتامي سنة 363هـ/974م، ووليها سنة سبعين، بعد موت خاله، ثم عزل بهد سنتين، ثم ولي دمشق سنة تسع وثمانين، إلى أن مات جيش، وكان جباراً ظالم سفاكاً للدماء، أخاذاً للأموال، وكثر ابتهال أهل دمشق إلى الله في هلاكه، حتى هلك بالجذام في ربيع الآخر سنة 390هـ/1000م. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج11، ص345؛ الصفدي، الوفي بالوفيات، ج11، ص177.

ودخلوا أطراف البلد وملكوا الشاغور[1] وأحرقوا ونهبوا ،فاجتمع مشايخ البلد عند قسام وكلموه في ان يخرجوا إلى يلتكين ويأخذوا أمان لهم فوافق على ذلك . وخرج الشيوخ ا إلى يلتكين فطلبوا منه الأمان لهم ولقسام فأجابهم إليه واشترط عليهم تسليم البلد له فتم له ما ارد سنة 370هـ/980م[2]، ولم يعرض لقسام ولا لاحد من أصحابه على ذلك وأقام قسام في البلد يومين ثم استتر فاخذ كل ما في داره وما حولها من دور أصحابه وغيرهم ثم خرج إلى الخيام فقصد حاجب يلتكين وعرفه نفسه فاخذه وحمله إلى يلتكين فحمله يلتكين إلى مصر فاطلقه العزيز واستراح الناس من تحكمه عليهم وتغلبه بمن تبعه من الأحداث من أهل العبث والفساد [3].

وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الدولة الفاطمية في احداث نوع من الاستقرار في بلاد الشام وخاصة في دمشق بعد التخلص من قسام وابن الجراح الا ان الأوضاع لم تستقر بسبب القتال الذي حدث بين قائد الدولة الفاطمية بلتكين التركي وبين ابن الصمصامة، والذي ارسل من قبل العزيز بالله لاسناد قوات بلتكين، والذي استمر طويلا حتى ان الخليفة العزيز امر يلتكين بتسليم امر دمشق الى بكجور التركي سنة 373هـ/983م رغبة منه في إحلال الامن في المنطقة[4].

وقد اخبرنا ابن الاثير[5] تفاصيل حول تولي بكجور التركي ولاية دمشق بقوله: "وكان بلد دمشق قد خربه العرب وأهل العيث والفساد مدة تحكم قسام عليها وانتقل أهله إلى أعمال حمص فعمرت وكثر أهلها والغلات فيها ووقع الغلاء والقحط بدمشق فحمل بكجور الأقوات من حمص إليه وتردد الناس في حمل الغلات وحفظ الطرق وحماها وكتب إلى العزيز بالله بمصر وتقرب إليه فوعده ولاية دمشق. ووقعت بين سعد الدولة أبو المعالي بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وبين بكجور خلاف، فأرسل سعد الدولة يأمره بان يفارق بلده فأرسل بكجور إلى العزيز بالله يطلب انجاز ما وعده من امارة دمشق ،وكان الوزير ابن كلس يمنع العزيز من ولايته إلى هذه الغاية .وكان القائد بلتكين قد ولي دمشق بعد قسام كما مر سابقا

---

(1) الشاغور: محلة بالباب الصغير من دمشق مشهورة وهي في ظاهر المدينة. الحموي، معجم البلدان، ج3، ص310.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص7.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص296.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص30؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص68.

(5) الكامل في التاريخ، ج9، ص7.

وهو مقيم بها ، فاجتمع المغاربه بمصر على الوثوب بالوزير ابن كلس وقتله فدعته الضرورة إلى ان يستحضر بلتكين من دمشق فأمره العزيز باحضاره وتسليم دمشق إلى بكجور ففعل ذلك ودخلها واليا عليها، فأساء السيرة إلى أصحاب الوزير ابن كلس والمتعلقين به حتى انه صلب بعضهم وفعل مثل ذلك في أهل البلد وظلم الناس وكان لا يخل من اخذ مال وقتل وصلب وعقوبة فبقي كذلك حتى سنة 378هـ/988م".

وعندما علم العزيز بالله بذلك جهز قوات عسكرية من مصر مع القائد منير الخادم[1] فساروا إلى الشام فجمع بكجور قواته العسكرية [2]. وخرج فلقي القوات الفاطمية عند داريا[3] وقاتلهم فاشتد القتال بينهم فانهزم بكجور وعسكره وخاف من وصول نزال[4] والي طرابلس[5]، وكان قد كوتب من مصر بمعاضدة منير فلما انهزم بكجور خاف ان يجيء نزال فيؤخذ فأرسل يطلب الأمان ليسلم البلد إليهم فأجابوه إلى ذلك فجمع ماله جميعه، وسار وأخفى أثره لئلا يغدر المصريون به ،وتوجه إلى الرقة فاستولى عليها وتسلم منير البلد ففرح أهله وسرهم ولايته[6].

وقد حاول بكجور طلب العفو والسماح من سعد الدولة في حلب الا ان سعدا رفض ذلك، فأرسل حينئذ بكجور إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله يطمعه في حلب ويقول له" إنها دهليز العراق ومتى أخذت كان ما بعدها أسهل منها ويطلب الإنجاد بالعساكر" فأجابه العزيز إلى ذلك، وأرسل إلى نزال والي طرابلس وبعض ولاة المدن الشامية التابعة لسلطة الدولة الفاطمية يأمرهم بتجهيز العساكر مع نزال إلى بكجور، والتصرف على ما يأمرهم به من قتال سعد الدولة وقصد بلاده[7]، وكتب عيسى بن نسطورس النصراني(380-386هـ) وزير العزيز إلى نزال يأمره بان

---

(1) منير الخادم الصقلبي غلام الوزير يعقوب بن سفيان بن يوسف بن كلس ولي دمشق من قبل المصريين وقدمها سنة 378هـ/988م فلم يزل أميرا إلى سنة 381هـ/991م. ينظر: الصفدي، امراء دمشق في الاسلام، ص105؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج60، ص382.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج10، ص375؛ ابو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج2، ص125.

(3) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. ينظر: الحموي، ج2، ص431.

(4) نزّال الغوري الكُتامي، وهو من قبيلة كُتامة المغربية البربرية، ومن صناديد المغاربة، ووُضع تحت إمرته ستة آلاف رجل من عسكر طرابلس. ينظر، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص30، الأمين، اعيان الشيعية، ج7، ص340.

(5) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص251.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص58.

(7) مسكوية، تجارب الأمم، ج7، ص249.

يدفع بكجور وإطماعه في المسير لمقاتلة سعد الدولة فاذا تورط في ذلك تخلى عنه. وكان السبب في فعل عيسى هذا ببكجور أنه كان بينه وبين بكجور عداوة مستحكمه وولي الوزارة بعد وفاة ابن كلس فكتب إلى نزال[1]. فلما وصل أمر العزيز بالله إلى نزال بإنجاد بكجور كتب إليه يعرفه ما أمر به من نجدته بنفسه وبالعساكر معه، وكان بكجور قد رحل من الرقة وطتب الى نزال بان يسير من طرابلس ليكون وصولة الى حلب في وقت واحد وكان نزال فد ابطأ في المسير، وتابع مراسلة بكجور في يبلغة عن مكان تنقله من مكان الى اخر[2]، فسار بكجور مغترا بقوته إلى بالس[3] فامتنعت عليه فحصرها خمسة أيام فلم يظفر بها فسار عنها [4].

وبلغ الخبر بمسير بكجور إلى سعد الدولة فسار عن حلب، ومعه لؤلؤ الكبير[5] مولى أبيه سيف سيف الدولة، وكتب إلى بكجور يستميله ويدعوه إلى الموافقة ورعاية حق الرق والعبودية، ويبذل له أن يقطعه من الرقة إلى حمص فلم يقبل منه ذلك.

وكان سعد الدولة قد كاتب الوالي بأنطاكية لملك الروم يستنجده فسير إليه جيشا كثيرا من الروم [6]،وكاتب أيضا الذين مع بكجور من العرب يرغبهم في الإقطاع والعطاء الكثير والعفو عن مساعدتهم بكجور فمالوا إليه ووعدوه الهزيمة بين يديه، فلما التقى العسكران اقتتلوا واشتد القتال فلما اشتد القتال بين الطرفين، عطف العرب على سواد بكجور فنهبوه واستأمنوا إلى سعد الدولة فلما رأى بكجور ذلك اختار من شجعان أصحابه أربعمائة رجل، وعزم على أن يقصد موقف سعد الدولة ويلقي نفسه عليه فإما له وإما عليه فهرب واحد ممن حضر الحال إلى لؤلؤ

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص85.

(2) الحلبي، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج1، ص272.

(3)بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة ، سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح ، عليه السلام، وكانت على ضفة الفرات الغربية. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص328.

(4) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج26،ص152.

(5)لؤلؤ الحجراني. ويعرف بذلك لأنه كان مولى حجراج، أحد غلمان سيف الدولة، فأخذه منه وسماه لؤلؤ الكبير، الكبير، وكان عاقلاً محباً للعلماء والعدل، شهماً وظهرت منه في بعض غزوات سيف الدولة شهامة، فتقدم على جماعة رفقته من السيفية والسعدية.وتقرّرت إمارة حلب بعده لابنه أبي نصر منصور بن لؤلؤ ولقب مرتضى الدولة، وكان ظالماً عسوفاً، فأبغضه الحلبيون وهجوه هجواً كثيراً. ينظر: ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ج1،ص36.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج9، ص86.

الكبير وعرفه ذلك [1]، **قال ابن الاثير**[2] **:" فطلب لؤلؤ من سعد الدولة أن يتحرك من موقفه ويقف مكانه فأجابه إلى ذلك بعد امتناع فحمل بكجور ومن معه فوصلوا إلى موقف لؤلؤ بعد قتال شديد عجب الناس منه واستعظموه كلهم فلما رأى لؤلؤا ألقى نفسه عليه وهو يظنه سعد الدولة وضربه على رأسه فسقط إلى الأرض فظهر حينئذ سعد الدولة وعاد إلى موقفه ففرح به أصحابه وقويت نفوسهم وأحاطوا ببكجور وصدقوه القتال فمضى منهزما هو وعامة أصحابه وتفرقوا وبقي منهم معه سبعة من العساكر وكثر القتل والأسر في الباقين".**

ولمّا طال القتال ببكجور ألقى سلاحه وسار فوقف فرسه فنزل عنه، وسار راجلا فلحقه نفر من العرب فأخذوا ما عليه، وقصد بعض العرب فنزل عليه وعرفه نفسه وضمن له حمل بعير ذهبا ليوصله إلى الرقة فلم يصدقه لبخله المشهور عنه فتركه في بيته، وتوجه إلى سعد الدولة فعرفه أن بكجور[3] عنده فحكمه سعد الدولة في مطالبه فطلب مائتي فدان ملكا، ومائة ألف درهم ومائة جمل تحمل له حنطة، وخمسين قطعة ثيابا فأعطاه ذلك أجمع وزيادة، وسير معه سرية فتسلموا بكجور وأحضروه عند سعد الدولة، فلما رآه أمر بقتله فقتل[4].

ومن خلال ما تقدم فقد عاشت بلاد الشام خلال فترة خلافة العزيز بالله ظروف صعبة تمثلت بالصراع المستمر بين الدولة وبين الخارجين عليها من جهة، وتمرد أهلها ورفضهم الوجود الفاطمي في بلادهم فضلا عن المجاعات التي سببتها الحروب المستمرة ، كما تولى عدد ليس بالقليل من الولاة قيادة بلاد الشام مما سبب عدم استقرار سياسي داخلي وخارجي، فضلا عن التدخلات البيزنطية في المنطقة وبشكل مستمر طيلة الفترة السابقة وخلال حكم العزيز الفاطمي .

4-موقف العزيز بالله من بلاد الحجاز

استمر خلفاء الدولة الفاطمية في محاولة ان يكون لها نفوذ على الحجاز؛ وذلك لأهميتها الدينية اذ ان الصراع الديني كان مستمر بين الخلافتين العباسية والفاطمية كل يحاول فرض هيمنته او إيجاد نفوذ له وان تكون لهم الخطبة على هذه الارض المقدسة، والتي خضعت في النهاية لنفوذ الفاطميين في عهد المعز لدين الله الفاطمي ،وعندما تولى العزيز بالله حكم الدولة

(1) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص54.

(2) الكامل في التاريخ ، ج9، ص58.

(3) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج10، ص375.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج9، ص58.

الفاطمية استمر على سياسة سلفة تجاه الحجاز ،فارسل كسوة الكعبة والأموال والهدايا الى اشراف مكة والمدينة المنورة [1].**وقد أشار الى ذلك ابن الاثير[2] بقوله: "و سير العزيز بالله العلوي صاحب مصر وأفريقية أميرا على الموسم ليحج بالناس وكانت الخطبة له بمكة وكان الأمير على الموسم باديس بن زيري[3] أخا يوسف بلكين خليفته بأفريقية فلما وصل إلى مكة أتاه اللصوص بها فقالوا له نتقبل منك الموسم بخمسين الف درهم ولا تتعرض لنا فقال لهم افعل ذلك اجمعوا لي أصحابكم حتى يكون العقد مع جميعكم فاجتمعوا فكانوا نيفا وثلاثين رجلا فقال هل بقي منكم أحد فحلفوا انه لم يبق منهم أحد فقطع أيديهم كلّهم وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة وغرقت كثيرا من الجانب الشرقي ببغداد وغرقت أيضا مقابر بباب التبن بالجانب الغربي منها وبلغت السفينة أجرة وافرة وأشرف الناس على الهلاك ثم نقص الماء فامنوا".**

وقد اختلفت بعض المصادر مع ما اورده ابن الاثير حول خروج مكة عن نفوذ الفاطميين بعد وفاة ابيه اذ اشارت الى السبب الذي دفع الخليفة الفاطمي الى ارسال باديس الصنهاجي الى مكة، هو استعادة الخطبة التي قطعها اشراف مكة للفاطميين، وخطبوا باسم الدولة العباسية [4].

وعلى الرغم ذلك فان الوضع في بلاد الحجاز كان متذبذب بين نفوذ الفاطمية والعباسية ففي سنة (380هـ/981م) أقيمت مرة أخرى الخطبة للدولة العباسية وبهاء الدولة البويهي، اذ حج بالناس

---

(1) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4،ص101.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج8، ص694.

(3)باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد أبو مناد الحميري الصنهاجي والد المعز بن باديس سنة 374هـ/985م وكان باديس يتولى أفريقية وكانت ولايته بعد أبيه المنصور، وكان باديس ملكا كبيرا حازم الرأي شديد البأس توفي سنة 406هـ/1016م .ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج10،ص43؛ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ص179.

(4) أدرك العزيز بالله الفاطمي خطورة الوضع في الحجاز خاصة بعد ان خطب الاشراف للخليفة العباسي الطائع (363-381هـ) في مكة فأرسل قوات عسكرية احكمت حصارها على مكة والمدينة، ومنعوا من وصول المواد الغذائية عن أهلها فاضطر امير مكة عيسى بن جعفر بن محمد الى قطع الخطبة للخليفة العباسي، والخضوع لسيطرة الدولة الفاطمية. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج7، ص244؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص101؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص 330 سرور، النفوذ الفاطمي، ص47.

أبو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله العلوي [1]، وخطب فيها للخليفة العباسي الطائع لله فاصدر الخليفة الفاطمي امرا بارسال حملة عسكرية لاستعادة الخطبة والدعاء فتم له ذلك[2] .

5-علاقة العزيز بالله مع بلاد المغرب

ان المتتبع للحوادث التاريخية يجد ان الدولة الفاطمية قد عانت من مشاكل سياسية، وحركات تمرد في جميع المناطق التي سيطرت عليها، ومنها بلاد المغرب التي تأسست فيها الدولة الفاطمية، ومنها انتقلت الى مصر بعد ان رتبت أوضاع المغرب وجعلتها بيد امينة فبعد وفاة المعز لدين لله الفاطمي تولى العزيز بالله قيادة الدولة الفاطمية، بقيت المغرب خاضعة لسلطة الدولة الفاطمية بقيادة بلكين بن زيري الصنهاجي[3]، الا ان بلاد المغرب لم تستقر داخليا اذ شهدت الكثير من التمردات من الزناتيين والكتاميين، **وقد نقل ابن الاثير[4] ما جرى من احداث فترة خلافة العزيز بالله وكيفية علاجها فروى ذلك بقوله: " ثار في بلاد المغرب خزرون بن فلفول بن خزر الزناتي[5] الذي سار بجمع كبيرا إلى سجلماسة فلقيه صاحبها في رمضان فقتله خزرون وملك سجلماسة وأخذ منها من الأموال والعدد شيئا كثيرا وبعث برأس صاحبها إلى الأندلس وعظم شأن زناتة واشتد ملكهم"**

وكان بلكين بن زيري عند سبتة ، ثم توجه بقواته إلى فاس وسجلماسة فسيطر عليها وطرد عنه عمال بني أمية وهربت زناتة منه فلجا كثير منهم إلى سبتة والتي كانت تحكم باسم الدولة الاموية في الاندلس، وكان في طريقه غير سالك بسبب كثافة النباتات والتي كانت تعيق حركة الجند فأمر بقطعها وإحراقها فقطعت وأحرقت حتى صارت للعسكر طريقاً ثم توجه بنفسه حتى أشرف على سبتة من جبل مطل عليها فوقف نصف نهار لينظر من أي جهة يحاصرها ويقاتلها فرأى

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص78.

(2) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج14، ص383.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص300؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص295.

(4)الكامل في التاريخ، ج8، ص667.

(5) خزرون بن فلفول بن خزر من امراء قبيلة مغراوه واعيان بني خزر تمكن من السيطرة على سلجماسة سنة 366هـ/977م، ولم يخضع لسلطة الدولة الفاطمية وانما اقام الخطبة للخليفة الاموي في الاندلس هشام المؤيد بالله(366-403هـ/976-1013م) وضرب السكة باسم الخليفة الاموي في الاندالس، الا ان سلجماسة عادت مره أخرى الى سلطة الدولة الفاطمية على يد زيري سنة 369هـ/963م. ينظر: ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص19؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج5، ص163؛ الزركلي، الاعلام، ج7، ص196.

أنها لا تؤخذ إلا بأسطول[1] فخافه أهلها خوفا عظيما ثم رجع عنها نحو البصرة[2]، فلما سمعت به زناتة رحلوا إلى أقاصي الغرب في الرمال والصحاري هاربين منه فدخل بلكين البصرة ،وكانت قد عمرها صاحب الأندلس[3] عمارة عظيمة فأمر بهدمها ونهبها ورحل إلى بلد برغواطة[4]، وكان ملكهم عيسى ابن أم الأنصار[5] وكان ساحرا مشعوذ وادعى النبوة فأطاعوه في كل ما أمرهم به وجعل لهم شريعة فغزاة بلكين وكانت بينهم حروب عظيمة لا توصف كان الظفر في آخرها بلكين ، وقتل عيس ابن أم الأنصار وهزم عساكره وقتلوا قتالا ذريعا وسبى من نساءهم وأبنائهم ما لا يحصى، وسيره إلى أفريقية فقال أهل أفريقية إنه لم يدخل إليهم من السبي مثله قط، وأقام يوسف بلكين بتلك الناحية قاهرا لأهلها وأهل سبتة منه خائفون وزناتة هاربون في الرمال إلى سنة 303هـ/916م [6] .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها يوسف بلكين الصنهاجي في القضاء على الخارجين عن السلطة الدولة الفاطمية في خلافة المعز لدين الله الفاطمي، والعزيز بالله التي ثمن فيها الفاطميون هذه الجهود بمنح الصنهاجي الاقطاعيات، والسلطة وولاية بلاد المغرب الا اننا نجد ان الصنهاجيين كانت لهم أيضا تطلعاتهم للسيطرة على بلاد المغرب، فبعد وفاة بلكين الصنهاجي سنة 373هـ/983م، تولى ابنه المنصور قيادة المغرب وذلك بعهد من ابيه الذي اخذ موافقة الخليفة الفاطمي بان يكون ابنه والي للعهد من بعده ولقبه أبو الفتح، وكان المنصور بمدينة أشير فجلس للعزاء بأبيه وأتاه أهل القيروان وسائر البلاد يعزونه بأبيه ويهنونه بالولاية

---

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص205.

(2) البصرة: وهي مدينة حسنة تسمى بصرة في المغرب، وهي من المدن الكبيرة والمهمة في إقليم المغرب الأقصى، تقع عند جبل طارق بينها وبين الجزيرة الخضراء في الأندلس عرض البحر اثنا عشر ميلا". ينظر: الاصطخري، مسالك الممالك، ص38؛ الحموي، معجم البلدان،ج1، ص440؛ ابن حيان، المقتبس في اخبار بلد الاندلس، ص38.

(3) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج5،ص163 .

(4) بلد برغواطة: وهي امارة حكمت إقليم تامسنا قرونا من الزمان وجاربت الدول المغربية من المغروايين والموحدين والمرابطين، وهي ومن قبائل البربر المشهورة ومنازلهم في تأمسنا وجهات على البحر المحيط والبربر مثل العرب في سكنى الصحارى ولهم لسان غير العربي ، ولغاتهم ترجع إلى أصول واحدة وتختلف فروعها حتى لا تفهم إلا بترجمان .ينظر: الاندلسي، المغرب في ذكر افريقية والمغرب،ص213؛ ابي الفداء ، المختصر في اخبار البشر، ج1، ص97.

(5) ابي منصور بن عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي عفير يحمد بن معاذ بن أليسع بن صالح بن طريف، صاحب برغواطة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج2، ص819.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص667.

فأحسن إلى الناس وانه سوف يسلك سياسة مغايرة عن ابية وجده ،اذ بين لهم ان أبية وجده زيري كانا يأخذان الناس بالسيف وأنه سوف يستعمل الاحسان ، كما انه ليس ممن يولي بكتاب ويعزل بكتاب يعني ان الخليفة بمصر لا يقدر على عزله بكاتب [1] ،ثم سار إلى القيروان وسكن برقادة، وولي الأعمال واستعمل الأمراء وأرسل هدية عظيمة إلى العزيز بالله بمصر [2].

اما قبيلة كتامة فقد ثاروا في افريقيا ويرجع سبب ذلك ان العزيز بالله بدا يشعر بلقلق حيال تزايد قوة المنصور الصنهاجي، فارسل لهم الداعية أبو الفهم حسن بن نصرويه خرساني الاصل إلى كتامة يدعوهم إلى طاعته، وكان هدفه من ذلك ان تميل كتامة إليه ويرسل إليه جندا يقاتلون المنصور ويأخذون أفريقية منه، لما رأى من قوته فدعاهم أبو الفهم فكثر اتباعه وقاد الجيوش وعظم شانه ، وعندما علم المنصور بذلك استعد لمواجهة، فأرسل أبو الفهم إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله يعرفه الحال فأرسل العزيز رسولين إلى المنصور ينهاه عن التعرض لأبي الفهم وكتامة، وأمرهما ان يسيرا إلى كتامة بعد الفراغ من رسالة المنصور، فلما وصلا إلى المنصور وأبلغاه رسالة العزيز أغلظ القول لهما وللعزيز أيضا وأغلظا له فأمرهما بالمقام عنده بقية ولم يتركهما يمضيان إلى كتامة، فتجهز لحرب كتامة وأبي الفهم فسار قاصد مدينة ميلة وأراد قتل أهلها وسبي نسائهم وذراريهم فخرجوا إليه يتضرعون ويبكون فعفا عنهم بعد ان قام بتخريب سورها، وسار منها إلى كتامة والرسولان معه فكان لا يمر لقصر ولا منزل إلا هدمه حتى بلغ مدينة سطيف فقاتل أهلها فانهزمت كتامة وهرب أبو الفهم إلى جبل وعر فيه جماعة من كتامة من بني إبراهيم فأرسل إليهم المنصور يتهددهم ان لم يسلموه فقالوا "هو ضيفنا ولا نسلمه، ولكن أرسل أنت إليه فخذه ونحن لا نمنعه فأرسل فاخذه وضربه ضربا شديدا ثم قتله وسلخه" وقتل معه جماعة من الدعاة ووجوه كتامة وعاد إلى أشير، ورد الرسولين إلى العزيز فأخبراه بما فعل بأبي الفهم وقالا" جئنا من عند شياطين يأكلون الناس فأرسل العزيز إلى المنصور يطيب قلبه، وأرسل إليه هدية ولم يذكر له أبا الفهم[3]، ثم استمر المنصور الصنهاجي على ولاه للدولة الفاطمية حتى

(1)المصدر نفسة ، ج9، ص34؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص240.

(2) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج24، ص173 .

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص669.

وفاته سنة 386هـ/996م، وعين ابنه باديس واليا للعهد لبلاد المغرب بعد ان اخذ موافقه الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، فتولها بعد وفاة والده[1].

المبحث الرابع: اخبار الدولة الفاطمية في فترة الحاكم بأمر الله(386-411هـ/ 996 - 1020م)[2]عند ابن الاثير

1- مسالة الاوصياء على الحاكم بأمر الله وتصفيتهم.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص252؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص265.

(2) هو أبو علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد عبيد الله المهدي، ولد في قصر الخلافة بالقاهرة، سنة 375هـ/986م هو إذن أول خليفة فاطمي ولد في مصر، والسادس في تسلسل الخلفاء الفاطميين كان الحاكم بأمر الله ذا بنيه قوية متينة متناسبة طولاً وعرضاً. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص54؛ الفخر الرازي، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، ص 115؛ سيد، تاريخ ملوك الاسلام وخلفاء العرب، ص97؛ طليع، أصل الموحدين الدروز وأصولهم، ص62.

سار الفاطميون على نهج الخلفاء الامويين والعباسيين في تولية أبنائهم ولاية العهد، فكان الخليفة الفاطمي إذا أدرك قرب وفاته عهد بالخلافة الى أحد ابنائه، ثم تتجدد هذه البيعة بعد وفاته، وكان الفاطميون ينظرون الى الخليفة الفاطمي على انه اماما يرث اباه عن طريق التعيين بالنص وانه لا بد ان يعين الخليفة او الامام ولي عهد قبل وفاته حتى لا يخل العالم من امام [1].

عين الحاكم بأمر الله والي عهد لأبيه الخليفة الفاطمي (العزيز بالله) سنة 383 هـ/993م، وهو ابن ثمان سنوات[2]، وذكر ابن الاثير بان توليته كانت بعهد من أبيه[3]، وقد ذكر المقريزي[4] بقوله :"وخطب العزيز في رمضان بجامعه وصلى بالناس صلاة الجمعة ومعه ابنه منصور، وهو الذى تولى الخلافة باسم الحاكم بأمر الله فجعلت المظلة على الأمير منصور بن العزيز، وصار العزيز بغير مظلة. وصلى أيضاً صلاة عيد الفطر ومعه ابنه على الرسم".

وفي سنة (386هـ/996م) توفي الخليفة الفاطمي العزيز بالله عندما كان في طريقة الى بلاد الشام متوجة لقتال البيزنطيين [5]، وقبل وفاته استدعى العزيز بالله ولده الحاكم وودعه، وقد ذكر الحاكم ذلك بقوله:" وقد جرى ذكر والده العزيز يا مختار استدعاني والدي قبل موته وهو عاري الجسم وعليه الخرق والضماد فاستدناني وقبلني وضمني إليه وقال وأغمي عليك يا حبيب قلبي ودمعت عيناه ثم قال امض يا سيدي والعب فأنا في عافية قال فمضيت والتهيت بما يلتهي به الصبيان من اللعب إلى أن نقل الله سبحانه وتعالى العزيز إليه قال فبادر إلي برجوان[6] وأنا على

---

(1) الخربوطلي، العزيز بالله الفاطمي، ص75.

(2) ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ص310؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ص49.

(3) الكامل في التاريخ، ج 7 ،177؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5، ص292.

(4) اتعاظ الحنفا، ج1، ص279 .

(5) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص176؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص173.

(6) الأستاذ أبو الفتوح برجوان الناظر في الأمور بالديار المصرية في الدولة الفاطمية، وإليه تنسب حارة برجوان بالقاهرة، كان أولا من غلمان العزيز بن المعز، ثم صار عند الحاكم نافذ الامر مطاعا كبيرا في الدولة، ثم أمر بقتله في القصر فضربه الأمير ريدان الذي تنسب إليه الريدانية خارج باب الفتوح بسكين في بطنه فقتله. وقد ترك شيئا كثيرا من الأثاث والثياب، من ذلك ألف سراويل بيدقي بألف تكة من حرير، وولى الحاكم بعده في منصبه الأمير حسين بن القائد جوهر. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء انباء الزمان، ج1، ص270؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص296؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص375.

جميزة[1] كانت في الدار فقال انزل ويحك الله الله فينا وفيك قال فنزلت فوضع العمامة بالجوهر على رأسي وقبل لي الأرض وقال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله تعالى وبركاته قال وأخرجني حينئذ إلى الناس على تلك الهيئة فقبل جميعهم لي الأرض وسلموا علي بالخلافة" [2] .

وفي اليوم التالي سار (الحاكم بالله) الى مدينة القاهرة في موكب فخم [3]، و " العزيز بالله في قبة على ناقة بين يديه، وعلى الحاكم دراعة مصمتة وعمامة فيها الجوهر، وبيده رمح وقد تقلد سيفا، فوصل الى القصر . . . ودخله قبل صلاة المغرب، واخذ في جهاز أبيه ودفنه" [4]، وقد روى المقريزي[5] بانه قد أقيم مجلس تعزية للعزيز بالله الفاطمي في القصر بقوله: "لما مات العزيز وحضر الناس للتعزية بالقصر، واجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم، أفحم الناس بأجمعهم على ان يوردوا في ذلك المقام شيئاً بما يليق بالوقت، فمكثوا مطرقين، فقام صبي من أولاد الأمراء الكتاميين. وانشد: –

انظر الى العلياء كيف تضُام ومآتم الاحساب كيف تُقامُ

خبرتني ركب الركاب ولم يدع للسفر وَجْهَ تَرحَلِ فأقاموا

فأستحسن الناس من إيراد الصبي لتلك الأبيات، وطرق الناس الى إيراد المراثي، فنهض الشعراء والخطباء فعزوا، وأنشد كل إنسان ما عمل في التعزية".

ثم جرت مراسيم بيعته بالخلافة على حسب المراسيم المعروفة، وقد ارتدى الملابس البيضاء لون الخلفاء الفاطميين، ليخالف به لون السواد لدى الخلفاء العباسيين، ووضع على رأسه عمامة مشدودة، ثم دخل الإيوان[6] فقبل له الحاضرون من رجال الدولة وأفراد أسرته الأرض ، ثم بايعه

---

(1) الجُمَّيز والجُمَّيْزَى: ضرب من الشجر يشبه حمله التِّين ويَعْظم عِظَم الفِرْصاد، وتِينُ الجُمَّيْز من تين الشام أَحمر حلو كبير. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص324.

(2) ابن خلكان، وفيات الاعيان ونباء الزمان، ج5، ص376؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص174.

(3)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج4، ص127.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج 2 ،ص 297؛ الزركلي ، الأعلام ،ج 8 ،ص 249.

(5)المصدر نفسة ، ج 1 ،ص299 .

(6) الايوان هو كل مجلس واسع مظلل، اما من الناحية المعمارية فهو بناء مستطيل له ثلاثة جدران والجهة الرابعة الرابعة مفتوحة تماما للفضاء الخارجي أو قد تكون مصفوفة بأعمدة يتقدمها رواق مفتوح وتطل على الساحة المكشوفة وهو منبر من رخام مرتفع، يجلس عليه السلطان في أيام المواكب العظام لقدوم رسل الملوك ونحو ذلك و

الجميع بذكر عبارات الاعتراف بإمامته وخلافته ، ولا سيما بتقبيل الأرض دلالة على الخضوع والإعظام ، وهو لا يعني العبادة كما يعتقد بعض الأشخاص [1] .

ولما كان(الحاكم بأمر الله) صغير السن عند توليه منصب الخلافة[2]، فإن والده كان قد أوصى بولده الى ثلاثة من كبار رجال الدولة والذي وثق بهم ، وهم (ابو الفتح برجوان) و(الحسن بن عمار الكلبي) ، والقاضي (محمد بن النعمان) [3] ، حيث عهد بالولاية الفعلية الى الأول والثاني [4] ،إلا ان هؤلاء الأوصياء من جانب آخر كانوا على أهواء مختلفة ، حيث اتخذ كل واحد منهم لنفسه سياسة تختلف عن الآخر، فادخلوا البلاد في حلة من الفوضى والاقتتال كل يحاول فرض سطوته ونفوذة، وقد أورد ابن الاثير تفاصيل دقيقة حول ما جرى بين برجوان والحسن بن عمار اما بالنسبة للقاضي فقد فضل اعتزال الصراع فابن النعمان كان رجل دين قبل كل شيء فحاول ان يحافظ على نفوذه الديني دون ان يتدخل في سياسة الحكم ، **قال ابن الاثير**[5] **:"ولمّا مات العزيز ولي بعده ابنه أبو علي منصور ولقب الحاكم بأمر الله بعهد من أبيه فولي وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر وأوصى العزيز إلى أرجوان الخادم وكان يتولى أمر داره وجعله مدبر دولة ابنه الحاكم فقام بأمره وبايع له وأخذ له البيعة على الناس وتقدم الحسن بن عمار شيخ كتامة وسيدها وحكم في دولته واستولى عليها وتلقب بأمين الدولة وهو أول من تلقب في دولة العلويين المصريين فأشار عليه ثقاته بقتل الحاكم وقالوا لا حاجة بنا إلى من يتعبدنا "** .

الإيوان الكبير هي قاعه كبيرة بناها العزيز بالله بالقصر الكبير في سنة (369هـ/979م) . ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج3، ص425.

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج 3 ،ص247؛ ماجد ،الحاكم بأمر الله ، ص 26 .

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 7، ص177؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 58.

(3) هو ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي القيرواني ولد سنة (256هـ/869) وقد لقب القاضي النعمان بالقيرواني نسبة الى مدينة القيروان وكذلك لقب القاضي، والاوحد، وابي حنيفة الشيعي، ليميز بينه وبين صاحب المذهب الحنفي المعروف ابو حنيفة البغدادي، وكان ذا مكانة علمية رفيعة جداً قريبة من الائمة وانه كان دعامة من دعائم الدعوة، توفي سنة (363هـ/973م). ينظر: الكندي، الولاة والقضاة، ص586؛ ابن حجر العسقلاني، رفع الاصر عن قضاة مصر، ج2، ص406؛ ابن شهر اشوب، معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة واسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً، ص116.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج 4، ص 122.

(5)الكامل في التاريخ ، ج9،ص119.

ومن خلال ما تقدم بدأ كبار رجال كتامة يحاولون الانفراد بالسلطة، بل تعدت الى انهم أشاروا على الحسن الكتامي بقتل الحاكم بأمر الله والسيطرة على الدولة [1]، وقد اثار هذا الامر مخاوف برجوان عندما تأكد من نية الحسن الكتامي بقتل الحاكم، وبهذا الخصوص ننتقل الى النص الاتي: "فاكتب إلى منجوتكين[2] يشكو ما يتم عليه من ابن عمار فاستجاب له منجوتكين وتوجه الى المسجد الجامع في دمشق وجمع الناس وذكرهم بفضائل الخليفة الفاطمي العزيز بالله عليهم ثم وضح لهم الأوضاع الداخلية التي يعاني منها الناس في مصر من تسلط كتامة بعد وفاة العزيز بالله فاجابوه الى الطاعة فعاد الة داره وجمع امرة للمسير"[3] ، فتجهز برجوان وسار من دمشق نحو مصر فوصل الخبر إلى ابن عمار ، والذي اظهر أن منجوتكين قد اعلن العصيان والتمرد على الخليفة الفاطمي الحاكم، وجمع قواته العسكرية ووجوه كتامة فأجابوه إلى قتاله، وسير إليه ابن عمار جيشا اسند قيادته الى أبا تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي[4] فساروا إليه فلقوه بعسقلان[5] فانهزم منجوتكين وأصحابه وقتل منهم ألفا رجل وأسر منجوتكين، وحمل إلى مصر فأبقى عليه ابن عمار وأطلقه من اجل استمالة المشارقة الى جانبه [6] ، الا ان بعض المصادر[1] اشارت الى ان القوتين التقت في موقعتين الأولى في رفح[2]

---

(1)ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج4 ص415؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج3، ص67.

(2) منجوتكين ويقال ينجوتكين التركي ولاه الملقب بالعزيز إمرة جيوشه الشامية فقدم الشام في سنة 381هـ/991م بعد منير الخادم ومضى نحو الدروب فلقي الروم وكسرهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وكانت وقعته هذه تعرف بوقعة المحاصة ثم توجه في سنة 383هـ/993م من حلب بعد أن حاصرها مدة فلم يفتحها فلما وصل دمشق منعه أهل البلد من الدخول فجرت بينه وبينهم حروب فظفر بهم ودخلها وامتدت ولايته إلى سنة 386هـ/996. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج60، ص278؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج27،ص126؛ الصفدي الوافي بالوفيات ،ج29،ص30.

(3) مسكويه ، ، تجارب الأمم ،ج7، ص264؛ ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة ، ص43 ؛ ابن ايبك الدواداري ، الدرة المضيئة، ج6 ،ص 257

(4) سليمان بن جعفر بن فلاح:هـ و أبو تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكُتامي، أبرز قواد المغاربة في عهد الحاكم بأمر الله. ينظر: أبن خلدون، تأريخ آبن خلدون، ج4، ص71.

(5) عسقلان: وهي مدينة حسنة ذات سورين وبها أسواق وليس لها من خارجها بساتين وليس بها شيء من الشجر الشجر واستفتحها صاحب القدس بعساكر الروم من الإفرنج في سنة 548هـ/1154م، وعسقلان أرض في فلسطين. ينظر، الادريسي ، نزهة المشتاق في اخترق الافاق، ج1، ص357.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص119؛ أيوب، التأريخ الفاطمي الأجتماعي، ص44.

وقد هزم فيها منجوتكين والأخرى في عسقلان وقد هزم فيها أيضا ، وبلغ عدد القتلى من أصحاب منجوتكين الفي رجل وبذلك فقد اختلف ابن الاثير حول بعض من تفصيلات المعركة بين الطرفين.

وقد تم مكافئة ابن عمار من قبل برجوان بان تم توليته واليا على دمشق، الا ان ابن عمار استغل ذلك وعمل على الاستيلاء على الدولة بعد اتساع نفوذه، الا ان صراع نشب ما بين المغاربة والمشارقة، اذ تم قام المشارقة بقتل احد المغاربة، وعلى الرغم من الاتفاق ما بين الطرفين على دفع الدية الاهل القتيل، لم يلتزم الكتاميين بذلك؛ مما أدى الى اضطراب الأوضاع الداخلية وحدوث قتال بين الطرفين تدخل على اثرها ابن عمار الى جانب الكتاميين الذين هزموا في المعارك، وقد تعرضت ممتلكات ابن عمار والكتاميين الى النهب والسلب وكان ذلك سنة 387 هـ/997م [3].

وقد روى ابن الاثير[4] مجريات الاحداث بعد تعيين ابن عمار واليا على دمشق والفتنة التي وقعت فيها بين المشارقة والمغاربة ، الا انه لم يشر الى سبب تلك الفتنه **قائلا**": "**واستعمل ابن عمار على الشام أبا تميم الكتامي واسمه سليمان بن جعفر فسار إلى طبرية فاستعمل على دمشق أخاه فامتنع أهلها عليه فكاتبهم أبو تميم يتهددهم فخافوا وأذعنوا بالطاعة واعتذروا من فعل سفهائهم، وأخرجوا إلى علي فلم يعبأ بهم وركب ودخل البلد فأحرق وقتل وعاد إلى معسكره، وقدم عليهم أبو تميم فأحسن إليهم وأمنهم وأطلق المحبوسين من السجون ،ونظر في أمر الساحل واستعمل أخاه على طرابلس وعزل عنها جيش بن الصمصامة الكتامي فمضى إلى مصر، واجتمع مع برجوان على الحسن بن عمار فانتهز برجوان الفرصة ببعد كتامة عن مصر مع أبي تميم فوضع المشارقة على الفتك بمن بقي بمصر منهم وبابن عمار معهم فبلغ**

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص15؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص66؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج7، ص260.

(2) منزل في طريق مصر بعد الداروم بينه وبين عسقلان يومان للقاصد مصر، وهو أول الرمل، ورفح مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق، وأهلها من لخم وجذام، وفيهم لصوصية وإغارة على أمتعة الناس حتى إن كلابهم أضر كلاب أرض بسرقة ما يسرق مثله الكلاب، ولها والى معونة برسمه عدة من الجند. ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص54.

(3) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص239؛ ابن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص 181.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص119؛ ينظر كذلك: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص66؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28، ص173.

ذلك ابن عمار فعمل على الإيقاع ببرجوان وشكر العضدي[1] فأخبرهما عيون لهما على ابن عمار بذلك فاحتاطا ودخلا قصر الحاكم باكين وثارت الفتنة واجتمعت المشارقة ففرق فيهم المال وواقعوا ابن عمار ومن معه فانهزم واختفى " .

اعتزل ابن عمار الساحة السياسية تاركها لعدوه برجوان التركي الذي خلف الحسن آبن عمار في منصبه بأمر أصدره الحاكم، ونقل جميع صلاحيات أبن عمار له، وقام برجوان بتجديد البيعة للحاكم، وأصدر أمراً للمشارقة بعدم التعرض لأحدٍ من المغاربة، كما أمر بالاستمرار بتوزيع الرسوم والرواتب على ما كانت عليه في عهد آبن عمار، ثم سمح للأخير بالعودة الى داره وأبقى مخصصاته على ما كانت عليه في خلافة العزيز بالله [2].

ونتيجة لهذه الاحداث بدأ الحاكم بأمر الله يفكر في التخلص من برجوان بعد ازدياد نفوده وتسلطه بالأمور بغير مشورة ، وكان الحاكم يركب كل يوم إلى الميدان فيجلس على سريره بالطارمة[3] فتعرض عليه الخيل والقراء بين يديه وربما أنشده الشعراء ثم ينصرف إلى القصر فيجلس برجوان[4] وكاتبه أبو العلا فهد بن إبراهيم [5] لأخذ رقاع المتظلمين وأرباب الحاجات فلا يزالان حتى لا يبقى منهم أحد ثم يدخلان فإذا فرغ الحاكم من غدائه، ورفعت المائدة تقدم أبو العلا فجلس بين يديه وبرجوان قائم على رأسه حتى يقرأ جميع تلك الرقاع، ويوقع عليها الحاكم في أعلاها بما يراه ثم يخرج بها فتفرق كلها، ويمضى بها إلى الديوان فتنفذ من غير مراجعة [6].

---

(1) أبو الثناء شكر: كان خادما عند الملك عضد الدولة، ومن بعده عند صمصام الدولة، ولما تولى شرف الدولة خافه لأنه كان في حياة عضد الدولة قد قام بأمر صمصام الدولة، وتولى إبعاد شرف الدولة إلى كرمان، ولذلك استتر، وعثر عليه، وعفا عنه، وخرج إلى الحج فعدل إلى مصر وأقام بها. ينظر: ابن مسكوية، تجارب الأمم، ج3، ص145.

(2) ابن ميسرة، المنتقى من اخبار مصر، ص185.

(3)الطارمة في الأصل : بيت من خشب كالقبة ، وهو دخيل أعجميّ معرّب، وهي قبة كان اتخذ لها فراشاً مبطناً بأنواع الحرير والديباج المنسوج بالذهب الأحمر وغير ذلك من انواع الإبريسم . ينظر :الخليل الفراهيدي ، العين ،ج7،ص424؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج3، ص392 .

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9،ص122.

(5) فهد بن إبراهيم النصراني المكنّى بأبى العلاء من أبناء ريف مصر ، ومن كبار موظفي الدولة الذين علا شانهم وصبح شخصية سياسية بارزه وكان يعمل كاتب لا برجوان في مدة وزارته ، ثم قتل بسعاية كاتبين من كتّاب الدواوين به. ينظر: مسكوية ، تجارب الأمم ، ج7، ص268–276؛ شافعي، اهل الذمة في مصر، ص62.

(6) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3،ص6، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج4،ص59؛ الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ،ص240 .

الا ان برجوان سرعان ما سلك طريق اخر وهو الانغماس بملذات الحكم، و السهر يومياً مع المُغنين والمُغنيات في داره، واهمل جميع واجباته التي كلف بها واصبح لا يقضي من حاجات الناس شيء إلا لمن يرغب به هو فقط وأخذ يُسيء الى الحاكم مُستهيناً بصغر سِنه[1] ، وقد زاد برجوان في طغيانه فخرج يوما مع الحاكم وقد ثنى رجله على عنق الفرس وصارت قدمه وخفه بوجة الحاكم[2]، الامر الذي جعل الحاكم يفكر في التخلص منه[3] **وقد أورد بن الأثير[4] خطة الحاكم للتخلص من برجوان بقوله::" أنّه لما دخل إلى القصر كان الحاكم في بستان يعرف بدويرة التين والعنّاب ومعه زيدان ، فوافاه برجوان بها وهو قائم ، فسلّم ووقف ، فسار الحاكم إلى أن خرج من باب الدويرة فوثب زيدان[5] على برجوان وضربه بسكّين كانت معه في عنقه ، وابتدره قوم كانوا قد أعدّوا للفتك به، فأثخنوه جراحة بالخناجر، واحتزّوا رأسه ودفنوه هناك".**

ثمّ إنّ الحاكم أحضر إليه الرئيس فهدأ بعد العشاء الأخيرة [6]وقال له:" أنت كاتبي ، وأمّنه وطمّنه "، فكانت مدّة نظر برجوان في الوساطة سنتين وثمانية أشهر تنقص يوما واحدا [7]، ووجد ووجد الحاكم في تركته مائة منديل يعني عمامة ، ومن الثياب المخيطة والصحاح والحليّ والمصاغ والطيب والفرش والصياغات الذهب والفضّة ما لا يحصى كثرة، ومن العين ثلاثة

---

(1) عنان ، الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية ، ص101.

(2) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3، ص7.

(3) وقد اشارت بعض المصادر ان السبب الذي دفع الحاكم للتخلص من برجوان أنه كان شديدا" قاسيا" على الحاكم، اذ كان منعه من رّكوب الخيل خوفا عليه، وحجم صلاحيات الحاكم فمنعه حتى من العطاء لغير مستحقّ، مما اثار ذلك غضب الخليفة الفاطمي الحاكم ، ولم يبق للحاكم في الأمر غير الاسم، واستبدّ برجوان بالأمر. ينظر: الروذوادي، ذيل تجارب الأمم ، ج3، ص187؛النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ،ج28، ص174.

(4) الكامل في التاريخ، ج9 ، ص 213.

(5) أبو الفضل زيدان الصقلبي صاحب المظلة ليه ينسب الفرقة الريدانية التي هي بظاهر القاهرة خارج باب النّصر. وكان خادم للعزيز بالله الفاطمي ثم انتقل الى خدمة الحاكم بامر الله ثم أعتقه عام 390هـ/ 1000م وبعد أربع سنوت امر بقتلة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء الزمان، ج1، ص271؛ النويري، نهاية الارب في نفون الادب، ج28، ص178؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص69.

(6) ابن خلكان وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج1، ص270؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص375؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج3، ص7.

(7)ابن ايبك ، كنز الدرر وجامع الغرر، ص288؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ج2،ص4. والاثار،ج2،ص4.

وثلاثين ألف دينار ، ومن الخيل الركابيّة مائة وخمسين فرسا وخمسين بغلة ، ومن بغال النقل ودواب الغلمان نحو ثلثمائة رأس، ومائة وخمسين سرجا، منها عشرون ذهبا، ومن الكتب شيء كثير، وحمل لجاريته من مصر إلى القاهرة رحل على ثمانين حمارا [1].

وبعد ذلك تم تصفية زعيم كُتامة الحسن بن عمار فقد خطط الحاكم لاغتياله سنة390هـ/999م، وأعد له كمينا بعد مغادرته القصر من خلال تحريض عدد من الأتراك الذين قطعوا عليه طريقة وقطعوا راسة عند اصطبل الطارمة ودفنوه هناك، وحملوا راسهالى الحاكم كما تخلص من اعوانه من زعماء كتامة ، وخاف الكتامين فاستغاثوا بالحاكم طالبين العفو منه فمنحهم ذلك[2].

على انه من الحق ان نقول بأن (الحاكم بأمر الله) استطاع التخلص من الأوصياء واحداً تلو الآخر، وبهذا العمل نجح في استرداد سلطانه المسلوب من أيدي الطامعين به، وهذا الأمر يدلل على انه كان يتمتع بالدهاء وحسن السياسة، فقبض بيد من حديد على مقاليد الحكم والخلافة، وخضعت له طوائف الجيش جميعها بما فيها المغاربة والمشارقة [3]، ومن هذا التاريخ أيضا أصبح الحاكم بأمر الله المسيطر على شؤون الدولة ومقدراتها والموجه لسياستها الداخلية والخارجية.

2- الاغتيال السياسي ايام الحاكم بأمر الله.

شهدت فترة الحاكم بأمر الله الكثير من حالات القتل والاغتيال التي قام بها الخليفة الفاطمي الأسباب متعددة الا اننا نجد ان ابن الاثير في كتابه الكامل في التاريخ لم يتطرق بشيء من التفصيل حول تلك الاغتيالات الا في بعض حالات التمرد العسكري، او استغلال البعض منهم نفوذهم للتخلص من الحاكم كما حاول الحسن بن عمار الكتامي، او ما فعلة برجوان تجاه سيده الحاكم كما مر سابقا ، وعلى الرغم من العقوبات والشدة التي اتبعها الحاكم بالله تجاه المتمردين الا اننا نجد ان بعض القادة، وحتى بعض القضاة يخرجون عن طاعة الخليفة الفاطمي كالحسين

(1) مسكويه ، تجارب الأمم ، ج7، ص273؛ ابن القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، ص332.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص49؛ أبو زيد، المغاربة ودورهم في إدارة مصر في العصر الفاطمي ص143؛ خليل، الاغتيالات السياسية في مصر عصر الدولة الفاطمية، ص121؛ طقوش، تأريخ الفاطميين، ص264.

(3) ماجد، الحاكم بأمر الله ، ص37.

بن جوهر الصقلي وصهره عبد العزيز بن النعمان[1]، فقد نقل ابن الاثير ان الحاكم قد عين الحسين بن جوهر الصقلي قائد القواد سنة 390هـ/999م والذي كان يتجنب دائما اثارة غضب الحاكم خوفا من القتل او بطش الحاكم به [2]،حيث كان يمنع الناس من لقائه في الطريق او في داره، ومن كانت له حاجة يتم ابلاغه وهو في القصر ، ومنع الناس من مخاطبته في الكتب او الرقاع بسيدنا ، وامر ان تكتب بالرقاع كلمة القائد فقط[3].

اما صهره عبد العزيز المغربي والذي اصبح قاضيا للدولة الفاطمية سنة389هـ/ 998م بعد مقتل ابن عمه الحسين بن علي بن النعمان[4]، فقد اتبع الحذر الشديد في التعامل مع جميع القضايا داخل الدولة خوفا من الحاكم بأمر الله، وعلى الرغم من ارتفاع شانه ومكانته في الدولة فهو أول من ولي النظر على دار العلم[5]، وكان يجلس في الجامع ويقرأ على الناس كتاب جده القاضي

---

(1)عبد العزيز بن محمد بن النعمان بن محمد بن منصور بن حيون المغربي الإسماعيلي قاضي الحاكم الفاطمي صاحب مصر ، المولود في أوائل ربيع الأول سنة 355 هـ/966م ، ينوب عن أبيه في القضاء ، وكان عالما من علماء الدعوة الفاطمية ينسب إليه كتاب البلاغ الأكبر والناموس الأعظم في أصول الدين ، وهو الكتاب الذي رد عليه القاضي أبو بكر الباقلاني وقيل : إن هذا الكتاب من تصنيف عمه علي بن النعمان . ينظر: القاضي النعمان المغربي، شرح الاخبار، ج1، ص26؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج18، ص329؛ الأمين، مستدركات اعيان الشيعة، ج2، ص342.

(2) الكامل في التاريخ، ج9، ص197.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج2، ص396.

(4) الحسين بن علي بن النعمان : ولد بالمهدية سنة 353هـ/964م وقدم مع أسرته إلى القاهرة المعزية ، ومهر في علوم الفقه حتى صار أحد أقطاب فقهاء المذهب الفاطمي ، وكان ينوب أحيانا عن عمه محمد بن النعمان في القضاء حتى وليه بعد وفاة عمه، وزاد الحاكم في إكرامه حتى أمر أن يضاف له أرزاق عمه وصلاته وإقطاعاته ، وفوض إليه الخطابة والامامة بالمساجد الجامعة ، وولاه الدعوة وقراءة مجالس الحكمة التأويلية بالقصر وكتابتها ، وهو أول قاض أضيفت إليه الدعوة من قضاة الفاطميين ويظهر أنه في ذلك الوقت دب دبيب الشقاق بين أبناء هذه الأسرة فهذا القاضي طالب ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان ببعض ودائع كانت في الديوان أيام ولاية محمد بن النعمان على القضاء ، وتشدد القاضي في مطالبة ابن عمه بهذه الودائع حتى ألزمه أن يبيع كل ما خلفه أبوه سدا لهذه المطالبة، وقد صرف هذا القاضي عن رتبة القضاة والدعوة في رمضان سنة 394هـ/1004م ، وأمر الحاكم بحبسه ثم ضربت عنقه في مطلع سنة 395هـ/1005م واحرقت جثته ، وهكذا لقي حتفه بيد الحاكم ، بعد أن كان مكرما لديه مقربا إليه. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج5، ص421؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص314؛ ابن حجر العسقلاني، رفع الأصر عن قضاة مصر، ج1، ص207.

(5)دار العلم انشأها الحاكم بأمر اللَّه بجوار القصر الغربي الصغير سنة 395 هـ/1005م ، وعيّن لها طائفة من الفقهاء والقراء والنحويين ورجال الحديث والأدب وعلماء الطب والهيئة والرياضة والمنطق والفلسفة وأجريت عليهم الأرزاق الواسعة ، وهيئت الدار بمكتبة ضخمة نقلت إليها الكتب من خزائن القصر الملكي، ويبدو أن الغرض

النعمان المغربي اختلاف أصول المذاهب وعلى الرغم من أنه خص بمجالسة الحاكم ومسايرته فإنه لم ينج من بطشه وتقلباته ، فعزله عن القضاء سنة 398 هـ/1008م ثم اعتقله في السنة التالية ثم عفا عنه وأعاد إليه النظر في المظالم[1] وخلع عليه[2]، ثم عزلة عن القضاء ، وعزل قائد القواد الحسين بن جوهر؛ ويعود سبب قيام الحاكم بعزلهما الى تسببهما بوفاة طبيبه وصديقه أبي يعقوب بن نسطاس[3] بعد حضوره لمجلس شراب في دار الحسين بن جوهر، برفقة عبد العزيز وجماعة من رجال الدولة، وبعد أنتهاء ذلك المجلس خرج أبي يعقوب وكان قد أكثر من الشرب، فسقط في النهر وغرق، الأمر الذي أحزن الحاكم كثيراً، ولمّا علم بمجلس الشراب ذلك أمر بعزلهما[4] .

ونتيجة لهذا الوضع القلق داخل الدولة الفاطمية، فقد اخذ الحاكم بأمر الله الى التضييق على رجالات الدولة ولحد من نفوذهم وعزلهم؛ ويرجع السبب في ذلك الى زيادة نفوذ هولاء واخذهم الأموال بغير وجه حق ، وتعديهم على الضعفاء والفقراء من العامة ، واقترافهم جرائم الاختلاس والرشوة والتعدي على المال العام ، فضلا عن ذلك قيامهم باستغلال نفوذهم لمصالحهم

الذي= =أنشئت له دار العلم (أو دار الحكمة) إنما هو نشر تعاليم الشيعة في الناس بطريقة علمية منظمة ، فالمجالس التي كانت تعقد للدعوة الشيعية في قصر الخلافة كانت تسمى مجالس الحكمة ؛ وتستطيع أن تطلق على تلك الدار دار الدعوة . وإذا كان الحاكم بأمر اللَّه في أول نشأتها قد سمح بدراسة مذهب أهل السنة فإنه لم يلبث طويلا حتى أبعد مذهب أهل السنة وخلصت دار الحكمة للشيعة ومذهبهم. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج1، ص460؛ الورداني، الشيعة في مصر، القاهرة، 1993، ص30.

(1) المظالم: عمل من أهم أعمال الدولة، وهو إشاعة العدل بين الناس، ورفع الظلم عن المظلوم، وكان الخلفاء يجلسون بأنفسهم للنظر في المظالم، فلا يمنع عنهم أحد من المتظلمين واخذ الخليفة ينيط النظر في المظالم بالوزراء، أو بأشخاص ذوي حرمة ومكانة، ومعرفة بالفقه والأحكام والحدود. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 5، ص409؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 68؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج3، ص228

(2) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج3، ص209؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17، ص145؛ الأمين، اعيان الشيعة، ج2، ص342.

(3) إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس بن جريج نصراني فاضل في صناعة الطب وكان في خدمة الحاكم بأمر الله ويعتمد عليه في الطب وتوفي إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس بالقاهرة في أيام الحاكم واستطب بعده أبا الحسن علي بن رضوان واستمر في خدمته وجعله رئيسا على سائر الأطباء البالسي. ينظر: ابن ابي اصيبعة، ص545.

(4) الكندي، تاريخ ولاة وقضاة مصر، ص601؛ ابن حجر، رفع الاصر عن قضاة مصر، ص248-249؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص285.

الشخصية ،الامر الذي دفع الحاكم الى القضاء عليهم والبطش بهم ، لذا امر الحاكم بالقاء القبض على عبد العزيز ، وعندما علم الحسين بذلك هرب مع عائلته الى بلاد الشام، ثم عاد الى القاهرة بعد ان اطلق الحاكم سرح عبد العزيز ومنحهما الأمان، الا انهم خافوا من غدر الحاكم فهربوا الى بني قرة[1]؛ بسبب كره هذه القبيلة وعدائها للحاكم، وفي هذه الظروف خرج ابي ركوه سنة 393هـ/1002م [2] على والي الحاكم في برقة ، وكان من بين المنظمين الى ابي ركوة الحسين بن جوهر وصهره عبد العزيز بن القاضي النعمان ، **وقد فصل لنا ابن الاثير[3] ذلك بقوله::" وكان الحاكم في الوقت الذي دعا أبو ركوة بني قرة قد آذاهم وحبس منهم جماعة من أعيانهم وقتل بعضهم ، فلما دعاهم أبو ركوة انقادوا له وكان بين بني قرة وبين زناتة حروب ودماء ، فاتفقوا على الصلح ومنع أنفسهم من الحاكم فقصد بني قرة وفتح مكتبا يعلم الصبيان الخط وتظاهر بالدين والنسك وأمهم في صلواتهم فشرع في دعوتهم إلى ما يريده فأجابوه وبايعوه واتفقوا عليه وعرفهم حينئذ نفسه وذكر لهم أن عندهم في الكتب أنه يملك مصر وغيرها ووعدهم ومناهم يوما وما يعدهم الشيطان إلا غرورا فاجتمعت بنو قرة وزناتة على بيعته وخاطبوه بالإمامة وكانوا بنواحي برقة"**

ثم إن أبو ركوة جمعهم وسار إلى برقة واتفقت قرة وزناتة انه في حال الأنتصار على عساكر الحاكم فانهم سيقتسمون الغائم فيما بينهم بالتساوي، فلما قاربها خرج إليه واليها عن الدولة الفاطمية فالتقوا فانهزمت عساكر الحاكم وملك أبو ركوة برقة سنة سنة 395 هـ /1004م وقوي

---

(1) بني قرة : بطن من بطون بني هلال من العرب العدنانية وتقع منازل بنو قرة بن عمرو بن عبد مناف بن هلال في منطقة برقة وقد عرفوا بعدائهم الشديد للفاطميين.ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص274؛ القلقشندي ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، ص379؛ الزركلي، الاعلام، ج8، ص91؛ كحّالة، معجم قبائل العرب، ج3، ص1221.

(2) ابو ركوة هو الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل، وانه هرب من المنصور بن أبي عامر حين تتبعهم بالقتل وهو ابن عشرين سنة، وقصد القيروان فأقام بها يعلم الصبيان ثم قصد مصر وكتب الحديث، ثم سار إلى مكة واليمن والشأم وكان يدعو للقائم من ولد أبيه هشام، واسمه الوليد وانما لقبه أبا ركوة؛ لأنه كان يحمل ركوة لوضوئه على عادة الصوفية ثم عاد إلى نواحي مصر، شكل خطراً كبيراً على دولة الحاكم بأمر الله وأعلن فيها الخلافة لنفسه، وتلقب بالثائر بأمر الله، وضرب السكة بأسمة. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15، ص53؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج5، ص297؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص138.

(3) الكامل في التاريخ، ج9، ص198.

هو ومن معه بما اخذوا من الأموال والسلاح وغيره ونادى بالكف عن الرعية والنهب وأظهر العدل وأمر بالمعروف [1].

يقول ابن الاثير[2] "فلما وصل المنهزمون إلى الحاكم عظم عليه الأمر وأهمته نفسه وملكه وعاود الإحسان إلى الناس والكف عن أذاهم ، وندب عسكرا نحو خمسة آلاف فارس وسيرهم وقدم عليهم قائدا يعرف بينال الطويل[3] ،وسيرة فبلغ ذات الحمام[4] وبينها وبين برقة مفازة[5] فيها منزلان لا يلقى السالك الماء إلا في آبار عميقة بصعوبة وشدة.

فسير أبو ركوة قواته العسكرية بلغ تعداها الف فارس وأمرهم بالمسير إلى ينال ومن معه ومطاردتهم قبل الوصول إلى المنطقتين المذكورتين ، وأمرهم إذا عاودوا أن يغوروا الآبار ففعلوا ذلك وعاودوا، فسار أبو ركوة في عساكره ولقيهم وقد خرجوا من الصحراء على ضعف وعطش فقاتلهم فاشتد القتال فحمل ينال على عسكر أبي ركوة فقتل منهم عدد كثير، وكان وأبو ركوة واقف لم يحمل هو ولا عسكره فنظمت اليه جماعة من كتامة بعد ان طلبوا الأمان لما نالهم من الأذى والقتل من الحاكم وأخذوا الأمان لمن بقي من أصحابهم ولحقهم الباقون، فحمل حينئذ بهم على عساكر الحاكم فانهزمت وأسر ينال وقتل وأسر أكثر عسكره وقتل منهم خلق كثير[6] ، وعاد إلى برقة وقد امتلأت أيديهم من الغنائم وانتشر ذكره وعظمت هيبة وأقام ببرقة ، واخذت قواته وسرياه تهاجم منطقة الصعيد وأرض مصر، فعظم الامر على الحاكم وندم على ما فرط ، وفرح جند مصر وأعيانها بهزيمة عسكر الحاكم ، وقد علم الحاكم بذلك فاشتد قلقه وأظهر

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص387.

(2) الكامل في التاريخ، ج9، ص199.

(3) ينال الطويل من أصول تركية تم تعينه من قبل الحاكم بامر الله قائد لقوته بعد التحاق الحسين بن جوهر وصهرة بابي ركوة، وقد قتل هذا القائد بعد معركة مع ابي ركوة. ينظر: النويري، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28 ، ص182؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج4، ص216، الزركلي ، الاعلام ،ج8، ص119.

(4) ذات الحمام: بلد بين الإسكندرية وأفريقية وهو إلى إفريقية أقرب.ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2،ص299.

(5) المفازة: البرية القفر التي لا ماء فيها ، سميت مفازة لأن من خرج منها وقطعها نجا من الهلاك وفاز. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص230.

(6) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص45؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص370.

الاعتذار عن الذي فعله، وكتب الناس إلى أبي ركوة يستدعونه وممن كتب إليه الحسين بن جوهر المعروف بقائد القواد فسار، حينئذ عن برقة إلى الصعيد [1].

واشتد خوف الحاكم وبلغ الأمر به كل مبلغ وجمع قواته العسكرية واستشارهم ، وكتب إلى الشام يستدعي العساكر فجاءته، وفرق الأموال والدواب والسلاح وسيرهم وهم اثنا عشر الف رجل بين فارس وراجل واستعمل عليهم الفضل بن عبد الله[2]، فلما قاربوا أبا ركوة لقيهم في عساكره فتمكن من تحقيق الأنصار عليهم وبدأ بمهاجمه المناطق القريبة من القاهرة حتى اضطر الحاكم الى غلق أبواب القاهرة[3]، اما قائدة الفضل فكان يحاجزه ويدافع ويراسل أصحاب أبي ركوة يستميلهم ويبذل لهم الرغائب فأجابه قائد كبير من بني قرة يعرف بالماضي[4]، وكان يطالعه بأخبار القوم وما هم عازمون فيدبر الفضل أمره على حسب ما يعلمه منه، وضاقت الميرة على العساكر فاضطر الفضل إلى اللقاء فالتقوا واقتتلوا بكوم شريك[5] فقتل بين الفريقين قتلى كثيرة، ورأى الفضل من جمع أبي ركوة ما هاله وخاف المناجزة فعاد إلى عسكره، وراسل بنو قرة العرب الذين في عسكر الحاكم يستدعونهم إليهم ويذكرونهم أعمال الحاكم بهم فأجابوهم، واستقر الأمر أن يكون الشام للعرب ويصير لأبي ركوة ومن معه مصر وتواعدوا ليلة يسير فيها أبو ركوة إلى الفضل فإذا وصل إليه انهزمت العرب ولا يبقى دون مصر مانع ، فكتب الماضي إلى الفضل بذلك فلما كان ليلة الميعاد جمع الفضل رؤساء العرب ليفطروا عنده وأظهر أنه صائم وطاولهم الحديث وتركهم في خيمة واعتزلهم ووصى أصحابه بالحذر ومراقبة العرب وعندما ارد العرب بالعود إلى خيامهم فعللهم وطاولهم، ثم أحضر الطعام وأحضرهم فأكلوا وتحدثوا وسير الفضل

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15، ص53.

(2) الفضل بن عبد الله كان على جيوش الحاكم التي قابلت أبا ركوة حسب ما اورده ابن الاثير في حين اشارت مصادر أخرى الى ارساله ابي الفتوح الفضل بن صالح الذي تمكن من تحقيق الانتصار على الثائر ابي ركوة. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج24، ص37؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص58.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص200؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج4 ، ص216.

(4) هو ماضي بن المقرب بن عمرو بن عبد مناف، استطاع قائد جيوش الفاطميين من استمالته حيث كان ينقل اليه تحركات الثائر ابي ركوة. ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص58؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج1، ص394.

(5) كوم شريك: مدينة تقع بالقرب من الإسكندرية. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، 495؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص501.

سرية إلى طريق أبي ركوة فلقوا العسكر الوارد من عنده فاقتتلوا [1]، وأراد العرب الركوب فمنعهم وأرسل إلى أصحابهم من العرب فأمروهم بالركوب والقتال ولم يكن عندهم علم بما فعل رؤساؤهم فركبوا واشتد القتال ورأى بنو قرة الأمر على خلاف ما قرروه ، ثم ركب الفضل ومعه رؤساء العرب وقد فاتهم ما عزموا عليه فباشروا الحرب واشتد القتال فيها، وورد أبو ركوة مددا لأصحابه ، فلما رآه الفضل رد أصحابه وعاد إلى المروغه، وجهز الحاكم عسكرا آخر أربعة آلاف فارس وعبروا إلى الجيزة [2]، فسمع أبو ركوة بهم فسار في عسكره ليوافقهم عند مصر وضبط الطرق لئلا يسمع الفضل ويمنع ماضي بن المقرب من ان يرسل معلومات الى الفضل بما يجري لكي لا يستعد الفضل لذلك، فساروا وأرسل إليه من الطريق يعرفه الخبر، وكان أبو ركوة قد سار بقواته قاصدا" عسكرا الحاكم ففاجئوهم بالجيزة وقتلوا نحو ألف فارس من القوات الفاطمية وخاف أهل مصر ولم يخرج الحاكم من قصره ، وأمر الحاكم قواته العسكرية بالعبور إلى الجيزة ، وكتب الخليفة الفاطمي الحاكم إلى الفضل كتابا ظاهرا يقول فيه "إن أبا ركوة انهزم من عساكرنا ليقرأه على القواد وكتب إليه سرا يعلمه الحال فأظهر الفضل البشارة بانهزام أبي ركوة سنة 396هـ/1005م[3] تسكينا للناس"، ثم سار أبو ركوة إلى موضع يعرف بالسبخة كثير الأشجار، وتبعه الفضل وكمن أبو ركوة بين الأشجار وطارد عسكر الفضل ورجع عسكره ليستدرج عسكر الفضل ثم ينقض عليهم ، فلما رأى الكمناء رجوع عسكر أبي ركوة ظنوها الهزيمة لقوات الفضل فاخذوا يتبعوهم [4]، فقاتلهم أصحاب الفضل واشتد القتال فقتل منهم ألوف كثيرة وانهزم أبو ركوة ومعه بنو قرة[5]، استمر قائد الحاكم بمطاردة ابي ركوة رغبة منه في القضاء علية نهائيا، الى ان ان تمكن من القاء القبض عليه وحمله إلى مصر فأشهر بها وطيف به وكتب أبو ركوة إلى الحاكم رقعة يقول فيها : "يا مولانا الذنوب عظيمة وأعظم منها عفوك والدماء حرام ما لم يحللها سخطك وقد أحسنت وأسأت وما وما ظلمت إلا نفسي وسوء عملي أوبقني"[6]، ولما طيف به

---

(1) ابن الاثير ،الكامل في التاريخ، ج9، ص198.

(2) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15، ص54.

(3) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص138.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص199.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص495؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص58؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28،ص180.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، ص65.

ألبس طرطورا [1] وجعل خلفه قرد يصفعه كان معلما بذلك [2]، ثم حمل إلى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب فتوفي قبل وصوله فقطع رأسه وصلب[3].

اما بالنسبة للحسين بن جوهر وصهره عبد العزيز بن النعمان فقد وجه الحاكم لهما كتاب امان جعلهما يقرران العودة الى القاهرة، وقد استقبلهما رجال الدولة وخلعوا عليهما الخلع تنفيذا" الأوامر الحاكم بأمر الله ،ثم توجها الى القصر والتقيا بالخليفة الفاطمي الحاكم الذي امر بإعادة كل ممتلكاتهما التي صودرت بعد هربهما من القاهرة[4]، وعلى الرغم من الأمان الذي اصدره الحاكم والعهود والمواثيق التي قطعها لهما الا انه كان يضمر لهما العداء لما فعلا ، حيث اصدر امر بالقاء القبض عليهما وقتلهما سنة 401هـ/1010م ومصادرة جميع ممتلكاتهما[5]، ولم يكتف بذلك فقد لاحق أولاد الحسين الهاربين من بطش الحاكم وتمت تصفيتهم وقتلهم وبعثت رؤسهم الى مصر[6] .

اما قائد جيوش الحاكم بامر بالله الفضل بن صالح الذي كان له دور في القضاء على هذه الثورة فمنحه منديل ذهب، وقلده سيف ، وحمل على فرس بمركب ذهب وبين يديه تسعة من الخيل ، ومنح كل جندي مقاتل ساهم بالقضاء على ابي ركوة بمبلغ خمسون ديناراً[7]، وارتفاعت

---

(1) طُرطُور: قُبَّعة طويلة تضيق كلّما طالت، تشبه القرطاس. ينظر: رضا، معجم متن اللغة، ج3، ص597.

(2)كان بمصر رجل شيخ يعرف بالإبزارى ، ومن عادته إذا خرج خارجي أن يصبغ طرطورا كبيرا بألوان الصبغ ، ويعلق عليه من أصناف الخرق الملونة ، ويبتاع قردا ويعلمه أن يصفع الطرطور بدرة يتخذها له ، فإذا ظفر بالخارجي وأريد إشهاره أركب جملا وأحضر الإبزارى ، ورسم له أن يلبس الطرطور ، ويقيم القرد من خلفه يصفعه بالدرة ، ويركب معه على الجمل ، وينادى عليه يمينا وشمالا حتى يشاهده الناس إلى الموضع الذي يقتل فيه ، فإذا فرغ من ذلك أطلق له مائة دينار وخمس قطع ثياب على رسم ثابت في الديوان .ينظر :ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ص 47 ؛ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج 4 ،ص 216 .

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص235؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ص148.

(4)الكندي، الولاة والقضاة، ص604؛ الانطاكي، تاريخ الانطاكي ، ص287.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص72؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص34؛ ص34؛ الأمين ، مستدرك اعيان الشيعة ،ج2،ص342 .

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص332؛ الحلبي، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج6، ص2549؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص145؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ص116.

(7) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ج1، ص48؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص196؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج27، ص236؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص363.

مكانته لدى الحاكم بأمر الله ،فلما مرض عاده مرتين أو ثلاثا وأقطعه إقطاعات كثيرة ثم عوفي من مرضه وبعد أيام قبض عليه الحاكم[1] وقتله شر قتلة؛ ويعود السبب في ذلك الى ان الفضل دبّر مقتل أبي ركوة قبل أن يطأ أعتاب الحاكم، ولما وصل إلى قصر الحاكم، كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة، فتنهّد الحاكم غاضبًا على الفضل ومتحسرًا وقال: "وعدت نفسي بمجادلته ووعدتها بذبحه، فاستحال وعد وتيسر آخر، والآن... يا فضل، قرّبه مني، وناولني خنجرك". [2].

وقد شهد عهد الحاكم بأمر الله جملة من الاغتيالات لشخصيات اساءت التصرف مستغلة مكانتها الكبيرة من خلال التدخل في أمور الخلافة لم يتطرق لها او اغفلها ابن الاثير[3].

3- اهل السنة أيام الحاكم بأمر الله

تالف المجتمع المصري من خليط مختلف من الأديان الا ان أغلبيته كان من اهل السنة، والذين كانوا في الأصل نصارى ثم دخلوا الدين الإسلامي بعد الفتح العربي لمصر فترة الدولة الاموية[4]. وبعد قيام الدولة الفاطمية في مصر بذل الفاطميون جهودا كبيرة عن طريق دعاتهم بنشر المذهب الإسماعيلي بين المصريون، واتخذوا من المساجد الكبيرة مركزا لنشر الدعوة فأدخلوا تعديل على الاذان ومواقيت الصلاة واظهار الشعائر الدينية المخالف بعضها لشعائر اهل السنة كإقامة الشعائر الحسينية في أيام عاشوراء [5] وعيد الغدير [1]، وقد اثار هذا بدوره

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15، ص54؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص200

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص216.

(3) مثل اغتيال سعيد الفارقي، والذي كان يقوم بتعليم الحاكم حيث أصبح يتصرف وكأنه وزيرا فقتلة الحاكم، وفهد بن إبراهيم النصراني فقد قتل بعد ان سبب مشاكل بين اثنان من رجالات الدولة، وتعصبه للنصارى، والسيطرة على الأموال وعصيان اومر الخليفة، فضلا عن قتل ابي الطاهر النحوي والذي تعسف مع رعية الحاكم بمصادرة الأموال. ينظر: المسعودي، الاغتيال السياسي في الدولة الفاطمية، ص112-117.

(4) كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز: إن قوما من أهل الذمة تعوذوا بالإسلام مخافة الجزية، فليكتب إليّ أمير المؤمنين فيهم برأيه فكتب إليه: إنّ الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه جابيا فمن دخل في المسلمين فله ما لهم وعليه ما عليهم، فانظر من كان من أهل الذمّة فأظهر الإسلام واختتن وقرأ سورا من القرآن، فأسقط الجزية عنه. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج5، ص147؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج8، ص146.

(5) يوم عاشوراء: وهي من الشعائر الشيعية والتي تقام في الليلي العشرة الأولى من شهر محرم الحرام، والتي استشهد فيها الامام الحسين عليه السلام مع أصحابه واخوته في اليوم العاشر على يد بني امية، وتتمثل بالمآتم التي أقامها سبايا أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام في الكوفة، وعند مرورهم على قتلى عاشوراء، وفي أيام تواجدهم في الشام، وبعد رجوعهم من الشام إلى المدينة المنورة. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج14،

سخط أبناء العامة المصريون حتى كادت ان تقع فتنة طائفية الا انها اخمدت في ساعتها [2]. **وقد أورد ابن الاثير القليل من الاخبار عن العلاقة بين الحاكم بأمر الله واهل السنة، ففي سنة 395هـ/1004م أمر الناس بكتاب سب الصحابة في حيطان المساجد والقياسر والشوارع، وكتب إلى سائر عمال الديار المصرية يأمرهم بالسب، ثم أمر بقطع ذلك ونهى عنه، وعن فعله في سنة 397هـ/1007م، ثم تقدم بعد ذلك بمدة يسيرة بضرب من يسب الصحابة وتأديبه ثم يشهره** [3].

ويمكن ان نعلل السبب الذي دفع الحاكم للكف عن سب الصحابة هو انه ارد كسب اهل السنة الى جانبه سيما بعد وقوفهم الى جانبه في تمرد ابي ركوة، وكاعتراف بفضلهم عليه ومؤازرتهم له في هذه الازمة منع سب الصحابة مظهرا تسامحه ومنحهم الحق في الاعتقاد بما شاءوا وان يشهروا محبتهم لمن يقدسونهم من السلف وانشأ دار العلم (الحكمة) وولى عليها شيوخ السنة.

ولم يكن الحاكم بامر الله المسؤول الوحيد عن سب الصحابة كما تشير بعض المصادر[4]، بل ان سائر حكام المسلمين السابقين كالأمويين مثلا كانوا يأمرون الناس بسب الصحابة [5]، فضلا عن اصدار الحاكم بأمر الله الكثير من الكتب التي تمنع سب الصحابة ، الا ان زيادة اقبال المصريين على الدخول في التشيع وتركهم للمذهب السني اخذ بعضهم يسب الصحابة من

ص150؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص549؛ الشهرستاني، تاريخ النياحة على الامام الشهيد الحسين بن علي علية السلام، ج1، ص147.

(1) عيد الغدير: يقصد به غدير خم، وخم: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، عنده خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حجها، فقال: " من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ". ينظر: الثقفي، الغارات، ج2، ص858؛ القاضي النعمان، شرح الاخبار، ج1، ص101؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج9، ص 103 – 109، ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء انباء الزمان، ج5، ص230.

(2) طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال افريقيا ومصر وبلاد الشام، ص160.

(3) الكامل في التاريخ، ج9، ص178؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء الزمان، ج5، ص293؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص446.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص286؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج، ص354؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص178.

(5) كان معاوية وعمّاله دائبين على ذلك سب ولعن الإمام علي (عليه السلام) حتى تمرَّن عليه الصغير، وهرم الشيخ الكبير، ولعلّ في أوليات الأمر كان يوجد هناك من يمتنع عن القيام بتلك السبّة المخزية. ينظر: الصدوق، معاني الاخبار، ص389؛ الكثيري، السلفية بين اهل السنة والامامية، ص610.

تلقاء نفسه على الرغم من المنع الصادر من الخليفة الفاطمي، فقد أشار المقريزي[1] الى انه " جرى الأمر في يوم عاشوراء على العادة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين والناحة إلى جامع القاهرة، فتظاهروا فيه بسب السلف، فقبض على رجل ونودي عليه: هذا جزاء من سب عائشة وزوجها وضربت عنقه. وتقدم الأمر إلى أصحاب الشرطة ألا يتعرض أحد لسب السلف، ومن فعل ذلك قبض عليه، فانكف الناس عن السب".

اما فيما يتعلق بالصلاة فقد عمل كسابقيه من الخلفاء على تطبيق المذهب الشيعي، فأصدر الاوامر فيما يتعلق بالصلاة والأذان، فقطع صلاة التراويح وصلاة الضحى في جوامع بلدان الخلافة الفاطمية، كما طلب من المؤذنين اضافة عبارة محمد وعليا" خير البشر الى صيغة الأذان، وامر ان تقام صلاتي الظهر والعصر حسب التوقيت العربي وهو ما يخالف التوقيت الشمسي لوقت دخولها الشمس وزوالها[2].

4- اهل الذمة أيام الحاكم بامر الله

اختلف الحاكم بامر الله في علاقته مع اهل الذمة[3] عما سبقه من الخلفاء الفاطميين والذين عملوا على كسب اهل الذمة الى جانبهم للاستفادة منهم ، فقد شغل الكثير منهم وظائف في الدولة كالدواوين وحكام إقليم وجباه وتجار وصيارفة طيلة فترة الخلافة الفاطمية[4]، كما ان بعض الخلفاء قد تزوجوا من نساء اهل الذمة كالعزيز بالله والذي كان منتزوج من امراة مسيحية، وهي ام ابنته ست الملك [5].

---

(1)اتعاظ الحنفا ، ج2،ص67؛ ينظر كذلك ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج5، ص293؛ابت تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص178؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص445.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص178.

(3) تكون اهل الذمة في مصر من عدة اديان شملت النصارى واليهود وقد شكل النصارى الاقباط الغالبية العظمى على اليهود، وانقسم الاقباط الى عدة طوائف منها الملكانية والنسطورية واليعقوبية اما يهود مصر فقد كانت لهم= =عدة طوائف أيضا منها السامرة والربانيون. ينظر: الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج2، ص425؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج4، ص428؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج3، ص383.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص361؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، ج3، ص360؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص165؛ سليمان، الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، ص28.

(5) الحسيني، غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، ص80؛ الزركلي، الاعلام، ج3، ص77.

وعندما تولى الحاكم بالله قيادة الدولة الفاطمية وجد ان اهل الذمة قد تمادوا وتعسفوا في التعامل مع اهل مصر بعد ان سيطروا على الوظائف الإدارية الكبرى في الدولة، وحصلوا على أموال طائلة وعاشوا رفاهية كبيرة عكس المسلمين[1]، فضلا عن تأثير الرأي العام على الخليفة، وخاصة كتامة التي كانت ترغب في السيطرة على مقاليد السلطة، واتبع معهم سياسة قاسية حيث عمل على اقصاء عدد منهم من مناصبهم وصادر أموالهم واخذ اقطاعاتهم[2].

وقد أشار ابن الاثير[3] لبعض المراسيم التي اصدرها الحاكم ضد اهل الذمة قائلا": " **وحمل أهل الذمة على الإسلام أو المسير إلى مأمنهم أو لبس الغيار [4] فأسلم كثير منهم ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه فيقول له إنني أريد العود إلى ديني فيأذن له**" ، فضلا عن منعهم من تزيين كنائسهم واصدر امر بمحاسبة المخالفين بالحبس ، وصادر الأملاك المحبوسة للكنائس ، ومنع اهل الذمة من ركوب الخيل وسمح لهم بركوب البغال والحمير بسروج مصنوعة من الخشب ، وامرهم بان يتميزوا في الحمامات عن المسلمين، وقد افرد لهم حمامات خاصة علق عليها الصليب وامرهم بحمل الصليب للمسيحيين ، واليهود يحملون الخشب [5].

الا ان اهل الذمة لم يلتزموا بذلك، فقد نزعوا الغيار وتشبهوا بالمسلمين حتى لا تتم معرفتهم ، وعندما علم الحاكم بذلك غضب على اهل الذمة، ونادى بينهم بان يلتزموا بما امرهم او يخرجوا من البلاد[6] .

ومن اجل الانصاف لا بد من القول بان الحاكم بامر الله لم يكن الوحيد من بين الخلفاء الذين تعامل مع اهل الذمة بهذه الطريقة ، **اذ نقل لنا ابن الاثير[7] بان الحكام العباسيين قد ضيقوا**

---

(1) حسن، الفاطميون في مصر، ص203.

(2) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، 175؛ قاسم، اهل الذمة في مصر ، ص255.

(3) الكامل في التاريخ، ج9، ص317.

(4) الغيار: وهو العلامة التي تميز أهل الذمة من يهود ونصارى، حيث يكون لون الملابس مغاير لملابس المسلمين لغرض التمييز، ولبس الزنار أن يشدوا في أوساطهم خيطاً غليظاً فوق الثياب وإن لبسوا القلانس جعلوا فيها خرقاً ليتميزوا عن قلانس المسلمين. ينظر: الماوردي، الاحكام السلطانية، ص256؛ الشيرازي المهذب في فقه الامام الشافعي، ج3، ص312،

(5) ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج5، ص293؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص106؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص390.

(6) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15، ص61.

(7) الكامل في التاريخ، ج7، ص52.

أيضا على اهل الذمة كالرشيد(170–193هـ/787–809م) والمتوكل(232–247هـ/846–862م) ، فيقول: "أمر المتوكل أهل الذمة بلبس الطيالسة العسلية، وشد الزنانير وركوب السروج بالركب الخشب وعمل كرتين في مؤخر السروج وعمل رقعتين على لباس مماليكهم مخالفتين لون الثوب كل واحد منهما قدر أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الأخرى ومن خرج من نسائهم تلبس إزارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق وأمر بهدم بيعهم المحدثة وبأخذ العشر من منازلهم وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب، ونهى أن يستعان بهم في أعمال السلطان ولا يعلمهم مسلم وأن يظهروا في شعانينهم صليبا وأن يستعملوا في الطريق وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض وكتب في ذلك إلى الآفاق"

وفي سنة (399هـ/1009) امر الحاكم بهدم كنيسة القيامة **وبرواية أخرى لابن الاثير[1] قال فيها : "أمر الحاكم بأمر الله صاحب مصر بهدم بيعة قمامة وهي بالبيت المقدس وتسميها القيامة، وفيها الموضع الذي دفن فيه المسيح عليه السلام فيما يزعمه النصارى وإليها يحجون من أقطار الأرض وأمر بهدم البيع في جميع مملكته فهدمت وأمر اليهود والنصارى إما ان يسلموا أو يسيروا إلى بلاد الروم ويلبسوا الغيار ، فاسلم كثير منهم ، ثم أمر بعمارة البيع ومن اختار العود إلى دينه عاد فارتد كثير من النصارى ".**

وقد أوردت بعض المصادر التاريخية ومنها الكامل في التاريخ ان سبب اقدام الحاكم بامر الله على هدم كنيسة القيامة، هي الفتنة التي قام بها الكهنة داخل الكنيسة بإيقاد النار بعد خلطه بالزئبق على شكل كتلة نورانية ويزعمون انه السيد المسيح لغرض حرف المسلمين عن دينهم [2]، وقد بالغت المصادر في عدد الكناس التي تم تهديمها من قبل الحاكم بأمر الله في مختلف

---

(1)المصدر نفسة ، في ج9، ص209.

(2) ان خليفة مصر أمر بتخريب كنيسة القمامة من بيت المقدس وأباح للعامة ما كان بها من الأموال وأمتعة بسبب ما أنهي إليه من الفعل الذي تتعاطاه النصارى يوم الفصح من النار التي يحتالون بها بحيث يتوهم الاغمار من جهلتهم إنها تنزل من السماء وإنها مصبوغة بدهن البيلسان في خيوط الإبريسم الرفاع المدهونة بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التي تروج على العظام منهم والعوام وهم إلى الآن يستعملونها في القمامة ويسمى ذلك اليوم عندهم سبت النور ويقع فيه من المنكر بحضور المسلمين ما لا يحل سماعه ولا رؤيته من جهرهم بالكفر ورفع أصواتهم يقولون يا لدين الصليب وإظهار كتبهم ورفع الصلبان على رؤسهم. ينظر: ابن الاثير، ج7، ص240؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج4، ص239، الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص303.

نواحي الدولة الفاطمية حتى ان هناك بعض المصادر التي اشارت الى انه لم يبقي ديرا ولا كنيسة في مملكته [1].

وعلى الرغم من ذلك فقد خفف الحاكم بأمر الله من الضغط على أهل الذمة اذ عدل في آخر سنة من حكمه عن جملة من القوانين والفروض المرهقة، وإطلق حرية الشعائر لأهل الذمة حتى انه اكتفى من أهل الذمة بلبس الغيار [2]

5- السياسة الخارجية للحاكم بامر الله

سار الحاكم بأمر الله على سياسة الخلفاء السابقين بمحاولة التوسع على حساب الدولة العباسية من خلال نشر الدعوة الفاطمية في الشرق، وقد لاقت الدعوة الفاطمية استجابة كبيرة في الهند لوجود الشيعة فيها، وكان حكامها يرسلون الأموال والهدايا الى الفاطميين ويدعون لهم في الخطبة، وعندما قامت دوله الغزنوية (366-579هـ/976-1182م) السنية في بلاد الهند حاول الحاكم بأمر الله استمالتهم لان الغزنويين رفضوا ذلك واظهروا ولائهم للدولة العباسية [3].

اما في مركز الخلافة العباسية فقد استطاع الحاكم بأمر الله الفاطمي من استمالة أمير الموصل قرواش بن المقلد العقيلي (401هـ/1010م) [4]، والذي خرج عن طاعة الخليفة العباسي القادر بالله(381-422هـ/991-1030م)، وأظهر طاعة الخليفة الفاطمي، **فقد ذكر ابن الاثير[5] ذلك بقوله: "فأجابوه وفي القلوب ما فيها، ثم احضر الخطيب وخلع عليه قباء ديبقياً وعمامة صفراء وسراويل ديباج احمر وخفين أحمرين ، وقلده سيفاً، وأعطاه نسخة وما يخطب به".**

---

(1) ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص 55؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج3، ص 255؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص 177؛ علي، خطط الشام، ج2، ص525.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص305.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص348؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص230؛ مفتاح، الدولة الغزنوية في عهد السلطان المجاهد محمود بن سبكتين، ص170-171.

(4) قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي، من هوازن ، أبو المنيع ، معتمد الدولة: صاحب الموصل والكوفة والمدائن وليها بعد مقتل أبيه (سنة391هـ/1001م) وكان أديبا شاعرا ، أحسن تدبير ملكه وسياسته ، ودامت إمارته خمسين سنة. ووقع خصام بينه وبين أخيه بركة بن المقلد، فقبض عليه بركة سنة 441هـ/1050م وحبسه في إحدى قلاع الموصل. ثم نقله ابن أخيه قريش بن بدران بن المقلد، إلى قلعة الجراحية، من أعمال الموصل، فتوفي بها. ينظر: ابن الاثير، الالباب في تهذيب الانساب، ج1، ص342؛ الزركلي، الاعلام، ج5، ص194.

(5) الكامل في التاريخ، ج9، ص223.

اما الكوفة فقد كانت محط أنظار الخلفاء الفاطميين لتحقيق رغبتهم في اسقاط الخلافة لعباسية، فضلا" عن كونها مركز مهم للشيعة الناقمين على العباسيين، لذلك فقد تمَّ إعلان الخطبة فيها للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020م)، إذ عُدَّت الكوفة ضمن أعمال الموصل وحاكمها قرواش بن المقلد[1]. **قال ابن الاثير**[2]:" **خطب قرواش بن المقلد أمير بني عقيل للحاكم بأمر الله العلوي صاحب مصر بأعماله كلها وهي الموصل والأنبار والمدائن والكوفة وغيرها**". وكان رد الخلافة العباسية على ذلك بان ارسل الخليفة العباسي القادر بالله القاضي أبا بكر بن الباقلاني[3] إلى بهاء الدولة يعرفه ذلك وأن العلويين والعباسيين انتقلوا من الكوفة إلى بغداد ، فأكرم بهاء الدولة القاضي أبا بكر، وكتب إلى عميد الجيوش[4] يأمره بالمسير إلى حرب قرواش وأطلق له مائة ألف دينار ينفقها في العسكر وخلع على القاضي أبي بكر وولاه قضاء عمان والسواحل . وسار عميد الجيوش إلى حرب قرواش فأرسل يتعذر وقطع خطبة العلويين وأعاد خطبة القادر بالله[5]، اما مدينة الحلة[6] فقد ظهرت فيها الدعوة الفاطمية

([1]) جانب من الخطبة التي جاء فيها "الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وله الحمد الَّذي انجلت بنوره غمرات الغضب ، وانقدت بقدرته أركان النصب ، وأطلع بنوره شمس الحق من الغرب الَّذي محا بعد له جور الظلمة وقصم بقوته ظهر الغشمة فعاد الأمر إلى نصابه ، والحق إلى أربابه البائن بذاته المتفرد بصفاته الظاهر بآياته المتوحد بدلالاته..." ينظر: ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج15، ص7 ؛الذهبي ،تاريخ الإسلام ، ج28،ص5؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج4،ص225.

(2)ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص223؛ الحنبلي، شذرات الذهب ، ج5 ، ص7 0

(3) أبو بكر بن الباقلاني واسمه محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر وكان أبو بكر المذكور على مذهب أبي الحسن الأشعري وهو ناصر طريقته ومؤيد مذهبه، وسكن ببغداد، وصنف التصانيف الكثيرة في علم الكلام، وانتهت إليه الرئاسة في مذهبه. ينظر: السمعاني، الانساب، ج1، ص266؛ ابن الاثير، الالباب في تهذيب الانساب، ج1، ص176؛ ابي الفداء، مختصر تاريخ البشر، ج2، ص144.

(4)الحسين بن أبي جعفر ، ويقال له ابن أستاذ هرمز، أبو علي عميد الجيوش ولد سنة 352هـ/963م: كان أبوه حاجبا

لعضد الدولة. نشأ وتقدم عند بني بويه ولما صار الامر إلى بهاء الدولة استنابة على العراق، فقدمها سنة 396هـ/1006م، والفت ثائرة بها ، فضبطها بأحكم سياسة ، وأمن الناس في أيامه، ومنع أهل الكرخ من النياحة يوم عاشوراء وأهل باب البصرة من زيارة قبر مصعب بن الزبير. ينظر: المفيد، أوائل المقالات، ص260؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17، ص231؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج12، ص214.

(5) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص224.

(6) الحلة: هي مدينة كبيرة عتيقة ،مستطيلة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقي ويمتد بطولها لهذه المدينة أسواق حفيله جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية وهي قوية العمارة كثيرة الخلق متصلة حدائق النخيل داخلا

سنة(401هـ/1010م)، عندما أقيمت فيها الخطبة للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله من قبل اميرها علي بن مزيد الاسدي(388-408هـ/998-1017م)[1]،.وكانت الدعوة الفاطمية قد تم لها الانتشار في العراق خلال هذه السنة[2].

اما علاقتة مع بلاد الشام التي شهدت في عهده اضطراب كبير وعدم استقرار **فقد أورد لنا ابن الاثير[3] وضع الدولة الفاطمية في هذه المنطقة الحيوية بالنسبة لهم بقوله: "وعصى أهل صور[4] وأمروا عليهم رجلا ملاحا يعرف بالعلاقة[5] ، وعصى أيضا المفرج بن دغفل بن الجراح[6] ونزل على الرملة وعاث في البلاد واتفق أن الدوقس صاحب الروم نزل على حصن أفامية[7] فأخرج أرجوان جيش ابن الصمصامة في عسكر ضخم فسار حتى نزل الرملة فأطاعه وإليها وظفر فيها بأبي تميم فقبض عليه وسير عسكرا إلى صور وعليهم أبو عبد الله الحسين**

وخارجا فديارها بين حدائق النخيل، تقع بين الكوفة وبغداد وكانت تسمى الجامعين، وأول من عمرها ومصرها هو الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي .ينظر: ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص189؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص294 ؛ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص215.

(1) أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي ، سند الدولة ، أول الأمراء المزيديين وأصحاب الحلة ، كان شجاعا ، اشتهر بوقائعه مع " بني دبيس " وقلده فخر الدولة البويهي أمر الجزيرة الدبيسية (سنة 403 هـ/1012م)، وقاتله مضر ابن دبيس فانتزعها منه، وتوفي فيها .ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ج2 ، ص491؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19، ص265؛ النويري، نهاية الارب ، ج28 ، ص129.

(2) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص63 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج3 ، ص547.

(3) المصدر نفسة ، ج9 ، ص120.

(4) مدينة صور: وهي مدينة حسنة على ضفة البحر وبها للمراكب إرساء وإقلاع وهو بلد حصين قديم والبحر قد أحاط به من ثلاثة أركانه ولهذه المدينة ربض كبير ويعمل بها جيد الزجاج والفخار. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، ص366.

(5) العلاقة: ويسمى أيضا أبو علاقة وهو أحد رجال البحرية والملاحين في مدينة صور لبناني الأصل، قاد تمرد ضد الدولة الفاطمية بتاييد منه أهلها سنة (387هـ/997م)، وضرب السكة باسمة ونقش عليها عبارة (عز بعد فاقة، وشطارة بلباقة، للأمير علاقة)، وقد تم القضاء على حركته سنة (388 هـ 998 م). ينظر: القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص50؛ الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص240-241؛ الأمين أ اعيان الشيعة، ج2، ص216.

(6) مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي امير بني طيء في الرملة، وقد اعلن العصيان على الخليفة الفاطمي العزيز بالله وخرج على الخليفة الحاكم بامر الله ما دفع الخليفة الحاكم لتدبير مؤامرة لقتل مفرج اذ بذل المال لدس السم له وبالفعل نجحت المؤامرة ومات المفرج مسموما. ينظر: الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج1، ص182؛ الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ص326.

(7) فامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص ،ويسميها بعضهم فامية بغير همزة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص227؛ ابن الاثير، الالباب في تهذيب الانساب، ج2، ص410.

بن ناصر الدولة بن حمدان[1] فغزاها برا وبحرا فأرسل العلاقة إلى ملك الروم يستنجده فسير إليه عدة مراكب مشحونة بالرجال فالتقوا بمراكب المسلمين على صور فاقتتلوا وظفر المسلمون وانهزم الروم وقتل منهم جمع فلما انهزموا انخذل أهل صور وضعفت نفوسهم فملك البلد أبو عبد الله بن حمدان ونهبه وأخذت الأموال وقتل كثير من جنده وكان أول فتح كان على يد أرجوان وأخذ العلاقة أسيرا فسيره إلى مصر فسلخ وصلب بها".

وسار جيش بن الصمصامة بعد ذلك للقضاء على ثورة المفرج بن دغفل، فهرب من بين يديه، وأرسل يطلب العفو فمنحة الأمان ، وسار الجيش أيضا إلى عسكر الروم فلما وصل إلى دمشق رحب به أهلها فأحسن اليهم، وأطلق لهم المؤن وأباح دم كل مغربي يتعرض لأهلها، فاطمأنوا إليه، ثم توجه بقواته العسكرية الى أفامية فالتقى بالروم عندها فقاتلهم الا انه خسر امامهم هو وأصحابه ما عدا بشارة الإخشيدي[2] فإنه ثبت في خمسمائة فارس، ونزل الروم إلى ممتلكات المسلمين يغنمون ما فيه والدوقس[3] واقف ليشاهد مجريات الاحداث ومعه ولده وعدد غلمان، رجل كردي معروف بابي الحجر بأحمد بن الضحاك السليل من أصحاب بشارة الاخشيدي ومعه سيف فلم يهتم الامره الدوقس مستأمنا منه فلما دنا منه حمل عليه وضربه بالسيف فقتله، فصاح المسلمون قتل عدو الله وعادوا ونزل من كان في الحصن فعانوهم على القتال فانهزمت الروم، وقتل منهم مقتلة عظيمة وكان ذلك سنة (388هـ/998م) [4].

([1]) أبو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي هو ابن أخي سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب والجزيرة أبوه ناصر الدولة صاحب الموصل من أمراء بني حمدان المعروفين كان فارسا شجاعا أديبا شاعرا .ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج16، ص306؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج5، ص2331؛ الأمين ، اعيان الشيعة ،ج5،ص52.

([2]) هو بشارة الاخشيدي بن قرارة ولي امرأة دمشق في أيام المصريين سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة في أيام الملقب بالحاكم من قبل برجوان الخادم الحاكمي وكان بشارة قد ولي طبرية قبل أن يلي دمشق مدة سنين ، ثم عزل عن دمشق بامر من الحاكم سنة (390هـ/1000م). ينظر: ابن عساكر،تاريخ مدينة دمشق ، ج10،ص166؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4،ص57.

([3])الدوقس:هو دلاسينوس بن ميخائيل، وتتوّج ولقّب الدوقس الانجالوس الثاولوغس، صاحب مملكة الرّوم والقسطنطينيّة ، أكبر ملوك المسيحيّة. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج14، ص89، العيني، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، ج2، ص320.

([4]) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص122.

وسار جيش إلى باب أنطاكية فحصل على الغنائم من الروم، ثم عاد إلى دمشق فنزل بظاهرها فسأله أهل دمشق ليدخل البلد فلم يفعل ، وأحسن السيرة في أهل دمشق[1]

ثم غير الحاكم سياسته تجاه ولاية دمشق اذ عمل على استبعاد الاتراك والصقالبة بتعيين ولاة من المغاربة فقذ اسندها الى تميم بن إسماعيل المغربي[2]، فاستقرت فيها الأوضاع الداخلية حتى وفاته في السنة نفسها التي ولي فيها (390هـ/1000م) ثم تم تعيين علي بن جعفر المغربي [3]، ويعود السبب في تغير سياسة الحاكم في دمشق الى ان الفاطميين قد توصلوا مع الروم الى عقد صلح بين الطرفين متضمن عدة شروط تم اقررها تضمنت هدنه بين الدولتين لمدة عشر سنوات، فضلا عن حريه الأديان للمسيحيين في دمشق ، وتعزيز العلاقات التجارية بين البلدين[4]، الا ان احد الصقالبة ويدعى احمد بن الحسين الأصفر التغلبي دعا الناس للجهاد ضد الروم في دمشق فلبو دعوته وهاجموا القوات الرومية، الامر الذي أدى الى تأزم الوضع في دمشق من جديد، كما مرت دمشق في فترة صعبة جدا من الناحية المالية نتيجة لارتباط دمشق بما يجري من احداث ومشاكل داخلية في القاهرة ، كما تم عزل علي بن جعفر المغربي من منصبه بعد انضمامه الى ثورة نصر بن عبدون صاحب الخراج[5] ، ضد الخليفة الحاكم بأمر الله ،وقد أوردت العديد من

([1]) مسكوية ، تجارب الأمم ، ج7، ص270؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص؛123 الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج17، ص54.

([2])تميم بن إسماعيل المعروف بالفحل ، قدم دمشق سنة سبع وثمانين وثلاثمائة واليا على دمشق من قبل الملقب بالحاكم ثم وليها في سنة تسعين وثلاثمائة فقدمها وأقام بها شهورا من هذه السنة ثم هلك. ينظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج11،ص51؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج8،ص606.

([3]) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ج1،ص93.

([4]) مسكوية، ذيل تجارب الأمم ،ج3 ،ص230 ؛ الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص 204.

([5]) قدم من جهة الحاكم داع يقال له ختكين الملقب بالضيف إلى دمشق فبرز ابن فلاح وأقام بظاهر دمشق، فأراد الضيف أن ينقص الجند من أرزاقهم فشغبوا وساروا يريدون ابن عبدون النصراني، وكان على تدبير المال وعطاء الأرزاق فمنعهم الضيف وأغلظ في القول لهم، وكان قليل المداراة فرجعوا إليه وقتلوه، وانتهبوا دور الكتاب والكنائس، وتحالف المغاربة والمشارقة من العسكر على أن يكونوا يداً واحدة في طلب الأرزاق، وأنهم يمتنعون ممن يطالبهم بما فعلوه، وحلف لهم علي بن جعفر بن فلاح أنه معهم على ما اجتمعوا عليه. فبلغ ذلك الحاكم فقال: هذا قد عمى. فبعث يعزله عن دمشق فسار عنها في يسير من أصحابه، وذلك في شوال منها. وتأخر العسكر بدمشق فقدم إليها تموصلت بن بكار من قبل الحاكم فلم يزل عليها إلى أن ولي مفلح اللحياني دمشق في ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين، وكان خادما وفي وجهه شعر فسار إليها. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 209؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص46؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص320.

المصادر، ومنها ما نقلها ابن الاثير[1] عن استمر الحاكم بأمر الله على سياسة تبديل الولاة، وهذا بدوره أدى الى عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في المنطقة ، وقد عرف ولاة الحاكم بسوء سيرتهم مع الرعية من اهالي المدينة، والذي نتج عنة نشوب خلاف بين الدمشقيين والفاطميين، فضلا عن سوء سلوك الجند المغاربة وتجاوزهم على السكان، أدى بالتالي الى نشوب الثورات المتعددة للتخلص من السيطرة الفاطمية.

اما سياسة الحاكم بأمر الله مع مدينة حلب والتي كانت تعاني من عدم استقرار داخلي، اذ كان الحمدانيون في حلب يواجهون العديد من المشاكل، من أبرزها تزايد الخطر البيزنطي الذين اخذوا يتدخلون في الشؤون الداخلية لحلب بسبب الضعف الكبير لذي أصاب الدولة الحمدانية ،فضلا عن شخصية أبو الفضائل سعيد الدولة[2]، والذي تولى قيادة حلب بعد وفاة ابيه سعد الدولة لم يكن ذا شخصية قيادية لإدارة أمور البلاد[3] ،اذ سيطر على مقاليد الحكم في حلب احد الغلمان لؤلؤ[4] والذي بدوره نصب نفسه حاكم للمدينه [5]، واتخذ جملة من الإجراءات منها عقد صلح مع الدولة البيزنطية ، وخلع طاعة الخلافة العباسية ودخل في طاعة الخليفة الفاطمي

([1]) الكامل في التاريخ ، ج7، ص300–311؛ ينظر كذلك: ابن ايبك الدواداري، الدرة المضيئة ،ج6 ،ص 272؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ،ج2، ص 58؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 3،ص 238؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ،ج15،ص262– 263 ؛ تامر، الحاكم بأمر الله ، ص 123 .

(2) أبو الفضائل سعيد بن سعد الدولة شريف بن سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان ، تم تنصيبه من قبل غلمان سعد الدولة ، ولقبوه سعيد الدولة، اذ ونصبوه مكان أبيه ، وصار المدبر له وصاحب جيشه من الغلمان الأمير أبو محمد لؤلؤ الكبير السيفي، فاستولى على الأمور وزوج ابنته سعيد الدولة، فرفع المظالم والرسوم المقررة على الرعية من مال الهدنة. ينظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ،ج5،ص2334؛ حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ،ص223.

([3]) المعاضيدي ، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ، ص73.

(4) لؤلؤ السمي احمد موالي بني حمدان، اتخذ خطوة جريئة فأعلن نفسه حاكما فعليا على حلب ، وأرسل (أبا الحسن) و (أبا المعالي) مع حرم (سعد الدولة) إلى مصر سنة (394 هـ) ، واستبد هو وابنه (أبو نصر منصور) بالسلطة. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج43، ص80؛ ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج5، ص2415.

([5])إن لؤلؤا دس السم فيما قيل إلى أبي الفضائل على يد زوجته بنت لؤلؤ فإنه كان صهره فسمته فمات سنة 391هـ وقام مقامه ولداه أبو الحسن علي وأبو المعالي شريف أياما ثم أخرجا إلى مصر وبهما ختمت سلطنة آل حمدان واستقل لؤلؤ بملك حلب ثم توفي سنة 399هـ/1009م .ينظر : الذهبي، تاريخ الإسلام، ـج48، ص199؛ الأمين ، اعيان الشيعة ، ج2،ص396.

الحاكم بأمر الله واقام الخطبة له في حلب[1]. استمر ولاء حكام المدينة للفاطميين فعندما تولاها نصر بن لؤلؤ[2] بعد وفاة ابية الخادم سنة 399هـ/1009م خطب باسم الدولة الفاطمية فمنحة الحاكم بأمر الله لقب مرتضى الدولة[3]. **وقد اخبرنا ابن الاثير[4] بتفاصيل دقيقة عن الاحداث التي جرت في حلب، والتي مكنت الدولة الفاطمية من السيطرة على حلب، ودخلت ضمن ممتلكات الفاطميين بقوله :" في هذه السنة كانت وقعة بين أبي نصر بن لؤلؤ صاحب حلب وبين صالح بن مرداس[5]، وكان ابن لؤلؤ من موالي سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فقوي على ولد سعد الدولة وأخذ البلد منه وخطب للحاكم صاحب مصر ولقبه الحاكم مرتضى الدولة. ثم فسد ما بينه وبين الحاكم فطمع فيه ابن مرداس وبنو كلاب[6] وكانوا يطالبونه بالصلات والخلع. ثم إنهم اجتمعوا في خمسمائة فارس ودخلوا مدينة حلب فأمر ابن لؤلؤ بإغلاق الأبواب والقبض عليهم فقبض على مائة وعشرين رجلا منهم صالح بن مرداس وحبسهم وقتل مائتين وأطلق من لم يفكر به، وكان صالح قد تزوج بابنة عم له تسمى جابرة وكانت جميلة فوصفت لابن لؤلؤ فخطبها إلى ابن أختها وكانوا في حبسه، فذكروا له أن**

([1]) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص211؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص274.

([2]) ولما توفي أبو المعالي سعد الدولة المذكور أقيم أبو الفضائل ولد سعد الدولة مكان أبيه وقام بتدبيره لؤلؤ أحد موالي سعد الدولة ثم استولى أبو نصر بن لؤلؤ المذكور علي أبي الفضائل بن سعد الدولة وأخذ منه حلب واستولى عليها وخطب للحاكم العلوي، بها ولقب الحاكم أبا نصر بن لؤلؤ المذكور مرتضى الدولة .ينظر: ابو الفداء، تاريخ ابي الفداء، ج2، ص140؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج26، ص161.

([3]) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص274.

([4]) الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص228.

([5]) صالح بن مرداس هو أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر بن حميد بن مدرك ابن شداد بن عبد قيس بن ربيعة الكلابي كان من عرب البادية، وقصد مدينة حلب، وبها مرتضى الدولة ابن لؤلؤ الجراحي غلام أبي الفضائل ابن سعد الدولة نصر بن سيف الدولة بن حمدان نيابة عن الحاكم العبيدي صاحب مصر فاستولى عليها وانتزعها منه، وكان ذا بأس وعزيمة وأهل وعشيرة .ينظر :ابن خلكان، وفيات الاعيان و ابناء انباء الزمان، ج2،ص487؛ كحالة، معجم قبائل العرب ، ج2، ص627.

([6]) كلاب بن ربيعة: بطن عظيم ، من عامر بن صعصعة ، من العدنانية ، وهم: بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هواز بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. كانت ديارهم حمى ضربة، وهو حمى كليب، وحمى الربذة في جهات المدينة النبوية، وفدك، والعوالي، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام. فكان لهم في الجزيرة الفراتية صيت، وملكوا حلب ونواحيها، وكثيرا من مدن الشام، ثم ضعفوا. ينظر: خليفة، طبقات خليفة، ص114؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص282؛ كحالة، معجم قبائل العرب، ج3، ص989.

صالحا قد تزوجها فلم يقبل منهم وتزوجها ثم أطلقهم وبقي صالح بن مرداس في الحبس فتوصل حتى صعد من السور وألقى نفسه من أعلى القلعة إلى تلها واختفى في مسيل ماء".

وفي ضوء ما تقدم فقد أصبح التواجد الفاطمي في بلاد الشام قلق، بل ان هذه البلاد ومنها حلب كانت في وضع غير مستقر نتيجة للصراع بين المتنفذين وكبار رجالات المنطقة للسيطرة عليها، دون ان يكون هناك ردع عسكري من قبل الدولة الفاطمية، لرغبة الخليفة الحاكم بضرب القوى المتصارعة بعضها ببعض .

وعندما علم ابن لؤلؤ بهرب صالح بن مرداس ارسل مجموعة من قواته للقبض عليه، الا انهم عادوا ولم يظفروا به، وبقي بن مرداس مستتر حتى قل البحث عنه، فسار وهو مقيد بالحديد حتى وصل أناسا من العرب فعرفوه وحملوه إلى أهله بمرج دابق[1]، ثم قام بجمع قوة عسكرية مؤلفة من ألفي فارس توجه بها الى حلب وحاصرها اثنين وثلاثين يوما، فخرج إليه ابن لؤلؤ وقاتله فهزمهم صالح وأسر ابن لؤلؤ وقيده بقيده الذي كان في رجله وكان لابن لؤلؤ أخ فنجا وحفظ مدينة حلب، ثم انه بذل لابن مرداس مالا على أن يطلقه فلما استقر الحال بينهما أخذ رهائنه وأطلقه فقالت أم صالح لابنها : "قد أعطاك الله مالا كنت تأمله فإن رأيت أن تتم صنيعك بإطلاق الرهائن فهو المصلحة فإنه إن أراد الغدر بك لا يمنعه من عندك فأطلقهم "[2].

وفي ضوء ذلك نجد ان حلب كانت تعاني من مشاكل داخلية اذ نلاحظ تدخل الروم والفاطميين في محاولة كل طرف السيطرة على المنطقة، وقد سنحت الفرصة للسيطرة الفاطمية على المنطقة عندما استنجد واليها مرتضى الدولة نصر بن لؤلؤ الجراحي بالخليفة الحاكم بأمر الله، بعد ان تعهد له بان يقيم على حلب واليا فاطميا من قبله [3]. فرأى الحاكم في ذلك فرصة مناسبة لتدعيم نفوذه في حلب. وكان يرى أن عودة أبي الهيجاء الى حلب واليا عليها إليها بمثابة عودة النفوذ البيزنطي إلى أهم مدن الشام الشمالية [4]، لذا سارع فأنفذ إلى قاضي طرابلس ابن

([1]) قرية قرب حلب من أعمال عزاز ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ ، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان إذا غزا الصائفة إلى ثغر مصيصة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص416.

([2]) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص229.

([3]) المعاضيدي ، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ، ص71.

(4) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج43،ص80.

حيدرة[1] ووالیها القائد أبي سعادة[2] يأمره بالتوجه نحو حلب ، فخرجا في عسكر كثيف إليها ، فاتفقت موافاة عسكر طرابلس إلى حلب مع نزول أبي الهيجاء بالقرب منها ، وفتح مرتضى الدولة باب حلب للقاضي ابن حيدرة وأطلعه إلى القلعة ، وسأله أن يكتب إلى الحاكم ، ولكن القاضي بادر فورا إلى الخروج للقاء أبي الهيجاء ومن معه من العرب، ووافاهم وقد عولوا على الجلوس إلى الطعام ، ففاجأهم بالهجوم ، وما لبثت القبائل العربية أن تخلت عن أبي الهيجاء ، بعد أن كان مرتضى الدولة قد بذل لهم الوعود ، فانهزم أبو الهيجاء راجعا إلى بلاد الروم ، ونهب جميع ما كان معه[3] .

وبذلك فان السيطرة الحمدانية على حلب قد زالت لأسباب عديدة منها سيطرة العسكر من غلمان والمماليك الأتراك على الحكم، وصغر سن الأمراء الحمدانيين مثل سعيد الدولة وولديه، وظهور قوة الفاطميين وتوسعهم، فضلاً عن ظهور صالح بن مرداس كقوة عسكرية ترغب في السيطرة على حلب وانهاء الوجود الفاطمي الحمداني، فضلا عن رغبة الروم في السيطرة على هذا الجزء الحيوي من بلاد الشام .

6-قتل الحاكم بامر الله (411هـ/1021م)

لقد شهدت خلافة الحاكم بامر الله الكثير من الاحداث الداخلية والخارجية، فضلا عن سياسته في إدارة الدولة التي يبدو انها كانت سبب في التدبير والتخطيط لقتلة والتخلص منه، فمنذ ان ولي الحكم بعد وفاة والده العزيز بالله، وعندما كان صغير في السن تعرض لمحاولة تصفية سنة 386هـ/996م كما مر سابقا، والتي تعد اول عملية في محاولة للتخلص من خليفة فاطمي من اجل السيطرة على مقاليد الحكم، فضلا عن ذلك فقد كان الحاكم ذا شخصية قوية يرغب بإدارة الدولة دون ان يكون هناك طرف اخر يتدخل في ذلك لذا فقد بدأ يضيق ذرعا من تدخل اخته ست الملك في شؤون الدولة[4].

---

(1) ابن حيدرة: هو أبو محمد الحسين بن علي بن حيدرة هو احد قضاة طرابلس ولم تفصح المصادر التاريخية مزيد من المعلومات عنه. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج43، ص80.

(2) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(3)الأمين ، مستدركات اعيان الشيعة ، ج2،ص217.

(4)الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر الجزء الخاص بمصر ، ج6،ص29-302؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4،ص184.

كم ان اخته استهجنت استبداد الحاكم في الحكم، وما يقوم به من اعمال مع رعيته[1] ، وقد فصل **لنا ابن الاثير[2] الكيفية التي فقد فيها الحاكم بامر الله، فضلا عن قتله والأسباب التي كانت وراء الحادث، وشاركت العديد من المصادر، والتي أوردت نفس ما قاله ابن الاثير حول قتل الحاكم قائلا" " فقد الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز العلوي صاحب مصر بها ولم يعرف له خبر... وبقي الناس على رسمهم يخرجون كل يوم يلتمسون رجوعه إلى سلخ شوال فلما كان ثالث ذي القعدة ".**

وكان مظفر الصقلبي صاحب المظلة[3] وغيره من خواص الحاكم ومعهم القاضي قد خرجوا بحثا عنه حتى وصلوا حلوان ودخلوا في الجبل فبصروا بالحمار الذي كان عليه راكبا وقد ضربت يداه بالسيف فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه فاتبعوا الأثر فانتهوا به إلى البركة التي شرقي حلوان فرأوا ثيابه وهي مزررة بحالها لم تحلّ ،وفيها أثر السكاكين فعادوا ولم يشكوا في قتله [4].

اما عن سبب قتله فقد قيل ان أهل مصر كانوا يكرهونه لما يظهر منه من سوء أفعاله فكانوا يكتبون إليه الرقاع فيها سبه وسب أسلافه والدعاء عليه حتى إنهم عملوا من قراطيس صورة امرأة وبيدها رقعة ، فلما رآها ظن أنها امرأة تشتكي فأمر بأخذ الرقعة منها فقرأها وفيها كل لعن وشتيمة قبيحة وذكر حرمه بما يكره ، فأمر بطلب المرأة فقيل إنها من قراطيس [5]. فأمر بإحراق مصر ونهبها ففعلوا ذلك، وقاتل أهلها أشد قتال، وانضاف إليهم في اليوم الثالث الأتراك والمشارقة فقويت شوكتهم وأرسلوا إلى الحاكم يسألونه الصفح ويعتذرون فلم يقبل، فصاروا إلى التهديد ، فلما رأى قوتهم أمر بالكف عنهم، وقد أحرق بعض مصر، ونهب بعضها، وتتبع المصريون من أخذ نساءهم وأبناءهم فابتاعوا ذلك بعد أن فضحوهن فازداد غيظهم منه وحنقهم عليه [6]. ثم إنه أوحش أخته وأرسل إليها مراسلات قبيحة يقول فيها بلغني أن الرجال يدخلون

---

(1)ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص79؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،ج15،ص140.

(2)الكامل في التاريخ ، ج9،ص314.

(3)وهو خادم الحاكم بامر الله قلدة الخليفة الفاطمي السيف وقيد بين يدية فرس وحمل اليه ثياب فضلا عن توليه الشرطة سنة 388هـ/998م . ينظر: المقريزي ،اتعاظ الحنفا، ج1، ص177.

(4) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج15،ص183؛ ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج2،ص151؛النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28،ص179.

(5)ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12،ص12؛ ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون ، ج4،ص61.

(6)ابن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب ، ج1، ص332.

إليك وتهددها بالقتل فأرسلت إلى قائد كبير من قواد الحاكم يقال له ابن دواس [1]، وكان أيضا يخاف الحاكم تقول له :"إنني أريد أن ألقاك فحضرت عنده وقالت له قد جئت إليك في أمر تحفظ فيه نفسك ونفسي وأنت تعلم ما يعتقده أخي فيك وأنه متى تمكن منك لا يبقي عليك وأنا كذلك وقد انصاف إلى هذا ما تظاهر به مما يكرهه المسلمون ولا يصبرون عليه وأخاف ان يثوروا به فيهلك هو ونحن معه ، وتنقلع هذه الدولة" [2]. فأجابها إلى ما تريد فقالت :" إنه يصعد إلى هذا الجبل غدا وليس معه غلام إلا الركابي وصبي وينفرد بنفسه فتقيم رجلين تثق بهما يقتلانه ويقتلان الصبي وتقيم ولده بعد وتكون أنت مدبر الدولة وأزيد في إقطاعك مائة الف دينار. فأقام رجلين وأعطتهما هي الف دينار ومضيا إلى الجبل وركب الحاكم على عادته وسار منفرداً إليه، فقتلاه [3]، وكان عمره ستا وثلاثين سنة وتسعى أشهر وولايته خمسا وعشرين سنة وعشرين يوما وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من أماثل دولته وغيرهم فكاتب سيرته عجيبة وبنى الجامع براشدة وأخرج إلى الجوامع والمساجد من الآلات ، والمصاحف ، والستور والحصر مالم ير الناس مثله"[4].

الا ان هناك امر لا بد لنا من الإشارة اليه هو ان هناك رواية التاريخية والتي هي قريبة على حادث مقتل الحاكم بامر الله حاولت ان تنفي تهمة قتل الخليفة عن ست الملك وهذا ما أورده المقريزي[5] بقوله :" وفي المحرم سنة خمس عشرة وأربع مئة قبض على رجل من بني حسين ثار ثار بالصعيد الاعلى ، فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد ،

---

(1) حسين بن دواس الكتامي ، سيف الدولة مدبر قتل الحاكم بأمر الله الفاطمي. كان من شيوخ كتامة (القبيلة المعروفة) ومن كبار القواد في ذلك العهد. خدم العزيز بالله (أبا الحاكم)، واستمر على تقدمه في أيام الحاكم، إلى أن تغير هذا عليه وعلى غيره ورآه يكثر من زيارة أخته (ست الملك) وتوعدها بالقتل إن زارها أحد. فانكمش ابن دواس منزويا عنها وعنه، إلا في المواكب. فكان لا يلقاه إلا وهو على ظهر فرسه. واستدعاه الحاكم مرة إلى قصره امتنع، ورآه في موكب فسأله عن سبب تخلفه، فقال: لان تقتلني في داري أحب إلي من أن تقتلني في قصرك. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، ج1، ص29؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4،ص185؛ الدمشقي ، شذرات الذهب ،ج3،ص193؛ الزركلي ، الاعلام ،ج2،ص237.

(2)ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ، ج9،ص314.

(3)اليافعي ، مراة الجنان وعبرة اليقظان ،ج3 ،ص20 .

(4) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9،ص314.

(5) اتعاظ الحنفا ،314 .

وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم ، وقطعة من الفوطة التي كانت عليه ، فقيل له : " لم قتلته ؟ ". قال : " غيرة لله وللاسلام " فقيل له : " كيف قتلته ؟ " . فأخرج سكينا ضرب بها فؤاده ، فقتل نفسه ، وقال : " هكذا قتلته " فقطع رأسه ، وأنفذ به إلى الحضرة مع ما وجد معه " . وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم ، لا ما تحكيه المشارقة في كتبهم من أن أخته قتلته "

ولو تمعنا النظر في تلك الرواية لوجدنا ان هناك الكثير من التساؤلات حول ما ورد فيها لعل من أبرزها هي المدة التي ألقي فيها القبض على القاتل اذ كانت بعد اربع سنوات من عملية القتل، والكيفية التي خطط فيها القاتل لعملية القتل، وكيف وصل الى مكان الحاكم بالله دون ان يكون هناك تنسيق مع أي شخصية أخرى مكنته من ذلك، فضلا عن شخصية القاتل التي لم تعرف منها سوى انه من بني الحسن احدى القبائل القاطنة في مصر واعترافه بان سبب القتل هو الغيرة على الإسلام دون بيان الفتوى التي أصدرها في القتل فهل حرف الحاكم ديانة الإسلام او جاء بمنهج مخالف للشريعة الإسلامية وكثير من الأسئلة، ويرى الباحث ان الصوب فيما ورد هو ما أورده ابن الاثير في موضوع قتل الحاكم والدليل على صحة ذلك ان ست الملك اتهمت ابن دواس بالقتل وطلبت من خواص الحاكم والعبيد قتل ابن دواس .

اما من أبرز النتائج التي خلفها مقتل الحاكم بامر الله هي ظهور فرقة دينية تسمى الحاكمية **أوردها لنا ابن الاثير[1] بقوله: " الحاكمية نسبة إلى الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور بن أبي المنصور نزار بن معد الخليفة العلوي صاحب مصر نسب إليه طائفة قالوا برجعته لأنه ركب ليلا ومعه ركابيان فأعادهما ومضى إلى حلوان عند مصر فلم يعرف له خبر فركب خواصه في طلبه فرأوا ثيابه عند شرقي حلوان ورأوا حماره بسرجه ولجامه وقد جرحت يداه ولم يعلموا ما وراء ذلك فذهبت طائفة إلى أنه قد غاب وسيعود يملك الأرض"**

الفصل الثالث

(1) اللباب في تهذيب الانساب ، ج1، ص332؛ ينظر كذلك : السيوطي، لب اللباب في تحرير الانساب، ص75؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص290.

المبحث الأول: الدولة الفاطمية في فترة الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/1020-1035م)

تولى الظاهر لإعزاز دين الله [1]حكم الدولة الفاطمية وكان صغيرا لا يتجاوز الحادية عشر من عمره [2] بعد موت ابيه الحاكم بامر الله الذي حكم الدولة الفاطمية بحزم وقوة، وأشار ابن الأثير[3] إلى أن اباه كان يتمتع بشخصية غريبة متناقضة الأطوار؛ مما جعله يقتل العديد من أعيان دولته أثناء حكمه للدولة الفاطمية.

وقد ذكر ابن الأثير[4] روايتين في توليته الخلافة بعد ابيه قائلا" ولمّا فقد الحاكم ولي الأمر بعده ابنه أبو الحسن علي ولقب الظاهر لإعزاز دين الله وأخذت له البيعة ورد النظر في الأمور جميعها إلى الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجائي[5] "، وقال في موضع اخر[6] "لما قتل الحاكم بقي الجند خمسة أيام ثم اجتمعوا إلى أخته واسمها: ست الملك، وقالوا قد تأخر مولانا ولم تجر عادته بذلك، فقالت قد جاءتني رقعته بأنه يأتي بعد غذ فتفرقوا وبعثت الأموال إلى القواد يد ابن دواس[7] فلما كان اليوم السابع ألبست أبا الحسن علي ابن أخيها

---

(1) أبو هاشم علي الملقب بالظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز ابن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ، ولد بمصر سنة 395هـ/1004م وكان يكني بأبي الحسن، وذكر البعض أنه كان يكني أبا هاشم، ولقبه الظاهر لإعزاز دين الله. ينظر: الفارقي، تاريخ الفارقي، ص120؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص202.

(2) المقريزي، المقفى، ص177.

(3) الكامل في التاريخ، ج7، ص305.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص317؛ ينظر كذلك: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج3، ص408؛ الصفدي ،الوافي بالوفيات، ج9، ص90؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص182؛ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص61.

(5) الجرجائي: هو أبي القاسم علي بن أحمد، عراقي الأصل وقد لقب بهذا اللقب نسبة الى قرية جرجرايا بسواد العراق كان يتولى بعض الدواوين بمصر فظهرت عليه خيانة فقطع الحاكم صاحب القاهرة يديه، ثم ولى بعد ذلك ديوان النفقات سنة 409هـ/1019م وذلك بعد أن تنقل في الأرياف والصعيد، ولما تولى الظاهر بن الحكم جعله وزيرا" له. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص185؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج20، ص117.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص317.

(7) سيف الدولة: حسين بن دواس بن أحمد بن جاير المغربي الكتامي، مدبر قتل الحاكم بأمر الله الفاطمي كان من شيوخ كتامة ومن كبار القواد في ذلك العهد ،خدم العزيز بالله واستمر على ذلك أيام الحاكم، إلى أن تغير هذا عليه وعلى غيره ورآه يكثر من زيارة أخته (ست الملك) وتوعدها بالقتل إن زارها أحد. فانكمش ابن

الحاكم أفخر الملابس وكان الجند قد حضروا للميعاد فلم يرعهم إلا وقد أخرج أبو الحسن وهو صبي والوزير بين يديه فصاح يا عبيد الدولة مولاتنا تقول بكم هذا مولاكم أمير المؤمنين فسلموا عليه فقبل ابن دواس الأرض والقواد الذين أرسلت إليهم الأموال ودعوا له فتبعهم الباقون ومشوا معه ولم يزل راكبا إلى الظهر ودعا الناس من الغد فبايعوا له ولقب الظاهر لا عزاز دين الله ، وكتبت الكتب إلى البلاد بمصر والشام بأخذ البيعة له ".

وقد اختلفت الأقوال في حكمه للدولة الفاطمية اذ ذكر بان الظاهر لإعزاز دين الله كان على عكس ابيه في حكمه للدولة الفاطمية، وأنه كان حسن السيرة و السياسة منصف للرعية [1]. كما أشارت المصادر التاريخية بأنه ذو سيرة حميدة بين الرعية[2]، فقد مدحه الدواداري[3] قائلا" كان الظاهر ذو سيرة حميدة وأفعال مرضية، حسن المذهب عفيفا تقيا " .

وقال عنه ابن تغري[4] انه: " كان عاقلا سمحا جواداً يتمتع بالعفة والحلم في حكمه مع رعيته، وأزال الرسوم التي فرضها أبوه على الرعية ".

وقد تميزت فتره حكمه للدولة الفاطمية بالسلام والطمأنينة، وأشاعة العدل بين أفراد المجتمع الفاطمي [5]، كما كان ينظر في مصالح الرعية بنفسه، ويسمع إلى شكاوي المظلومين والفقراء[6]، **فقد ذكر ابن الأثير[7]ذلك قائلا: " وباشرت الأمور بنفسها، وقامت هيبتها عند الناس واستقامت الأمور وعاشت بعد الحاكم أربع سنين** "، مما جعل الأوضاع السياسية داخل الدولة

دواس منزويا عنها وعنه، إلا في المواكب فكان لا يلقاه إلا وهو على ظهر فرسه، واستدعاه الحاكم مرة إلى قصره، فامتنع، ورآه في موكب فسأله عن سبب تخلفه، فقال:" لان تقتلني في داري أحب إلى من أن تقتلني في قصرك!" ولما أزمعت (ست الملك) أن تقتل أخاها الحاكم، ذهبت متنكرة إلى دار ابن دواس، وطلبت مساعدته على ذلك. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15،ص142؛ الزركلى ، الاعلام ،ج2، ص237.

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص11.

(2) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ص159؛ ابن القلانسي، المذيل تاريخ دمشق، ص129؛ العاصمي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج3، ص561.

(3) كنز الدرر وجامع الغرر، ج6، ص314.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص248.

(5) حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 225.

(6) المسبحي، أخبار مصر في سنين، ص243.، ص171، تامر، الظاهر لإعزاز دين الله، ص 7.

(7)الكامل في التاريخ، ج8، ص133.

الفاطمية في فترة حكمه غير مستقرة ومضطربة ، كذلك كانت فيها القرارات متضاربة لا تسير وفق وتيرة واحدة.

1- والأوضاع السياسية في عهد الظاهر

كانت تسمية ولي العهد من الأعراف السائده في الدولة الفاطمية، وبحسب المعتقد الإسماعيلي فان الامامة تنتقل من الاب الى الابن ، فعندما يتولى الإمامة شخص من أبناء البيت الفاطمي حسب تسلسل الذكور الفاطميين في حالتي الأب وابنه وهكذا، فبموجب هذا المفهوم يظل هذا الامام هو الذي مهمة يتولى نقل الامامة حسب التسلسل في المتابعة الى ما بعده، لأنه صاحب الحق ويعود له وحده من دون غيره من اولاد الامام في نقل الامامة والنص عليها[1]،ولكن الحاكم بأمر الله وقبل وفاته خالف هذا العرف في سنة404هـ/1014م في منح ولآية العهد لابن عمه عبد الرحيم بن الياس بن أحمد المهدي[2]، **وقد أشار الى ذلك ابن الاثير[3] بقوله :" وجعل ولي عهده ابن عمه عبد الرحيم بن إلياس ، فاستمر ذلك خمسة أعوام** " ، وخطب له على المنبر ، فضلا عن قيامة بنقش اسمة على السكة والبنود[4] ، كما عينه واليا على دمشق سنة 410هـ/1020م فساءت احولها ، ووقع بين الجند واهل البلاد حرب وحريق ونهب ثم وردته كتب من الحاكم يأمره بالسير إلى مصر وترك دمشق[5].

ولكن بعد وفاة الحاكم وجدت ست الملك بان وجود عبد الرحيم يشكل تهديدا خطيرا عليها وعلى الظاهر لاعزاز دين لله ؛ الان الحاكم قد عينه ولي للعهد من بعده ؛ لذا وضعت الخطط للتخلص

---

(1) النوبختي، فرق الشيعة، ص 104؛ القمي، المقالات والفرق، ص 16.

(2)ان السبب الذي دفع الحاكم في منح ولاية العهد البن عمة وعدم منحها لأي من أبنائه هي رغبته بان يتولى قيادة الدولة الفاطمية شخص ناضج قادر على إدارة الدولة، اذ كان جميع أبنائه صغار السن، فضلا عن ذلك فانه قدم مصلحة الدولة على المصلحة الشخصية ، وان تعين ابن الياس هي مسائلة خاصة بالحاكم فهوى يرى من هو الاصلح لقيادة الدولة، كما انه أراد ان يكون ابن عمة كافلا لابنه الصغير حتى يبلغ سن الرشد، لذا يلاحظ انه اطلق على ابن الياس لقب والي عهد المسلمين واطلق على ابنه لقب امير المؤمنين .ينظر: القاضي النعمان، دعائم الاسلام ،ج1 ،ص15؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، ص69؛ تامر، الحاكم بامر الله، ص116.

(3) الكامل في التاريخ، ج9، ص297.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص34؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الاب ، ج28، ص222.

(5) ويعود السبب في ذلك الى أنه رخص للناس فيما كان الملقب بالحاكم نهاهم عنه من إظهار المنكر من الخمر وسماع الأغاني مما أدى الة انتشار الفساد في البلاد، كما ابغضه الجند لبخل كان فيه وكتبوا فيه إلى مصر يذكرون انه مضمر للعصيان. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج36، ص127.

منه، فأحضرت خطير الملك الوزير أبا الحسين عمار بن محمد[1] وعرفته الحال واستكتمته واستحلفته على الطاعة والوفاء ورسمت له بمكاتبة ولي العهد عبد الرحيم بن الياس وكان مقيمًا بدمشق نيابة عن الحاكم بأن يحضر إلى الباب فكتب إليه بذلك ، وارسلت علي بن داود[2] أحد القواد إلى الفرما [3] وامرته بالقبض على ولي العهد وأرساله إلى تنيس[4]، والذي قبض عليه وبعث به إلى ست الملك فحبسته في دارها، ووضعته تحت الإقامة الجبريه ووكلت بخدمته خواص خدمها[5]، وبقي في سجنه حتى مقتله وقد اختلفت المصادر في الكيفية التي تم فيها التخلص منه، اذ وردت روايات متعددة حول مقتله فقد قيل انه قتل بالسم اذ تم دسه اليه في الفاكهة فاكل منها ومات [6] ، وأخرى تشير الى نه اغتيل من قبل احد الخدم ارسلته ست االملك فضربه بخنجر في بطنه [7] ، فضلا عن رواية أخرى إشارت على انه انتحر بواسطة سكين في بطنه[8] ، ويبدو ان الظاهر كان على علم وموافقة على طريقة إدارة ست الملك للدولة، فعندما شعرت بدنوا اجلها أرسلت بطلب الظاهر لاعزاز دين الله وقالت له: " قد علمت ما عاملتك به وأقله حراسة نفسك من أبيك فإنه لو تمكن منك لقتلك وما تركت لك أحدا تخافه إلا ولي العهد فبكى بين يديها هو ووالدته وسلمت إليهما مفاتيح الخزائن وأوصتهما بما أرادت وقالت لمعضاد

---

(1) خطير الملك وهو لقب لعمار بن محمد، أبو الحسين، وهو من وزراء الدولة الفاطمية بمصر. تولى ديوان الانشاء في أيام الحاكم بأمر الله، وجعلت له الوساطة بين الخليفة وطوائف المشارقة والأتراك. ولقب بالأمير الخطير رئيس الرؤساء. واستمر إلى خلافة الظاهر لاعزاز دين الله (الفاطمي) سنة 411هـ/1020م فخلع عليه للوساطة. ثم عزل، بعد سبعة أشهر، قتل سنة 412هـ/ 1021م. ينظر: الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص374؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص189؛ الزركلي، الاعلام، ج5، ص36.

(2) لم يعثر الباحث له على ترجمة في المصادر التي اطلع عليها.

(3) الفرما: وهي مدينة على بحر الشام مجاورة لبحيرة تنيس ، بالقرب من مصر ،.ينظر : الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1،ص357؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج12،ص452.

(4) تنيس: وهي جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقيها، وسميت تنيس باسم تنيس بنت دلوكة الملكة، وكانت ذات حدائق وبساتين. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص52؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، ص336.

(5) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج2، ص366؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج4، ص355.

(6) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ج2، ص368.

(7)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص194.

(8) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص184.

الخادم[1] امض إلى ولي العهد وتفقد خدمته فإذا دخلت عليه فانكب كأنك تسائله بعد أن توافق الخدم على ضربه بالسكاكين فمضى إليه معضاد فقتله ودفنه وعاد فأخبرها [2]" وعلى كل حال فقد تم التخلص منه وعادت الأمور الى نصابها وحسب المعتقدات الإسماعيلية بان تولى ابن الحاكم قيادة الدولة الفاطمية .

من خلال ما تقدم يبدو ان ست الملك هي من تدير أمور الدولة بعد ان تولي الظاهر قيادة الدولة الفاطمية بسبب صغر سن الخليفة الفاطمي وسيطرت ست الملك على مقاليد الحكم ، وقد حرصت على الاستفادة من رجال الدولة المطيعين لها ومنهم ابن دواس[3] والوزير خطير الملك الذي كان يدبر امر الدولة في عهد الحاكم[4] ، وقد كان اكثر اعتمادها على ابن دواس، **وقد أشار ابن الاثير[5] الى ذلك بقوله: "وجمعت أخت الحاكم الناس ووعدتهم وأحسنت إليهم ورتبت الأمور ترتيبا حسنا وجعلت الأمر بيد ابن دواس وقالت له إننا نريد أن نرد جميع أحوال المملكة إليك ونزيد في إقطاعك ونشرفك بالخلع فاختر يوما يكون لذلك فقبل الأرض ودعا وظهر الخبر به بين الناس".**

وقد طلبت منه مساعدتها في إدارة أمور الدولة قائلة له:" المعول في القيام بهذه الدولة عليك، وتدبيرها موكول إليك ، وهذا الصبي ولدك فينبغي أن تنتهي في الخدمة إلى غاية وسعك ، فقبل الأرض ووعد بالإخلاص في الطاعة ، وأخرجت الصبي وقد لقبته الظاهر لإعزاز دين الله[6]"

وعلى الرغم من الصلاحيات التي منحت للحسين بن علي بن دواس من قبل الخليفة الفاطمي وبإيعاز من ست الملك، اذ عرضت عليه مناصب عديدة في الدولة ،وجعلت في يده

---

(1)معضاد الخادم أبي الفوارس معضاد الظاهر كان يلقب بعز الدولة وسنائها ، ثار على الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، فلحقه رجل من بني الحسين ببلاد الصعيد وقبض عليه، وقام بقتل نفسه بسكين فقطعت رأسه وأرسلت إلي القاهرة.ينظر :المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج2، ص191.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص195.

(3) المسبحي، أخبار مصر في سنين، ص243.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص128

(5) الكامل في التاريخ، ج9، ص319.

(6) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15، ص143.

أمور الخزائن وله الامر في التقرير والتدبير وقد روى ذلك المقريزي[1] بقوله :" قد رأيت أن أنجز وعدك وأظهره، وأرد إليك أمر السيادتين، مضافا إلى الشرطتين، وأجعل أمرك في الأمور والخزائن نافذا، ورأيك في التقريرات والتدبيرات معتمدا، إذ كنت المولى المخلص والشريك المخالط؛ وأشرفك بخلع وحملان يظهر للخاص والعام بها موضعك ومحلك، وتخصصك وتحققك. فادخل الخزائن واختر كل ما تريد لفخامته ولجلالته، واطلب يوماً تختار لتفاض فيه عليك الخلع ويقرأ العهد بتقليدك. فلما سمع من ذلك ما سمع سر به وقبل الأرض شكرا عليه".

نجد ان ست الملك وضعت الخطط للتخلص من ابن دواس **وقد أورد ذلك ابن الاثير**[2] **بقوله: "ثم أحضرته ، وأحضرت القواد معه وأغلقت أبواب القصر وأرسلت إليه خادما وقالت قل للقواد إن هذا قتل سيدكم وضربه بالسيف ففعل ذلك وقتله فلم يختلف رجلان وباشرت الأمور بنفسها وقامت هيبتها عند الناس واستقامت الأمور"**

ويرى الانطاكي[3] ان السبب الذي دفع ست الملك للتخلص من ابن دواس هو ارتفاع شانه و خوفها من كشفه لحقيقة اغتيال الحاكم بأمر الله ومن امره بذلك لعامة الناس، وقد خططت وامرت بالقبض عليه بتهمة قتل الحاكم بأمر الله .

وبعد ذلك اخذت تعد العدة للتخلص من خطير الملك الذي سبق وان استعانت به للقضاء على ولي العهد عبد الرحيم بن الياس، فقد وجدت ان الوزير خطير الملك اخذ يشكل خطر كبير على ابن اخيها الظاهر لاعزاز دين لله ، اذعاد الناس بعد قتل الحاكم الى التظاهر بشرب النبيذ وسماع الأغاني ؛ وأفتتن الظاهر بذلك وتوفر عليه وواصل الركوب الى دار رئيس الرؤساء خطير المُلك عمار بن محمد والمقام بها للمنادمة وسماع الأغاني؛ فأنكرت عمته ذلك خوفاً من حيلة تتم عليه؛ فخططت لقتل رئيس الرؤساء خطير الملك[4] ، وعلى الأرجح يبدو ان السبب الذي دفع ست الملك للتخلص منه هو خوفها من افشاء سرها في قتلها لأخيها الحاكم بأمر الله، فضلا عن ذلك خوفها من تأثير الوزير على ابن اخيها الظاهر لأنه كان ملازم له.

---

(1)اتعاظ الحنفا، ج2، ص126.

(2) الكامل في التاريخ، ج9، ص320.

(3) تاريخ الانطاكي ، ص73.

(4) الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ص74.

ولم تكن الأوضاع السياسية الداخلية في فترة حكم الظاهر لإعزاز دين الله طيبة في بعض الأحيان وذلك لانشغاله بملذاته في كثير من الأوقات [1].

وابتعاده عن السلطة وانشغاله بحياته الخاصة عن مسؤولية الحكم، بجانب تدخل كبار رجال الدولة في الحكم[2]، كما كانوا لا يسمحون لأحد أن يدخل عليه الا هم، فقد استغلوا إقبال الظاهر على اللهو والملذات وكانوا يدخلون عليه كل يوم خلوة ويخرجون من عنده ويتصرفون في سائر شئون الدولة بما يجدونه يتفق مع ما يريدون فكانوا ينفردون بالتدبير دون الرجوع إليه، ونتيجة لذلك أصبح من الصعب الوصول إلى الخليفة أو الالتقاء به، وربما كان ذلك لصغر عمره دور كبير في سيطرة كبار رجال الدولة على شؤون الحكم ([3]).

2-الحياة الاجتماعية في خلافة الظاهر.

على الرغم من اتباع الظاهر لإعزاز دين الله سياسة والده في أمر الدعوة الفاطمية، فقد أمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الإسلام، لمؤلفه القاضي محمد بن النعمان الذي كان يتولى منصب القضاء أيام المعز لدين الله، وكان يرصد مكافآت مالية لمن يقوم بحفظ هذه الكتب([4]).

ويمكن القول إن الخليفة الظاهر كان يقوم بإصدار مثل هذه القرارات بهدف جعل الدعوة الفاطمية هي المسيطرة على جميع الولايات التابعة للدولة الفاطمية ليتابع سياسة اسلافه في نشر الدعوة الفاطمية، كما عمل الظاهر على اتباع سياسة تتضمن القيام بإخراج فقهاء المالكية من مصر، وذلك لإفساح المجال إلى المذهب الإسماعيلي الفاطمي حتى لا يكون هناك منافس لتلك الدعوة.

ومع ذلك فإننا نجد أن السياسة التي اتبعها الخليفة الظاهر لإعزاز الله مع أهل السنة كانت في كثير من الأحيان تهدف الى الاحتواء وعدم إثارة المسلمين السنة، وإعطائهم نوعا من الحرية في أداء شعائرهم، فقد ذكر ابن الأثير أنه أمر بإقامة التراويح بالجامع العتيق، ليصل به أهل السنة وصلى بهم أمام طوال شهر رمضان، ووضع المصاحف والستور والآلات داخل الجوامع

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ص ج8، ص11.

(2) سيد، فواد أيمن، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص119.

(3)هالم، هاينز، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، تعريب سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ص127.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص175.

بشكل لم يره الناس من قبل، وفي بعض الحالات كان المؤذنون لا يحرصون على ذكر عبارة "حي على خير العمل" في صيغة الآذان([1]).

كما كان الظاهر لإعزاز دين الله يلاحق الجناة والمفسدين ([2])، أثناء فترة حكمة للدولة الفاطمية ويأخذ الحق للضعيف من القوي، وكان يؤكد على رجال الدولة بإقامة حدود الله، كما كان لا يقبل شفاعة الفاسدين، فقد كان شديد في تطبيق الحدود حتى يخاف الناس من التعدي على بعضهم البعض[3]. وقد اتبع أيضا في سياسته الغاء القيود الاجتماعية التي كانت موجودة أيام والده فسمح للناس بالاستماع إلى الغناء[4]، فقد كان الظاهر شغوفا" باللهو محبا للغناء فتأنق الناس في أيامه بمصر واتخذوا المغنيات والرقاصات وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما([5]).

وتميزت فترة خلافة الظاهر بأنه كان يجلس لاستقبال الناس لتهنئتهم بالأعياد والمناسبات فكان يخرج في موكب يطوف الأسواق ليتفقد أحوال الرعية، وكان يخرج في بعض الأحيان متخفيا، وكان يخطب بالناس بنفسه ويشترك في الاحتفالات والمناسبات وخاصة في شهر رمضان، وقام برفع الحظر عن النساء الذي كان فرضه والده أيام حكمه([6])، فسمح بالخروج من منازلهن من أجل قضاء حاجتهن([7]).

ويبدو أن بعض السياسات التي أقراها الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الخاصة بأمر النساء، والتي لم يعمل بها كما فعل والده عاد إليها وسار على سياسة والده، اذ أنه أمر بمنع النساء من

([1])الكامل في التاريخ، ج8، ص129؛ ينظر كذلك سرور، محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية في مصر، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979م، ص 84.

([2]) فقد ذكر أنه علق لص من قدميه كان قد سرق دكانا وقام باتشهير به في المدينة، كما أمر بضرب رجل قام بقطع سرج فضه لأحد الأتراك بمصر، وأمر بأن يوضع على جمل ويمشى به في سوق المدينة ليكون عبرة لغيره، كما حكم على رجل كان قد سرق مال بقطع يده اليمني ويطوف بها على جمل، وإيداعه بالسجن إلى أن توفي. ينظر :المسبحي ، أخبار مصر، ص38- 52- 191.

([3])المسبحي، أخبار مصرفي سنين ، ص 23، 24.

([4]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص11.

([5])كان الظاهر يعلم مماليكه الغناء كما كان يعلمهم العلوم وسائر فنون الحرب كما استكثر من شراء الجواهر . المقريزي، اتعاظ الحنفاء ، ج2، ص129.

([6]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص129، 130

([7]) المقريزي، المواعظ، والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج3، ص193؛ كامل، أحمد، مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأيوبية، د.ت، ص108

الخروج من بيوتهن([1]). وأصدر مرسوما ينص على عدم خروج النساء في الطرقات العامة من بعد صلاة العصر خاصة في الأشهر الحرم، وأمر البائعين الذين يقومون ببيع السلع للنساء أن يكون معهم شبه مغرفة ذات ساعد طويل، يمدها إلي المرأة ويضع فيها السلعة المباعة، فإذا رضيت الثمن وضعت له النقود في المغرفة وذلك من وراء الباب([2])، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الخليفة الظاهر كان متأثر برد فعل النساء اللواتي قمن به تجاه ذلك القرار الجديد، فقد حدث في شهر محرم سنة 415هـ/ 1024م، كان عيد فصح النصارى فاجتمع العديد من النساء النصارى والمسلمين داخل خيام المنصوبة للاحتفال وقامن بأفعال قبيحة، وشربن الخمر فاخذ الحمالين يحملون النساء على اعتاقهم من كثرة السكر([3]).

اما عن سياسة الخليفة الظاهر لإعزاز دين في تعيين الوزراء فقد انتهج سياسة اسلافه الفاطميين في تعيين رجال الإدارة وموظفي الدولة، وهذه السياسة كانت تتسم في تقديم الهدايا والأموال لهم[(4)]، كما كان يكتب لهم وثائق وكتب التعيين حتى يطلع عليها عامة الناس وتقرأ عليهم([5])، وفي بعض الأحيان كان الخليفة يشرك أكثر من موظف للقيام بأحد المهام فمثلا في عام 414هـ- 1023م، قلد محمد بن عبدالله بن المدبر[(6)] ديوان الخراج مشاركة[(7)].

3- **<u>سياستة ضد أهل الذمة</u>**

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 130.

(2)المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص135.

(3)المصدر نفسة ، ج3، ص 137.

(4) ومن أمثلة ذلك فقد ذكر أن في عام 414هـ/1023م استدعي أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الرسي الرسي ليوليه أمور الخزانة الخاصة به فاعطاه هدايا بمناسبة ذلك المنصب والتي تمثلت في عمامة مرصعة بالذهب وثوبا دبيقا مذهب بأطواق عراض، وثوب أخر تحته مصمت مذهب وغلاله مذهبة، كما أعطي لابي الفرج مالك بن سعيد ثوب وعمامة مذهبتان وسرج محلي بالذهب لبغله. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص133، المسبحي، أخبار مصر، ص 26، الوخيان، القضاء في مصر في العصر الفاطمي، 2005م، ص93.

([5]) المسبحي، أخبار مصر، ص25؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص132، 135.

([6]) هو أبو الحسن بن محمد بن عبيدالله المدبر، كان بليغا، وبرع في كثير من الفنون، تولي خراج دمشق، ثم تولي خراج مصر واستقر بها وكثر اتباعه ونفوذه بها.ينظر: مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، ج10، ص937.

([7]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج5، ص 135.

خالف الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله سياسة الشدة التي كان يتبعها ابيه الحاكم بامر الله مع اهل الذمه([1])، فلم يكن دائم التشدد مع أهل الذمة، وإنما سار على نهج مغاير تماما لإبية، وحاول اكساب ود أهل الذمة من النصارى واليهود، وقام بإلغاء كافة القرارات التي أصدرها والده تجاههم، وقام بإصدار بيان ينص على أن أهل الذمة أحرار في عقائدهم([2])، فيمكن القول أنه كان على النقيض تماما من سياسة والده تجاه أهل الذمة، خصوصا في تعيين رجال دولته فنجده يتخذ في وزارته وزراء من أهل الذمة ([3])، بالإضافة أنه لم يتدخل في شؤون الكنسية من حيث تعين البطاركة([4]) كما كان يفعل ذلك من قبل أيام إبيه([5]).

كما سمح لأهل الذمة بممارسة طقوسهم الدينية، والاحتفال بأعيادهم، والخروج إلى الكنائس، وكان يشاركهم تلك الاحتفالات، وأمر بخلع العمامة السوداء التي كان قد فرضها عليهم والده في فترة حكمه([6])، وأباح إعادة الكنائس وتزينها بالفرش، واستعمل الخليفة الظاهر بأمر الله أهل الذمة في الأعمال المختلفة في وظائف الدولة، فقد تم تعينهم في الكتابة والدوواين([7]). وخلاصة القول أن أهل الذمه حصلوا على كافة حقوقهم التي سمح لهم الإسلام بها في عهد الظاهر لإعزاز دين الله بل زاد الأمر على ذلك وهو تقليدهم المناصب الرفيعة في الدولة فوصل العديد منهم إلى أعلى المناصب في فترة حكمة.

4-السياسة الخارجية للخليفة الظاهر عند ابن الاثير

كان للخليفة الظاهر لاعزاز دين الله سياسته مع العراق، فعندما تولي الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الخلافة في مصر كانت هناك عدة اضطرابات داخلية في العراق، ومنها

([1]) القضاعي، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق، ص274؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ص198 .

([2]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص129؛ ينظر كذلك: الانطاكي، تاريخ الإنطاكي، ص373.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج2، ص152؛عوض الله، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، ص 74.

(4) البطاركة هم من يمارسون السلطة بالكنسية باعتبارهم الأباء الرئيسيون في الكنيسة ، والبطريق له الحق في في الولاية علي الأساقفة، كما لهم الحق تعين أساقفة الكنائس وإدارة السلطة التعليمية. رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج1 ، ص405.

(5) الانطاكي، تاريخ الإنطاكي ، ص366.

(6) يموت، أهل الذمة في مختلف أطوارهم وعصوره، بيروت، ص91.

(1) فقد ذكر أنه عين الظاهر لإعزاز دين الله داؤد اليهودي في ديوان الكتاميين، ونجيب الدولة في ديوان الأحباس، وعين أبا غالب الضبي النصراني كاتب في ديوان الخراج. ينظر: المسبحي، أخبار مصر، ص32

الفوضى التي حدثت في بغداد بين أمراء بني بويه، والخلاف بين جند الأتراك لاسيما في عهد الامير البويهي جلال الدولة(416-435هـ/1025-1043م) مما جعله ينتهز الفرصة ويتبع سياسة نشر الدعوة الفاطمية في بلاد العراق سنة (425هـ/1033م)، حيث قام بإرسال أتباعه إلى بغداد لنشر دعوته وبالفعل استجاب له الكثير من الافراد في العراق ([1]).

وقد اتبع الظاهر لإعزاز دين الله سياسة استمالة العراق والمشرق الاسلامي المتمثل بالسلطان محمود الغزنوي([2])، اذ ارسل له الهدايا سنة 415هـ/1024م الا أن السلطان المذكور قام بحرقها، وعاد الظاهر بارسال هدايا إلى محمود الغزنوي مره أخرى وكانت تحتوي على خلع ومركب فضة الا أن الاخير قام بإرسالها إلى الخليفة العباسي القادر بالله والذي قام بإحراقها، وتصدق بالمركب على ضعفاء بني هاشم، وبعث محمود الغزنوي مع هذا كتاب كتب فيه أنه يتبرأ من الظاهر لإعزاز دين الله، والفاطميين([3])، وأعلن ولائه للدولة العباسية باعتبارها الخلافة الشرعية في بغداد([4])، وربما يعود السبب في ذلك الى انتمائه العقائدي والمذهبي.

أما سياسته **مع بلاد الشام** فقد أراد أن يحقق الاستقرار بها والحفاظ على ولاء أهلها للدولة الفاطمية، لكن حصلت فيها أحداث كبيرة ([5]) في فترة خلافته استدعت منه العمل بقوة للحفاظ

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص181.

(2) هو محمود بن سبكتتكين والذي يعرف بالغزنوي نسبة إلى غزنة، وينحدر سبكتين في أصله من الترك الوثنين، تعلم الفروسية منذ صغره، لكي ينشأ نشأه تمكنه من القيام بمهامه السياسية، وهو أحد سلاطين الدولة الغزنوية، تولى الحكم سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) ،وقد حققت إمارة محمود بن سبكتكين قفزة هائلة في مسار الدولة الغزنوية، فترامت أطرافها، واتسع نفوذها، وذاع صيتها، وأصبحت بلا منافس من حيث هيبتها العسكرية ومكانتها الحضارية، وقد اشتهر محمود بن سبكتكين بلقب السلطان، كما خلع عليه الخليفة القادر بالله لقب يمين الدولة وأمين الملة سنة ٣٨٩هـ /٩٩٩م ، توفي بغزنه سنة 421هـ/1030م .ينظر: ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج2، ص121، الشافعي، جلال الدين عبد الرحمن الاسيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق بيزسوها نزقت، مطبعة لايدن بريل، 1942م، ص186.

([3]) كتب قائلا " أنا الخادم المخلص الذي يري فرضا، وقد برأت من كل ما يخالف الدعوة العباسية". ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ص 266؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، 350؛ حسن، الدولة الفاطمية، ص262-263.

([4]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص324؛ ابن الجوزي، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ج8، ص21-22.

([5]) ومن الاحداث التي وقعت في بلاد الشام وازعجت الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله هو ما حدث بين الجيش الفاطمي بقيادة الدزبري وبين حسان بن الجراح في عام 415هـ/1024م أن الدزبري بعث قوة من عسكره إلى بيت جبرين وهي إقطاع لحسان بن الجراح، فقام بالقبض على أمواله، وأرسل إليهم حسان جماعة قاموا بالقبض عليهم،

على بقاء تبعية بلاد الشام لدولته، ولما فشل الظاهر لإعزاز دين الله في استمالة ولاة الشام، حدثت أخطر الأعمال التي كانت موجهة ضد الخلافة الفاطمية في ايامه وهو التحالف القبلي العربي الذي قام به أمراء العرب بقيادة كل من حسان بن الجراح الطائئ([1]) وسنان بن عليان الكلبي([2])، وصالح بن مرداس زعيم بني كلاب([3])، والذين اجتمعوا مع بعضهم البعض لإخراج الفاطميين من بلاد الشام سنة 415هـ/1024م ، ويقتسموا البلاد فيما بينهم ، مما جعل الخليفة الظاهر يعد العدة لمواجهة هذا التحالف الخطير[(4)].

وقد ذكر ابن الاثير[(5)] أن الخليفة الظاهر أرسل أنوشتكين الدزبري[(6)] إلى بلاد الشام على رأس جيش الا أنه هزم في عسقلان ،**اذ قال :" وكان للمصريين بالشام نائب يعرف بأنوشتكين البربري، وبيده دمشق والرملة وعسقلان وغيرها، فاجتمع حسان أمير بني طي وصالح بن**

وقاموا بضرب أعناقهم.، وكذلك قام حسان بن الجراح في نفس العام بإرسال سرية بها ألف فارس إلى مدينة الفرما، مما دفع أهل المدينة إلى الهرب، وأثار ذلك حفيظة أهل مصر، وبدأت الأطعمة تقل، وحدثت أزمة اقتصادية، فأخذ المحتسب يتشدد مع التجار، وأخذ يعاقبهم، حتي يمتنعوا عن غلاء الأسعار واحتكار الأطعمة. المسبحي، أخبار مصر، ص197.

([1]) حسان بن الجراح الطائي من أمراء بني طي الذين دخلوا في صراع مع الدولة الفاطمية، كما دخل في حرب مع الكلبين بقيادة رافع بن عليان بن أبي الليل الذي عقد له إمارة الكلبين بعد موت عمه سنان بن عليان وعسكر مصر الا أنه هزم وفر هاربا إلى فلسطين. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج3، 2006، ،ص73؛ الجنزوري، الحروب الصليبية، المقدمات السياسية، ص313.

([2]) سنان بن عليان الكلبي، دخل في صراع مع الفاطميين عندما كان والي دمشق، وأصيب أثناء حصار الفاطميين لمدينة دمشق، وكانت إصابه هذه سببا في عقد هدنة مع المدافعين عن دمشق، مما جعله لم يستطع استئناف القتال. توفي في جماد الاخر عام 419هـ/1028م. ينظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2 ،ص365-367.

([3]) أبو علي صالح بن مرداس بن غدريس الكلابي أول ملوك بني مرداس بحلب، والذي خرج على طاعة الفاطميين وعقد اتفاق مع أمراء الشام على ذلك، فأرسل الظاهر أنوشتكين الدزبري جيش وهزمه. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، ص487؛ أبو الفداء، اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، العربي، ج12، ص29.

(4) الحلبي، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ص288.

(5)الكامل في التاريخ، ج9، ص230.

(6) القائد أنوشتكين أبو المنصور الدزبري، اعتمد عليه الظاهر في مواجهة القبائل العربية بالشام، حيت انه اتصف بالشجاعة والقوة، وبالفعل تحقق من النصر وإيقاع الهزيمة بالقبائل العربية، ولقب بالأمير المظفر أمير الجيوش عدة الإمام سيف الخلافة عضد الدولة وشرف المعالي مصطفى الملك. ينظر : ابن ظافر، جمال الدين علي بن منصور(ت613هـ/ 1216م)، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام هزيمة وآخرون، مؤسسة حماد للخدمات والدراسات الجامعية، اربد- الأردن، 1999م،ج1، ص215؛ محاسنة، محمد، الطراونة، محمد، الألقاب الفاطمية، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد 30 ،العدد 2، 2003م ،ص288.

مرداس أمير بني كلاب، وسنان بن عليان وتحالفوا واتفقوا على ان يكون من حلب إلى عانة لصالح، ومن الرملة الى مصر لحسّان ودمشق لسنان، فسار حسان الى الرملة فحصرها وبها انوشتكين، فسار عنها الى عسقلان، واستولى عليها حسّان ونهبها وقتل أهلها، وذلك سنة اربع عشرة وأربعمائة، أيام الظاهر لإعزاز دين الله خليفة قصره " ،وكان صالح قد ارسل قواته إلى مدينة حلب فوصلت معرة مصرين[1] وغلب عليها، ثم اتجه إلى حلب، وحدث بينه وبين والي حلب حروب متفرقة إلي أن قدم صالح عام 415هـ/1024م، وقام بمحاصرة حلب بنفسه، واستطاع أن يدخلها، وقام بالقبض على ولاتها من قبل الخليفة الظاهر إعزاز دين الله، وكان لأهالي حلب دور كبير في دخول صالح بن مرداس فقاموا بمساعدته على دخول مدينتهم وذلك بسبب سوء سيرة الولاة الفاطميين معهم، واستطاع أن يحكم حلب ست سنين[2].

فقام الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله قام بإرسال أنوشتكين الدزبري مرة أخرى لحرب حسان بن الجراح الطائئ الذي تحالف مع أمير بني الكلبي لخلع الظاهر ومحاربة الفاطميين وإخراجهم من بلاد الشام، **اذ قال ابن الاثير**[3] :"**جهز الظاهر صاحب مصر جيشا وسيرهم إلى الشام لقتال صالح وحسان ، وكان مقدم العسكر أنوشتكين البربري ، فاجتمع صالح وحسان على قتاله فاقتتلوا بالأقحوانة على الأردن عند طبرية فقتل صالح وولده الأصغر ونفذ رأسهما إلى مصر ونجا ولده أبو كامل نصر بن صالح**[4] **، فجاء إلى حلب وملكها وكان لقبه شبل الدولة**" وان حسان استنجد بصالح بن مرداس، وما كان من صالح الا أن قدم إليه من حلب، ودارت معركة بينهم عرفت بمعركة الأقحوانة عام 419هـ/1028م، حيث تمكن الدزبري من الإيقاع بصالح بن مرداس وقام بقتله في هذه المعركة، وكان من نتائج هذه المعركة استرداد

([1]) معرة مصرين: وهي من الجزر من عمل حلب، وهي مدينة وبلدة مشهوره، وشرب أهلها من ماء الأمطار، ولها سور قديم مبني بالحجر، وقد تهدم، وكاد ألا يبقى منه إلا الأثر، وكان الفرنج قد استولوا عليها حين استولوا على الأثارب. ينظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص133.

(2) الكامل في التاريخ، ج7، ص261.

([3])المصدر نفسة ، ج9، ص230.

([4]) نصر بن صالح: هو أبو كامل شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، سار الى حلب فملكها سنة 420هـ/1029م بعد مقتل والده وأخيه في معركة وقعت بطبرية بينه وبين الفاطميين، وخاض عدة معارك مع الروم الذين طمعوا بالسيطرة على حلب فتمكن من التغلب عليهم، وبقي يحكم حلب حتى مقتلة سنة 429هـ/1038م اذ قتله الدزبري وعساكر مصر وملكوا حلب. ينظر ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9، ص460؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2،ص162؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج4،ص254.

الفاطميين مناطق واسعة من بلاد الشام ، وبينت إصرار الدولة الفاطمية على الحفاظ على ممتلكاتها ووجودها السياسي في بلاد الشام والتي تعتبر الحاجز الأمني لمصر والبوابة التي يمكن من خلالها التوسع على حساب الدولة العباسية ، على الرغم من المشاكل السياسية الداخلية التي كانت تعاني منها الدولة الفاطمية فقد اسند حكم مدينة حلب لنصر بن صالح الذي ظل واليا لها طول حكم الظاهر لإعزاز دين الله[1]، فضلا عن هروب حسان الى الامبراطور البيزنطي باسيل وطلب الحماية منه[2] وقد أورد ابن الاثير[3] بان هروب حسان سبب في النهاية خسارة الفاطميين لمنطقة افامية بقوله "**وسبب ملكها أن الظاهر خليفة مصر سير إلى الشام الدزبري وزير فملكه وقصد حسان بن المفرج الطائي فألح في طلبه فرهب منه ودخل بلد الروم ولبس خلعه ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكر كثير فسار إلى أفامية فكسبها وغنم ما فيها وسبى أهلها وأسرهم وسير الدزبري إلى البلاد يستنفر الناس للغزو**"

أما سياسته مع بلاد الحجاز فقد اختلفت عن سياسته مع بلاد الشام؛ لأن أمراء الحجاز ظلوا يدينون بالولاء للخلافة الفاطمية طول فترة حكم الظاهر لإعزاز دين الله، فلم يدخل معهم في معارك كما حدث مع بلاد الشام، فقد أكمل الظاهر لإعزاز دين الله نهج من سبقوه في حكم الدولة الفاطمية الذين قد أرسوا له القواعد والأسس في التعامل مع أمراء الحجاز.

وذكر ابن الاثير[4] بان الظاهر لإعزاز دين الله استخدم سياسه طبعها الود اتجاه الحجاز فكان دائما يولي اهتمام كبير بحجاج بيت الله الحرام، وكان يولي الكعبة عناية خاصة، فقد أورد ابن الأثير أنه كان جودا بالمال على بلاد الحجاز ففي عام 415هـ/1024م أرسل إلي الحجاج العائدين من مكة إلى العراق وذهبوا إلي الشام، أموالا طائلة لصعوبة الطريق، وأعطي لكل رجل من هؤلاء الحجاج مبلغ من المال ، وفي عام 423هـ/ 1032م ، أمر بإرسال كسوة الكعبة من مصر ومعها أموال للصدقة وهدايا لأمير مكة، ومنذ دخول الحجاز في طاعة للدولة الفاطمية، ظل الفاطميون يجهزون قافلة الحج من مصر، ويرافق قافلة الحج إرسال كسوة الكعبة المشرفة،

([1]) المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص 642- 643.

(2) ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ص135.

([3]) الكامل في التاريخ، ج9،ص421.

([4]) الكامل في التاريخ، ج8، ص128؛ ينظر كذلك: الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن على المكي المالكي(ت832هـ- 1436م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م، ج2، ص359.

مع أموال وهدايا تقدم للحجاج في موسم الحج، وكان الخليفة لإعزاز دين الله يخرج ويشاركهم هذا الاحتفال إلى أن يذهبون لمكة[1].

ومن أهم الأحداث السياسية التي وقعت في عهد الظاهر لإعزاز دين الله، والتي شهدتها الديار الحجازية هي عملية الاعتداء على الحجر الأسود فقد كان من المصائب التي تعرض لها المسلمون فقد ذكر ابن الأثير[2] أنه في عام 414هـ/1031م قدم رجلا من مصر للحج وبعد أن طاف مع الناس ووصل إلى الحجر الأسود قام بالاعتداء على الحجر الأسود وضربه بدبوس كان يحمله معه وقام بضربه ثلاثة مرات متتالية قائلا: " إلى متي يعبد هذا الحجر؟ ولا محمد و لا علي يمنعني مما أفعله، فإني أريد أن أهدم البيت"، فخاف الحاضرين وتراجعوا، الا أن هناك شخص[3] قام وتصدى له وضربه وقتله، وتقدم الناس فأحرقوا جسده، وتم قتل ممن كان معه في صحبته[4]، فقد ذكر ابن الأثير[5] أنه قدر نحو أكثر من عشرين رجلا تم قتلهم في تلك الواقعة.

ونتج عن هذا الحادث كسر بعض من شظايا الحجر الأسود نتيجة الاعتداء الذي تم بين أهل الحجاز والرجل الذي قام بضرب الحجر، وتعرض أهل الحجاز لحجاج مصر في هذه الواقعة بالسلب والنهب في طريق مني[6].

ويمكن القول أن سياسة الظاهر لإعزاز دين الله مع أمراء بلاد الحجاز سياسة انمازت بالود فقد بعث الظاهر لإعزاز دين الله من مصر إلي أمير مكة أموال وهدايا له[7].واستمر أمراء مكة يدينون بالولاء للخلافة الفاطمية في عهد الظاهر لإعزاز دين الله، على الرغم من أن الخلافة العباسية في ذلك الوقت كانت تسعى إلى أخذها من الفاطميين الا أنهم فشلوا في ذلك مع أنهم

([1])المصدر نفسة ، ج8، ص147؛ ينظر كذلك: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص41.

([2])المصدر نفسة ، ج9، ص333.

([3]) لم تذكر المصادر اسم هذا الشخص وانما ذكر أنه كان من أهل اليمن فتقدم إليه وضربه بخنجر كان معه، ثم تكاثر الناس عليه، وقاموا بتقطيعه قطعا واشعلوا فيه النيران. ينظر: الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص111؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج9، ص184.

(4) ذكر ابن كثير أنه كان معه جماعة من الفرسان على باب الجامع بقصد مساعدته في تنفيذ تلك المهمة، ومنع الاعتداء عليه. البداية والنهاية، ج12، ص15.

(5)الكامل في التاريخ، ج8، ص141؛ ينظر كذلك: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص15، الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج2، ص357.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص183، 184، الفاسي، شفا الغرام، ج2، ص357، 358.

(7) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص25.

قاموا ببذل العديد من الأموال الا أنه لم يحالفهم الحظ، فعندما فكر أهل خراسان الدعوة للخليفة العباسي في موسم الحج بعرفات منعهم أهل الحجاز وقاموا بالدعوة للخليفة الظاهر[1].

اما وفاته فأورد ذلك ابن الاثير[2] بقوله:" توفي الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن أبي علي المنصور الحاكم الخليفة العلوي بمصر وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوماً وكان له مصر والشام والخطبة له في إفريقية وكان جميل السيرة حسن السياسة ".

<u>المبحث الثاني:</u> أخبار الدولة الفاطمية في فترة حكم المستنصر بالله (427-487هـ/ 1035-1094م)[3] ودور الوزير بدر الجمالي([4]) عند ابن الاثير

1- تولية المستنصر بالله الخلافة وهو صغير والأوصياء عليه.

على الرغم من أهمية موضوع ولاية العهد في تاريخ الدولة الفاطمية ومدى تأثيرها على استقرار الوضع السياسي الداخلي والخارجي نجد ان ابن الاثير لم يعطي اهتمام كبير لهذا الموضوع سوى بعض الإشارات في مصنفاته التاريخية ، وقد يكون السبب في ذلك الى اهتمام ابن الاثير في كتابة الاحداث العسكرية اكثر من كتابته للجوانب الاجتماعية او الكيفية التي يتم فيها اختيار والي للعهد فضلان عن الطرق المتبعة في إدارة شؤون الدولة اذ نلاحظ انه قد

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص139.

(2) الكامل في التاريخ، ج9، ص447.

(3) المستنصر بالله: هو أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله ، ولد بالقاهرة المعزيه سنة (420هـ/1029م) وهو سابع الخلفاء الفاطميين ، بويع بالأمر بعد موت والده الظاهر وذلك سنة 427هـ/1036م وجرى على أيامه ما لم يجر على أيام أحد من أهل بيته ممن تقدمه ولا تأخره منها قضية أبي الحارث أرسلان البساسيري فإنه لما عظم أمره وكبر شأنه ببغداد قطع خطبة للخليفة العباسي القائم وخطب للمستنصر بالله المذكور وذلك في سنة 450هـ/1085م ودعا له على منابرها مدة سنة .ينظر: ابن الاثير، الالباب في تهذيب الانساب ، ج1، ص22؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج5، ص229.

([4])بدر الدين الجمالي : هو أبو النجم بدر بن عبدالله الجمالي، أمير الجيوش المصرية، من أصول أرمينية اشتراه اشتراه جمال الدولة بن عمار غلاما، فتربى عنده، ونسب اليه، وتقدم في الخدمة حتى ولي امارة دمشق للمستنصر بالله سنة (455هـ/1063م)، ثم استدعاه الى مصر ،وعرف عنه أنه شديد البطش، ذو هيبئة، عالي الهمة ، فوطد له أركان الدولة، فقلده وزارة السيف والقلم، توفي في القاهرة سنة (487هـ/1094م).ينظر: ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص30-32؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10،ص59؛ المقريزي، الاتعاظ الحنفا، ج2، ص332؛ الزركلي، الاعلام، ج2، ص45.

اعطى تفاصيل دقيقة عن المعارك والحروب مقارنه بالجوانب الاخرى، لذا وجدنا ان من الضروري إعطاء لمحة عن الكيفية التي تدار فيها مؤسسات الدولة في فترة المستنصر بالله الفاطمي ، فمن المعروف تاريخيا" أن المستنصر بالله تولى الخلافة وهو صغير السن، فقامت أمه السيدة رصد[1] بفرض الوصاية عليه لحين أن يبلغ سن الرشد، وكانت هي من تقوم بحكم الدولة، والكلمة الأولى لها في تعيين الوزراء، ولا يتم تعين وزير بدون مشورتها، وبالتالي يدينون لها بالولاء والطاعة، وإذا تم تعين وزير بدون علمها وغير مرغوب فيه فأنها كانت تكيد له وتفعل فيه المكائد، وتقوم بتحريض ابنها ليصدر أمر بعزله أو بقتله[2].

وأصبحت أمة هي الوصية عليه في إدارة شؤون البلاد، فاتخذت ديونا خاصا لإدارة شؤونها ومتعلقاتها ولكن فيما بعد قامت بتحويله إلى ديوان تحكم من خلاله الدولة، وجعلت لها ختم تقوم بتوقيع الأوراق الرسمية من خلاله كان مكتوب عليه (الحمد لله ولي كل نعمة)، وجعلت لنفسها العديد من الامتيازات، والألقاب، فقد كانت تنادى باسم مولانا، كما كانت تخاطب في حضرة ابنها الخليفة المستنصر باسم الملكة، كل ذلك يدل على تحكمها في مجريات الأمور وشؤون الحكم([3]).

ونتيجة لوصاية والدته عليه في الحكم فقد تميزت فترة حكم المستنصر بالله في الحكم باضطراب أمور الدولة، والتي كانت تدار على إيدي عدد من الوسطاء الذين كانت جهودهم

---

(1) السيدة رصد: هي والدة الخليفة المستنصر بالله، وزوجة الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، كانت السيدة رصد آمة سوداء من بلاد السودان او من بلاد النوبة ، فهي من الأصل كانت جارية أبي سعد الشستري، واستخدمها الخليفة الظاهر لا عزاز دين الله الفاطمي في ابتياع ما يحتاج إليه من صنوف الامتعة، وباعها له وولدت له المستنصر، مما مهد لها الطريق في السيطرة على مقاليد الحكم، وأشتهرت بالحسن والحكمة والجمال. ينظر: ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص14؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص266؛ محمد، كمال السيد اسماء ومسميات من تاريخ مصر ، القاهرة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص 162، كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب،(1332– 1408هـ/ 1905– 1987 م)، اعلام النساء، دمشق ، 1959م ج5، ص53.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص63؛ ترتون، ا.س ، اهل الذمة في الإسلام ،الدقي، 1967م، ص24.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج1، ص94، ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج5، ص؛ الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص505.

الرئيسة موجهة لمحاولة الاحتفاظ بالوضع القائم، فيمكن القول أن هذه الفترة هي مرحله اضطراب الأحوال واختلال الاعمال، حيث كثر تعيين وعزل بعض الوزراء([1]).

واتخذت امه أمر الوصاية على الخليفة ذريعة للتحكم في الأمور السياسية في البلاد، على عكس مراد الخليفة المستنصر بالله خاصة بين الفتن القائمة بين طوائف الجيش، والنزاع بين طوائف الجند العبيد السودانيين، وبين الاتراك، فقد كان لها رأي في ذلك مخالف لابنها، فحينما اشتد حدة النزاع بينهم عندما قام أحد الأتراك بأشهار سيفه في وجه أحد العبيد السودانيين، فاجتمع طائفة منهم وقاموا بقتل التركي، فأثار ذلك غضب الخليفة المستنصر بالله .

فقد ذكر المقريزي [(2)] أن الأتراك اجتمعوا بالمستنصر وقالوا" إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان عن غير رضا فلا نرضى بذلك. فانكر المستنصر ذلك".

الا أن موقف أمه اتسم بالشده تجاه تلك الأزمة وتصعيد الموقف من خلال مؤازرة الجنود السودانيين من بني جلداتها، اذ كانت تمدهم بالمال مما أدى إلى رفع شأنهم([3])، ومن جانب أخر اتخذت والدته إجراءات أخرى تقوي وتؤاز الجنود السودانيين فسارعت بشراء عدد كبير منهم إلى أن وصل عددهم نحو خمسين الف وجعلتهم طائفة تدين لها بالولاء والطاعة، وبسطت لهم الارزاق، وفضلتهم على الأتراك حتي أصبحوا يمثلون جزء مهم في الدولة([4]). ووصل الحد بتسلطها الى اتباع سياسة ضرب الاتراك بالعبيد، فقد ذكر ابن الاثير([5]) أنها كانت تحث الوزراء التابعين لها الى اتباع تلك السياسة واشعال نار الفتنة بينهم ، أما الوزراء التابعين للمستنصر والذين رفضوا تلك السياسة لخوفهم على البلاد([6])، قامت بعزلهم ومن هؤلاء الوزراء أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي الذي سعى إلى وقف القتال بين الطرفين وعقد هدنة بينهم، وقام

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص؛ المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، 1970م، ص256.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص105؛ ينظر كذلك: حسن، على إبراهيم، نساء لهن في التاريخ نصيب، القاهرة، 1970م، ص104.

([3]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص106؛ المغربي، النجوم الزاهرة في حي حضرة القاهرة، ص21.

([4]) ابن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص25؛ خسرو، سفر نامة، ، ص49.

([5])الكامل في التاريخ، ج 8، ص396؛ المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص109، 110.

([6]) ابن الصيرفي، الأشارة إلى من نال الوزارة، ص78؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص93؛ زيدان، ج1، ص271.

بالإصلاح بينهم إصلاحا يسيرا ([1])، ولم يكن الخليفة المستنصر بالله راضيا عن سياسة والدته وانكر عليها تلك السياسة([2]).

ولم يقف الحال عند هذا الحد في تدخل أمه في شؤون الحكم فقد امتد بها الحال إلى أنها كانت تضع يديها في تعيين ولاة الأقاليم التابعة للدولة الفاطمية وعزلهم، وكان منصب القاضي من المناصب الحساسة في الدولة الفاطمية، وفي اوائل خلافة المستنصر بالله كانت هذه متروكه للوزير الجرجرائي([3]) المعروف بقوة شخصيته، لكن أصبح الأمر فيما بعد بيد السيدة رصد([4]).

2- وزراء المستنصر بالله.

ان الخليفة المستنصر بالله لم يستطيع إدارة شؤون البلاد، فكان من الصعب الوصول إليه وذلك لكثرة وزرائه الذين كانت والداته السيدة رصد تقوم بتعينهم، فهي المسيطرة على السلطة الحقيقية من حيث تعيين الوزراء، وقد أدى تبديل الوزراء وسرعة عزلهم وتعينهم إلى اضطراب سياسي في الدولة الفاطمية في تلك الفترة، وأصبحت الثقة بين المستنصر بالله وموظفيه منعدمة، فكان الواحد منهم يأتيه خبر تعيينه في الوزارة وسرعان ما يأتيه خبر عزله([5]).

وأصبحت السيدة رصد تتدخل في جميع شؤون الوزارة بعد وفاة الجرجرائي، الذي كان صاحب سلطة سياسية في مصر طوال فترة تسع سنوات وكان دائما ما يزاحمها الرأي، فأخذت من بعده تعيين من يدخل في طاعتها، وعزل من يخرج عن طاعتها، وذلك ما حدث مع الوزير أبو علي الانباري([6])، الذي خلف الجرجاني بعد وفاته، فقامت بعزله بعد سنة واحدة من توليه

([1]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص397؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج5، ص75.

([2]) المغربي، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص21؛ ابن الميسر، اخبار مصر، ج2، ص25.

(3) الجرجرائي : هو أبو القاسم علي بن أحمد، ولد في قرية جرجرايا في سواد العراق، اسند إليه ديوان النفقات في فترة حكم الخليفة الحاكم بأمر الله، (406هـ/ 1015م)، ولقب بنجيب الدولة، كما استوزره الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله. ينظر : ابن برد، ذيل كتاب الولاة والقضاة، ص ٤٩٧ ؛ ابن الصيرفي ، الاشارة الى من نال الوزارة ، ص36؛ المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص 255.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص85.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص271.

(6)الوزير أبو علي الانباري: هو أبو علي الحسن بن علي الانباري، تولي الوزارة عام 436هـ/ 1044م، وتم عزله في نفس العام، وكان نائبا للمؤيد في الدين هبة الله موسى، واصطنعه، وجعله نائبا عنه في بلاد الشام. ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص76؛ ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ص24.

الوزارة؛ بسبب نفوذ متولي ديوان أم الخليفة المستنصر التستري([1]) الذي أغرى والدة الخليفة بعزله؛ رداً على سوء تصرف آبن الأنباري مع شقيقه آبي نصر إبراهيم بن فضل التُستري وعدم نصرته له عندما تعدى احد أتباع الوزير المذكور على آبي نصر خلال تواجد الأخير في ضيافة آبن الأنباري فأخذت تكيد له عند ابنها المستنصر بالله (2)، اذ أخذت السيدة رصد تعد العدة للتخلص من الوزير الانباري وتوشى به عند ابننها اذ اتهمته بالسرقة من خزانة الدولة ، وقبضت عليه وسجنته، ثم قامت بقتل الوزير سنة 438هـ/ 1047م ، وهذا أن دل على شيء فانه يدل على ضعف شخصية المستنصر بالله تجاه أمه ، فما عليه أن أصدر قرار بعزل الوزير في نفس العام الذي عين فيه([3]).

وبعد عزله تولي من بعده أبو صدقة الفلاحي([4])، وتم تعيينه في الوزارة بعد ما توسط له ابي سعيد التستري رئيس ديوان أم المستنصر، اذ أورد ابن الاثير([5]) ذلك بقوله: " **وقد اصطنعت أبا سعيد إبراهيم التستري اليهودي وصار وزيرا لها فأشار عليها بوزارة أبي نصر الفلاحي فولته الوزارة واتفقا مدة ثم صار الفلاحي ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة فخاف الفلاحي أن يفسد أمره مع أم المستنصر، فاصطنع الغلمان الأتراك واستمالهم وزاد في أرزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودي فقتلوه فعظم الأمر على أم المستنصر وأغرت به ولدها فقبض عليه وأرسلت من قتله تلك الليلة وكان بينهما في القتل تسعة أشهر**" .

من خلال هذا النص نجد التستري اتخذه من الفلاحي واجه وستار له من أجل أن يحكم هو ويدير الأمور كما ينبغي تحت اسمه، وانبسطت كلمة التستري في الدولة وأصبح الفلاحي اسم

---

(1)التستري :أبو سعد إبراهيم بن سهل بن هارون التستري كان تاجرا من أسرة يهودية ، وكانت أم المستنصر امة سوداء لدى هذا التاجر فابتاعها للخليفة الظاهر لإعزاز دين الله فتزوجها وولدت له المستنصر بالله .ينظر: ابن ميسر ، المنتقى من اخبار مصر ، ج2،ص6؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،ج2،ص196

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص51.

(3) ابن ميسر، اخبار مصر، ص3؛ ابن ظافر، أخبار الدول المتقطعة، ص87.

(4) أبو صدقة الفلاحي: هو أبو منصور صدقة بن يوسف بن على الفلاحي، وأسلم بعد ما كان يهوديا، وتولي نظارة الشام ، ولقب بالوزير الأجل فخر الملوك، وكان بارعا في الكتابة، وتم قتله عام 440هـ/1048م. ينظر: ابن الصيرفي، الأشارة إلى من نال الوزارة، ص74-75؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص3؛ ابن ظافر، اخبار الدول المتقطعة ، ص 78.

(5) الكامل في التاريخ ، ج10،ص81.

فقط لا تنفيذ([1]).ونتيجة لذلك اخذ الفلاحي يضمر الضغينة والمؤامرة للتستري، ويتمنى زوال الوزارة منه، وأخذ يوشي به عند الأتراك اذ اتهم الفلاحي التستري بقتل قائد الاتراك عزيز الدولة ريحان([2])، ولقد ذكر ابن الاثير([3]) أن المسلمون أيضا كانوا يكنون له مشاعر البغضاء والكره فقد أصبحت سلطاته تفوق الوزير والخليفة نفسه، ودائما ما كان يسئ معاملة المسلمين، فقد كان يميل إلي أهل ملته من اليهود، ويعينهم بالمناصب العليا في البلاد، ولا شك أن كل هذه الظروف جعلت الفلاحي يفكر في الخلاص من التستري، وبالفعل قام بقتله بمساعدة الأتراك، جاعلين وفاة عزيز الدولة سببا في ذلك، وفي يوم من الأيام كان التستري ذاهبا" للقصر فاعترضه ثلاثة من الأتراك، وقتلوه([4])، ومن درجة كره المسلمين للتستري بعد ما قتله طلب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله من قتله ليعاقبه فأقر جميع المسلمين بقتله، ولم يتمكن من ذلك([5]).

وقد ذكر ابن الاثير([6]) أن الوزير الفلاحي اعتقد أنه بقتل التستري أفسح الطريق أمامه، فاتبع سياسة الأذى والظلم للناس، وقام بمنع الرعية من القاء بالخليفة، وكان له دور كبير في الفتنة التي حدثت في الجيش بين الجنود السودانيين والأتراك، والتي تمثلت في زيادة مرتبات الجنود السودانيين، وترك الجنود الاتراك دون زيادة، وذلك بحجة أن المستنصر هو المسؤول عن ذلك ، وقد أثارت هذه التصرفات التي قام بها الوزير الفلاحي أم المستنصر، كما أثارة أيضا تدبيره لقتل الوزير التستري وانفراده بالحكم دون الرجوع إليها، كما أنها لم ترضي عما فعله الاتراك بقتلهم للتستري وموقف الخليفة ابنها تجاه هذا الموقف دون أن يبدي إي رد فعل لمعاقبتهم، وكان

([1]) الشيرارزي، المؤيد في الدين (ت 470هـ/1078م)، السيرة المؤيدية، تحقيق: محمد كامل حسين، القاهرة، 1949هـ، ص81؛ المقريزي، الخطط ،ج2، ص318.

([2]) عزيز الدولة ريحان: من أكابر مقدمي الأتراك، هو من القادة الأكفاء في الدولة الفاطمية، كان قاضيا على عرب بني قرة، وكان متمكن منهم، الأمر الذي جعل التستري يكيد له عند الاتراك وذلك باتهامه أنه سم عزيز الدولة وقتله. ينظر: ابن الميسر، أخبار مصر، ج2، ص4؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص51.

([3]) الكامل في التاريخ، ج8، ص398؛ ينظر كذلك: الشيرارزي، السيرة المؤيدية، ص ٨١؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج ٢، ص ٣١٨؛ طقوش، تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر وبلاد الشام، ص325.

([4]) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٥١؛ خليل ، الاغتيالات في مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص127.

(5) موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص 35.

(6)الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ، ٣٩٨؛ينظر كذلك: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٤ .

ردها على ذلك أنها قامت بالتامر على الوزير الفلاحي، وأصدرت أمر لابنها المستنصر بالله بعزله، وقامت بسجنه في خزانة البنود، وأمرت بضرب عنقه وذلك عام 440هـ/1048م([1]).

وبمقتل التستري أصبحت أم المستنصر تواجه مشاكل الحكم بمفردها، وظهرت لها شخصية استغلت ذلك الوضع وهو (اليازوري)([2])، والذي تمكن بدهائه إلى الوصول الي تولي مهام ديوانها، وبالفعل تمكن اليا زوري من الوصول لخدمة والدة المستنصر، وأصدرت أمر بتعينه رئيس لديوانها، وازدادت مكانة اليازوري بين رجال الدولة، وصار يحضر عند الخليفة، ولا يصدر الوزير أمرا الا بموافقته، وأصبح الخليفة لا يخاطب الوزير الا بلسانه([3])، وقامت أم المستنصر بتمهيد الطريق إليه للوصول إلي الوزارة وذلك بعد موقفها من أبي البركات الجرجاني([4]) في قتله اليازوري والحيل التي كان يستخدمها في ابعاده عن منصب ديوان ام المستنصر، وابعاده عن الخليفة، واسناد منصب القضاء إليه، كل ذلك جعلها تساند اليازوري، وقالت له " لا يضيق صدرك فاني لا استبدل بك أحد" ([5]).

وأصبح الطريق ممهد أمام اليازوري فقامت ام المستنصر بتوليه اليازوري منصب القضاء، وزاد نفوذه، وأصدر قرار بتعينه سنة 442هـ/1050م، **فقد ذكر ابن الاثير[6] أنه في ذلك العام أصدر المستنصر بالله الخليفة الفاطمي أمر بتعيين اليازوري قائلا" "ثمّ إن المستنصر استوزر الحسن بن علي اليازوري ولم يكن من أهل الوزارة إنما كان من أهل التبانة والفلاحة فلم**

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٨٤؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص 20؛ سرو، الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، ص ٩٠.

(2) اليازوري: هو الحسن بن على بن عبد الرحمن ابي محمد اليازوري، ولد في قرية في فلسطين تعرف بالرملة في بازور، وقيل عنه أنه وزير من الطراز الأول في الدهاء والمكر، واتصل بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة(442هـ/1050م). ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص٥٢؛ ابن الصيرفي، الاشارة من نال الوزارة، ص40- 45.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج2، ص53؛ البرغوثي، الوزير اليازوري، ص33.

(4) أبو البركات الجرجاني: هو أبو البركات الحسين بن عماد بن أحمد الجرجاني وهو ابن أخو الوزير الجرجاني، تولي الوزارة في عهد الخليفة المستنصر بالله، ومنحه الوزير الكثير من الألقاب، وتولي الوزارة سنه وعشرة أيام. السيوطي، حسن المحاضرة في اخبار مصر القاهرة، ج ٢، ص ٢٠١.

(5) ابن حجر، رفع الآصر عن قضاة مصر، ج1، ص 139؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج٢، ص ٤٢؛ البرغوثي ، الوزير اليازوري، ص 26.

(6)الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص 298.

يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله الوزراء كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازوري بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع إلى ما يحب فأكثر الوقيعة في المعز وأغرى به المستنصر" .

واستمر في خدمة السيدة رصد، وصار جميع رجال الدولة في ركب المستنصر من أجل رضاء والدة المستنصر[1]، كما أشار ابن الأثير أنه جمع اليازوري وظائف لم تجمع لغيره من تقليد الوزارة، والنظر في ديوان السيدة رصد فضلا عن منصبي القضاء، وداعي للدعاة، ولقب بالقاب عديدة منها تاج الأصفياء، وسيد الرؤساء، غير أن هذا الأمر لم يدم طويلا، ففي سنة 450هـ/1058م، قبض المستنصر بالله على اليازوري، **وقتله وقد روى ابن الاثير[2] ذلك بقوله: " قبض بمصر على الوزير أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري وقرر عليه أموال عظيمه منه ومن أصحابه ووجد له مكاتبات إلى بغداد " .**

وبعد مقتل اليازوري دعي أبو الفرج البابلي ([3]) للوزارة وذلك سنة 450هـ/ 1058م، ولكنه لم يدم طويلا([4]).

ومن خلال النصوص السابقة يمكن القول في ظل هذه الحقبة الزمنية كثرة وزراء([5]) المستنصر بالله، اذ كان الوزراء يتساقطون كأوراق الشجر في الخريف، فكثرة الوزراء الذين تعاقبوا على

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص 338- 339 ؛ أبو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ج ١، ص ١٧٦؛ العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج ٢٦ ، ص ٢٤٦ .

(2) المصدر نفسة، ج 9، ص 636؛ ينظر كذلك: ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،ج16،ص21.

([3]) أبو الفرج البابلي: هو عبد الله بن محمد ، كان مقربا من البازوري، وارتفع شأنه عند الوزير اليازوري، فقلده منصب دواوين الأحوال، ورفع عنه أن يحضر في القصر والجلوس فيه، وميزه بذلك عن غيره من أصحاب الدواوين ، تولى الوزارة في (450هـ/1058م) ، واستمر شهرين وأربعة عشر يوماً وعزل (سنة 450هـ/1058م) واعتقل في خزانة البنود وأعيد إلى الوزارة مرة أخرى في (452هـ/1060م) وبقى لمدة أربعة أشهر ثم عزل عنها في (453هـ/1061م).ينظر: البرغوثي، الوزير اليازوري ، ، ص118، 119.

([4]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10 ، ص81؛ مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، ج ٢،ص ٨٣٦، ايلسيف، نيكيتا الشرق الإسلامي، ص331.

([5]) من ابرز هؤلاء الوزراء أبو الفرج محمد بن جعفر بن الحسين بن المغربي(450-452هـ/1058-1060م):استوزره الخليفة المستنصر بالله لمدة سنتين وأربعة ،وعز الدين عبد الله بن يحيى ابن المدبر من (453- 454هـ/1061-1062م) استوزره الخليفة المستنصر بالله لمدة تسعة أشهر، و عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي: من (453-454هـ/1061-1062م) استوزره الخليفة المستنصر بالله ثلاثة أشهر، و أبو علي أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في سنة (454هـ/1062م وعزل في السنة نفسها) ،و أبو عبد الله

منصب الوزارة، وسرعة تبديلهم حتى وصل عددهم ما بين عشرين إلي أربعين وزير تقريبا في خلال أربع إلى تسع سنوات([1])، فقد اشار المقريزي الى كثرة عدد الوزراء في تلك الفترة قائلا:"أكثر صرف الوزراء والقضاة ولايتهم لكثرة مخالطة الرعاع للخليفة بحيث كان يصله كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعايات..."([2])، وان في هذا الامر دلاله على تحكم النساء بأمور الدولة والتي كانت بدايتها مقتل الحاكم وسيطرة ست الملك على الدولة ، فضلا عن القتل والتصفية المستمرة لرجالات الدولة الفاطمية والتي تعطي نتائج سلبية على استقرار الدولة ، وتؤدي الى نزاع مستمر وانهيار الاستقرار الداخلي والخارجي .

3: الأزمات الاقتصادية والمجاعات في عهده.

بلغت الأزمات الاقتصادية والمجاعات ذروتها في عهد المستنصر بالله وسميت بالشدة المستنصرية وقد استمرت هذه الشدة سبع سنوات من سنة (457-464هـ/1065-1072م)، وقاست مصر البوس والشقاء من جراء هذه الأزمة، فقد ذكر ابن الأثير([3]) أن هذه المجاعات زادت من حدتها انتشار الأوبئة والأمراض وخاصة الجدري، والذي أدى الى موت عدد كبير نتيجة هذه الأمراض، ففي عام 448هـ/ 1056م كان يموت كل يوم حوالي الف انسان، واخذ العدد بالتزايد فقد ذكر إلى أن وصل إلى عشر الآف ، فكان المستنصر بالله يقوم بتكفين عشرين الف نفر على حسابه، مما أدي إلى فناء ثلث أهل مصر([4]).

<u>وهناك عدة أسباب كانت وراء تلك الأزمة منها:</u>

أ- **<u>الأسباب البشرية</u>**

وتتمثل الأسباب البشرية في سوء تدبير البشر في استخدامهم للسلع الغذائية، ولم تحدث هذه الشدة دفعة واحدة، وإنما كانت وليدة ظروف سابقة كانت قد تعرضت لها مصر، فقد كانت أول هذه المجاعات التي حدثت في عهد المستنصر سنة 444هـ/ 1052م نتيجة الأزمة التي

الحسين بن سديد الدولة ذو الكفايتين بن أبي الحسن علي بن محمد بن الحسن بن عيسى العقيلي: في سنة (455هـ/1063م) وأقام= =أياماً وصرف عنها .ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج10، ص30؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج2 ، ص243؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص70.

([1]) ابن حماد الصنهاجي، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص 72.

([2]) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، ج ٢، ص 43.

([3])الكامل في التاريخ، ج8، ص 79.

([4]) ابن اياس، تاريخ مصر المعروف ببدائع الزهور في وقائع الدهور،ج1، ص61.

افتعلها البشر بسبب قلة المواد الغذائية فقد تعود المصريون على تخزين المواد الغذائية والحبوب لوقت الشدة ([1])، كما جرت العادة أن يشتري الخليفة المستنصر بالله بمائة الف دينار سنويا ويقوم بعرضها في الأسواق ويبيعها بالسعر الذي يقوم بتحديده هو مما يجعل التجار يجبرون على البيع بنفس السعر، فبذلك تظل الأسعار ثابته، بالإضافة أن هذه الغلة توضع في المخازن السلطانية التي تعد احتياطي البلاد ويتم استخدامها في حالة الطوارئ، الا أن وزير الخليفة اليازوري لم يقم بذلك، وقام باستبداله بمواد أخرى مثل الخشب والحديد والرصاص والصابون فهي مواد أرباحها عالية وغير قابلة للتلف([2]).

وحدثت أزمة اقتصادية أخرى سنة 450هـ/1058م، كانت نتيجة للازمة السابقة، وارتفعت الأسعار وبلغ سعر اردب القمح([3]) ثمانية دنانير، وبلغ سعر الحمص تسعة دنانير، أما الشعير والفول فقد وصل سعر الأردب خمسة دنانير، وقد ذكر أن العامة كانت تأكل جلد الكتب، ولم يطل الجوع الإنسان فقط، إنما طال الحيوانات والطيور فكانت الطيور تموت جوعا من قلة الطعام، كما كانت الكلاب تدخل البيوت وتأكل الأطفال من شدة جوعها، ولا يستطيع أحد أن يمنعها([4]).

وأدرك الوزير بدر الجمالي أنه لا بد من تحديد سعر للقمح، فقرر أن يكون سعر الكيس من القمح ثلاثة دنانير بعد أن كانت ثمانية، والزام التجار الالتزام بها، وأصدر أمرا بمن لا يلتزم بذلك سوف يعرض نفسه للموت، وجعل لكل تاجر حصة من القمح ليقوموا بعمل الخبز وبيعه للناس، وبهذا الفعل تجاوز المستنصر تلك الأزمة، وزاد التوسيع على الدولة الفاطمية لأكثر من عام ونصف([5])

ب-<u>الكوارث الطبيعية</u>

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ص224-225.

(2) سعيد، نضال حميد، محمد، هيفاء عاصم، الأزمات الاقتصادية التي اصابت مصر في خلافة المستنصر بالله الفاطمي (427- 487هـ/1035- 1094م)، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد2، 2008م، ،ص547.

(3) ردب القمح: مكيال مصري تقدر به الحبوب وكان يساوي 150 كيلو غرام. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، ص326.

(4) الدواداري، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، ص 371.

(5)المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص15.

وقد تكرر وقوع الغلاء مرة أخرى عام 447هـ/ 1055م، وذلك بسبب الكوارث الطبيعية كالزلال الجفاف والقحط، وقد تمثلت الكوارث الطبيعية في انخفاض منسوب المياه مما ترتب عليه عدم توفر المياه التي يتم استخدامها في ري الأراضي الزراعية، فقد ذكر ابن الأثير([1]) أن سبب هذه المجاعة هو انخفاض مياه النيل عن المنسوب العادي في هذه السنة، وقد امتددت آثار هذه الأزمة إلى مكة ، فحدث في مكة غلاء في السلع الغذائية، وأرتفع سعر الخبز، وأوشكت الناس على الهلاك بسبب ما حدث، اذ قال "**وفيها كان بمكة غلاء شديد وبلغ الخبر عشرة أرطال**(2) **بدينار مغربي ثم تعذر وجوده فأشرف الناس والحجاج على الهلاك فأرسل الله عليهم من الجراد ما ملأ الأرض فتعوض الناس به ثم عاد الحاج فسهل الأمر على أهل مكة وكان سبب هذا الغلاء عدم زيادة النيل بمصر عن العادة فلم يحمل منها الطعام إلى مكة**" .

وكان لفيضان النيل أثر كبير على رخاء مصر، حيث أن الفيضان المنخفض والذي يعرف بالضما يؤدي إلي عدم ري الأرض بما تحتاجه ،والذي ينتج عنه نقص المحصول وارتفاع الأسعار، وحدوث أزمة اقتصادية، أما الفيضان العالي والذي كان يعرف بالاستبحار يحدث من ورائه أزمة اقتصادية هو الأخر، فقد يؤدي إلى جرف التربة وتلف المحصول ؛اذ أن انخفاض النيل وارتفاعه وعدم ثباته عن الحد المسموح قد يؤدي إلي حلول قحط ونقص في الغلات، مما يعود ذلك على الفرد بالجوع لنقص المواد الغذائية، ويتساقطون موتى، وقد يحدث أن تظل الجثث ملقاة في الطرقات لأيام عديدة وتتعفن مما يؤدي إلى انتشار الوباء نتيجة هذه المجاعات (3)، فقد ذكر ابن الاثير(4) أن الناس من شدة الجوع أكلوا الجراد الذي ملأ الأرض وخفف من حدة الأزمة.

ونتيجة لهذه الأزمات الاقتصادية والجوع فتك بالناس، وانتشر مرض الجدري، وتزايد عدد الموتى، فكان لا يمضي يوم الا ويموت شخص أو أكثر في كل بيت، وكانت نتائج هذه الشدة

---

(1)الكامل في التاريخ، ج8، ص 73.

(2)رطل : الرطل والرطل : الذي يوزن به ويكال. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص171.

(3)المقريزي، إغاثة الأمة يكشف الغمة، ص54؛ لاي، شون، المؤلفات المختارة، دار النشر بالغات الأجنبية، بكين، 1982، ص370– 375.

(4) الكامل في التاريخ، ج8، ص73.

صعبة على المصريين وساءت الأحوال في البلاد وهجر الفلاحين القرى وأهملت الزراعة، وتناقص عدد القرى، وكسدت التجارة وأصبح لا يرى الناس في الأسواق([1]).

وقد ذكر ابن الأثير([2]) أنه بسب هذه الأزمة الاقتصادية والمجاعات عجزت الدولة عن دفع المرتبات للجنود والعساكر، وأخذوا يطالبون المستنصر بالله بأن يدفع لهم رواتبهم، وقاموا بثورة عليه مطالبين أن تزاد مرتباتهم، الا أن الخليفة المستنصر بالله لم يستطيع فعل هذا.

ونتيجة لعدم قدرة الخليفة على احتواء الموقف قام الجنود([3]) بمهاجمة بيوت المال، وقاموا بالهجوم على تربة موجودة في قصر الخليفة كانت تعرف باسم تربة الزعفران([4])، وكان قد تم دفن الخلفاء الفاطميين الذين ماتوا، وقاموا بنهب الذهب، وفرضوا على المستنصر بالله أن يبيع ما يمتلكه في الخزائن وان يعطى ثمنها لهم عوضا عن مرتباتهم التي لم يتقاضوها، وبالفعل تم بيعها بثمن زهيد، حتى خلت الخزائن من التحف والذخائر التي تخص اجداده من خلفاء الدولة، ولم يقتصر الامر على الجنود فقط ، وإنما قام التجار كذلك بنهب كثير من التحف والهدايا القيمة، وهربوا خارج مصر وباعوها بأسعار خيالية، وتم ذكر ذلك في السجلات الرسمية التي بلغت نحو العشرين سجل ما تم نهبه من التحف والذهب والفضة والثياب الفاخر الموجودون بالقصر (5).

ويمكن القول أنه بانتظام الزراعة واستقرار أوضاع الفلاحين في أراضيهم كان من شأنه تراجع الأسعار واستقرارها، ونزل سعر القمح إلى ربع دينار، وقام بدر الدين الجمالي بتشجيع

---

(1) طوسون، عمر، مالية مصر من عهد الفرعنة إلي الآن، الإسكندرية، 1931م، ص224 وما بعدها.

([2]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ص 116، 117.

([3])ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص17؛ المستنصر بالله، السجلات المستنصرية، تحقيق وتقديم عبد المنعم ماجد، بيروت، 1954م، سجل 56،ص 183- 184.

([4]) تربة الزعفران: اوالتربة المعزية، والتي تقع في الزاوية الجنوبية الغربية للقصر الشرقي، انشائها المعز لدين الله(341-365هـ/952-975م) ، وفيها دفن آباءه الذين أحضرهم في توابيت معه من بلاد المغرب، وهم الإمام المهدي عبيد الله، وابنه القائم بأمر الله محمد، وابنه الإمام المنصور بنصر الله إسماعيل، واستقرّت مدفنا يدفن فيه الخلفاء، وأولادهم، ونساءهم، وكانت تعرف :بتربة الزعفران، وهو مكان كبير، وكان الخليفة كلما ركب بمظلة، وعاد إلى القصر لا بدّ أن يدخل إلى زيارة آبائه بهذه التربة، وكذلك لا بدّ أن يدخل في يوم الجمعة دائما، وفي عيدي الفطر والأضحى مع صدقات ورسوم تفرّق. ينظر: البطائحي، نصوص اخبار مصر، ص40؛ ابن الزيات، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، ص176؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج2، ص288.

([5]) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج2، ص280- 292.

التجار على التجارة، وقام بتامين الطرق لهم، وردع المفسدين، مما جعل القوافل التجارية تسير بأمان، ورخصت الأسعار، هدئت نفوس الناس، وقويت الهمة لديهم[1]،أن ما قام به الوزير من اعمال أدى الى تحسن ميزانية مصر بعد ما قاست البؤس والشقاء جراء تلك الأزمة الاقتصادية .

4: أحوال القاهرة في عهد المستنصر بالله عند ابن الاثير

شهدت مدينة القاهرة وعاصمة الدولة الفاطمية الكثير من الاخطار في فترة الخلفاء السابقين والذين استطاعوا بفضل حنكتهم السياسية وقوة الدولة الى القضاء على أي خطر داخلي او خارجي يهدد كيان الدولة الفاطمية في مصر ، الا ان الظروف التي مرت بها الدولة وتدخل النساء في أمور الدولة وكثرة عمليات الاغتيال لرجالات الدولة جعل من الدولة ضعيفة في التصدي للأخطار الداخلية والخارجية، فضلا عن الازمات الاقتصادية والتي كانت لها نتائجها السلبية على الدولة الفاطمية ،اذ عجز الخليفة المستنصر بالله عن دفع مرتبات الجند فثاروا مطالبين بأرزاقهم .

كما شهدت مصر الفتنة الكبرى التي حدثت سنة(454هـ/1058م) بين الاتراك الذين يقودهم ناصر الدولة الحمداني([2]) وبين العبيد، والتي أدت الى تدمير البلاد ،**وقد روى ذلك ابن الاثير[3] بقوله: " ثم إن المستنصر ركب ليشيع الحجاج فأجرى بعض الأتراك فرسه فوصل به إلى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون بالمستنصر فضربه أحدهم فجرحه فعظم ذلك على الأتراك ونشبت الحرب ثم اصطلحوا على تسليم الجارح إليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذركم فاجتمعوا في محلّتهم .وعرف الأتراك ذلك فاجتمعوا إلى مقدميهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر وشكوا إليه واستمالوا المصامدة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوي الأتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة إلى الصعيد ليجتمعوا هناك فانضاف إليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل فخاف الأتراك وشكوا إلى**

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص330؛ المناوي، حمدي، الوزارة والوزارة في العصر الفاطمي، ص146.

(2) اباعلي ناصر الدولة بن حمدان: هو أبا محمد الحسن بن الحسين بن الحسن بن حمدان، كان أخر أمير من أمراء بني حمدان، تولي دمشق من قبل المستنصر بعد الدزبري؛ ثم أنتقل الى مصر وأصبح أهم زعيم للأتراك في عهد المستنصر. ينظر: ابن العديم، زبدة حلب في تاريخ حلب، ص87؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص335.

(3) الكامل في التاريخ ، ج10، ص81 ؛ينظر كذلك: المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص273-276 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص13.

المستنصر فأعاد الجواب أنه لا علم له بما فعل العبيد وأنه لا حقيقة له فظنوا قوله حيلة عليهم" .

ومن خلال ما تقدم فان الوضع الداخلي للدولة الفاطمية كان مضطرب ،وعلى وشك حدوث فتنة سببها السياسة التي اتبعتها ام المستنصر في تقريب العبيد واستبعاد الاتراك ، والتي خلقت عداء بين الطرفين ، فكانت حادثة مقتل احد الاتراك وسيلة لهم للحد من نفوذ العبيد، فتوجهت طائفة من الاتراك للخليفة الفاطمي المستنصر بالله وسألوا قائلين له : " إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وإن كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك فأنكر المستنصر ذلك" [1]، فعظم ذلك على الأتراك ونشبت الحرب ثم اصطلحوا على تسليم المعتدي إليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد "خذوا حذركم فاجتمعوا في محلّتهم"[2]، وعرف الأتراك ذلك فاجتمعوا إلى قادتهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر وشكوا إليه واستمالوا قبيلة مصمودة[3] وتعاهدوا وتعاقدوا فقوي الأتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة إلى الصعيد ليجتمعوا هناك فنظمت اليهم اعداد كبيرة بلغت ما يقرب خمسين ألف فارس وراجل فخاف الأتراك وشكوا إلى المستنصر فأجابهم بأنه لم يكن على علم بما فعل العبيد وأنه لا حقيقة له فظنوا ان الخليفة قد تحايل عليهم ، ثم تأكد الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم فخاف الأتراك والمصامدة وكان عددهم ستة آلاف رجل فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش[4] وكان ذلك سنة 464هـ/1071م اذ دارت معركة بين الطرفين انهزم فيها الأتراك ومن معهم إلى القاهرة وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس في خطة عسكرية للانتصار على العبيد في حالة خسارة الاتراك امامهم فلما

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص18؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص28.

(2) أبي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص207.

(3) قبيلة مصمودة: وهي مجموعة من القبائل المغربية البربرية، وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى جدهم الأعلى مصمود، وقد سكنت هذه القبائل بالقرب من مدينة طنجة بعد رحيلها من المشرق الإسلامي، ومن أشهر بطونها قبيلة هنتاتة وقبيلة غمارة وقبيلة برغواطة، وقبيلة تنيمل وقبيلة هيلانة. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج2، ص823؛ المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص246؛ ابن خلدون، ابي الفداء، تقويم البلدان، ص65؛ تاريخ ابن خلدون، ج11، ص118.

(4) كوم الريش وَهِيَ مدينة بِالْقربِ من منية الشيرج من ضواحي الْقَاهِرَة وَكَانَت من أجل متنزهات الْقَاهِرَة حِينَ كَانَ النّيل يمر بغربيهابِحَيْثُ كَانَ يسكنهَا كثير من الْعُلَمَاء والأمراء والجند وَلذَلِك كَانَ سوقها عَامِرًا بأنواع المعايش وَبهَا حمام.ينظر: السخاوي، البلدانيات، ص250.

انهزم الأتراك[1]، خرج الكمين للانقضاض على العبيد ومن معهم فحملوا عليهم[2] ، واشتبكوا مع العبيد والذين ظنوا انها مكيدة من قبل الخليفة المستنصر وأنه قد ارسل قواته العسكرية لمساندة الاتراك فانهزموا امام الأتراك واكثروا فيهم القتل اذ قتل منهم وغرق نحو أربعين ألفا [3].

يتضح لنا من خلال النص السابق الضعف الكبير الذي عانت منه الدولة الفاطمية والمتمثل بعدم سيطرتها على الأوضاع الداخلية وردع المتنافسين وإعادة هيبة الدولة، فضلا عن ان المتقاتلين كان كل طرف منهم يشك في الخليفة الفاطمي بانه يكيد لهم المكائد، وهذا يعني ان الخليفة اصبح ضعيف ويمكن ان نقارنه بضعف الخليفة العباسي الذي وقع تحت سيطرة السلاجقة، لذا كان على الخليفة الفاطمي التحرك لأنهاء هذه المعارك لا سيما ان الروم البيزنطيون كانوا يتحينون الفرص الاستعادة مصر وبلاد الشام من يد العرب المسلمين.

واستمر ابن الاثير[4] في توضيح نتيجة انتصار الاتراك على العبيد بقوله :"**وقويت نفوس الأتراك وعرفوا حسن رأي المستنصر فيهم وتجمعوا وحشدوا فتضاعفت عدتهم وزادت واجباتهم للانفاق فيهم فخلت الخزائن واضطربت الأمور وتجمع باقي العسكر من الشام وغيره إلى الصعيد فاجتمعوا مع العبيد فصاروا خمسة عشر الف فارس وراجل وساروا إلى الجيزة فخرج عليهم الأتراك ومن معهم واقتتلوا في الماء عدة أيام ثم عبر الأتراك النيل إليهم مع ناصر الدولة بن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد إلى الصعيد وعاد ناصر الدولة والأتراك منصورين** ".

وكانت ردة فعل العبيد على هذه الاخبار ان اجتمعوا بالصعيد في خمسة عشر الف فارس وراجل فقلق الأتراك لذلك، فحضروا قادتهم دار الخليفة المستنصر لشكوى حالهم فأمرت أم المستنصر العبيد بالهجوم عليهم وقتلهم ففعلوا ذلك وعندما سمع ناصر الدولة الخبر هرب إلى ظاهر البلد واجتمع الأتراك إليه [5]، ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد وحلف الأمير ناصر الدولة بن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة أيام ثم ظفر بهم ناصر الدولة وأكثر القتل فيهم ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة[6].

---

(1) ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ج1، ص105.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص81.

(3) أبن خلدون، تأريخ أبن خلدون، ج4، ص81.

(4) الكامل في التاريخ، ج10، ص82.

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج31، ص18.

(6) أبن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص17؛ المقريزي، المنتقى، ص31-32.

وكان بالإسكندرية جماعة من العبيد فلما وقعت هذه الحادثة طلبوا الأمان فأمنوا، وأخذت منهم الإسكندرية وبقي العبيد الذين بالصعيد، فلمّا خلت الدولة للأتراك طمعوا في المستنصر، وطلبوا الأموال فاعتذر المستنصر بعدم وجود الأموال التي يمكن ان يدفعها للأتراك[1] ،عندئذ قام ناصر الدولة وجنده بنهب دخائر القصر وبيعت بثمن بخس وصرفت إلى الجند وارتفع راتب الأتراك في الشهر من عشرين ألف دينار الى أربعمائة ألف دينار. وأما العبيد بالصعيد فإنهم أفسدوا وقطعوا الطريق وأخافوا الناس فسار إليهم ناصر الدولة في عسكر كثير فهرب العبيد إلى الصعيد الأعلى فأدركهم فقاتلهم وقاتلوه فانهزم ناصر الدولة امامهم وعاد إلى الجيزة بمصر، واجتمع إليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية العبيد والميل إليهم، ثم جهزوا جيشا وسيروه إلى طائفة من العبيد بالصعيد وقاتلوهم فقتل تلك الطائفة من العبيد، وبذلك تم القضاء عليهم [2]، وعظم أمر ناصر الدولة وقويت شوكته فملك الإسكندرية ودمياط وقطع الخطبة منهما ومن سائر الريف للخليفة الفاطمي للمستنصر بالله، وراسل الخليفة العباسي القائم بامر الله (422-467هـ/1013-1074م) [3] ببغداد وافترق الناس من القاهرة ثم صالح المستنصر ودخل القاهرة واستبد عليه[4] ، فضلا عن تفرده بالأمر دون الأتراك فامتعضوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت نياتهم له وشكوا ذلك إلى الوزير ابن ابي كدينة[5] وقالوا كلما خرج الخليفة مال اخذ أكثره له ولحاشيته ولا يصل إلينا منه إلا القليل فقال الوزير إنما وصل إلى هذا وغيره بكم فلو فارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة وإخراجه من مصر

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص275.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص83.

(3) هو أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله أبن أحمد القادر بالله تولي الخلافة بعد وفاة أبيه القادر بالله عام 422هـ، صار على نهج ابيه في المحافظة على ما حققه من إنجازات سياسية ودينية، واتصف بالورع والزهد وسعة العلم. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص110؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص417.

(4) ابن ميسرة، اخبار مصر، ج2، ص23؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص64.

(5) ابن ابي كدينة: هو الحسن بن مجلّي بن أسد بن أبي كدينة، كان سيّئ الخلق قاسي القلب. ويقال إنّه من ولد عبد الرحمن بن ملجم، كان قاضياً قبل أن يتسلم وزارته الأولى للمستنصر في عام 455هـ/ 1063م؛ ثم أُضيفت له مهام الوزارة في ذلك العام؛ وظل يتردد على هذا المنصب في السنوات الواقعة بين عامي "455-465هـ/1063-1072م "فتولاها لسبع مرات كان أخرها بعد مقتل ناصر الدولة أبن حمدان ووزيره أبن العجمي، قتل على يد بدر الجمالي سنة 466هـ/1072م. ينظر: ابن ميسرة، اخبار مصر، ج2، ص32؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج3، ص250؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص160.

فاجتمعوا وشكوا إلى المستنصر وسألوه أن يخرج عنهم ناصر الدولة فأرسل إليه يأمره بالخروج من القاهرة إلى الجيزة ونهبت داره ودور حاشيته وأصحابه [1].فلما كان الليل دخل ناصر الدولة متخفيا إلى القائد المعروف بتاج الملوك شادي[2] وعقدوا تحالفا بينهم واتفقا على قتل مقدم الأتراك اسمه الدكز[3] والوزير الخطير ، ولتنفيذ ذلك وضع ناصر الدولة خطة اذ أشار على شادي بالتوجه بأصحابه والسير بين القصرين وقتلهما متى سنحت لهم الفرصة ، وعاد ناصر الدولة إلى موضعه في الجيزة وفعل شادي ما أمره فركب الدكز إلى القصر فرأى شادي في جمعه فهرب وأسرع بالدخول الى القصر ونجى بذلك من القتل ، ونجح شادي بقتل الوزير وأرسل إلى ناصر الدولة يخبره بالتوجه إلى باب القاهرة، وكان الدكز قد التجأ الى الخليفة المستنصر بالله وحثه على الخروج بقواته لمحاربة ناصر الدولة بن حمدان محذرا اياه من التهاون في ذلك، لان ناصر الدولة كان يرغب في السيطرة على القاهرة ،فما كان من الخليفة الا ان توجه على راس قواته العسكرية والذين اصطفوا لقتال ناصر الدولة والذي انهزم وقتل عدد كبير من أصحابه وهرب ناصر من المعركة ملتجا" إلى بني سنبس[4] فأقام عندهم وصاهرهم فقوي بهم[5] .

استمر ناصر الدولة في عدائه للخليفة المستنصر بالله لذا جهزت الدولة الفاطمية قوات عسكرية للقضاء عليه، وكانت هذه القوات تتألف من ثلاث معسكرات ، فأراد أحد المقدمين أن

---

(1) المقريزي، المنتقى، ص33.

(2) تاج الملوك شادي: وهو احد القادة الاتراك ونائب ابن حمدان في مصر، بعد الاتفاق الذي تم ما بين الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وبين ابن حمدان عقب الهدنه بين الطرفين، كان من المفترض ان يقوم شادي بجمع الأموال وارسالها الى ابن حمدان ، لكن تاج الملوك سرعان ما خالف شروط هذا الاتفاق وأستبد برأيه ولم يرسل الأموال الى أبن حمدان كما نص على ذلك أتفاق الأخير مع المستنصر فقرر ناصر الدولة تأديبه ؛وسار الى القاهرة وعند وصوله الى الجيزة أستدعى تاج الملوك وعدداً من زعماء الأتراك وقبض عليهم ونهب القرى القريبة منها. ينظر: ابن ميسرة، اخبار مصر، ج2، ص41؛ النويري، نهاية الرب في فنون الادب، ج28، ص147الذهبي، تاريخ الاسلام، ج10، ص110؛ النويري، نهاية الرب في فنون الادب، ج28، ص147.

(3) شيخ الأتراك والمقدم عليهم، ولقبه أسد الدولة، وكان زوج ابنة ناصر الدولة بن حمدان، ولم يمنعه ذلك من التآمر عليه. ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج4، ص 279.

(4) بني سنبس: هم بطن من بطون طيء، يطلق عليهم عرب البحيرة وهي كورة من كور ناحية الإسكندرية. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص402؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص351.

(5) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص85؛ ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج1، ص260.

يفوز بالظفر وحده دون أصحابه فعبر فيمن معه إلى ناصر الدولة وحمل عليه فقاتله فظفر به ناصر الدولة فأخذه أسيرا وأكثر القتل في أصحابه ، وعبر العسكر الثاني ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤوس القتلى على الرماح فوقع الرعب في قلوبهم فانهزموا وقتل أكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة [1]، وعبر العسكر الثالث فهزمه وأكثر القتل فيهم وأسر مقدمهم **روي ابن الاثير[2] ما حصل نتيجة هذا القتال بقوله: "وعظم أمره ونهب الريف فأقطعه وقطع الميرة عن مصر برا وبحرا فغلت الأسعار بها وكثر الموت بالجوع وامتدت أيدي الجند بالقاهرة إلى النهب والقتل وعظم الوباء حتى أن أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم في ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى أن امرأة أكلت رغيفا بألف دينار فاستبعد ذلك فقيل إنها باعت عروضا قيمتها الف دينار بثلاثمائة دينار واشترت بها حنطة حملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة في الطريق هي مع الناس فكان الذي حصل لها مما عملته رغيفا واحداً".**

ثم فرض ناصر الدولة حصار شديد على مدينة القاهرة وقطع عليها الطريق برا وبحرا فحدثت مجاعة ومات أكثر أصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم، فطلب الأتراك المتواجدين في القاهرة من ناصر الدولة الصلح فوافق على ذلك شريطة أن يكون تاج الملوك شادي نائبا عنه في القاهرة ويحمل المال إليه [3]. فما ان دخل تاج الملوك إلى القاهرة لم يلتزم بشروط الصلح واستبد بالأموال دون ناصر الدولة ولم يرسل إليه منها شيئا مما دفع ناصر الدولة إلى استدعاء شادي وغيره من مقدمي الأتراك الى الجيزة مقر ناصر الدولة فخرجوا إليه إلا أقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتي مصر وأحرق كثيرا منها فسير إليه المستنصر بالله عسكرا فتمكنوا من تحقيق النصر عليه فهرب بمن معه من ساحة المعركة، ثم قام بتجميع قواته العسكرية وعاد إليهم فقاتلهم فهزمهم وقطع خطبة المستنصر بالله في الإسكندرية ودمياط والتي كانت تحت سيطرته وكذلك جميع الريف وأرسل إلى الخليفة ببغداد يطلب خلعاً ليخطب له بمصر[4] .

---

(1) الأمين، اعيان الشيعة ، ج5،ص53 .

(2) الكامل في التاريخ، ج10، ص86. ينظر كذلك: اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة يقظان ، ج3، ص69؛ السيوطي ،تاريخ الخلفاء ، ص453

(3)المصدر نفسة ، الكامل في التاريخ، ج10، ص85.

(4) أبن ميسر، أخبار مصر،ج2،ص41؛الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج31، ص20 .

وقد وصف ابن الاثير[1] حال الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بقوله: "واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وأرسل ناصر إليه أيضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيئا من آثار المملكة، فلما أدى الرسالة قال أما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول وعاد إلى ناصر الدولة فأخبره الخبر فأجرى له كل يوم مائة دينار ، وعاد إلى القاهرة وحكم فيها وأذل السلطان وأصحابه".

وكان الذي حمله على هي رغبته في ان يظهر البيعة للعباسيين ويعيب المستنصر، وكان المغاربة قد اعانوه على ما أراد وقبض على أم المستنصر وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله إلى الغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعاً [2].

وقد أورد ابن الاثير[3] حال مصر بعد سيطرة ابن حمدان عليها قائلا:" وانقضت سنت 464هـ وما قبلها بالفتن وانحط السعر سنة 465هـ ورخصت الأسعار، وبالغ ناصر الدولة بن حمدان في إهانة المستنصر وفرق عنه عامة أصحابه وكان يقول لأحدهم: إنني أريد أن أوليك عمل كذا. فيسير إليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود. وكان غرضه من ذلك ليخطب للقائم بأمر الله ولا يمكنه من وجودهم " .

وبذلك تمكن ناصر الدولة من السيطرة بشكل كامل على مصر ولم يبقى الا اسقاط الدولة الفاطمية وإعلان رجوع مصر مره أخرى لسيادة الدولة العباسية التي كانت تتطلع الى ذلك، الا ان الدكز الذي كان زوجا لابنة الحسين بن حمدان تنبه الى ذلك ، فاخبر غيره من قواد الأتراك مما اثار الخوف في نفوسهم وخشوا خروج الامر عن السيطرة، فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وتواعدوا ليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التي تواعدوا فيها على قتله جاؤوا إلى باب داره وهي التي تعرف بمنازل العز، وهي على النيل فدخلوا من غير استئذان إلى صحن داره فخرج إليهم ناصر الدولة في رداء، لأنه كان آمنا منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف، فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه وقطعوا رأسه[4] .

---

(1) الكامل في التاريخ، ج10، ص86؛ ينظر كذلك: النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص231.

(2) المقريزي، المواعظ والأعتبار، ج1، ص337؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص134.

(3) الكامل في التاريخ، ج10، ص86؛ الذهبي، تأريخ الاسلام، ج10، ص108.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص21.

ولم يكتفوا بقتل ناصر الدولة بل قتلوا كل من بقي من اسرته وحاشيته اذ قتلوا فخر العرب أخو ناصر الدولة واخوه تاج المعالي، وتتبعوا جميع من كان بمصر من بني حمدان فقتلوهم عن آخرهم وكان ذلك سنة 465هـ/1072م وانقطع ذكر الحمدانية بمصر[1]، وبقي الأمر بمصر مضطرباً حتى سنة 467هـ/1074م اذ ولي الأمر بمصر بدر الجمالي أمير الجيوش وقتل الدكز والوزير ابن كدينة وتمكن من الدولة إلى أن توفي [2].

وقد روى الصفدي[3] سبب قتل ابن حمدان بقولة "وكان ناصر الدين قد لقب نفسه سلطان الجيوش واتفق مع الدكز التركي وزوجه الدكز ابنته وتحالفا كل واحد منهما إلى الآخر فركب ابن حمدان يوما إلى بعض أعمال مصر مرتبا العساكر والمراكب في طمأنينة فركب الدكز في خمسين فارسا وله غلام يدعى حسام الدولة كمشتكين فقال له أريد أن أطلعك على أمر قال وما هو قال قد علمت ما فعل ابن حمدان بالمسلمين من سفك الدماء والغلاء والجلاء وقد عزمت على قتله فهل فيك موافقة على راحة المسلمين منه فقال نعم وقصد ابن حمدان وهو يتمشى في صحن داره فمشى الدكز معه وتأخر عنه وضربه بالسيف في خاصرته وضربه كمشتكين فقطع رجليه فصاح فعلتموها وحزوا رأسه وكان محمود بن ذبيان أمير بني سنبس في خزانة السراب فدخلوا إليه فقتلوه ثم دخلوا دارا فيها فخر العرب بن حمدان وعنده شاور فقتلوهما وخرجوا إلى خيمة تاج المعالي بن حمدن أخي الأمير ناصر الدولة فهرب واستتر في خرابة فدل عليه فقتل".

(1) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص190؛ الأمين، اعيان الشيعة، ج5، ص53.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص86؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص22.

(3) الوافي بالوفيات، ج12، ص222؛ ينظر كذلك: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج110، ص90؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج10، ص111.

المبحث الثالث: السياسة الخارجية في عهد المستنصر بالله.

7- الدولة العباسية

كانت سياسة الفاطميين في المشرق الإسلامي تهدف الى نشر الدعوة الفاطمية فيها وبالاخص شيراز والعراق مركز الخلافة العباسية ، اذ نشطت في بلاد فارس الدعوة الفاطمية عن طريق دعاتها، ولعل من ابرز الدعاة في هذه الفترة هو الداعي المؤيد في الدين الشيرازي[1] ، والذي كان له الدور الكبير في نشر الاسماعلية والترويج للدولة الفاطمية في بلاد فارس والاهواز في فترة خلافة المستنصر بالله الفاطمي ، فضلا عن الظروف التي كانت تمر فيها الدولة العباسية، والتي فقدت فيها سيطرتها على بلاد الشرق، ووقوعها تحت وصايا البويهيين الذين كانوا يميلون الى المذهب الشيعي اذ كانوا على المذهب الزيدي[2]، فضلا عن الصراع بين البويهيين على السلطة والذي حدث بين سلطان الدولة حاكم العراق(403-411هـ/1013-1020م)، وبين اخيه شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة البويهي، كما اندلع صراع عسكري سنة(420-421هـ/1029-1030م) بين جلال الدولة(416-435هـ/1025-

(1) المؤيد في الدين الشيرازي: أبو نصر هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي، داعي الدعاة الإسماعيلية وكتابها، ولد وتعلم بشيراز، واضطر إلى مغادرتها، فخرج متنكرا إلى الأهواز وأقام فيها مدة، ثم وتوجه إلى مصر، فخدم المستنصر الفاطمي في ديوان الانشاء، وتقدم إلى أن صار إليه أمر الدعوة الفاطمية، ولقب بداعي الدعاة وباب الأبواب، قدم المؤيد في الدين للدعوة الاسماعيلية خدمات جليلة للفاطميين فقد استطاع ان يقنع الملوك والامراء للدخول في المذهب الاسماعيلي وحاول القضاء على الدولة العباسية بتأليب امراء العراق والشام على الخليفة القائم بأمر الله ونجحت مساعيه اخيراً في اقامة الدعوة الفاطمية على منابر بغداد للخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة (450هـ/1058م) ، ثم نحي وابعد إلى الشام وعاد إلى مصر، فتوفي فيها. ينظر: الشيرازي، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص12-14 من مقدمة المؤلف ؛ الشيخ الاميني، الغدير، ج4، ص311.

(2) سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص325.

1043م)[1] واخية ابي كاليجار[2] والذي تمكن من استماله البويهيين في البصرة وواسط الى جانبه[3]، ومن جهة أخرى فقد نشط العسكر التركي وازداد نفوذهم واخذوا يتدخلون في السياسة الداخلية للدولة العباسية، والذي كانت له نتائج سلبية على البويهيين اذ تدخلوا في تعيين الولاة البويهيين بل حاولوا خلع جلال الدولة البويهي، وتعيين ابي كاليجار بدلا" عنه[4]، وبفعل هذه الظروف تمكن الشيرازي من استمالة الأمير البويهي ابي كاليجار الذي دخل بغداد بعد موت امير العراق البويهي جلال الدولة وتولي ابنه الملك العزيز أبو منصور فيروز الذي كان ضعيف وغير قادر على إدارة العراق فطمع فيه عمه ابي كاليجار وسيطر على العراق وأقيمت له الخطبة فيها سنة (436هـ/1044م)[5] .

وقد حاول الشيرازي استغلال ذلك بان طلب من ابي كاليجار ان تقام الخطبة للفاطميين في العراق، الا انه لم ينفذ ذلك وفضل التريث في الامر، ويعود السبب في ذلك الى ان ابي كاليجار أراد استخدام الفاطميين كورقة ضغط على خلفاء بني العباس لكي لا يحاولون الاستعانة بالسلاجقة[6] الذين بداوا يشكلون تهديد كبير على الوجود البويهي في بلاد فارس والعراق[7].

---

(1) جلال الدولة : أبو نصر فيروزجرد بن الملك بهاء الدولة أبي نصر بن السلطان عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، الديلمي، صاحب العراق، كان شيعيا كأهل بيته وفيه جبن، وعسكره مع قلتهم طامعون فيه. ينظ: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17، ص578؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج27، ص52.

(2) ابو كاليجار: واسمه المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي ولد بالبصرة سنة 399هـ/1009م، وكانت ولايته على العراق أربع سنين وشهرين وأياما، ومدة ولايته على فارس والأهواز خمسا وعشرين سنة، وكان شجاعا فاتكا مشغولا بالشرب واللهو، ولما مات كان ولده أبو نصر ببغداد في دار الملك نيابة عن أبيه فلقبه الخليفة القائم بأمر الله الملك الرحيم وخلع= =عليه خلعة السلطنة. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15، ص313؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص47.

(3) أبن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج9، ص293؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج4، ص241.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص181؛ أبن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج3، ص534.

(5) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9، ص524.

(6) الشيرازي، ، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ،ص47؛ طقوش، تاريخ الفاطميين ، ص343.

(7) السلاجقـة عشائـر تركية سكنت بالقرب من مجرى نهر سيحون، وتسميتهم بالسلاجقة نسبة إلى كبيرهم سَلجوق بن دُقاق، في عام 345هـ/956م ارتحل سلجوق وعشيرته إلى قرب مدينة جَنْد، وخوارزم أقرب ما يكون إليها من البلدان. ثم دخل سلجوق الإسلام، جاء من بعد سلجوق خلفاً في قيادة العشيرة طغرلبك، وفي عهده ارتحلت العشيرة إلى بُخارى ، بدأ السلاجقة في التوسع ليكونوا دويلة تسيطر على خراسان وخوارزم وطبرستان. وبعد سقوط حكم البويهيين،

وقد أدرك الخليفة العباسي القائم بأمر الله (422 –467هـ /1030 –1074 م) خطورة التقارب البويهي الفاطمي على الوجود العباسي في العراق ويهدد بإزالة ملك بني العباس فضلا عن استغلال الفاطميين ذلك لنشر المذهب الإسماعيلي في العراق ، فطلب من ابي كاليجار ان يلقي القبض على الداعي الفاطمي المؤيد في الدين ويرسله اليه مهدد إياه بالاستعانة بالسلاجقة في حال عدم تنفيذه ذلك ، من خلال دعوتهم للسيطرة على العراق[1]. الا انه لم ينفذ ما طلب منه بل أرسل الى الداعي يحذره من البقاء في شيراز، والتي كانت من ضمن المناطق المخطط للسيطرة عليها من قبل السلاجقة [2]

وعلى الرغم من ذلك استمر الداعي المؤيد في الدين في نشاطه لنشر الدعوة الإسماعيلية يساندة في ذلك ابي كاليجار الى تم استدعائه من قبل الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بعد وفاة ابي كاليجار وتولي ابنه فيروز الملقب بالملك الرحيم[3] قيادة البويهيون وكان ضعيف جدا[4] ، فضلا عن اتساع سيطرة السلاجقة في بلاد فارس وتوجههم صوب العراق للسيطرة عليه ، فادرك الفاطميون بان البويهين في العراق اصبحوا غير قادرين على مساندتهم في الاستمرار لتحقيق أهدافهم بسبب الضعف الذي اصابهم ، لذا وجه الفاطميون نشاطهم لاستمالة العناصر الأقوى في العراق، اذ نشط في تلك الفترة العنصر التركي وفي مقدمتهم أبو الحارث البساسيري[5] .

تقدم السلاجقة إلى العراق، وآلت إليهم الري ومن بعدها أصفهان، هنالك، أصبح السلاجقة ذراع الخلافة العباسية في الشرق، فباسم الخلافة سيطروا على سمرقند ومدن أخرى مثل بُست وهراة وسستان. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج8، ص233؛ طقوش، تاريخ السلاجقة في خرسان وايران والعراق، ص43، فوزي، الخلافة العباسية السقوط والانهيار، ج2، ص161.

([1]) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص234

([2]) الداعي ادريس ، عيون الاخبار ، ج6، ص355

([3])الملك الرحيم : الملك أبو نصر، خسرو ابن الملك أبي كاليجار ابن الملك سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه ،كان خاتمة ملوك بني بويه الديلم ،انتزع منه السلطان طغرلبك الملك ، وأخذه ، وسجنه مدة بقلعة الري بعد ان أتى برجليه إليه مستأمنا ، فغدر به في سنة 447هـ/1055م ،وتوفي محبوسا في سنة 450هـ/1058م.ينظر :ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9،ص573؛ابي الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج2،ص169؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج18،ص120.

([4]) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9،ص547.

([5]) أبو الحارث البساسيري: هو أرسلان بن عبد الله أبو الحارث البساسيري وسمي بهذا اللقب نسبة إلى بلد بسا وهي بالعربية فسا وهي من المدن القديمة في بلاد فارس ، بينها وبين مدينة شيراز اربع مرحل كذلك تعد من اكبر مدن كوره دار بجرد، وأهل فارس ينسبون إليها هكذا هو مقدم الأتراك ببغداد، ويقال إنه كان مملوك بهاء

وقد أورد ابن الاثير[1] الكثير من التفاصيل حول ظهور هذه الشخصية واثرها على الدولة العباسية اذ قام دور كبير في مجريات احداثها، وقد لمع اسم البساسيري كقائد عسكري على مسرح الاحداث السياسية في الدولة العباسية ،عندما استخلف البساسيري في حماية الجانب الغربي ببغداد، لأن العيارين[2] اشتد أمرهم وعظم فسادهم وعجز عن ردعهم نواب السلطان فاستعملوه لكفايته ومهارته العسكرية[3] ، واعان جلال الدولة البويهي(416-435هـ/1025-1044م) على توطيد سلطته في الانبار وغيرها من مناطق البلاد الأخرى ، ثم اخذت سلطته بالاتساع وظهر اكثر على مسرح الاحداث عندما سيطر على الانبار قرواش بن المقلد[4] اذ **قال ابن الاثير[5]:"وكان سبب ملكها أن قرواشا أساء السيرة في أهلها ومد يده إلى أموالهم فسار جماعة من أهلها إلى البساسيري ببغداد وسألوه أن ينفذ معهم عسكرا يسلمون إليه الأنبار فأجابهم إلى ذلك وسير معهم جيشا فتسلموا الأنبار ولحقهم البساسيري وأحسن إلى أهلها وعدل فيهم ولم يمكن أحدا من أصحابه أن يأخذ الرطل الخبز بغير ثمنه وأقام فيها إلى أن أصلح حالها وقرر قواعدها وعاد إلى بغداد**" .

الدولة ابن عضد الدولة بن بوية وهو الذي خرج على الإمام القائم، وكان قد قدمه على جميع الأتراك وقلده الأمور بأسرها، وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمره وهابته الملوك . ينظر: ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج1، ص150؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج1، ص193؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج23، ص129

([1]) الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص246 ؛ ينظر كذلك: ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون،ج3، ص560.

([2]) العيارين: وهم طائفة كثيره الحركة والتجوال في البلاد ، والذي ليس لديه عمل، وكان اغلبهم من المحتالين اللذين يحتالون على الناس ويأخذون أموالهم ، والشحاذ الذين يستعطون الناس ، وقد شكل هؤلاء خطر كبير على المجتمع من خلال قيامهم بالسلب والنهب وسرقة البيوت والمحال التجارية ، وانظم بعضهم الى الحركات الثورية مستغلين اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية في الدولة. ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج1،ص222؛ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15،ص33؛ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج16،ص76.

([3]) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9،ص437.

(4) قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي ، من هوازن معتمد الدولة: صاحب الموصل والكوفة والمدائن وليها بعد مقتل أبيه (سنة391 هـ /1001م)، وكان أديبا شاعرا. أحسن تدبير ملكه وسياسته، ودامت إمارته خمسين سنة، ووقع خصام بينه وبين أخيه بركة بن المقلد، فقبض عليه بركة سنة441هـ/1050م وحبسه في إحدى قلاع الموصل، ثم نقله ابن أخيه قريش بن بدران بن المقلد إلى قلعة الجراحية، من أعمال الموصل، فتوفي بها. ينظر: ابن الاثير، الالباب في تهذيب الانساب، ج1، ص342؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص225.

([5]) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9،ص556.

لقد أدت هذه الاحداث الى وقوع صراع بين وزير الخليفة العباسي أبو القاسم بن مسلمة[1] وبين البساسيري عندما قام قريش بن بدران[2] أمير الموصل بالاستيلاء على مدينة الانبار، ونهبها وأقام الخطبة فيها لطغرلبك السلجوقي[3]، والتي انعكست بالتالي على سوء العلاقة بين البساسيري والخليفة العباسي وسبب ذلك أن أبا الغنائم ابن المحلبان[4] واخيه صاحبي قريش بن بدران بن المسيب العقيلي والي الموصل، وصلا إلى بغداد سرا فامتعض البساسيري من ذلك وقال :"هؤلاء وصاحبهم كبسوا حلل أصحابي ونهبوا وفتحوا البثوق وأسرفوا في إهلاك الناس" ،وأراد أخذهم فلم يتكن منهم فمضى إلى الحرب وعاد ولم يقصد دار الخلافة على عادته فنسب ذلك إلى رئيس الرؤساء بن مسلمة واجتازت به سفينة لبعض أقارب رئيس الرؤساء فمنعها

([1]) أبو القاسم بن مسلمة: علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن ، أبو القاسم المعروف بابن المسلمة ولد سنة 397هـ/1007م، استكتبه الخليفة القائم بأمر الله واستوزره ولقبه رئيس الرؤساء ، وكان قد اجتمع، قتل سنة 450هـ/1050م قتله أبو الحارث البساسيري التركي وصلبه .ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج11 ، ص 391–392؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج5،ص248؛ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج5،ص7.

([2]) قريش بن بدران :هو ابو المعالي قريش بن أبي الفضل بدران بن المقلد ولي الموصل بعد وفاة بركة بن المقلد ،وكان ابيه بدران صاحب نصيبين ، وان اول ما فعل قريش أنه قتل عمه قرواشا المذكور في محبسه في مستهل رجب سنة444هـ/ 1053م، ودفنه بتل توبة شرقي الموصل، وكان قريش احد امراء الدولة العباسية وله امارة بني عقيل مات بالطاعون عن احدى وخمسين سنة 453هـ/1061م. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9،ص579؛ ابن خلكان وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، ج5، ص267؛الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص75.

([3]) طغرلبك السلجوقي: هو ابو طالب محمد طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، ركن الدولة ، اول سلاطين السلاجقة استهل حكمه في سنة 429هـ/1038م، ودخل بغداد سنة 447هـ/1056م بناءاً على طلب الخليفة القائم بأمر الله فنصره على البساسيري توفي بالري سنة 455هـ/1063م. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8 ، ص 323 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج5 ، ص 63–68 .

([4]) أبو الغنائم بن المحلبان : هو محمد بن علي بن المحلبان ولي امارة واسط في عهد الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ثم خرج عن طاعته وخطب للخليفة المستنصر بالله الفاطمي حيث أمر ان تصبغ مساجد واسط باللون الابيض شعار الفاطميين ، غير ان عميد العراق احمد بن علي حاربه واعاد الخطبة في واسط للخليفة العباسي ، ولما عاد عميد العراق الى بغداد استولى ابن فسانجس على واسط بواسطة الاتراك والديلم الذين كانوا يعتنقون المذهب الاسماعيلي الفاطمي.ينظر : ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج15،ص28؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص331.

وطالب بالضريبة التي عليها ، وأسقط مشاهرات[1] الخليفة من دار الضرب وكذلك مشاهرات رئيس الرؤساء وحواشي الدار وأراد هدم دور بني المحلبان فمنع منه فقال:" ما أشكو إلا من رئيس الرؤساء الذي قد خرب البلاد وأطمع الغز وكاتبهم "، فسار البساسيري إلى الأنبار وأحرق نواحيها، وكان أبو الغنائم بن المحلبان بالأنبار قد أتاها من بغداد، وورد نور الدولة دبيس[2] إلى البساسيري معاونا له على حصارها ونصب البساسيري عليها المجانيق فهدم ابراجها، ورماهم بالنفط فأحرق أشياء كان قد أعدها أهل البلد لقتله ،ووقع أبا الغنائم بن الحلبان في الاسر فاخذ وقد ألقى نفسه في الفرات ثم ونهب الأنبار وأسر من أهلها، وأطلق رئيس الرؤساء لسانه في البساسيري وذمه ونسبه إلى مكاتبه للخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وأفسد الحال مع الخليفة إلى حد لا يرجى صلاحه، وأرسل إلى الملك الرحيم(440-447هـ/1049-1055م) يأمره بإبعاد البساسيري فأبعد، وكانت هذه الحالة من أعظم الأسباب في ملك السلطان طغرلبك العراق والقبض على الملك الرحيم .

وكان الفاطميين يراقبون تطور الأوضاع في العراق وقد وجدوا ان الفرصة سانحة لتحقيق أهدافهم فاخذ الداعي الفاطمي المؤيد في الدين الشيرازي، والذي كان يعمل في ديوان الانشاء في القاهرة بمراسلة البساسيري، وقد تضمنت هذه المراسلات تأييد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله له واستعداده لمده بالمال والسلاح من مصر[3]، فضلا عن ذلك فان البساسيري هو مقدم الاتراك في بغداد، وكان مملوك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، ومن بعده اصبح مولى لجلال الدولة ثم ابي كاليجار، وترك الملك الرحيم بسبب ضعف شخصيته ، فضلا عن حدوث خلاف بينه وبين الخليفة العباسي القائم بامر الله ،اذ ثارت جماعة من اهلي ببغداد وقصدوا دار الخلافة وطلبوا أن يؤذن لهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فأذن لهم وزاد شرهم ثم استأذنوا في

([1]) المشاهرات : وهي مقدار من المال يتم منحة الى الخليفة العباسي ووزيره واتباعه من دار الضرب السكة ببغداد في كل شهر. ينظر: الخالدي، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ص 106.

([2]) دبيس بن صدقة : أبو الأغر دبيس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي الناشري الملقب نور الدولة ملك العرب صاحب الحلة المزيدية، كان جوادا كريما، وتمكن في خلافة المسترشد من الاستيلاء على الكثير من مناطق العراق، وهو من بيت كبير توفي سنة 474هـ/1082م. ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعبان وانباء أبناء الزمان ، ج2،ص263؛الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج13، ص321.

([3]) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9،ص602-608؛ ابن ميسر ، اخبار مصر ، ج2 ، ص 8 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص 233.

نهب دور البساسيري، وكان غائباً في واسط فأذن لهم الخليفة بذلك فقصدوا دور البساسيري ونهبوا وأحرقوها[1].

ومن خلال ما ورد يتبين لنا ان هناك تبادل للمصالح بين البساسيري وبين الفاطميين من جهة وبين العباسيين والسلاجقة من جهة أخرى ، اذ كان البساسيري يطمح الى الحصول على الحظوة و التقرب من الخليفة العباسي ، الا ان الخليفة قرب الوزير أبو سلمة فأغاض ذلك البساسيري، فاظهر عداءه وتقرب من الفاطميين واستغل ثورة إبراهيم ينال[2] في إقليم الجبال وخروج طغرلبك السلجوقي من بغداد فخطب للفاطميين في بغداد مدة سنة كاملة، الا ان الفاطميين لم يطمئنوا له تمام الاطمئنان لهذا السبب كانت مساعدتهم له مختصره وليس بمستوى الطموح بالنسبة له .

ورد البساسيري على مكاتبات الفاطميين برسالة بعث بها إلى المؤيد في الدين شكره فيها على اهتمامه بحركتهم وتأييدهم له ولأتباعه، والتمس منه الإمداد السريع بالمال والخيل والسلاح لإظهار الدعوة الفاطمية ببلاد العراق قائلا" فإن أخذتم بأيدينا، أخذنا لكم البلاد وإن قلدتمونا نجاد

([1]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8 ، ص 317 ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1 ، ص 192؛ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر،ج2،ص173؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص84.

([2]) إبراهيم ينال: هو وهو اخو السلطان للسلجوقي طغرلبك من امه وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد اسم ابيه او نسبه اذ ذكرت بعضها ان إبراهيم هو ابن ميكائيل السلجوقي او إبراهيم بن ينال بن سلجق ابن عم السلطان طغرلبك وان المشهور بي هو ان ابرهيم هو شقيق طغرلبك، كان ابراهيم يلقب بالملك او سيف الدولة لما قام به من فتوحات للدولة السلجوقية وتثبيت أركانها وقد ظهر على مسرح الاحداث السياسية سنة (429هـ/1037م) عندما ارسله طغرلبك الى نيسابور والري وهمدان للسيطرة عليها، الا ان إبراهيم تمرد على أخيه السلطان طغرلبك لان طغرلبك شك بان أخيه سوف ينفصل عن السلاجقة ويعلن استقلاله في همدان لذا طلب منه تسليم جميع المدن التي ولي عليها، الا ان إبراهيم رفض تسليم ما بيده، واتهم الوزير السلجوقي أبو علي بالسعي لافساد العلاقة ما بينه وبين السلطان طغرلبك فقبض عليه وسمل احدى عينية ، ثم بدا بالاستعداد وجمع عساكره لمواجه أخيه ، الذي اشتبك معه في معركة انتهت بهزيمة إبراهيم الذي هرب الى قلعة سراج، ثم عفى عنه طغرلبك ، ثم تمرد مره أخرى على أخيه واتفق مع البساسيري ضد اخيه طغرلبك، فاعلن إبراهيم تمرده مره أخرى واشتبك مع اخيه في معركة انتصر فيها طغرلبك وقتل إبراهيم في منطقة الري سنة (451هـ/1059م).ينظر: الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق، ص12؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص34؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، ج16، ص85؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج18، ص112، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص97.

نصركم وإنجادكم فتحنا من جهتكم الأغوار والأنجاد"[1]. وقد أظهر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي اهتماماً كبيراً برسالة البساسيري وعمل على تدبير الإمدادات اللازمة لإنجاح حركته على الرغم مما كانت تعانيه مصر من غلاء وأزمة اقتصادية [2]، فلما أتم إعداد الأموال والخلع والسلاح، عهد إلى المؤيد في الدين بحملها إلى البساسيري، فسار على رأس عدد من الرجال ومعهم خمسمائة ألف دينار ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك وخمسمائة فرس وعشرة آلاف قوس ومن الرماح والنشاب شيء كبير[3] ، وقبل مغادرة القاهرة اجرى المؤيد في الدين مرسلات بينه وبين ثمال بن صالح المرداسي[4] لغرض استمالته ؛ وذلك بسبب تحذيره من قبل الوزير الفاطمي من الاتصال بثمال خوفا من غدره لا سيما انه كان على خلاف مع الدولة الفاطمية حول محاوله كل من ثمال والدولة الفاطمية بالسيطرة على حلب، موضحا له فيها السبب الذي جعله يتوجه الى بلاد الشام عارضا عليه ان يكون ثمال هو القائد في هذه الحملة وانه سوف يسلم له الأموال والقوات التي سوف تكون تحت امرته، وعلى هذا الأساس التقى المؤيد في الدين بثمال وسارا على رأس جنده قاصداً الرحبة[5]، وقد كان لهذه المرسلات اهمية كبيرة في ازاله الخلاف ما بين الفاطميين والمرداسيين، فلما اقتربا من مدينة الرحبة خرج لاستقبالهما البساسيري

([1]) الشيرازي ، سيرة المؤيد في الدين ، ص 42.

([2]) الصلابي، علي بن محمد ، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 2006، ج1، ص67.

([3]) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج5،ص12.

([4]) ثمال بن صالح: هو أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الكلابي معز الدولة من ملوك الدولة المرداسية بحلب، كان كريما حليما شجاعا. ولي الملك سنة 434 هـ /1043م، وكانت الدولة بمصر للفاطميين، فسيروا إليه ثلاثة جيوش قاتلها ثمال وردها، ثم كاتب المستنصر بالله (الفاطمي) وبعث إليه بهدايا ثمينة، ونزل له عن حلب ، وسلمها إلى مكين الدولة (الحسن بن علي بن ملهم) ورحل إلى مصر سنة 449 هـ /1057م، ولما كانت سنة452هـ/1060م ، ثار محمود بن نصر بن مرداس على مكين الدولة واستولى على حلب ، فعاد الفاطميون إلى معز الدولة، يفاوضونه في استرداد حلب من ابن عمه (محمود بن نصر) فزحف بجيش من مصر ، فملكها ثانية (سنة 453 هـ/1061م) واستتب له الامر فيها ثم غزا الروم وظفر، وتوفي في حلب سنة (454هـ/1062م). ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج16، ص76؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص233؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج11، ص13؛ الزركلي ، الاعلام ، ج2،ص100.

([5]) الرحبة: وهي مدينة قديمة تقع على الصفة اليمنى من نهر الفرات مابين دير الزور في الشمال والصالحية في الجنوب، ويطلق عليها رحبة الشام، فيها قلاع تم انشائها في خلافة المامون العباسي . ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص32؛ الاغا، مدن بلاد الشام على مر العصور، ص117.

على رأس جيشه فالتقى بهم بالقرب من المدينة وأظهر أسمى آيات الشكر والترحيب بمبعوث الخليفة الفاطمي، وقام المؤيد من جانبه بتوزيع الخلع الفاطمية على البساسيري وأصحابه ومنحهم الأموال وأخذ البيعة منهم بالطاعة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي [1].

وقد روى ابن الاثير[2] الاحداث برواية مختلفة بقوله: "... وسار البساسيري إلى بلد نور الدولة دبيس بن مزيد لمصاهرة بينهما وأصعد الملك الرحيم إلى بغداد وأرسل طغرلبك رسولا إلى الخليفة يبالغ في إظهار الطاعة والعبودية وإلى الأتراك البغداديين يعدهم الجميل والإحسان . فأنكر الأتراك ذلك وراسلوا الخليفة في المعنى وقالوا إننا فعلنا بالبساسيري ما فعلنا وهو كبيرنا ومقدمنا بتقديم أمير المؤمنين ".

وفي ضوء ما تقدم يعتبر انضمام الأمير دبيس بن مزيد الاسدي ودخوله في طاعة الدولة الفاطمية نجاحا" كبيرا" للفاطميين في العراق، اذ انماز بكونه ذا نفوذ كبير بين القبائل العربية لا سيما مدينه الحلة ، ويعود الفضل في انضمامه للفاطميين الى الداعي المؤيد في الدين ، فضلاً عن ذلك كان الفاطميون على علم ودراية بنفوذه، وحقق الفاطميون الغاية المنشودة من ذلك وأصبح دبيس بن مزيد أحد الدعاة للدولة الفاطمية في العراق، واستخدمت الدولة الفاطمية هذه القوى في ادامة وجودها في العراق ، **وقد روى ذلك ابن الاثير[3] بقوله "كانت وقعة بين البساسيري ومعه نور الدولة دبيس بن مزيد ، وبين قريش بن بدران ، صاحب الموصل ومعه قتلمش ، وهو ابن عم السلطان طغرلبك ، وهو جد هؤلاء الملوك أولاد قلج أرسلان ومعه أيضا سهم الدولة أبو الفتح بن عمرو وكانت الحرب عند سنجار[4] فاقتتلوا واشتد القتال بينهم**

([1]) الشيرازي ، سيرة المؤيد في الدين ، ص 42.

([2]) الكامل في التاريخ ، ج9،ص608.

([3]) المصدر نفسة ، ج9،ص608؛ ينظر كذلك: ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج15 ، ص 737 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج3 ، ص 570.

([4]) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة ايام ، كثيرة الفواكه والأشجار والعيون والأنهار مبنية في سفح جبل تشبه بدمشق في كثرة أنهارها وبساتينها ومسجدها الجامع مشهور البركة سنجار وآمد وهيت باسم بانيها ، وهم بنو البلندي ابن مالك بن دعر بن بويب بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم ، عليه السلام . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص 262 ؛ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص230.

فانهزم قريش وقتلمش وقتل من أصحابهما الكثير ولقي قتلمش من أهل سنجار العنت وبالغوا في أذاه وأذى أصحاب"

وكان من نتائج هذا الانتصار دخول كل من الكوفة وواسط والموصل في طاعة الخلافة الفاطمية بعد ان اعلان امراء هذه المناطق خلع طاعة الخليفة العباسي والخطبة للخليفة الفاطمي[1] . وعلى الرغم من تلك الجهود نجد ان الوجود الفاطمي في هذه المناطق اخذ يتقلص بسبب قوة السلاجقة، **وقد روى ابن الاثير[2] ذلك بقوله:" واقام امير خفاجة محمود بن الاخرم الدعوة الفاطمية في الكوفة وخطب للمستنصر بالله على منابرها ، كما خطب امير واسط علاء الدين أبو الغنائم بن المحلبان للمستنصر بالله وضرب النقود باسمه ، ويذكر أنّ علاء الدين ابا الغنائم بن المحلبان الذي ولي امارة واسط خرج عن طاعة الخليفة العباسي القائم بأمر الله وخطب للمستنصر بالله الفاطمي حيث أمر ان تصبغ مساجد واسط باللون الابيض شعار الفاطميين ، غير ان عميد العراق أبو الفتح بن ابي الليث حاربه واعاد الخطبة في واسط للخليفة العباسي ، ولما عاد عميد العراق الى بغداد استولى ابن فسانجس[3]على واسط بواسطة الاتراك والديلم الذين كانوا يعتنقون المذهب الاسماعيلي الفاطمي، واستمرت الخطبة للخليفة الفاطمي في واسط حتى سنة(449هـ/1057م)، الى ان ارسلت حكومة بغداد الامير منصور بن الحسين الى واسط بعد أن امدته بالعساكر ، فسار اليها وحاصرها ثم احتلها واعاد الخطبة للقائم العباسي"** .

اما الموصل فعلى الرغم من الجهود التي بذلها البساسيري في احكام سيطرته عليها واقام الخطبة فيها للدولة الفاطمية الا ان ذلك لم يستمر طويلا بفعل الاختلاف الذي حدث بين الجند، والمنافسة التي ظهرت بين القادة العسكريين والامراء حول اقتسام الغنائم والأموال، والشائعات

([1]) ابن العديم ،زبدة حلب في تاريخ حلب ، ج3، ص1347؛ابن خلكان ، وفيات العيان ونباء الزمان ، ج1، ص192.

(2) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9،ص608؛ ينظر كذلك :ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص 12 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج15 ، ص 737 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج3 ، ص 570.

([3]) بن فسانجس: الوزير ابن فسانجس محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس الوزير الكبير أبو الفرج ذو السعادات وزر لأبي كاليجار وعزل سنة 435هـ/ 1044م ،وكان ذا أدب غزير ومعرفة باللغات، وكان يحسن إلى الجند عاش ستين سنة وتوفي سنة 444هـ/1053م.ينظر: ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ، ج9،ص525؛الذهبي ، تاريخ الإسلام، ج29،ص489؛الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج2،ص226.

حول قيام المؤيد في دين الله بحجب الأموال التي ترد اليه من مصر عن جيش البساسيري ، والذي دفع البساسيري بالتوجه الى الرحبة ومعه موفد من كل فرقة يطالبون المؤيد في الدين بدفع الأموال للجيش او التخلي عنه والانفصال عن الدولة الفاطمية ؛ويرجع السبب في تلكؤا المؤيد بدفع الأموال الى تخوفه من عدم التزامهم بالاتفاق المبرم بينهم بعد تحقيق أهدافهم[1].

من خلال التمعن في النص السابق نجد ان القوات التي كانت مع البساسيري هي قوات يمكن ان يقال عنهم مرتزقة ، اتخذوا من القتال والتوسع للحصول على الأموال كوسيلة، وليس من اجل نشر الدعوة الفاطمية، والدليل على ذلك تهديدهم للداعي الفاطمي بمفارقته في حال عدم دفع الأموال اليهم.

وقد انتهز طغرلبك هذا الامر فخرج بقوات عسكرية سنة (448هـ/1056م) من اجل القضاء على البساسيري، وقد فشلت جميع محاولات المؤيد في تدارك الامر من خلال مكاتبة بعض امراء العرب الذين كانوا على وفاق مع طغرلبك في محاولة لاستمالتهم من اجل التصدي للقوات السلجوقية ويعود السبب في ذلك الى ان السلاجقة قد سبقوه في ذلك بان وعدوهم بالمناصب الإدارية وتعينهم ولاة على البصرة وواسط والموصل **وقد روى ذلك ابن الاثير**[2]**، بقوله** " **وصل الأمر إلى إعلان بعضهم مثل نور الدولة دبيس بن مزيد وقريش بن بدران عن طاعتهم الى طغرلبك والعفو عنهم ، فعفى عنهم ، وإزاء ذلك اضطر البساسيري العودة الى الرحبة وتبعه الاتراك البغداديون وجماعة من بني عقيل**"، فضلا عن تقدم القوات السلجوقية بقيادة طغرلبك نحو سنجار وقتلوا أهلها ونهبوها وتتبعوا انصار البساسيري واوقعوا بهم واستمرت الحملة العسكرية فملكوا ديار بكر ونصيبين ،وعيين طغربك اخية إبراهيم ينال واليا على الموصل[3]، ولم تدم الأمور طويلا للسلاجقة اذ سرعان ما تمرد إبراهيم ينال على اخية طغرلبك تاركا الموصل متوجها" الى مدينة همذان فاعادت الموصل وبغداد مرة أخرى بيد الفاطميين عن طريق البساسيري **فقال ابن الاثير**[4] **:**" **عاد إبراهيم ينال إلى همذان سار طغرلبك خلفه ورد وزيره**

---

(1) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص 645؛ ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ،ج1،ص175 ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج1 ، ص 346.

(2) المصدر نفسة ، ج9،ص 639.

(3) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص 87 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص 641 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج1 ،ص 176.

(4) الكامل في التاريخ ، ج9،ص 639.

عميد الملك الكندري[1] وزوجته إلى بغداد .وكان مسيره من نصيبين في منتصف شهر رمضان ووصل إلى همذان وتحصن بالبلد وقاتل أهلها... ثم إن البساسيري وصل إلى بغداد يوم الأحد ثامن ذي القعدة ومعه أربعمائة غلام غاية الضر والفقر ... وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر...".

وقد أشار ابن الاثير[2] الى ان المؤيد في الدين وبالتعاون مع البساسيري، والذي بدورة قد أشار على ابراهيم ينال بإعلان الثورة والتمرد على أخيه طغرلبك وطمّعه في الملك والتفرد به، كما وعده بمساعدته ومده بالقوات العسكرية والأموال ضد أخيه السلطان طغرلبك.

ومن خلال النص السابق فقد تبين ان إبراهيم اعلن العصيان والتمرد على أخيه في همدان سنة (451هـ/1059م).،الا ان طغرلبك تمكن من اعادته الى طاعته عن طريق ارسال وزيره الكندري، والذي بدورة تمكن من اقناع إبراهيم بالدخول في طاعة أخيه مرة أخرى ،فضلا عن ذلك ان عميد العراق كان يرى من الضروري إيقاف القتال مع البساسري لحين استقرار الأوضاع الخارجية للدولة العباسية والقضاء على جميع حركات التمرد والعصيان ضد السلاجقة ، كما ان الوضع الداخلي في بغداد كان يسير في مصلحة البساسيري لا سيما بعد اتفاق اهل بغداد على نصرة البساسيري بسبب سوء معاملة الناس من قبل السلاجقة واضطراب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بسبب سوء الإدارة .

الا ان رئيس الرؤساء على الرغم من قلة معرفته بالحرب كان له راي اخر اذ كان يرغب باستمرار القتال للقضاء على البساسيري فستأذن احد القضاة في بغداد فأذن له من غير علم

([1]) عميد الملك الكندري : ابو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب بعميد الملك الكندري ، كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة ، واستوزره السلطان طغرلبك السلجوقي ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة، وهو اول وزير للدولة السلجوقية ، كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي حتى بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان ألب أرسلان السلجوقي في لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن في ذلك فلعنهم وأضاف إليهم الأشعرية فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم أبو القاسم القشيري وإمام الحرمين الجويني وغيرهما ففارقوا خراسان، وأقام إمام الحرمين بمكة أربع سنين يدرس ويفتي فلهذا قيل له إمام الحرمين فلما جاءت الدولة قبض عليه السلطان ألب ارسلان ثم قتله في سنة(456هـ) .ينظر: ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج16،ص251؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج9،ص526؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5 ، ص 138؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج18 ، ص 314 .

([2]) الكامل في التاريخ ، ج9،ص 639؛ ينظر كذلك: النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج23 ، ص 130؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج30 ، ص 29.

عميد العراق، فخرج بحملة عسكرية للقتال فكانت خطة البساسري استدراجهم فتظاهر بالانسحاب ،فلما أبعدوا حمل عليهم فعادوا منهزمين وقتل منهم جماعة ، ومات في الزحمة جماعة من الأعيان ونهب باب الأزج[1] وكان رئيس الرؤساء واقفا دون الباب فدخل لداره وهرب كل من في الحريم[2].

ولما بلغ عميد العراق فعل رئيس الرؤساء لطم على وجهه ، كيف استبد برأيه ولا معرفة له بالحرب[3]، ورجع البساسيري إلى معسكره واستدعى الخليفة عميد العراق وأمره بالقتال على سور الحريم فلم يرعهم وقد نهب الحريم وقد دخلوا باب النوبي[4] فركب الخليفة لابسا السواد وعلى كتفه البردة وبيده سيف وعلى رأسه اللواء وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة فرأى النهب قد وصل إلى باب الفردوس من داره فرجع إلى ورائه ومضى نحو عميد العراق فوجده قد استأمن إلى قريش[5]، **وقد روى ابن الاثير[6] ردة فعل الخليفة بقوله: "فعاد وصعد المنظرة وصاح رئيس الرؤساء يا علم الدين يعني قريشا أمير المؤمنين يستدنيك فدنا منه فقال له رئيس الرؤساء قد أنالك الله منزلة لم ينلها أمثالك وأمير المؤمنين يستذم منه على نفسه وأهله**

([1]) باب الأزج: هي محلة كبيرة ذات اسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد عدة محال كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة ، وينسب إليها الأزجي ، والمنسوب إليها من أهل العلم وغيرهم كثير جدا . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص168.

([2]) ويقصد به حريم دار الخلافة ببغداد ، وهي في وسطها ، عليه سور دائر يتحيز به يبتدئ من دجله وينتهي اليها وهذا الحريم مشتمل على محال وأسواق وأدوار للناس فهو مدينة كبيرة . وبين دور الرعية ودار الخلافة أيضا سور. ينظر: ابن ناصر الدين ، توضيح المشتبة ، ج3، ص202.

([3]) ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ، ج9،ص 639.

(4) باب النوبي: من أبواب دار الخلافة العباسية في بغداد ويعرف بالباب الرابع، كما سمي بالنوبي، نسبة إلى الحاجب سعيد النوبي الذي كان يجلس عنده، ويعرف أيضاً بأسم باب العتبة، نسبة إلى العتبة التي يُقَبِّلها الرسل والامراء والملوك ورؤساء الحجاج إذا قدموا بغداد. وهذه العتبة عبارة عن اسطوانة من الرخام الابيض موضوعة امام الباب الداخلي. ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج2، ص251؛ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج12، ص257، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج23، ص477.

([5]) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ امم والملوك ، ج16 ، ص 33 ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج1 ، ص 177 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج15 ، ص 757.

([6]) الكامل في التاريخ ، ج9،ص 642؛ينظر كذلك: الذهبي ، العبر ، ج2 ، ص 295 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 11 ؛ حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، ج4 ، ص 190.

وأصحابه بذمام الله تعالى وذمام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذمام العربية ، فكان جوابه بان بالموافقة"

يوضح لنا النص السابق الحالة التي وصلت لها الخلافة العباسية، والتي استفادت منها كثيرا الدولة الفاطمية في السيطرة على العراق اذ بينت مدى قوة حليف الفاطميين البساسيري الذي انظمت لحركته العديد من القوات، فضلا عن استسلام مدينة بغداد لقريش بن بداران والذي اصبح المتصرف بأمور المدينة، وعلى الرغم من التحالف بين قريش والبساسيري نجد ان قريش منح الخليفة العباسي الأمان والذي كان قد استسلم له فمنحة الأمان دون العودة الى البساسيري.

وعندما علم بذلك أرسل إليه البساسيري قائلا " أتخالف ما استقر بيننا وتنقض ما تعاهدنا عليه فقال قريش لا وكانا قد تعاهدا على المشاركة في الذي يحصل لهما وأن لا يستبد أحدهما دون الآخر بشيء فاتفقا على أن يسلم قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيري لأنه عدوه ويترك الخليفة عنده فأرسل قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيري فلما رآه قال مرحبا بمهلك الدول ومخرب البلاد فقال العفو عند المقدرة فقال البساسيري قد قدرت فما عفوت أنت صاحب طيلسان وركبت الأفعال الشنيعة مع حرمي وأطفالي فكيف أعفو أنا وأنا صاحب سيف "[1].

وأما الخليفة فقد حمله قريش راكبا إلى معسكره وعليه السواد والبردة وبيده السيف وعلى رأسه اللواء وأنزله في خيمة وأخذ أرسلان خاتون زوجة الخليفة، وهي ابنة أخي السلطان طغرلبك فسلمها إلي أبي عبد الله بن جردة[2] ليقوم بخدمتها[3]، ونهب دار الخلافة وحريمها أياما، وسلم قريش الخليفة إلى ابن عمه مهارش بن المجلي[4]، وهو رجل فيه دين وله مروءة فحمله في هودج

([1]) الكامل في التاريخ ، ج9،ص 643؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج5 ، ص 250 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج15 ، ص 757 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج3 ، ص 574.

(2) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

([3]) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج23 ، ص 132 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج30 ، ص 35 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج3 ، ص 574 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص 253.

(4) محيي الدّين أبو الحارث مهارش بن المجلّي بن عكيث بن قنان بن شغب بن المقلّد العقيليّ المضريّ صاحب الحديثه، كان من الأمراء الكبراء، وهو الذي أقام عنده الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وكان يجتهد في خدمته ،كان محبّا لأهل العلم والخير، وتوفي في صفر سنة 454هـ/1062م، وكانت داره برحبة الجامع من بغداد. ينظر: ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج5، ص111؛الصفدي ، الوافي بالوفيات ،ج8،ص221؛ ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج3،ص288.

هودج وسار به إلى حديثة عانة فتركه بها وسار من كان مع الخليفة من خدمه وأصحابه إلى السلطان طغرلبك مستنفرين[1] .

ومن الإجراءات التي قام بها البساسيري عند سيطرته على بغداد هو جمع القضاة والأشراف في بغداد، وأخذ منهم البيعة للمستنصر بالله الفاطمي فبايعوا قهراً[2] ، والبس الخطباء والمؤذنون الثياب البيضاء شعار الدولة الفاطمية ، وفي يوم عيد الأضحى ركب البساسيري وعبر إلى المصلى بالجانب الشرقي وعلى رأسه الألوية المصرية فأحسن إلى الناس وأجرى الجرايات على المتفقهة ولم يتعصّب لمذهب ، وأفرد لوالدة الخليفة القائم بأمر الله دارا وكانت قد قاربت تسعين عاما" ، وأعطاها جاريتين من جواريها للخدمة [3] .

اما مصير رئيس الرؤساء ابي القاسم بن المسلمة فقد وضع في السجن ثم قتل بعد ذلك ،**وقد روى ذلك ابن الاثير[4] قائلا**": " **وأما رئيس الرؤساء فأخرجه البساسيري آخر ذي الحجة من محبسه بالحريم الطاهري مقيدا وعليه جبة صوف ... وهو يقرأ ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ [5] وبصق أهل الكرخ في وجهه عند اجتيازه بهم لأنه كان يتعصب عليهم وأعيد إلى معسكر البساسيري وقد نصبت له خشبة وأنزل عن الجمل وألبس جلد ثور وجعلت قرونه على رأسه وجعل في فكيه كلابان من حديد وصلب فبقي يضطرب إلى آخر النهار ومات** "، و قام البساسيري أيضا بقتل عميد العراق [6].

---

(1) الكامل في التاريخ ، ج9،ص 643؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج3 ، ص 1353 ؛ ابن ميسر ، اخبار مصر ، ج2 ، ص 10؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 12 ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 321.

([2]) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص 44 ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص 47 ؛ الذهبي ، العبر ، ج2 ، ص 295 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 9.

([3]) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص 36-37 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 343 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج15 ، ص757 .

([4]) الكامل في التاريخ ، ج9،ص 644؛ ينظر كذلك : ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج3 ، ص1353 ؛ ابن ميسر ، اخبار مصر ، ج2 ، ص 10؛ ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج1 ، ص 178 ؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج23 ، ص 132 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج20 ، ص216 الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج30، ص 251.

([5]) سورة آل عمران ، الآية 26.

(6) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 344 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 13.

وفي ضوء ما تقدم نستنتج ان الوضع السياسي والإداري في الدولة العباسية خلال سيطرة السلاجقة كان سيء جدا دفع اهل السنة الى التوافق مع الشيعة والانضمام الحركة البساسيري رغبه منهم للتخلص من السيطرة السلجوقية التي ارهقت الناس في العراق بسبب شدة الصراع بينهم على تولي الامارة او قيادة السلاجقة او الانفصال عنها ، اما الشيعة فقد وقفوا الى جانب البساسيري ،لانه كان يدعو باسم الدولة الفاطمية، فضلا عن قيامه بتطبيق شعار الفاطميين على الفقهاء والمؤذنين بلباسهم الثياب البيضاء والتي تدل على انهم يؤيدون الدولة الفاطمية او انهم اعتنقوا تقية المذهب الإسماعيلي بعد اخذ البساسري البيعة منهم للخليفة المستنصر بالله .

وارسل البساسيري للمستنصر بالله الفاطمي يبلغه بما فعله وكان الوزير هنالك أبا الفرج ابن أخي أبي القاسم المغربي[1] وهو ممن هرب من البساسيري، لان الوزير يبغضه، وكان يحرض الخليفة الفاطمي ويحذره من اجابته او ارسال المساعدات له، سيما وان الوزيركان يعمل تحت امرة البساسيري في بغداد ويرصد تحركاته[2]، وسار البساسيري من بغداد إلى واسط والبصرة فملكهما وأراد قصد الأهواز فأنفذ صاحبها هزارسب بن بكير[3] إلى دبيس بن مزيد يطلب منه ان يصلح الأمر على ما يحمله إليه فلم يجب البساسيري إلى ذلك وقال لا بد من الخطبة للمستنصر والسكة باسمه فلم يفعل هزارسب ذلك، ورأى البساسيري أن طغرلبك يمد هزارسب بالعساكر

---

(1) ابو الفرج المغربي ، ابو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي وكانت اسرته في خدمة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (386–411هـ) فقتلهم ، ثم سار بعد ذلك الوزير ابو الفرج الى المغرب وخدم هناك وتنقلت به الاحوال وبعد عودته الى مصر اصطفاه الوزير اليازوري وولاه ديوان الجيش ولما تولي البابلي الوزارة قبض عليه واعتقله وتقررت له الوزارة وهو في الاعتقال في سنة (450هـ/1058م) واقام فيها سنتين وشهوراً وهو آخر من وزر لهم من اصحاب الاقلام وتوفي سنة(478هـ/1086م) . ينظر: ابن الصيرفي، الاشارة الى من نال الوزارة، ص47؛ المناوي ، محمد حمدي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص258–259، 311 .

(2) أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2 ، ص178 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج30 ، ص36 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج1 ، ص352.

(3)هزارسب بن بكير: هو تاج الملوك هزارسب بن بكير بن عياض الكردي احد الامراء الاتراك من قادة طغرلبك السلجوقي تولى البصرة وارجان وشيراز وخوزستان. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج16، ص3؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص644.

فصالحه وأصعد إلى واسط في سنة 451هـ/1059م ، وفارقه صدقة بن منصور بن الحسين الأسدي ولحق بهزارسب وكان قد ولي بعد أبيه[1].

ونستنتج من ذلك ان الدعوة الفاطميين قد امتدت الى مناطق واسعة في العراق اذ شملت مناطق شمال العراق ووسطه وجنوبه ،وبذلك حقق الفاطميون طموحاتهم في السيطرة على العراق وانتزاعها من العباسيين حتى وان كانت لفترة قصيرة، مستغلين انشغال السلاجقة بتمرد إبراهيم ينال في بلاد فارس، وقد تم ذلك بفعل الجهود الكبيرة التي قام بها البساسيري ،يساعده في ذلك الداعي الفاطمي المؤيد في الدين الشيرازي، والذي كان يرسل اليه الخطط العسكرية والامدادات لإدامه السيطرة الفاطمية على العراق.

وما ان تخلص طغرلبك من تمرد أخيه إبراهيم ينال في الري وخراسان عاد للسيطره على العراق وليس له هم إلا إعادة القائم بأمر الله إلى داره فأرسل إلى البساسيري وقريش بن بدران في إعادة الخليفة إلى داره على أن لا يدخل طغرلبك العراق ويقنع بالخطبة والسكة[2]، فلم يجب البساسيري إلى ذلك فرحل طغرلبك إلى العراق فوصلت مقدمة جيشه إلى قصر شيرين[3] فوصل الخبر إلى بغداد فانحدر البساسيري وأولاده، ورحل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم في دجلة [4]

وثار أهل باب البصرة إلى الكرخ فنهبوه وأحرقوا درب الزعفران [5]، ووصل طغرلبك إلى بغداد وكان قد أرسل إلى قريش بن بدران من يشكره على فعله بالخليفة، وحفظه على صيانته ابنة أخيه امرأة الخليفة وكان ذلك سنة (450هـ/1058م)[6].

([1]) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج16 ، ص45؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج9،ص 646؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص321.

([2]) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج15 ، ص766.

([3]) قصر شيرين :هو موضع قريب من قرميسين بين همذان وحلوان في طريق بغداد إلى همذان وفيه أبنية عظيمة شاهقة يكل الطرف عن تحديدها ويضيق الفكر عن الإحاطة بها ، وهي إيوانات كثيرة متصلة وخلوات وخزائن وقصور وعقود ومتنزهات ومستشرفات وأروقة وميادين ومصايد وحجرات تدل على طول وقوة ، وكان السبب في بناء قصر شيرين ، وهو إحدى عجائب الدنيا ، أن أبرويز الملك وكان مقامه بقرميسين أمر أن يبنى له باغ يكون فرسخين في فرسخين وأن يحصل فيه من كل صيد حتى يتناسل جميعه ووكل بذلك ألف رجل. ينظر : الهمذاني ، البلدان ، ص448؛ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4، ص358.

(4) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، ج9، ص410.

([5]) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9،ص 646.

([6]) المصدر نفسه ، ج9 ، ص647 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج3 ، ص573.

ولمّا سمع قريش بن بدران بقصد طغرلبك العراق أرسل إلى مهارش بن المجلي يقول له: "أودعنا الخليفة عندك ثقة بأمانتك لينكف بلاء الغز عنا والآن فقد عادوا وهم عازمون على قصدك فارحل أنت وأهلك إلى البرية إذا علموا أن الخليفة عندنا في البرية لم يقصدوا العراق تحكم عليهم بما تريد. فقال مهارش :" كان بيني وبين البساسيري عهود ومواثيق نقضها وإن الخليفة قد استخلفني بعهود ومواثيق لا مخلص منها"[1].

ومن خلال النص يتبين لنا استخدام المتصارعين الخليفة العباسي القائم بأمر الله كوسيلة للحصول على الأمان من الطرف المنتصر خاصة، وان السلاجقة تعتبر القوة الأفضل على الساحة العسكرية من البساسيري لذا طلب قريش من ابن عمه مهارش عدم تسليم الخليفة للبساسري ، والرحيل الى منطقة امنة واستخدامه كرهينة للحصول على مايريد من السلاجقة الا ان مهارش رفض ذلك لان البساسري لم يفي بالعهود والمواثيق التي قطعها للامير مهارش، وبالمقابل فان الخليفة العباسي كان قد استحلف مهارش وطلب منه الحماية وعدم ارساله الى عدوه البساسيري.

وسار مهارش ومعه الخليفة سنة 451هـ/1059م إلى العراق وجعلا طريقهما على بلد بدر بن مهلهل[2] ليأمنا من يقصدهما [3]، ولمّا سمع طغرلبك بوصول الخليفة إلى بلد بدر أرسل وزيره الكندي والأمراء والحجاب وأصحبهم الخيام العظيمة والسرادقات والتحف من الخيل بالمراكب الذهب وغير ذلك فوصلوا إلى الخليفة وخدموه ورحلوا ووصل الخليفة إلى النهروان[4]، وخرج

([1]) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج15 ، ص769 .

([2]) بدر بن مهلهل: هو الأمير بدر بن مهلهل بن محمد بن عناز الكردي صاحب الامارة الكردية والتي عرفت بالعنازية والتي امتد نفوذها من مدينة كرمنشاه الى داقوق ومندلي والنعمانية وسط العراق ، وهو من الشيعة وكان الأمير أبو الشوك فارس بن محمد بن عناز عم بدرمالكا قرميسين والدينور وغيرهما معروفا بالتشيع. يتظر : ابن مسكويه ، تجارب الأمم ، ج7،ص339 ومابعدها ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9،ص136؛ محسن الأمين ، اعيان الشيعة ، ج3، ص547.

([3]) الكامل في التاريخ ، ج9،ص 647؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج15 ، ص769.

([4])النهروان : ينبع من نواحي أذربيجان نهرا إلى جانب العراق فيسقي قرى كثيرة ثم يصب ما بقي منه في دجلة أسفل المدائن ، ولهذا النهر اسمان أحدهما فارسي والآخر سرياني ، فالفارسي جوروان والسرياني تامرا ، فعرب الاسم الفارسي فقيل نهروان والعامة يقولون نهروان وهي ثلاثة نهروانات : الأعلى والأوسط والأسفل ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة ، منها : إسكاف وجرجرايا والصافية ودير قنى وغير ذلك . ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص325

السلطان إلى خدمته فاجتمع به وقبل الأرض بين يديه وهنأه بالسلامة وأظهر الفرح بسلامته واعتذر من تأخره بعصيان إبراهيم، وأنه قتله عقوبة لما جرى منه من التمرد والعصيان على الدولة العباسية وبوفاة أخيه داود بخراسان وأنه اضطر إلى التريّث حتى يرتب امر المملكة ويوزع الولاة ويرتب أمور الولاية ، وتعهد له بانه سوف يعمل على القضاء على البساسيري ثم يتوجه الى بلاد الشام ثم مصر لأسقاط الخلافة الفاطمية فيها [1] .

وقد أشار ابن الاثير[2] الى ان طغرلبك قد وضع نهاية البساسيري على يده اذ ارسل قوات عسكرية مؤلفة من ألفي فارس نحو الكوفة فأضاف إليهم عدة سرايا، وكان قد امرهم بمنع البساسيري من التوجه الى بلاد الشام لغرض محاصرته في العراق وعزله عن انصارة في بلاد الشام، وهذا يعني ان السلطان طغرلبك كان يعرف نوايا البساسيري وخططه مسبقا نتيجة لطريقة البساسيري في التعامل مع السلاجقة ، فضلا عن ذلك فان انسحابه باتجاه الشام يعني اتصاله بحلفائه الفاطميين اذ من الممكن ان يقنعهم بارسال الامدادات العسكرية له مما يصعب الامر على طغرلبك في القضاء علية [3]. الامر الذي دفع البساسري الى جعل واسط مقر له ،وطلب العون من انصاره في البصرة اذ كتب لهم بالإتحاف به ، وطلب من دبيس بن مزيد ان يرسل له قوات عسكرية من اجل التصدي لقوات السلطان طغرلبك الا ان ابن مزيد غدر بالبساسيري ولم يقف الى جانبه خشيته من قوة السلاجقة بعد ان رتبوا امورهم في بغداد واعادوا الخليفة العباسي اليها[4]. وكان السلطان طغرلبك قد سار في أثرهم فلم يشعر دبيس بن مزيد والبساسيري بهم، وقد وصلت إليهم من طريق الكوفة بعد أن نهبوها، وقد أشار ابن الجوزي[5] الى ان وزير السلطان طغرلبك أبو علي[6] قد عمل على كسب ابن مزيد الى جانبه، اذ بعث اليه برسالة بين فيها له مدى رضا طغرلبك عنه لطاعته وولائه للسلاجقة طالبا" منه ان يسلم البساسيري ومن معه

([1]) الاصفهاني ، عماد الدين محمد بن محمد بن ماجد (ت597هـ/1200م) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، 2004م،ص 38؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج9،ص 647.

([2]) الكامل في التاريخ، ج9،ص649؛ ينظر كذلك: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج16، ص53؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ص771؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2 ، ص179.

([3]) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص53 ، البو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ، ج2، ص771.

([4]) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج23، ص234.

(5) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج16 ، ص53.

(6) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

اليهم ، وهذا يعني ان السلاجقة كانوا عازمين على القضاء على البساسسري من خلال تفتيت التحالفات التي عقدها البساسبري مع ابن مزيد صاحب مدينة الحلة مما يجعله وحيدا" في ساحة المعركة بعد عزله عن حلفائه من الدولة الفاطمية ، وقد استجاب ابن مزيد لطلب الوزير الكندري وانسحب إلى البطيحة[1] ورحل بأهله فيتبعهم الأتراك، وقد حاول نور الدولة رد العرب إلى قتال الاتراك فلم يستطع[2]، ووقف البساسيري في جماعته وحمل عليه الجيش فأسر من أصحابه أبو الفتح بن ورام منصور وبدران وحماد بنو نور الدولة دبيس وضرب فرس البساسيري بنشابة وأراد قطع لجام فرسه لتسهل عليه النجاة فلم ينقطع وسقط عن الفرس، ووقع في وجهه ضربة ودل عليه بعض الجرحى فأخذه كمشتكين دواتي عميد الملك الكندري وقتله وحمل رأسه إلى السلطان[3]،وأخذ الجند أموال أهل بغداد وأموال البساسيري ومع نسائه وأولاده وهلك من الناس الخلق العظيم، وأمر السلطان بحمل رأس البساسيري إلى دار الخلافة فحمل إليها ووصل سنة 451هـ /1059م فنظف وغسل وجعل على قناة وطيف به، وصلب قباله باب النوبي[4] .

وفي ضوء ما تقدم نجد ان الدولة الفاطمية قد خسرت وجودها في العراق نهائيا بعد مقتل البساسري وضاعت الجهود التي بذلها المؤيد في الدين الشيرازي بسبب ظهور السلاجقة كقوة عسكرية على الساحة السياسية في العراق، ومناصرتهم للخلافة العباسية، ورغبة السلاجقة بان يكونوا هم القوة المسيطرة على المنطقة ، فضلا عن الخطط التي وضعها طغرلبك للقضاء على البساسري اذ تمكن من استمالة دبيس بن مزيد، والذي خذل في النهاية البساسيري و تمت مهاجمته في واسط قبل ان يتوجه الى بلاد الشام خوفا من حصوله على امدادات من الدولة الفاطمية، والتي كانت قد قصرت كثيرا في هذا الامر اذ لم تستمر في تقديم الدعم للبساسيري الذي وجد نفسه في نهاية الامر وحيدا امام السلاجقة ؛ وذلك بفعل الوشاية به لدى المستنصر

---

(1) البطيحة : وهي ارض بين مدينة واسط ومدينة البصرة ، تغلب عليها في اوائل ايام بني بويه اقوام من اهلها وتحصنوا بالمياه والسفن وجارت تلك الارض عن طاعة السلطان ، وصارت تلك المياه لهم كالمعاقل الحصينة الى ان انقضت دولة الديلم ودولة السلاجقة . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1 ، ص451 .

(2) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9، ص646؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج3، ص465.

(3) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج9، ص649؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج9، ص407.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، ص90 ؛ الاصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص45 ؛ ابن الجوزي ، ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج16 ، ص55 ؛ ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص222 ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 647.

بالله من قبل الوزير المغربي والذي دفع الخليفة الفاطمي بعدم الاستجابة للبساسيري، وعدم ارسال المساعدات له؛ ويعود السبب في ذلك الى العداء مابين الوزير المغربي والبساسيري سيما وان المغربي كان تحت امرة البساسري، ولكنه تمرد عليه وهرب بعد ذلك الى مصر، فضلا عن شك الخليفة الفاطمي في نوايا البساسري وتخوفه من تمرده وعدم ولائه للدولة الفاطمية حال احكام سيطرته على العراق ، ولولا انعدام تلك الثقة لدى الخليفة الفاطمي لاستمرت الدعوة الفاطمية في العراق لوقت أطول من ذلك ولما تمكن الخليفة العباسي من العودة مرة أخرى لكرسي الخلافة والخطبة له في بغداد بمساندة من السلاجقة .

ومن الأمور الأخرى التي سهلت الامر على السلاجقة في القضاء على البساسيري عودة الداعي المؤيد الى مصر والتي اثرت كثيرا على البساسيري واتباعه ، فضلا عن طبيعة جيش البساسيري والذي تكون من عناصر متعددة من الاتراك والعرب والاكراد الذين كانت بينهم مشاكل ومنافسة وظهور العنصرية والتمييز في الجيش، ولم تكن العوامل السابقة وحدها سبب في خسارة الوجود الفاطمي في العراق فقد كان للعامل الاقتصادي والمجاعات وانتشار الامراض وارتفاع الأسعار التي حدثت في مصر سبب في اخفاق الفاطميين لاستمرارهم في دعم البساسيري، وبالتالي نهاية الوجود الفاطمي في العراق ولم تقم بعد ذلك أي محاولة فاطمية لاستعادة العراق او السيطرة عليه مرة اخرى.

8- دويلات بلاد ما وراء النهر

لم يكتفي الفاطميون بنشر الدعوة الإسماعيلية في العراق بل امتدوا الى بلاد ما وراء النهر فقد نشط الإسماعيليين في نشر الدعوة هناك منذ البدايات الأولى لقيام الدولة الفاطمية [1]، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها الفاطميون في بلاد ما وراء النهر كالنكبة[2] التي حدثت للإسماعيليين سنة 301هـ/914م. فضلا عن ذلك فقد واجه الفاطميون اضطهاد كبير من قبل سلاطين بلاد ما وراء النهر الذين كانوا يدينون بالولاء والطاعة للدولة العباسية اذ تعرضوا للقتل وحرق كتبهم[3].

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الادب ، ج1، ص322.

(2) وسميت النكبة الإسماعيلية بالنكبة العظمى، وفيها وقف انتشار الدعوة الإسماعيلية. ينظر: أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص402.

(3) أبن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج9، ص372.

وقد روى ابن الاثير[1] حالهم بقوله: "أوقع بغراخان صاحب ما وراء النهر بجمع كثير من الإسماعيلية وكان سبب ذلك أن نفرا منهم قصدوا ما وراء النهر ودعوا إلى طاعة المستنصر بالله العلوي صاحب مصر فتبعهم جمع كثير وأظهروا مذاهب أنكرها أهل تلك البلاد. وسمع ملكها بغراخان خبرهم وأراد الإيقاع بهم فخاف أن يسلم منه بعض من أجابهم أهل تلك البلاد فأظهر لبعضهم أنه يميل إليهم ويريد الدخول في مذاهبهم وأعلمهم ذلك وأحضرهم مجالسه ولم يزل حتى علم جميع من أجابهم إلى مقالتهم فحينئذ قتل من بحضرته منهم وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها ففعل بهم ما أمر وسلمت تلك البلاد منهم"

3- باليمن

أن علاقة الدولة الفاطمية مع اليمن كانت جيدة ؛ وذلك لأن الأسرة الصليحية([2]) هي التي كانت تحكم في تلك الفترة بقيادة علي بن محمد الصليحي([3])، ذكر ابن الأثير([4]) أن الصليحي كان من الموالين للخليفة الفاطمي المستنصر بالله وأهدي له عشر الآلف دينار ولم يكن لهم عهد بمثل ذلك، وجد المستنصر بالله في الأسرة الصليحية خير حليف في نشر الدعوة الفاطمية في

---

(1)المصدر نفسة ، ج9، ص525.

(2) الاسرة الصليحية : وهي من اهم الاسر التي حكمت اليمن، ويعتبر محمد بن علي هو المؤسس الفعلي لهذه الاسرة الحاكمة وقد لعبت دورا" كبيرا" في نشر الدعوه الاسماعلية في اليمن بدعم وتوجيه من قبل الخلافة الفاطمية، وقد تمكن محمد بن علي من السيطرة على بلاد اليمن واتخذ من صنعاء عاصمة له ،قتل سنة 459 هـ/1067م من قبل بنو نجاح .ينظر : ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص615؛ابن خلكان وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، ج5، ص229؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج33، ص108.

(3) علي بن محمد الصليحي ، ظهر في اليمن واستولى عليها داعيا إلى الدولة الفاطمية فيها، وكان ابتداء أمره أنه لما مات المنصور الحسن ابن زادان صاحب مسور وهو أحد الداعيين للفاطميين استخلف على أهل دعوته رجلا من بنى شاور وهوعبد ال له بن عباس وابنه حسين بن المنصور ، وأمرهما بالمحافظة على دينهما ، وألا يقطعا دعوة بنى عبد الله المهدي ، وأمرهما بمكاتبة المهدي ، فإذا ورد أمره بولاية أحدهما سمع الآخر له وأطاع ، الا ان الصليحي قام بالدعوة فوصلت إليه كتب المهدى بولايته وعزل أولاد المنصور. ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص 438، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص219؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج33، ص105؛ الشمري، استقرار قبيلة همدان في الكوفة حتى نهاية العصر الأموي، ص109.

(4) الكامل في التاريخ، ج8، ص73؛ينظر كذلك: العسقلاني، رفع الآصر عن قضاة مصر، ص194.

اليمن، اذ عمل على القضاء على دولة بني نجاح(1) التي كانت عقبة للفاطميين في نشر الدعوة الفاطمية في اليمن، وتجنب الصليحي أن يدخل معهم في صدام مباشر وقام بتدبير الحيل للقضاء عليها في الخفاء، حتى نجحت سياسة المستنصر بالله في إظهار الدعوة الإسماعلية في عام(453هـ/ 1061م)([2]).

ومما يثبت حسن العلاقة بين المستنصر بالله واليمن وثبوت ولاء علي الصليحي له هو ارسال الصليحي في عام(453هـ- 1061م) إلى المستنصر بالله هدايا ثمينة وهي عبارة عن سبعين سيفا" جميع مقابضهم من العقيق، وأرسل معهم أثني عشر سكينا" نصبها من العقيق الخالص، وخمسة أثواب وفصوص من العقيق ، ومسك وعنبر([3])، وما كان من المستنصر الا أرسل إليه رايات والقاب وعقد له الولاية، ويمكن القول أنه في فترة حكم المستنصر بالله استطاعت الدولة الفاطمية أن تحكم سياستها الخارجية في بلاد اليمن، وأصبحت الخطبة تقرا في اليمن للمستنصر بالله ([4]).

وقد ذكر بن الاثير([5]) أن الصليحي أصبح نائبا عن المستنصر بالله وراعيا لدعوته وسياسته الخارجية باليمن، ومن شدة الثقة بينهم كان المستنصر بالله يستعمل الصليحي لنشر الدعوة الفاطمية خارج اليمن، حيث طلب المستنصر بالله من الصليحي الذهاب إلي الحجاز ونشر الأمن بين أهلها، وبالفعل استجاب علي الصليحي لطلب المستنصر وذهب إلي مكة وأظهر العدل والإحسان واستطاع أن يستميل قلوب الناس، وكسا البيت الحرام بثياب بيض وهذا يعني

---

(1) بني نجاح: وهم اسرة حكمت باليمن واتخذت من مدينة زبيدة مقر لها سنة 403هـ/1013م، اذ استولى نجاح على اليمن وكان نجاح مولى مرجان الحبشي وكان مرجان مولى حسين بن سلامة وحسين مولى رشد ورشد مولى زياد وكان لنجاح عدة من الأولاد منهم : سعيد الأحول وجياش ومعارك وغيرهم وبقي نجاح في ملك اليمن حتى توفي في سنة 452هـ/1060م و قيل إن الصليحي أهدى إليه جارية جميلة فسمت نجاحاً ومات بالسم. ينظر: ابي الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج2، ص153؛ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج4،ص216؛القلقشندي، مأثر الاناقة في معالم الخلافة، ج2، ص42.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص219؛ عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص137- 138.

([3]) اليماني، كشف أسرار الباطنية واخبار القرامطة، ص43.

(4) أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص162.

(5) الكامل في التاريخ، ج8، ص96؛ الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج1، ص 340؛ ابن ظهيرة، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، ص100.

حرصه علي اظهار ولائه للدولة الفاطمية وللخليفة المستنصر بالله حيث كان اللون الأبيض، هو شعار الفاطميين.

ومن ذلك يتضح لنا بشكل جلي شكل السياسة الخارجية للمستنصر بالله في اليمن التي أخذت الطابع السلمي بين الدولتين ومدى ثقة المستنصر بالله بالصليحين واطمئنانه على حماية مصالح الدولة الفاطمية في بلاد الحجاز، ومنحه ألقاب عدة منها: الأمير، وسيف الامام، أمير الأمراء، شرف المعالي، الأجل، الأوحد، نظام المؤمنين [1] كجزء من رعاية المستنصر بالله لمؤيده، وتقدير وثناء من الخليفة المستنصر بالله على جهود الصليحي لسياسته الخارجية[2].

واستمرت السياسة الخارجية للمستنصر بالله في بلاد اليمن على هذا المنوال حتي بعد مقتل على الصليحي الذي تم قتله عام(459هـ/1067م)([3]) وهو في طريقه لأداء فريضة الحج، اذ تم قتل علي الصليحي علي يد سعيد الأحوال الذي اعترضه وهو في طريقه إلى الحج وقام بقتله انتقاما لقتل والده وذلك في عام (459هـ/ 1073م)، وبمقتل علي الصليحي ضعف شأن اليمن وانقسمت إلي عدة إمارات[4] وعند تولية ابنه أحمد الاكرم الحكم عام (461هـ/ 1068م) سارع المستنصر بالله الى أرسال كتاب يعزيه في والده ويقره له على ما كان تحت حكم أبيه، وعهد إليه بإدارة شؤون الدعوة الفاطمية من أجل الحفاظ على المستوى الرفيع الذي وصلت اليه العلاقات السياسية بين البلدين، ونصحه بأن يتبع سياسة والده في العلاقة بينهم([5]) ، وضرورة بقاء اليمن

---

(1) المستنصر بالله ، السجلات المستنصرية، ص32- 33.

(2) المصدر نفسه، ص37؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمال افريقيه ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط1، بيروت، 2001م، ص372.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص55.

(4) تامر، تاريخ الإسماعلية (الدولة الفاطمية الكبرى)، ج3، ص168؛ الشحماني، اليمن الانسان والحضارة، ص131-135.

(5) كان نص الكتاب ما يلي :"وكان والدك الأمير الأجل، الأوحد، أمير الأمراء، عمدة الامامة، تاج الدولة، شرف المعالي...علي بن محمد الصليحي ممن خدم الدين فاخدمه الله سبحانه الدنيا... هذا ولما عرف أمير المؤمنين انك نجيب وابن نجيب، وفرع من شجر سقي من ماء تهذيب، راي وبالله توفيقه، أن يمد إليك بالاصطناع يدا هي الباسطة ليد أبيك، ويطمح نحوك بجميل الإذراع عينا يقر الله بها عينه (أي عين الأمام) فيك، وأن يجعلك خليفة لدينه ودنياه ، وخلفا صالحا في يومي مماته ومحياه، وأن يشرفك من خاص ملابسه ما تباهي بمفاخرة، وأن يزيد في ألقابك الزيادة الباقي جمال ذكرها في أعقابك، لتنشر في المحاضر، وتتلي من فروق المنابر، فعليك بتقوي الله سبحانه وطاعته في سر أمرك وجهره، وتدرع خشيته ومراقبته في عسر ما نابك ويسره،

تحت طاعة الفاطميين وولائها للسياسة الفاطمية، فقد كان المستنصر بالله حريص علي تشجيع التداول السلمي للحكم فبتولي احمد الاكرم بن علي الصليحي سدة الحكم في اليمن يعتبر في حد ذاته عاملا مطمئنا للخليفة الفاطمي على سلامة نهجهم السياسي في هذه البلاد، فضلا عن حرص أحمد الصليحي على توطيد علاقته السياسية بالفاطميين[1].

وأكدت الخلافة الفاطمية على ضرورة تمسك أحمد الصليحي في ولائه ودعمه لتوجيهات الخليفة المستنصر بالله السياسة له، وأرسل رسالة قال فيها: " وانه عرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك كتاب خير خلف لخير سلف، نبت في منبت الولاء والبراء وعذي من شجرة (طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء)... فاعلم انك خليفته في بلاد اليمن وعماده، وعدته وسناده... واعتمد شرائط ما نفذ إليك من سجل التقليد، يرفع الله به منارك)[2].

ولم يعطي ابن الاثير الكثير من المعلومات عن علاقة الفاطميين باليمن سوى معلومات قليلة عن هذه العلاقة، وقد ارتئينا ان نجمل في هذه الاسطر طبيعة العلاقة بينهما ، فبعد وفاة المكرم أحمد الصليحي عام (484هـ/ 1091م) تولى أمر اليمن الأمير المظفر[3] الا أنه سرعان ما عزل من منصبه بأمر من المستنصر بالله الخليفة الفاطمي بعد ما طلبت منه السيدة الحرة [4]

وطاعة إمامك الذي بطاعته يقبل الله سبحانه منك الطاعة..." ينظر : المستنصر بالله ، السجلات المستنصرية، ص32-33.

(1) الهمداني، حسين بن فيض الله الجهني، الصلحيون والحركة الفاطمية في اليمن(268- 626هـ)، مكتبة مصر، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1955م، ص304؛ محمود، حسن سليمان، تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، مطبعة بغداد، بغداد، 1969م، ص184- 185.

(2) المستنصر بالله، السجلات المستنصرية، ص197-198.

([3]) الأمير المظفر: هو الأمير الأجل الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء، أبي حمير سبأ بن أحمد المظفر بن علي الصليحي تولي امارة اليمن بعد وفاة أحمد الصليحي ولكن سرعان ما عزل وتولي بدل منه على عبد المستنصر وذلك بأمر من السيدة الحرة والدة على عبد المستنصر. ينظر: عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص 60.

([4]) السيدة الحرة: هي أروى بنت أحمد الصليحي، كانت تتمتع بقدر كبير من الذكاء والأخلاق الفاضلة، بجانب أنها كانت جميلة الوجه، امتدت فترة حكمها في اليمن من عام 477 -532هـ /1085-1138م. ينظر: عمارة، تاريخ اليمن، ص61-62؛ غالب، اعلام الاسماعلية، ص144-145.

التي كانت لها مكانة كبيرة في اليمن أن يعين ابنها علي بن المستنصر[1] مكانه، وبالفعل استجاب المستنصر بالله لطلبها الا أن المستنصر سرعان ما توفي وهو صغير السن[2].

ومما يدل على خضوع اليمن للدولة الفاطمية وتأكيدا على رغبة اليمن في دخولها في طاعة الفاطميين في تلك الفترة أنه بعد وفاة على عبد المستنصر مارس المستنصر بالله حقه السياسي على الملكة الحرة وبدأ يتدخل في الأمور الشخصية للأسرة الصليحية وأمر السيدة الحرة بالزواج من الداعي سبأ بن أحمد[3]،على الرغم أنها كانت رافضه في البداية الا أنها استجابت فيما بعد للحفاظ على العلاقات السياسية بين البلدين، فبعد موت ابنها مارس المستنصر بالله حقه عليها بالطاعة لغرض القبول بالزواج السياسي من سبأ بن أحمد[4] وذلك بغرض استقرار هذه البلاد والحفاظ على استقرار هذه الأسرة التي تمتعت بثقة الفاطميين والخليفة المستنصر بالله وحافظت على مصالحهم السياسية، فقد كانت هناك لغة تفاهم سياسي تسعى الي الود بين المستنصر بالله وملكة اليمن[5].

5- بلاد الشام

لم تكن السياسة الفاطمية تحمل طابع الود تجاه بلاد الشام مقارنة مع سياستها مع الدولة البيزنطية وبلاد اليمن فقد أخذت هذه السياسة منحنى أخر تمثل بعدم خضوع إمارة بلاد الشام للمستنصر بالله مثلما كان يفعل في اليمن، فقد ذكر ابن الاثير أنه في عام 430هـ/1039م قام

([1]) علي بن المستنصر: هو علي بن المستنصر، أمه هي الملكة أروى ، اتخذ صنعاء عاصمة له، وعمر القصور وخطط الشوارع، وعكف على خدمة شعبه، وقام بالعديد من الخدمات العامة والإصلاح، وكان يعامل شعبه بالحسني، وكان يخرج من الأموال والصدقات، وأعطي الحرية المطلقة لليمن على الرغم من اختلاف مذاهبهم وعقائدهم، وطابت قلوب الرعية له. تامر، ملكة اليمن، ص36.

([2]) المستنصر بالله، السجلات المستنصرية ، ص123.

([3]) سبا بن احمد: هو سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، اتصف بالشجاعة والجود، وكان شاعرا ومحبا للشعر، ولكنه كان دميم الوجه، وتقدم لخطبة السيدة أروى ملكة اليمن فكرهت ذلك، الا أنها وافقت بعد ذلك بعد ما توسط المستنصر بالله الفاطمي في هذه الزيجة وتوفي عام 492هـ/1099م، البار، تاريخ عدن واليمن عبر العصور إلى عهد العبادلة، ج2، ص 175.

([4]) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج33، ص110؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص215.

([5]) ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، 2006م، ص227، 228؛ بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص276.

شبيب بن وثاب النميري[1] صاحب امارة حران والرقة ببلاد الشام بعدم ذكر الخطبة باسم المستنصر بالله، وقام بذكر الخطبة باسم الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن النميري كان يساند نصر الدولة بن مروان[2] أمير الموصل الذي بلغه بأن هناك جيشا بقيادة القائد التركي أنوشتكين الدزبري نائب العلوين بالشام يريد قصد بلاده، فراسل شبيبا بالشام يدعوه إلي مساندته وقطع الخطبة العلوية واستبدالها بالخطبة العباسية فأجابه إلي طلبه[3].

و أشار ابن الأثير[4] إلى ان العلاقات السياسة بين إمارة حلب بالشام وبين المستنصر بالله في فترة حكم شبل الدولة كانت عدائية فنصر بن صالح بن مرداس الذي كان يساند ملك الروم، والذي دخل في عام 429هـ/1099م في حرب مع عسكر المستنصر بالله الذي كان بقيادة الدزبري، اذ أرسل ملك الروم إلى أمير حلب ليستقوي به على المستنصر، وما كان من ابن مرداس الا أن أرسل إليه جيشا ليساند فيه ملك الروم ضد الفاطميين ، ولعل السبب في ذلك أن ابن مرداس كان يخشى الدزيري، فقد ذكر ابن الأثير[5] ان الدزبري وعساكر مصر ساروا إلى الشام فأوقعوا بصالح بن مرداس وابن الجراح الطائي فهزمهما وقتل صالحا وابنه الأصغر وملك جميع الشام.

وفي ضوء ما تقدم يبدو ان الخلافات الشخصية والاطماع الانفصالية بين الامراء والقادة العسكريين كان لها اثر على استقرار وامن المناطق الخاضعة للسيطرة الفاطمية ومن خلال الاطلاع على المصادر تبين لنا ان أسباب العداء بين ابن مرداس وبين الخلفية الفاطمي هي ان الدزبري وجد ان هناك تقارب بين الطرفين لا سيما ان المستنصر بالله قد اعطى ولاية حمص

---

(1) شبيب بن وثاب: هو شبيب بن وثاب النميري أخته السيدة علوية أمرأه نصير، وتوفي عام 431هـ/1040م، واستولى أخوه مطاعن على ما كان تحت حكمه من بلاد الشام بعد موته. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 235؛ابن العديم، زبدة الطلب في تاريخ حلب، ج12، ص85.

(2) نصر الدولة: هو أحمد بن مروان بن دوستك الكردي الحاربختي، هو الابن الثالث لمروان صهر باد الكردي، ولد بمصر عام 367هـ/978م، وتوفي عام 453هـ/1061م ، ملك جميع ديار بكر منذ مقتل الأمير أبي علي،= =وأحسن السياسة، ومنع الفسق وكان يحاربهم، تزوج ثلاثة نساء من الملوك، والرابعة كانت جارية مصرية .ينظر: ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج10،ص17؛ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، ج5، ص127؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج18،ص118؛الفارقي، تاريخ الفارقي، ص104، الزركلي، الاعلام، ص256.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 233.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص 247.

(5)المصدر نفسه ، ج8، ص 168.

لابن مرداس مما اثار ذلك الدزبري وخشي على نفوذه في بلاد الشام فقام بالإيقاع به وتحريض الخليفة الفاطمي ضده ، وبدأ يعد العدة للقضاء عليه فجمع قواته العسكرية ، بعد ان اتفق مع الروم بعدم التدخل في الصراع مع ابن مراداس و تعهد بدفع الأموال اليهم فتم له ذلك اذ تمكن من تحقيق الانتصار على نصر بن صالح سنة 429هـ/1038م، والذي قتل على يد عساكر الدزبري بعد عدة صدامات عسكرية [1]

الا ان الدزبري خرج عن طاعة الفاطميين، واعلن العصيان رغبة في الانفصال ببلاد الشام عن الدولة الفاطمية، **وقد أورد ابن الاثير[2] ذلك في موضع اخر بقوله: "وبقي شبل الدولة مالكا لحلب إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، فأرسل إليه الدزبري العساكر المصرية وصاحب مصر حينئذ المستنصر بالله فلقيهم عند حماه فقتل في شعبان وملك الدزبري حلب في رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وملك الشام جميعه وعظم أمره وكثر ماله وارسل يستدعي الجند الأتراك من البلاد ، فبلغ المصريين عنه أنه عازم على العصيان فتقدموا إلى أهل دمشق بالخروج عن طاعته ففعلوا فسار عنها نحو حلب في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وتوفي بعد ذلك بشهر واحد".**

واستمر عدم الود في العلاقات السياسية بين المستنصر بالله وبلاد الشام، ففي عام 434هـ/1043م أرسل المستنصر بالله إلى ثمال بن مرداس([3]) والي حلب في تلك الفترة، يطلب منه أن يحمل إليه جميع ما بقلعته في حلب من المال الا أنه عصاه، بعد ان استغل موت الدزبري اذ كان يخشاه وقد أشار الى ذلك ابن الاثير[4] **قائلا**": "**وكان أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بمعز الدولة بالرحبة ، فلما بلغه موت الدزبري جاء إلى حلب فملكها تسليما من أهلها وحصر امرأة الدزبري وأصحابه بالقلعة أحد عشر شهرا وملكها في صفر ستة أربع وثلاثين وأربعمائة فبقي فيها إلى سنة أربعين ، فأنفذ المصريون إلى محاربته أبا عبد الله بن**

---

(1) ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ،ج١ ، ص215؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج٢، ص184.

(2)الكامل في التاريخ، ج9، ص 231.

(3) ثمال بن مرداس: هو معز الدولة أبي العلوان ثمال بن صالح بن مرداس، من أمراء الدولة المرداسية، تولي حكم حلب بعد موت ابيه، عام 443هـ، ووصله تشريف من المستنصر بالله عندما تولي الحكم، ودرت الأرزاق في أيامه على الناس، وعرف عنه الشجاعة والكرم، ينظر :الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17، ص375؛ ابن خلدون، ، تاريخ ابن خلدون ج4، ص372– 373.

(4) الكامل في التاريخ، ج9، ص 233.

ناصر الدولة بن حمدان فخرج أهل حلب إلى حربه فهزمهم واختنق منهم بالباب جماعة ، ثم إنه رحل عن حلب وعاد إلى مصر وأصلبهم سيل ذهب بكثير من دوابهم وأثقالهم فأنفذ المصريون إلى قتال معز الدولة خادما يعرف برفق[1] ، فخرج إليه في أهل حلب فقاتلوه فانهزم المصريون وأسر رفق ومات عندهم وكان أسره سنة إحدى وأربعين وأربعمائة في ربيع الأول"

.

ثم إن معز الدولة بعد ذلك أرسل الهدايا إلى المصريين وأصلح أمره معهم وتنازل لهم عن حلب فأنفذوا إليها أبا علي الحسن بن علي بن ملهم[2] ولقبوه مكين الدولة فتسلمها من ثمال سنة 449هـ/1057م ، وسار ثمال إلى مصر وأخوه أبو ذؤابة عطية بن صالح[3] إلى الرحبة وأقام ابن ملهم بحلب ، وسمع ابن ملهم أن بعض من أهل حلب قد كاتبوا محمود بن شبل الدولة يستدعونه ليسلموا البلد إليه فقبض على جماعة منهم [4]، فاجتمع أهل البلد واشتدوا وراسلوا محمودا يستدعونه وحصروا ابن ملهم وجاء محمود وحصره معهم سنة 452هـ/1060م.

ووصلت هذه الأخبار إلى مصر فسيروا ناصر الدولة أبا علي بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر بعد اثنين وثلاثين يوما من دخول محمود حلب فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب

---

(1) رفق المستنصري عز الدولة أمير الأمراء للمستنصر ولي دمشق في أيامه، ووجّهه الخليفة الى حرب المرداسيين في حلب فتم اسره وتوفي في اسره في سنة (441هـ / 1049م).ينظر:الصفدي ، الوافي بالوفيات ،ج14،ص93؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج18، ص158.

(2) الحسن بن علي: هو مكين الدولة الحسن بن علي بن دينار العقيلي، أحد قادة الدولة الفاطمية تسلم حلب من المرداسيين سنة 449هـ/1057 للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وقد شهدت حلب في مدة ولايته استقرارا فقد عدل بين الرعية ورخصت الأسعار وبنى الكثير من الأبراج وبنى سور حلب، الان الوضع لم يدم طويلا اذ قام بني كلاب باثارة المشاكل في حلب مما دفع ابن ملهم بمغادرتها سنة 453هـ/1061م. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج4، ص175؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج1، ص335.

(3) عطية بن صالح بن مرداس، أبو ذوابة، ويلقب بأسد الدولة، من بني كلاب بن عامر بن صعصعة: أمير مرداسي، كانت له حلب، تولاها استقلالا بعد وفاة أخيه ثمال سنة 454 هـ/1062م، وبعهد منه، وحدثت فتنة بين أهل حلب والترك المقيمين فيها، وأكثرهم من جنده، فخرج رؤساء الترك إلى حران وفيها محمود ابن نصر بن صالح (ابن أخي عطية) فأعانوه على مهاجمة حلب، فامتلكها سنة 457 هـ. ولحق عطية بالرقة فملكها مدة، وتغلب عليه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة 463هـ/1071م، فانصرف عطية إلى بلاد الروم فمات في القسطنطينية. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص232؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص274؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص238.

(4) ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص140.

إلى البرية واختفى الأحداث جميعهم ، وكان عطية بن صالح نازلا بقرب البلد وقد كره فعل محمود ابن أخيه فقبض ابن ملهم على مائة و خمسين من الأحداث ، ونهب وسط البلد وأخذ أموال الناس [1].

وأما ناصر الدولة فلم يمكن أصحابه من دخول البلد ونهبه ، وسار في طلب محمود فالتقيا فانهزم أصحاب ابن حمدان وثبت هو وجرح فحمل إلى محمود أسيرا فأخذه وسار إلى حلب فملكها وملك القلعة في شعبان سنة 452هـ/1060م ، وأطلق سراح ابن حمدان فسار هو وابن ملهم إلى مصر ([2])، فجهز المصريون معز الدولة ثمال بن صالح إلى ابن أخيه فحاصره في حلب في ذي الحجة من السنة [3]، فاستنجد محمود خاله منيع بن شبيب بن وثاب النميري صاحب حران فجاء إليه فلما بلغ ثمالا مجيئه سار عن حلب إلى البرية في المحرم سنة 453هـ/1061م ، وعاد منيع إلى حران فعاد ثمال إلى حلب، وخرج إليه محمود ابن أخيه فاقتتلوا وقاتل محمودا قتالاً شديداً ([4])، ثم انهزم محمود فمضى إلى أخواله بني نمير بحران، وتسلم ثمال حلب في ربيع الأول سنة 453هـ وخرج إلى الروم فغزاهم ثم توفي بحلب في ذي القعدة سنة 454هـ/1062م ([5]).وكان كريما حليما وأوصى بحلب لأخيه عطية بن صالح فملكها [6].

لم يتمكن أمراء بني مرداس من الاحتفاظ بسلطانهم في حلب لأنهم كانوا مهددين من ناحية الفاطميين كما تعرضوا لهجوم السلاجقة، وقد أخذ نفوذهم يزداد في عهد السلطان الب ارسلان الذي جمع صفوفهم وبسط سلطانهم على جهات واسعة في شرق الدولة الإسلامية، **وقد أورد ذلك ابن الاثير[7] بقوله: "سار السلطان ألب أرسلان إلى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج إليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل إليه إقامة عرف السلطان أنه قسطها على البلاد فأمر بردها، ووصل إلى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره، وسار إلى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار على حلب وقد**

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 234.

(2) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص87.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 235.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ، ص88؛ ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون، ج4،ص274.

(5) المصدر نفسه، ص90.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 236.

([7]) المصدر نفسه، ج10، ص 64.

وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس راض بالرسالة القائمية والخلع فقال له محمد صاحب حلب أسألك الخروج إلى السلطان واستعفاءه لي من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بأنه قد لبس لبس الخلع القائمية ".

يمكن القول أن العلاقات السياسية بين المستنصر بالله الفاطمي وبلاد الشام لم تكن على ما يرام، فمعظم حكامها لم يدينوا بالولاء والطاعة للدولة الفاطمية، كما ان شعوب هذه المناطق كانت تتطلع للتخلص من السيطرة الفاطمية بسبب الاختلاف العقائدي والديني، فضلا عن سوء الإدارة من قبل الولاة الفاطميين اتجاه هذه الشعوب .

اما فلسطين فقد خرجت أيضا من سيطرة الفاطميين بعد ان ملكها السلاجقة اذ تمكن اتسز[1] من السيطرة عليها **وقد أشار ابن الاثير[2] الى ذلك بقوله: "قصد أتسز بن أوق الخوارزمي وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلاد الشام فجمع الأتراك وسار إلى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها إلى بيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابعا لنهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الأمر بالناس فصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد فعاد عنه وأدام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الأقوات عندهم".**

وقد اتخذها من الرملة قاعدة عسكرية له واسقط الدعوة والخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله(422-467هـ/1031-1075م) وبذلك قطعت الخطبة للفاطميين من احدى الاماكن المقدسة والمهمة بالنسبة للفاطميين، كما تمكن السلاجقة من الاستيلاء على عكا [3] بعد حصار طويل سنة (467هـ/1075م) فضلا عن توجه

([1]) اتسز: هو اتسز بن أواق الخوارزمي التّركي حصر مدينة دمشق فغلت فيها الأسعار، ثمّ ملك البلد صلحاً، ونزل دار الإمارة داخل باب الفراديس، وخطب باسم الدولة العباسية، وقطعت دعوة المصريّين، سنة 468هـ ، وقيل إنّه ولي دمشق بعد حصاره إيّاها دفعات ، وأقام الدّعوة لبني العبّاس ، وتغلّب على أكثر الشّام ، وقصد مصر ليأخذها فلم يتمّ له ذلك، ثم قبض عليه تتش وقتله واستولى على مملكته وذلك في سنة 471هـ . ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج7، ص348؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج32، ص38؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص295.

(2) الكامل في التاريخ، ج10، ص 68؛ ينظر كذلك: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص85.

(3) عكّا: مدينة كبيرة، من ثغور الشام واسعة بينها وبين طبرية يومان، وهي قاعدة مدن الإفرنج بالشام، وكانت مرفأ كل سفينة، ومجمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق، سككها وشوارعها=

توجه بدر الجمالي الى القاهرة وكان قد ترك فيها اهله وامواله واتخذها شكلياً قاعدة له ، وأخيراً سقطت دمشق بيد اتسز سنة 468(هـ/1076م)، بعد حصار طويل واقام الخطبة للخليفة العباسي[1].

ولم يكتفي بذلك فتوجه اتسز بقواته الى مصر لمحاصرتها من اجل السيطرة عليها واسقاط الدولة الفاطمية التي كانت تعاني من أوضاع داخلية حرجة ، فضلا عن رغبة السلاجقة بأخذ الثائر من الدولة الفاطمية التي اقلقت تواجدهم في العراق اثناء حركة البساسيري ، **فقد أشار الى ذلك ابن الاثير[2] بقوله: "سار اتسز من دمشق إلى مصر وحصرها وضيق إلى أهبها ولم يبق غير أن يملكها فاجتمع أهلها مع ابن الجوهري الواعظ في الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاءهم فانهزم أتسز من غير قتال وعاد على أقبح صورة بغير سبب فوصل إلى دمشق وقد يفرق أصحابه فرأى أهلها قد صانوا مخلفيه وأمواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة** " .

وفي رواية أخرى قال ابن الاثير[3]" ان أتسز لما وصل إلى مصر ونزل بظاهر القاهرة أساء أصحابه السيرة في الناس وظلموهم وأخذوا أموالهم وفعلوا الأفاعيل القبيحة فأرسل رؤساء القرى ومقدموها إلى الخليفة المستنصر بالله العلوي يشكون إليه ما نزل بهم فأعاد الجواب بأنه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا له نحن نرسل إليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد أمنوا في البلاد فنثور بهم في ليلة واحدة ونقتلهم وتخرج أنت إليه فيمن اجتمع عندك من الرجال فلا يكون له بك قوة فاجابه إلى ذلك" .

الا ان بعض المصادر اشارت الى ان لبدر الجمالي دور كبير في التصدي للسلاجقة وإنقاذ مصر دون السقوط بيدهم، ولم يشر اليها ابن الاثير الا قليلا فمن النص السابق تبين لنا مدى ضعف الخلافة الفاطمية وعدم قدرتها على التصدي لهذا العدو لذا اضطر أهالي ورؤساء القبائل

=تغص بالزحام، أخذها الفرنج من أيدي المسلمين. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص143؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص410.

(1) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج7 ، ص348 ؛ابي الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ، ج2، ص192.

(2) الكامل في التاريخ، ج10، ص 103

(3)المصدر نفسة ، ج10، ص 104.

الى قصد الخليفة المستنصر بالله، وعرضوا عليه التطوع من اجل قتال اتسز وتسليح من لم يكن له سلاح فوافق على ذلك ، وكان لبدر الجمالي دور كبير في ابعاد هذا الخطر عن مصر الذي كان منشغل في اخماد الثورات التي اندلعت في صعيد مصر، فعندما سمع بمحاصرة مصر من قبل اتسز رجع فورا الى القاهرة وحشد قواته وقام بتسليح جميع القادرين على حمل السلاح واستدعى قوات عسكرية من صعيد مصر تقدر بثلاثة الاف رجل كانوا متجهزين للحج [1]، فاعلن ان الجهاد ضد الاتراك افضل من الحج ، وقد اجتمع اليه خلق كثير فوصل اليه بدر بن حازم امير قبيلة طي بجمع من القبائل فاصبح جيشه مؤلف من ثلاثين الف مقاتل، فضلا عن استمالة الفي فارس من العرب كانوا ضمن جيش اتسز؛ مما اثر على معنويات القوات التركية ، ثم اشتبكت قوات الجمالي مع اتسز التركي سنة(469هـ/1077م) تمكنت فيها القوات الفاطمية من تحقيق الأنتصار على القوات التركية ، وبذلك انقذ الجمالي الخلافة الفاطمية من سقوط وشيك بيد السلاجقة[2]،ويبدو ان هذا الكلام هو اقرب الى الصواب من الرواية الأولى لابن الاثير حول الطريقة التي هزم فيها اتسز وقواته التركية ونسحابه بعد ذلك الى دمشق .

وبعد الانتصار الذي حققه بدر الجمالي جهز قوات عسكرية سنة(471هـ/1078م)اسند قيادتها الى غلام ارمني يدعى منير الدولة الجيوشي[3] وأرسله الى بلاد الشام لاستعادتها من يد اتسز الذي انسحب الى بلاد الشام بعد هزيمته امام القوات الفاطمية في مصر، وقد تمكن الجيوشي من السيطرة على فلسطين وحاصر دمشق وكاد ان يسيطر عليها[4]، لولا استنجاد اتسز بتاج الدولة تتش بن الب أرسلان السلجوقي[5] الذي كان يحاصر مدينة حلب بتكليف من اخيه

---

(1) ابن ميسر، اخبار مصر، ص25؛ الداعي عماد الدين ادريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص181.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص141؛ النويري، نهاية الادب، ج28، ص238.

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص48؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص128.

(5) تتش بن الب أرسلان: تاج الدولة تتش بن السلطان أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكال السلجوقي أخو السلطان ملكشاه التركي. كان شجاعا مهيبا جبارا، ذا سطوة، وله فتوحات ومصافات، وتملك عدة مدائن، وخطب له ببغداد، وصار من كبار ملوك الزمان. قدم دمشق، فخرج ليتلقاه المتغلب عليها اتسز الخوارزمي فسلم عليه، ثم سار، وشد عليه تتش، فضرب عنقه، وأخذ البلد وجرت له أمور وحروب مع المصريين، وتملك بضع سنوات، ثم سار في سنة 488هـ/1095م ليتملك بلاد العجم، فقتل في المصاف بالري. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص234؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19، ص84.

ملك شاه الذي كان قد اقطعه بلاد الشام الإخراج الفاطميين منها فتوجه بقواته لنجدته مما دفع نصير الدولة الى الانسحاب نحو الساحل[1]، **وقد أشار ابن الاثير[2] الى ذلك بقوله: "كان أمير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فأرسل اتسز إلى تاج الدولة تتش يستنصره فسار إلى نصرة اتسز فلما سمع المصريون بقربه أجفلوا من بين يديه شبه المنهزمين وخرج اتسز إليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد في تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بأمور لم يقبلها تتش فقبض عليه في ألحال وقتله من ساعته وملك البلد وأحسن السيرة في أهله وعدل فيهم".**

وعلى الرغم من ذلك حاول امير الجيوش بدر الجمالي سنة (478هـ/1085م) من استرجاع بلاد الشام من السيطرة السلجوقية؛ وذلك لأهميتها بالنسبة له فقد ابتدأ فيها حياته السياسية، فضلا عن أهميتها الاقتصادية والعسكرية للدولة الفاطمية **وقد ذكر ابن الاثير[3] ذلك بقوله: "أن أمير الجيوش بدر وزير المستنصر سير العساكر إلى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها قد امتنع من طاعتهم فملكها وقرر أمورها وجعل فيها الأمراء ، وكان قد ولي مدينة صور الأمير يعرف بمنير الدولة الجيوشي".** وقد شجعت هذه الانتصارات بعض الامراء وسط الشام على الاتصال بالفاطميين وموالاتهم ليس على نحو ذلك فحسب ، بل اعلن خلف بن ملاعب صاحب حمص وافاميه[4] اعترافه الرسمي بتبعيه مراكز نفوذه للفاطميين واقامة الخطبة للخليفة الفاطميين المستنصر بالله[5].

الا ان الوضع في بلاد الشام لم يستقر على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها بدر الجمالي في استعادة هذه المنطقة الحيوية **فقد ذكر ابن الاثير[6] ذلك: " فعصى على المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور فسيرت العساكر من مصر إليه وكان أهل صور قد أنكروا على منير**

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج7، ص348؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص296

(2) الكامل في التاريخ، ج10، ص111.

(3)المصدر نفسة ، ج10، ص 223.

(4) افامية : وهي مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص227.

(5) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص220.

(6) الكامل في التاريخ، ج10، ص 224.

الدولة عصيانه على سلطانه فلما وصل العسكر المصري إلى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع ونهب من البلد شيء كثير وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا إلى مصر وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فأجحفت بهم ولما وصل منير الدولة إلى مصر ومعه الأسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم ".

يبدو النص السابق ان الدولة الفاطمية على الرغم من الضعف الذي أصابها الا انها كانت تحاول ان لا تخرج بلاد الشام عن سيطرتها اذ كانت بلاد الشام بمثابة السور الذي يحمي الدولة الفاطمية من خطر السلاجقة الراغبين بأسقاطها والتخلص منها.

وبالمقابل فان محاولة إعادة سيطرة الدولة الفاطمية على بلاد الشام وطرد السلاجقة منها اثارهم فاستنجد تاج الدولة تتش بأخيه السلطان ملكشاه[1] سنة (485هـ/1092م)، فامر السلطان ولاته في بلاد الشام بمساندة تتش والانضمام اليه فانظم صاحب حلب المعروف بلقب قسيم الدولة سنقر[2]،وامير انطاكية قتلمش[3] على الرغم من العداء مابينهم وبين تتش،وقد تمكن السلاجقة

---

(1) ملكشاه: هو السلطان جلال الدين أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقيّ . تولى الملك بعد أبيه، واتخذ نظام الملك وزيرا له ، واتسعت رقعة ملكه ، وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام بعد الخلفاء المتقدّمين ، وكان من أحسن الملوك سيرة ؛ حتى كان يلقب بالسلطان العادل ، وكان مظفرا في الحرب ، محبا للعمارة ، وحفر كثيرا من الأنهار ، وأقام الأسوار على كثير من البلدان ، وأنشأ الربط في الصحارى ، وصنع الحصون بطريق مكة ، وأبطل المكوس في جميع البلدان . توفى سنة 485هـ/1092م . ينظر:ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ،ج2، ص 123 ؛ابن تغري بريدي ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج 5 ،ص 134 .

(2) قسيم الدولة أبو الفتح آقسنقر التركي الحاجب، مملوك السلطان ملكشاه السلجوقي، وهو جد نور الدين الشهيد، وقيل لا، بل هو لصيق بملكشاه ، فيقال : اسم أبيه آل ترغان كان رفيع الرتبة عند السلطان وتزوج من بنت الملك إدريس بن طغان ، وقدم مع السلطان حلب حين حارب أخاه تاج الدولة ، ففر، وتملكها ملكشاه سنة 479هـ/1087م ، فقرر نيابتها لاقسنقر ، فأحسن السياسة ، وعمرت حلب ، وقصدها التجار ، وأنشأ منارة جامعها. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19، ص129.

(3) قتلمش ابن إسرائيل بن سلجوق بن دقاق، الملك شهاب الدولة التركماني السلجوقي، والد صاحب الروم سليمان بن قتلمش، وما زالت مملكة إقليم الروم في يد ذريته إلى أن أخذها منهم هولاكو كانت لقتلمش قلاع بعراق العجم، عصى على ابن عمه ألب آرسلان ، ثم عملا المصاف بنواحي الري في سنة ست وخمسين ، فانحلت المعركة ، فوجد قتلمش ميتا .فيقال : مات خورا ورعبا فلما رآه ألب آرسلان حزن ، وبكى عليه ، وجلس للعزاء ، فعزاه وزيره نظام الملك. ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج18، ص113.

من تحقيق الانتصار اذ تم السيطرة على حمص سنة 483هـ/1090م[1] ، وقد **أورد ابن الاثير**[2] **هذه الاحداث بقوله: "كان السلطان ببغداد قدم إليه أخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرها لما أذن لهم السلطان في لعود إلى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان أن يسيرا مع عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولي على ما لخليفة المستنصر العلوي بساحل الشام من البلاد ويسير وهم معه إلى مصر ليملكها فساروا أجمعون إلى الشام ونزل على حمص ...وسار الى أفامية فملكها أيضا وكان بها خادم للمصري فنزل بالأمان فأمنه ثم سار إلى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك بن عمار جيشا لا يدفع إلا بحيلة فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة وأطمعهم ليصلحوا حاله فلم ير فيهم مطمعاً"**

ومن خلال ما سبق يمكن الاستنتاج بان السلاجقة أصبحوا هم المسيطرين على بلاد الشام، وان الوجود الفاطمي في بلاد الشام قد تقلص تدريجيا بعد خسارة المناطق التي سبق وسيطر عليها الجمالي، والذي توفي فيما بعد ليتولى ابنة الأفضل [3] وزارة المستنصر بالله الفاطمي.

6- علاقته مع الحجاز

استمرت العلاقات ما بين الدولة الفاطمية وامراء الحجاز بالتأرجح من بين ولائهم للفاطميين تارة وللعباسيين تارة أخرى ؛مما أدى بالتالي الى عدم استقرار المنطقة سياسيا فقد روى ابن الاثير[4]ان امير مكة محمد بن ابي هاشم[5] قطع الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر وخطب للخليفة **العباسي**

---

(1) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص144.

(2) الكامل في التاريخ، ج10، ص202؛ ينظر كذلك: ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج3،ص477.

3- الأفضل الجمالي : هو أبو القاسم شاهنشاه أبو علي احمد بن بدر الجمالي الملقب بالافضل ، ولد بمصر سنة 458هـ/1066م وكان والده بدر الجمالي وزير للخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وقد تولى الوزارة بعد المرض الذي أصاب والده سنة 487هـ/1094م، وقد لعب دور كبير في الانقسام الذي كاد ان يطيح بالدولة الفاطمية بين النزارية والمستعلية والجيوشية والريحانية اذ كان يهدف من ذلك الثائر لمقتل عائلته على يد الامر بأحكام الله، وقتل سنة 515هـ/1021م .ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج2، ص184؛ الأمين ، اعيان الشيعة ، ج2، ص483.

(4) الكامل في التاريخ، ج10، ص 203.

(3)محمد بن ابي هاشم :هو محمد بن الحسن بن محمد بن موسى ،كان رئيس الهواشم، فاستولى على إمارة مكة في سنة 450هـ/1058م بعد موت شكر، وخطب للمستنصر الفاطميّ صاحب مصر، ثم خطب لبني العبّاس في سنة 458هـ/1066م فقطعت ميرة مصر عن مكة فعذله أهله على ذلك فأعاد الخطبة للمستنصر الفاطميّ ، ثم استماله

بقوله:" ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم ومعه ولده إلى السلطان ألب أرسلان يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكة وإسقاط خطبة العلوي صاحب مصر وترك الأذان على خير العامل فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار ، وقال إذا فعل أمير المدينة كذلك أعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار"

وقد ذكر ابن الاثير[1] ان السبب الذي دفع امير الحجاز الى قطع الخطبة عن الفاطميين واقامتها للعباسيين هو الازمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها مكة وانقطاع المساعدات المرسلة لها من مصر لنفس السبب قائلا":" وفيها كان بمكة غلاء شديد وبلغ الخبر عشرة أرطال بدينار مغربي ثم تعذر وجوده فأشرف الناس والحجاج على الهلاك ، فأرسل الله عليهم من الجراد ما ملأ الأرض فتعوض الناس به، ثم عاد الحاج فسهل الأمر على أهل مكة وكان سبب هذا الغلاء عدم زيادة النيل بمصر عن العادة فلم يحمل منها الطعام إلى مكة" وكان ذلك سنة (462هـ/1070م)، فضلا عن ذلك عدم قدرة الدولة الفاطمية على حماية طرق الحج وتأمين الحجاج ، فقد أشار الى ذلك ابن الاثير[2] بان انقطاع الحج من العراق كانت لأسباب أوجبت ذلك ، اذ سار الحاج من دمشق مع أمير الحج تاج الدولة تتش فلما قضوا مناسك الحج عادوا من مكة سائرين ارسل عليهم أمير مكة محمد بن أبي هاشم قوة عسكرية فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من أموالهم وجمالهم فعادوا الى مكة وطلبوا منه أن يعيد لهم ما أخذ منهم من أموال وشكوا إليه بعد ديارهم فأعاد بعض ما أخذ منهم فلما أيسوا منه ساروا من مكة عائدين ، فلما أبعدوا عنها ظهر مجموعة من قطاع الطرق من العرب في عدة جهات فاخذوا ما لديهم من مال و قتلوا منهم جماعة .

القائم العباسيّ وبذل له الأموال فخطب له ، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر إليه ، ثم بعث إليه السلطان ألب أرسلان السّلجوقيّ بأموال كثيرة في سنة ثلاث وستين فخطب له بنفسه . ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج4، ص275؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص103

(1) الكامل في التاريخ، ج9، ص 614؛ ينظر كذلك: الهاشمي، اتحاف الورى باخبار ام القرى، ج2، ص466.

(2) المصدر نفسه، ج10، ص 225، ينظر كذلك: ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج5، ص 84.

وعندما اخذت الأوضاع الاقتصادية في مصر بالتحسن بفعل السياسة التي اتبعها الوزير بدر الدين الجمالي[1]، أرسل المستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر(467هـ/1074م) إلى صاحب مكة ابن أبي هاشم رسالة وهدية جليلة، وطلب منه أن يعيد له الخطبة بمكة [2] وقال" إن ايمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان ألب أرسلان وقد ماتا فخطب به بمكة وقطع خطبة المقتدى بالله وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر ثم أعيدت للفاطميين [3].

وفي ضوء ما تقدم يبدو ان امير مكة محمد بن ابي هاشم كان هدفه من سياسته هذه توطيد نفوذه وسطوته على مكة، والحيلولة دون فقدانه السيطرة عليها، ففي حال ان استمر في التحالف مع العباسيين فان الدولة الفاطمية سترسل من يطرده من مكة عندما تسنح لها الفرصة، وكذا الحال بالنسبة للدولة العباسية، فضلا عن رغبة في الحصول على الأموال من أي طرف يشاء، كما انه لم تكن له رغبة في الانفصال عن الدولة الفاطمية او العباسية، لذ كان متذبذب في ولاءه للطرفين.

7-علاقتة مع بلاد المغرب

اتسمت العلاقات الفاطمية مع ولاة بلاد المغرب بالتأرجح بين العداء والصلح بحسب الظروف التي مرت فيها الدولة الفاطمية لا سيما ان الدولة الفاطمية قد شهدت الكثير من الاضطرابات الداخلية والخارجية، و جرت العديد من المحاولات في بلاد المغرب للانفصال عن الدولة الفاطمية التي بدأت منذ عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي(386-411هـ/ 996 -1020 م)، الا ان الحاكم تمكن من المحافظة على بلاد المغرب دون انفصالها بحكم سياسته الرشيدة؛ لذا بقيت بلاد المغرب تدين بالولاء والطاعة للفاطميين حتى تولى المستنصر بالله الفاطمي قيادة الدولة الفاطمية [4].

---

(1) عالج الوضع الاقتصادي بأن اهتم بالزراعة وأصلح قنوات الري فأطلق الخراج للفلاحين لمدة ثلاث سنين متتالية على أن يجبى في السنة الرابعة[1]، وصادف أن عاد نهر النيل إلى طبيعته الأولى، فعاد الفلاحون إلى قراهم وأخذوا يزرعون الأرض فجاء المحصول وفيراً، فانتظمت الزراعة وأدت إلى تراجع الأسعار حتى صار تليس القمح بربع دينار ، كما قام بدر بتشجيع التجار على المتاجرة مع مصر بعدما نزحوا عنها أيام الشدة، وذلك بتأمين الطرق والضرب على أيدي المفسدين فعادت القوافل التجارية تسير قوافلها من مصر وإليها فانخفضت الأسعار وطابت نفوس الناس وحسن الحال وقويت الهمة وأمنت الطرق. ينظر: ابن ميسرة، اخبار مصر،ج2، ص30؛المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج2، ص234؛ ماجد ، الإمام المستنصر بالله ، ص185.

(2) الكامل في التاريخ، ج10، ص 98.

(3) الفاسي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ،ج2،ص136.

(4) ماجد، الحاكم بامر الله، ص168.

وعلى الرغم من ذلك نجد ان الشيعة الفاطميين في بلاد المغرب قد تعرضوا للاضطهاد في ولاية المعز بن باديس[1] وقد اشار ابن الاثير[2] بان الشيعة قد تم اضطهادهم وقتلهم بجميع بلاد أفريقية ،وكان سبب في ذلك أن المعز بن باديس كان يتجول في القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له ، فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل له هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر فضمر لهم العداء؛ فعندما انصرف الناس إلى درب المقلي، وهو مكان كانت تتجمع فيه الشيعة فقام بقتل جماعة منهم ، مما أدى الى اضطراب الأوضاع الداخلية، وقام العسكر وأتباعهم في النهب والسلب وانبسطت أيدي العامة في الشيعة وأغراهم عامل القيروان وحرضهم على ذلك [3]؛ وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد ، فبلغه أن المعز بن باديس يريد عزله ، فأراد فساد البلاد واشعال نار الفتنه فيها فقتل من الشيعة خلق كثير وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم وقتلوا في جميع أفريقية ، واجتمع جماعة منهم إلى قصر المنصور قريب القيروان فتحصنوا به فحاصرهم العامة وضيقوا عليهم ، فاشتد عليهم الجوع فاقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم ، ولجأ من كان منهم بالمهدية إلى الجامع فقتلوا كلّهم [4]، ذكر هذه الحادثة فمن فرح مسرور ومن بات حزين [5].

ومن كل ماجرى نستنتج ان الطائفة الشيعية الإسماعيلية في بلاد المغرب أصبحت مضطهدة من قبل العامة، وأصبحت تستخدم كسلاح من قبل الولاة في اثارة المشاكل الداخلية، والاقتتال الطائفي؛ ويعود السبب في ذلك الى ان المعز بن باديس كان على المذهب المالكي،

---

(1) المعز بن باديس: هو المعز بن باديس بن المنصور بن بلقين ابنه تميم بن المعز أبو الطاهر ولاه أبوه المعز بن باديس المهدية سنة 445هـ/1054م وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وقد استفحل أمر العرب بعد هزيمتهم إياه واستشرى شرهم وجدوا في تخريب القيروان إلى أن تم لهم ذلك، ثم تخلى أبوه عن القيروان وخرج من المنصورية لائذا بالمهدية فنزل قصرها وأقام فيها إلى أن توفي سنة 501هـ /1108م. ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، ص22؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص304.

(2) الكامل في التاريخ، ج9، ص 295؛ ينظر كذلك: ابو الفداء، المختصر اخبار البشر، ج2، ص150.

(3) الأمين، اعيان الشيعية، ج1، ص196.

(4) خرج المعز في بعض الأعياد إلى المصلى في زينته وحشوده، وهو غلام فكبا به فرسه، فقال عند ذلك: أبو بكر وعمر! فسمعته الشيعة التي كانت في عسكره، فبادروا إليه ليقتلوه، فجاء عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان، ووضع السف في الشيعة، فقتل منهم ما ينيف على ثلاثة آلاف، فسمي ذلك الموضع بركة الدم . ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1،ص119.

(5) الكامل في التاريخ، ج9، ص 295.

وقد مال الى اهل السنة والجماعة، وكان مصر على القضاء على الوجود الشيعي في بلاد المغرب.

وعلى الرغم من اعلان المعز بن باديس الذي تولى قيادة بلاد المغرب بعد وفاة والدة شرف الدولة الولاء والطاعة للمستنصر بالله الفاطمي، الا انه كان يتطلع الى الانفصال عن الدولة الفاطمية وخلع الطاعة عنهم، **وقد ذكر ذلك ابن الاثير**[1] **بقوله:** "**ان المعز بن باديس كان خطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسي وقطع خطبة المستنصر العلوي صاحب مصر سنة أربعين وأربعمائة** ".

فلما فعل ذلك كتب إليه المستنصر بالله الفاطمي يتهدده قائلا :"هلا اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاء ... فأجابه المعز إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم واستمر على قطع الخطبة ولم يخطب بعد ذلك بإفريقية لأحد من الخلفاء الفاطميين "[2]. كما قام بأحراق بنوده وحذف اسمه من السكة والطراز وابدل رايات الفاطميين بالشعار العباسي الأسود، وقد ارسال اليه الخليفة العباسي الخلع والتقليد[3]

وقد أشار ابن الاثير [4] في موضع اخر عن قطع المعز بن باديس الخطبة للفاطميين وقيام الخطبة للقائم العباسي اذ اظهر ان المعز خطب للخليفة العباسي للقائم بامر الله في بلاد المغرب، وبالمقابل فقد رد العباسيين بارسال الخلع ومنحه التقليد على بلاد المغرب وجميع المناطق التي يسيطر عليها او التي يمكن ان ينتزعها من الدولة الفاطمية، فضلا عن ذلك فقد أرسل إليه سيف وفرس وأعلام على طريق القسطنطينية فدخل به الجامع والخطيب يخطب الخطبة الثانية فدخلت الأعلام فقال:" هذا لواء الحمد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم وأستغفر الله لي ولكم وقطعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت وأحرقت أعلامهم" .

---

(1) المصدر نفسه، ص 566.

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج5، ص234؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج24، ص210، مقديش ، محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التوريخ والاخبار ، تحقيق : علي الزواري ، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1988، ج1،ص366.

(3) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج1، ص400.

(4) الكامل في التاريخ، ج9، ص 522.

وكانت ردة فعل المستنصر بالله الفاطمي هي ارسال حملة عسكرية الى بلاد المغرب وقد نقل ذلك ابن الاثير[1] **بقوله: " إن المستنصر استوزر الحسن بن علي اليازوري ولم يكن من أهل الوزارة إنما كان من أهل التبانة والفلاحة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله الوزراء كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازوري بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع إلى ما يحب فأكثر الوقيعة في المعز وأغرى به المستنصر وشرعوا في إرسال العرب إلى الغرب فأصلحوا بني زغبة ورياح[2] وكان بينهم حروب وحقود وأعطوهم مالا وأمروهم بقصد بلاد القيروان وملكوهم كل ما يفتحونه ووعدوهم بالمدد والعدد فدخلت العرب إلى إفريقية وكتب اليازوري إلى المعز أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا ".**

وفي ضوء النص اعلاه نلحظ ان المستنصر بالله قد استشار وزيره الحسن بن علي اليازوري فعرض عليه ارسال العرب من زغبة ورياح وبني هلال وسليم[3] وكانوا يسكنون الجانب الغربي من مصر، وبني سليم يسكنون الحدود الشرقية المصرية وقد اثاروا المشاكل للمصريين، و كانوا متصارعين فيما بينهم ، فعمل الخليفة الفاطمي على الإصلاح ما بين المتخاصمين ، واعطاهم الأموال وارسلهم للسيطرة على بلاد المغرب وتمليكها لهم ، واوصاهم بان يكونوا متحدين، وكان تعدادهم ثلاثة الالف مقاتل، وقد أشار الى ذلك ابن الاثير[4] بانه لما وصلت القوات العسكرية الى أرض برقة والمناطق المجاورة لها وجدوا بلادا كثيرة المرعى خاليه من الأهل؛ لأن زناتة

---

(1)المصدر نفسة ، ج9، ص 566.

(2) وهم أبناء أبى ربيعة بن نهيك بن هلال ابن عامر هكذا نسبهم ، وهما قبيلتان من العرب، وبينهما حروب وعداوة، فأحضر الوزير مكين الدولة أبا علي الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي، أحد أمراء الدولة، وكان رجلا عاقلا، وسيره إلى زغبة ورياح بخلع سنية وأنعام كثيرة، وأمره أن يصلح ذات بينهما، ويتحمل ما بينهما من ديات، ويفديه بالزيادة في إقطاعاتهما. فلما تم له ذلك أمرهم بالمسير إلى المعز بن باديس، وأباحهم دياره. ينظر : ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج6،ص40؛المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج1،ص167.

(3) كانت بطون هلال وسليم من مضر لم يزالوا الى جانب الدولة العباسية ، تقع دياربنوا سليم مما يلي المدينة وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف وربما كانوا يطوفون رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق والشأم فيغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق وربما أغار بنو سليم على الحاج أيام الموسم بمكة وأيام الزيارة بالمدينة ثم تحيز بنو سليم والكثير من ربيعة بن عامر إلى القرامطة عند ظهورهم وصاروا جندا بالبحرين وعمان .ينظر : ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج6، ص13؛ الزركلي ، الاعلام ، ج8،ص91.

(4) الكامل في التاريخ، ج9، ص 568؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي، ج1، ص490.

أهلها أبادهم المعز بن باديس فأقامت العرب فيها واستوطنتها وعاثوا في أطراف البلاد . وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم ، وكان المعز لما رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد وأوسع لهم في العطاء فاجتمع له ثلاثون ألف منهم ، وكانت العرب قد ملكت مدينة طرابلس سنة446هـ/1054م، فتتابعت رياح والأثبج وبنو عدي إلى إفريقية وقطعوا الطريق وعاثوا في الأرض وأرادوا الوصول إلى القيروان فقال مؤنس بن يحيى المرداسي[1] :" ليس المبادرة عندي برأي فقالوا كيف تحب أن تصنع فأخذ بساطا فبسطه ثم قال لهم من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشي عليه قالوا لا نقدر على ذلك قال فهكذا القيروان خذوا شيئا فشيئا حتى لا يبقى إلا القيروان فخذوها حينئذ فقالوا إنك لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولسنا نقطع أمرا دونك".

ثم قدم أمراء العرب إلى المعز بن باديس فحاول استمالتهم لغرض استخدامهم بدلا من قبائل صنهاجة كقوة عسكرية فأكرمهم وبذل لهم شيئا كثيرا، فلما خرجوا من عنده لم يجازوه بما فعل من الإحسان بل شنوا الغارات وقطعوا الطريق وأفسدوا الزروع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن فضاق بالناس الأمر وساءت أحوالهم، وانقطعت أسفارهم ونزل بأفريقية بلاء لم ينزل بها مثله قط مما دفع المعز الى جمع عساكره وسار حتى أتى جندران [2]، وكان عدد العرب ثلاثة آلاف فارس فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم فقال لهم مؤنس بن يحيى:" ما هذا يوم فرار فقالوا أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكزاغندات[3] قال في أعينهم فسمي ذلك اليوم يوم العين "، والتحم القتال واشتدت الحرب فاتفقت صنهاجة على الهزيمة وترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم ويقتل أكثرهم فعند ذلك يرجعون على العرب فانهزمت صنهاجة، وثبت العبيد مع المعز فكثر فيهم القتل ، وأرادت صنهاجة الرجوع على العرب فلم يمكنهم ذلك،

---

(1) مؤنس بن يحيى: هو يحيى بن مؤنس المرداسي ، كان زعيما معروف بالشجاعة والمغامرة تزعم قيادة قبائل بني هلال وسليم ، وقد كانت له سيطرة وسلطة كبيره واسعة .ينظر ، مؤنس ، حسين ،معالم تاريخ المغرب والاندلس ، دار الرشاد للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص168.

(2) جندران وهو جبل بينه وبين القيروان ثلاثة أيام .ينظر: المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص.214

(3) الكزاغندات : هي ضرب من الملابس تشبه الخفتان أو القفطان، كانت ملبسة الديباج ومكوكبة بكواكب الفضة، وكانت مصنوعة من قماش متين جدًا؛ ولها أكمام طويلة وياقة عريضة، وهى مكسوة بالمخمل الأحمر القرمزى المرصع بمسامير نحاسية صغيرة، ولم يكن في استطاعة سكين أن تقطعه ، ولا يمكن للنصل أن ينفذ منها ليلحق بالجسد. ينظر : رجب ، عبد الجواد إبراهيم ، المعجم العربي الأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث ، تقديم : محمود فهمي حجازي، دار الافاق العربية ، القاهرة ، 2002م، ص424.

واستمرت الهزيمة ودخل المعز القيروان مهزوما على كثرة من معه، واخذت العرب الخيل والخيام وما فيها من مال وغيره[1]

ويتبين من خلال الاحداث السابقة ان الدولة الفاطمية ارادت استخدام شتى الطرق والوسائل الممكنة للمحافظة على بلاد المغرب والحيلولة دون فقدان السيطرة على هذا الجزء الحيوي، لذا استعانت بالقبائل العربية وملكتها المناطق التي تسيطر عليها على ان تحكم باسم الدولة الفاطمية ، فضلا عن استبعاد هذه القبائل التي شكلت قلق للدولة الفاطمية اذ كانت تغير على المصريين وتقطع الطرق .

حاول بعد ذلك المعز استعادة المناطق التي خسرها في بلاد المغرب فجمع سبع وعشرين الف فارس لمقاتلة العرب فهجم عليهم وقت صلاة العيد، ولكنه نهزم امامهم وقتل عدد كبير من جيشه، ثم جمع حشد اخر من قبائل صنهاجة وخرج بنفسه فانهزم مرة أخرى، ولم يبقى معه غير العبيد فقد انهزمت صنهاجة وزناتة وانسحبت من ارض المعركة، ثم انسحب المعز مع من بقي معه من العبيد وعاد الى المنصورية ودخل العرب الى القيروان ونهبوها [2].

وقام بالأمر من بعده ابنه تميم بن المعزّ بن باديس[3] وكان العرب قد سيطروا على بلاد المغرب ولم يبقى له سوى المنصورية ، واستمرّت الثّوّار في أيامه وبقي حتى توفي سنة 501هـ/1108م، وخلفه من بعده ابنه يحيى بن تميم[4] فراجع طاعة الفاطمين خلفاء الى المغرب

---

(1) الكامل في التاريخ، ج9، ص 568؛ ينظر كذلك: ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي، ج1، ص490؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج24،ص215.

(2) ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر ، ج2،ص171؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج24، ص214.

(3)تميم بن المعز بن باديس :هو السلطان أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصور الحميري ، الصنهاجي ، من أولاد الملوك ، كان بطلا شجاعا ، مهيبا سائسا ، عالما شاعرا ، جوادا ممدحا. ولد سنة (422هـ/1031م) ، وولي المهدية لأبيه سنة خمس وأربعين ، ثم بعد أشهر مات المعز ، وتملك هذا ، فامتدت أيامه إلى أن مات في رجب سنة إحدى وخمس مئة .ينظر: ابن خلكان ،وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، ج1،ص304؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء،ج19،ص264؛ ابن العماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج4،ص3.

(4)يحيى بن تميم : هو يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي الحميري ، أبو طاهر : صاحب إفريقية الشمالية . من ملوك الدولة الصنهاجية . تولاها بعد وفاة أبيه (سنة501 هـ/1108) وكان أبوه قد ولاه المهدية سنة 497هـ/1104م فلما استقل جعل الخطبة للفاطمين ، وكانت للعباسيين . كان عاقلا شجاعا محبا للفتح ، بنى أسطولا ضخما غزا به جنوة وسردينية ، وضرب على أهليهما الجزية . وله اطلاع على الأدب ، كان يقول الشعر ،

، فوصلته من الدولة الفاطمية المخاطبات والهدايا والتّحف ، وأكثر في عهده غزو الفرنجة وغيرهم ، حتى لقّبوه بالجرية من وراء البحر، ومات فجأة في قصره سنة 509هـ/1116م . وملك بعده ابنه عليّ بن يحيى[1] وقام بالأمر على طاعة خلفاء الفاطمين بمصر، ومات سنة 515هـ/1121م . وملك بعده ابنه الحسن بن عليّ [2] وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وكان النصارى قد غلبوا على المهديّة وبلاد الساحل كلَّها إلى أن استنفذها منهم عبد الله بن تومرت شيخ الموحّدين[3] ،وانقرضت دولة بني باديس من أفريقية نهائيا"[4].

وتركه بعد أن تولى . مولده ووفاته في المهدية ، وكان قد نفى بعض إخوته من بلاده فاحتال عليه ثلاثة منهم وأثخنوه بجراح (سنة 507 هـ/1114م)ومات بعد ذلك فجأة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج6،ص211؛ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12،ص221؛الزركلي ، الاعلام ، ج8 ،ص140.

(1) علي بن يحيى: هو علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي : صاحب إفريقية . وليها بعد وفاة أبيه (سنة 509 هـ/1116م) وكان في سفاقس ، فقدم المهدية في اليوم الثاني ، وأقام فيها . وكانت تونس في يد أحد الأمراء ، فاستردها علي منه . وتوالت الفتن بينه وبين الاعراب ، فكانت حاله معهم كحال أبيه وجده من قبله . واشتد ما بينه وبين روجر الثاني (صاحب صقلية) فأعد عدته ليهاجم صقلية ، فعاجلته المنية . وكان شجاعا حازما. ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج22،ص109؛ الزركلي ، الاعلام ، ج5،ص32.

(2)الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي : آخر ملوك الدولة الصنهاجية في إفريقية الشمالية . ولد بالمهدية . وولي بعد وفاة أبيه (سنة 515 هـ/1121م) وعمره اثنا عشر عاما ، فقام بأمره أعيان الدولة ، فاضطربت . وهاجمه روجار ملك صقلية ، فأخرجه من المهدية سنة 543 هـ /1149م، فرحل إلى جيش له كان أرسله لإعانة صاحب (المعلقة) على صاحب (تونس) ثم استقر في الجزائر ، وبايعه أهلها . وقصد عبد المؤمن ابن علي فأكرمه واصطحبه معه لاستنقاذ المهدية ، فافتتحها عبد المؤمن سنة 555 هـ /1160م، وأقطع الحسن جانبا منها . فأقام . ثم دعاه أبو يعقوب بن عبد المؤمن إلى مراكش ، فارتحل ، فمات في الطريق . وبوفاته انقرضت دولة (صنهاجة) في إفريقية. ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج12،ص74؛ ابن الابار ، الحلة السيراء ، ج2،ص393؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج6،ص161؛ ابن عذارى ،البايان المغرب ، ج1،ص308.

(2) عبد الله بن تومرت : أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري الهرغي المدعي أنه علوي حسني وأنه المهدي ، ولد سنة (485هـ/1092م) ، وتوفي سنة (528هـ/1133م) وكانت مدة ملكة ابتداءً من سنة (512هـ/1018م) . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص51.

(4) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج5،ص121؛النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ،ج20 ،ص221.

الفصل الرابع سقوط الدولة الفاطمية

المبحث الأول / اخبار الدولة الفاطمية في عصر الوزراء الأقوياء والقادة العسكريين (487هـ -567هـ/1094-1171م) عند ابن الاثير

شهد منصب الوزارة في الدولة الفاطمية ظروفا متقلبة تمثلت بتأرجحها من بين القوة والضعف وهذا يعود الى بعض الوزراء الأقوياء الذين لعبوا دورا" بارزا" في تعزيز قوة الدولة الفاطمية أمثال خطير الملك وبدر الجمالي واليازوري وغيرهم، وبالمقابل فان هناك وزراء اخرين عرفوا بضعفهم اذ تغلب عليهم قادة أقوياء سيطروا على إدارة الدولة ففقد منصب الوزارة قوته وهيبته[1] ، وبعد ذهاب عصر القوة ضعف منصب الوزارة بعد تحوله من يد الوزراء الذين كانوا يعرفون بالمدنيين او أصحاب الأقلام الى الوزراء العسكريين ذوي السلطة المطلقة لا سيما في

(1) المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص36.

اؤخر عهد المستنصر بالله الفاطمي اذ دخلت البلاد في حالة فوضى واضطرابات ومجاعات حلت بمصر مركز خلافة الدولة الفاطمية ، واستمر منصب الوزارة على هذا الحال حتى نهاية الدولة وزوالها[1].

1- وفاة المستنصر بالله الفاطمي وتولي المستعلي بالله قيادة الدولة الفاطمية (487-495هـ/ 1094-1101م) ودور الافضل الجمالي

توفي المستنصر بالله أبو تميم معد بن أبي الحسن سنة (487هـ/1094م) وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذي خطب له البساسيري في بغداد[2]، ولقي المستنصر شدائد وأهوالاً أخرج فيها أمواله وذخائره حتى لم يبق له غير سجادته التي يجلس عليها[3].

2: السياسية الخارجية في عهد المستعلي بالله(467- 495هـ/1075-1102م)

يبدو ان ابن الاثير قد اختصر العديد من الاحداث التاريخية ومر على بعضها مرورا" سريعا"، ومنها ما له علاقة بالفاطميين في بلاد المغرب بعد ان دخل العرب البلاد وقد قسمت بعد سيطرة العرب عليها، وكان يحيى بن تميم بن المعز بن باديس قد سيطر على المهدية اذ بقيت بيد ابن باديس ولم يتمكن العرب من السيطرة عليها. وفي عام(488هـ /1092م)توجهت قوات تركية بقيادة شاهملك[4] الى مصر، وبما ان الدولة الفاطمية كانت تدار من قبل الأفضل فقد رحب بهم، وقد اشار ابن الاثير[5] بان شاهملك وهو من أولاد بعض الأمراء الأتراك ببلاد الشرق فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منه فسار إلى مصر في مائة فارس فأكرمه الأفضل أمير الجيوشي وأعطاه أقطاعا ومالاً ، ثم بلغه عنه أسباب لم يفصح عنها ابن الاثير أوجبت حبسه واصحابه، الا انه تمكن الهرب والخروج من مصر، واحتالوا حتى أخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا إلى المغرب فوصلوا إلى طرابلس الغرب، وكان أهل طرابلس كارهون لواليها فأدخلوهم البلد وأخرجوا الوالي وصار شاه ملك أمير البلد.

---

(1) الشيال، مجموعة الوثائق الفاطمية (وثائق الخلافة وولاية العد والوزارة)، ص143.

(2) الكامل في التاريخ، ج10، ص 237.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص197.

(4) شاهملك: وهو من أولاد بعض الامراء الاتراك في بلاد المشرق خرج من بلادة متوجها الى مصر ثم الى بلاد المغرب اذ غدر بيحيى بن تميم وسيطر على البلاد .ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب ، ج1، ص433، النويري، نهاية الارب في فنون الادب ، ج24،ص230.

(5) الكامل في التاريخ، ج9، ص241؛ ينظر كذلك: العمري، مسالك الأبصار، ج42، ص118.

ومن السابق يتبين لنا ان الدولة الفاطمية أصبحت ضعيفة جدا يديرها الوزراء، فضلا عن عدم قدرتها على الوقوف بوجه قوة عسكرية تركية صغيرة الامر الذي دفع الوزير الأفضل الى اعطائهم الأموال والاقطاعات في مصر، وبعد ذلك شك في امرهم فأخرجهم من مصر هاربين بعد ورود انباء لهم تقضي بحبسهم، دون الإشارة الى الأسباب الموجبة او الاعمال التي قاموا بها في مصر لطردهم منها، الا انه من الواضح انهم كانوا محتالين قاموا بنهب أموال واسلحة من مصر، ثم هربوا الى بلاد المغرب التي كانت تدين بالولاء للفاطميين عدا المهدية التي فيها يحيى بن باديس.

وقد افرد ابن الاثير بسرد الاحداث في بلاد المغرب، وقد نقلها عنه النويري ،اذ أشار الى ان شاه ملك وصل إلى المهدية فسر به تميم وبمن معه، وقال ولد لي مائة ولد انتفع بهم وكانوا لا يخطئ لهم سهم فلم تطل الأيام حتى جرى منهم أمر غير تميما عليهم فعلم شاه ملك ذلك، وكان داهيا فخرج يحيى بن تميم إلى الصيد في جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس، ومعه شاهملك وكان أبوه تميم قد تقدم إليه أن لا يقرب شاهملك فلم يقبل فلما أبعدوه في طلب الصيد غدر به شاه ملك وقبض عليه، وسار به وبمن أخذ معه من أصحابه إلى مدينة صفاقس[1][2] .

وبلغ الخبر تميما فركب وسير العساكر في أثرهم فلم يدركوهم ووصل شاه ملك بيحيى بن تميم إلى صفاقس فركب صاحبها واسمه حمو[3]، وكان قد خالف على تميم ولقي يحيى ومشى في ركابه راجلا وقبل بده وعظمه واعترف له بالولاء والتبعية فأقام عنده أياما ولم يذكره أبو تميم بكلمة وكان قد جعله ولي عهده. ثم إنّ صاحب صفاقس خاف يحيى على نفسه أن يثور معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم فأرسل إلى تميم كتابا يسأله في إنفاذ الأتراك وأولادهم إليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه أبوه عنه مده من الزمان، ثم أعاده إلى حاله

---

(1) صفاقس: مدينة من نواحي إفريقية جل غلاتها الزيتون، وهي على ضفة الساحل، بينها وبين المهدية ثلاثة أيام وبين سوسة يومان وبين قابس ثلاثة أيام، وهي على البحر ذات سور، وبها أسواق كثيرة ومساجد وجامع، وسورها صخر وآجر، وفيها حمامات وفنادق وقرايا كثيرة وقصور جمة ورباطات على البحر ومنائر. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص223؛ الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، 279.

(2) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج24، ص231.

(3) حمو: هو حمو بن مليل البرغوطي، والي مدينة صفاقس خرج عن طاعة تميم بن باديس ملك المغرب، وحشد وجمع، وكان بينهما وقعة هائلة انتصر فيها تميم وتشتَّت جمع حمّو. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج30، ص282؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص160.

ورضي عنه ثم جهز تميم عسكرا إلى صفاقس ويحيى معهم فساروا إليها وحاصروها برا وبحرا وضيقوا على الأتراك بها وأقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الأتراك إلى قابس[1]، وكان تميم لما رضي عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه فأمر بإخراجه من المهدية بأهله وأصحابه فركب في البحر ومضى إلى صفاقس فلم يمكنه عامله من الدخول إليها ، وقصد مدينة قابس وقد اكرمه اميرها ، ثم سار إلى صفاقس ومعهما شاه ملك التركي وأصحابه فنزلوا على صفاقس وقاتلوها[2].

وسمع تميم فجرد إليها جندا فلما علم والي المدينة ومن معه أنهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها الى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها، وكان الذي يتولى القتال من المهدية يحيى بن تميم، وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ أولئك منها غرضا فعادوا خائبين [3].

وفي ضوء ما تقدم يبدو ان بلاد المغرب لم تعد احدى ممتلكات الدولة الفاطمية فعلى الرغم من ان العرب وبمساعدة الدولة الفاطمية تمكنوا من القضاء على بني زيري، الا انهم لم يستطيعوا ان يعيدوا بلاد المغرب الى طاعة الفاطميين، وبذلك خسرت الدولة الفاطمية المغرب نهائيا ولم يعد لها وجود سوى وفود كانت ترسل مع كل امير جديد الى مصر الفاطمية يبلغ الخليفة بالأمر ، فضلا عن عدم امتلاك الدولة الفاطمية قوة تؤهلها لأعاده هيبتها وسطوتها في بلاد المغرب ،كما خسرت أيضا تواجدها في الحجاز واليمن والمشرق بسبب هذا الضعف وخضوع الخلفاء الفاطميين تحت سطوة الوزراء الأقوياء الذين استغلوا الصراع على السلطة بين أبناء الخلفاء الفاطميين، وصغر سن من تولى منهم للسيطرة على الحكم، ولم يبقى بيد الفاطميين سوى مصر، بل وان مصر أصبحت هي المدينة الأولى المهدد من قبل السلاجقة من جهة ، والغزو الافرنجي من جهة أخرى.

وهذا لم يمنع الفاطميين من محاولة استمالة الحكومات المستقلة التي تقوم في بلاد المغرب وخاصة التي تعترف بالدولة العباسية مثل دولة المرابطين[1] التي قامت في بلاد المغرب

---

(1) قابس: هي مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر، وقابس مدينة كبيرة قديمة عليها سور صخر جليل من بناء الأول، ولها حصن حصين وأرباض واسعة، وفيها فنادق وحمامات، وقد أحاط جميعها خندق كبير يجري إليه الماء إذا خافوا من نزول عدو عليهم، فيكون أمنع شيء، ولها واد يسقي بساتينها وأرضها ومزارعها. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4،ص289.

([2]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص25.

([3]) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج24، ص231.

(448هـ- 541هـ /1056م- 1146م) اذ لم يعترف المرابطين بالدولة الفاطمية وكانوا يكفرونها ويتهمونهم بالزندقة والالحاد **وقد انفرد ابن الاثير[2] بذكر ذلك بقوله: "ورد إلى بغداد إنسان من الملثمين ملوك الغرب قاصدا إلى دار الخلافة فأكرم وكان معه إنسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا فوعظ الفقيه في جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو متلثم لا تظهر منه غير عينيه وكان هذا الملثم قد حضر مع ابن الفضل أمير الجيوش بمصر وقعته مع الفرنج وأبلى بلاء حسنا..."** .

وقد بين ابن الاثير ان السبب الذي دفعه الى التوجه الى بغداد ان المغاربة لم يكونوا على وفاق مع الفاطميين فكانوا اذ اردو التوجه الى مكة للحج لا يمرون بمصر، وعلى الرغم من ذلك فقد حاول امير الجيوش بمصر استمالتهم الا انه فشل في ذلك، فامر بقتل كل من ظفر به منهم، وعندما تولى الأفضل قيادة الجيوش اخذ يتقرب منهم فاحسن اليهم واستمالهم واستعان بهم في محاربة الفرنج .

وفي ضوء ما ورد فقد توصلنا الى ان الفاطميين، وعلى الرغم من تردي الأوضاع الداخلية والخارجية الا انهم قاموا بمحاولات مستمرة لاستعادة ممتلكاتهم في بلاد المغرب، وقد نجح الأفضل في استمالة المرابطين على الرغم من مولاة المرابطين للعباسيين لا سيما ان الفاطميين كانوا هم المسيطرين على طرق الحجيج الوافدين الى مكة من الاندلس وبلاد المغرب بعد سيطرة الفرنج على أجزاء واسعة من بلاد الشام، وإقامة مملكة لهم في بيت المقدس، فضلا عن سيطرة الفاطميين ولفترات متقطعة على الحجاز مما دفع المرابطين الى اتباع سياسة سلمية وتبادل للوفود مع الخلافة الفاطمية لضمان سلامة الحجاج المغاربة والاندلسيين .

---

(1) دولة المرابطين: وهي احدى الدول الإسلامية التي قامت في بلاد المغرب للفترة الممتدة ما بين (448-541هـ/1056-1147م)، وتظم هذه الدولة عدة قبائل أشهرها لمتونه ومنها وجدالة ولمطة، وكانوا يسمون بالملثمين هم قوم ملثمون لا يكشفون وجوههم لذلك سموا بالملثمين، وهم من قبيلة البربر يقال لها لمتونه كانوا على المجوسية قبل الاسلام واسلموا بعد الفتح، وموطنهم يمتد من غدامس من جنوب طرابلس الى المحيط الأطلسي، ومن جبال درن في الشمال حتى مصب نهر السنغال، وعدد قبائل الملثمين يزيد على السبعين قبيلة. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص618؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص175؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص87.

(2) الكامل في التاريخ، ج10 ، ص414

اما بلاد الشام فعلى الرغم من ان الدولة الفاطمية قد تقلصت ممتلكاتها فيها لا سيما بعد الصراع على السلطة بين النزارية والمستعلية، فضلا عن سيطرة السلاجقة على بلاد الشام، الا انها كانت تحاول استعادة ممتلكاتها في بلاد الشام مستغلة الصراع ما بين افراد البيت السلجوقي في بلاد الشام وقد أشار الى ذلك الاثير[1] بان الملك رضوان[2] توجه بقواته العسكرية إلى دمشق سنة 488هـ/1095م ، وكان والي المنطقة أخوه دقاق[3] وكان عازما على السيطرة عليها وطرده منها، فلما قاربها وجد انها بلدة حصينة لا يستطيع السيطرة عليها ، فتوجه بقواته نحوا نابلس ومن ثم سار إلى القدس ليأخذها فلم يتمكن من ذلك، وانقطعت العساكر عنه فعاد الى حلب ومعه باغي سيان[4] صاحب أنطاكية وجناح الدولة . ثم إن باغي سيان ترك رضوان متوجها الى محاصرة دقاق بحلب جزاء لما فعله، فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه باغي سيان فأرسل رضوان رسولا إلى سقمان بن

([1]) الكامل في التاريخ، ج10، ص414

([2]) الملك رضوان: هو رضوان بن السلطان تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي . تملك حلب بعد أبيه ، وامتدت أيامه ، وقد خطب له بدمشق عندما قتل أبوه أياما ، ثم استقل بحلب ، وأخذت منه الفرنج أنطاكية ،وخطب الملك رضوان للمستعلي بأمر الله الفاطمي خليفة مصر أربع جمع ثم خشي من عاقبة ذلك فقطعها وأعاد الخطبة العباسية ،وان سبب إعادة الخطبة للعباسيين يعود الى أن سقمان بن أرتق التركماني وباغيسيان صاحب أنطاكية زارا الملك رضوان وأنكرا عليه دعوته للمصريين فرجع .ينظر :أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر ، ج2،ص210 الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج19، ص315 .

([3]) دقاق: هو دقاق بن تتش بن ألب رسلان أبو نصر المعروف بالملك شمس الملوك ،ولي إمرة دمشق بعد قتل أبيه تاج الدولة في سنة سبع وثمانين وأربع مائة وكان بحلب فراسله خادم لأبيه اسمه ساوتكين كان نائبا لأبيه في قلعة دمشق سرا من أخيه رضوان بن تتش صاحب حلب فخرج دقاق إلى دمشق وأجلسه ساوتكين في منصب أبيه، ثم دبر هو وطغتكين المعروف بأبي بكر زوج أم الملك دقاق على ساوتكين فقتل وأقام دقاق بدمشق وقدم أخوه رضوان فحاصرها فلم يصل منها إلى مقصود فرجع إلى حلب ثم عرض لدقاق مرض تطاول به وتوفي منه سنة 497هـ/1104م.ينظر: ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج17، ص304؛الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج19،ص186؛

([4]) باغي سيان :هو باغي سيان بن محمد بن الب التركماني وقيل ان اسمه باغسيان او باغي سنان ، صاحب أنطاكية، وهو مملوك من مماليك السلطان ملك شاه الذي استولى على انطاكية سنة 477هـ/1085م وجعل باغي سيان واليا على انطاكية سنة 483هـ/1090م، بعد وفاة ملك شاه أصبح تتش بن ألب أرسلان والياً على الشام وأقر ياغي سيان على حكم أنطاكية وضم إليه قرى منبج و تل باشر وبعد مقتل تتش سنة488هـ/ 1095م تقاتل ولديه رضوان حاكم حلب ودقاق حاكم دمشق وانضم ياغي سيان إلى رضوان وحاصروا دمشق لكن عجزوا عن دخولها فرجعوا. ينظر: ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص207.

أرق[1] وهو يستنجد به فتوجه على راس قوة عسكرية كبيرة من التركمان فسار نحو دقاق فالتقيا بقنسرين فاقتتلا سنة 489هـ/ 1096م فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وجميع مالهم، وعاد رضوان إلى حلب، ثم اتفقا على أن يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبأنطاكية.

ثم اتصل والي حلب رضوان بالفاطميين وخطب للخليفة الفاطمي المستعلي؛ ويرجع السبب الى ان رضوان بدأ يميل الى مذهب الفاطميين فأتته رسل الفاطميين يدعونه إلى طاعتهم ويرسلون له المال والقوات العسكرية ليملك دمشق فخطب لهم في حلب وجميع الأعمال سوى أنطاكية وعندما علم سقمان بن أرتق وباغي سيان صاحب أنطاكية حضرا عنده فأنكرا عليه ذلك واستعظماه فأعاد الخطبة العباسية، وأرسل إلى بغداد يعتذر عما كان منه، وسار باغي سيان إلى أنطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة أيام حتى وصل الفرنج إليها وحاصروها[2].

اما مدينة انطاكية التي كانت تحت السيطرة السلجوقية ثم أصبحت بيد الفرنجة فقد اتهم ابن الاثير[3] الدولة الفاطمية بانها هي السبب في استقدام الصليبيين الى بلاد الشام رغبة منهم في التخلص من الوجود السلجوقي الذي اصبح يهدد الوجود الفاطمي في مصر، وقد **أورد ذلك بقوله: "خرجوا إلى بلاد الشام وكان سبب خروجهم أن ملكهم بردويل[4] جمع جمعا كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجال الفرنجي الذي ملك صقلية فأرسل إلى رجال يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وأنا واصل إليك وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها وأكون مجاورا لك ...وقيل إن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول أقسيس إلى مصر وحصرها**

([1]) سقمان بن ارتق: هو الملك سقمان بن الأمير الكبير أرتق بن أكسب التركماني أخو الملك إيلغازي. وليا إمرة القدس بعد أبيهما، فضايقهما الأفضل بن بدر أمير الجيوش، وأخذها منهما قبل أخذ الفرنج له بأشهر، فذهبا واستوليا على ديار بكر. مات سقمان بقرب طرابلس سنة 498هـ/1105م. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج3، ص419؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19، ص235.

(2) الكامل في التاريخ، ج10، ص269.

([3]) المصدر نفسه، ج10، ص270

(4) المقصود به بغدوين الأول ملك مملكة الصليبيين في بيت المقدس هو أحد قادة الجيوش الصليبية الافرنجية، استطاع احتلال بعض مدن بلاد الشام، توفي بغدوين سنة (511هـ/1118م) ودفن في بيت المقدس. ينظر: ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج5، ص301؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص112؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص198.

فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين"

وعند التدقيق في النص نجد ان الفرنجة كانوا قد عدوا العدة للسيطرة على بلاد المغرب او بلاد الشام مستغلين الضعف الدي أصاب الدولتين العباسية والفاطمية والصراع المحتدم بين أبناء البيت السلجوقي في المشرق وبلاد الشام، فضلا عن انعدام الاستقرار السياسي في بلاد المغرب على اثر دخول العرب والقضاء على الزيرين فيها ، اما بخصوص اتهام الفاطميين بانهم قد استدعوا الصليبين الى بلاد الشام فينبغي الوقوف على ماهية النص الذي نجده يتسم بالضعف اذ ان ابن الاثير عند ايراده النص استخدم كلمة (قيل) أي انه لم يكن متأكد من ان الفاطميين قد استنجدوا بالفرنجة للتخلص من السلاجقة لا سيما وقد سبق وانه روى بان امير حلب قد خطب باسم الدولة الفاطمية كما مر سابقا ، الا ان الامر الذي دفعة الى قول ذلك هو الإجراءات الضعيفة والمواقف السلبية التي اتخذتها الدولة الفاطمية تجاه الغزو الصليبي ، وعدم تفكيرها بان ترك السلاجقة يواجهون خطر الصليبين بمفردهم سوف يعرض المنطقة مستقبلا لغزوات أخرى من جانب الصليبين فكان همهم الأول ابعاد خطر السلاجقة عن الدولة الفاطمية .

اما بيت المقدس الذي كان لتاج الدولة تتش، وكان قد أقطعه للأمير سقمان بن أرتق التركماني الذي لم يتمكن من المحافظة على هذا الاقطاع المهم ، اذ انه في سنة (490هـ/1094م) تعرض لغزو الفرنجة من اجل السيطرة عليه مستغلين الضعف الذي أصاب الدولة الفاطمية اذ تمكنوا من احتلال انطاكية، والتوجه الى بيت المقدس الا ان الرد الفاطمي جاء سريعا بالسيطرة على بيت المقدس، وقد روى ذلك ابن الاثير[1] بقوله:" **فلما رأى المصريون ضعف الأتراك ساروا إليه ومقدمهم الأفضل بن بدر الجمالي وحصروه وبه الأمير سقمان وإيلغازي ابنا أرتق وابن عمهما سونج وابن أخيهما ياقوتي ونصب عليه نيفا وأربعين منجنيقا فهدموا مواضع من سوره وقاتلهم أهل البلد فدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوما وملكوه بالأمان في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة** ".

([1]) الكامل في التاريخ، ج10، ص283؛ ينظر كذلك : ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ،197؛النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28،ص246.

اما سقمان وإيلغازي أبناء ارتق فقد احسن لهم ومنحهم العطاء والأموال وتركهم يتوجهون إلى دمشق ثم عبروا الفرات فأقام سقمان ببلد الرها وسار إيلغازي إلى العراق، اما الأفضل فقد عاد الى مص تاركا" على القدس رجلا يعرف بافتخار الدولة[1][2].

الامر الذي جعل الدولة الفاطمية في مواجه الفرنجة بشكل مباشر لذا حاول الأفضل بن بدر الجمالي عدم الدخول في حرب معهم فارسل اليهم الهدايا والأموال الكثيرة ، وعرض عليهم تسهيل الحج الى بيت المقدس وزيادة اعداد الحجاج الى ثلاثمائة حاج على ان لا يكونوا مسلحين ، الا ان الفرنجة رفضوا ذلك ، وردوا على انهم سوف يمتلكون بيت المقدس[3] ، فقصد الفرنج عكا وضربوا عليها الحصار فلم يقدروا عليها فحاصروا وأربعين يوما ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون[4] وأحرقه المسلمون وقتلوا كل من به ، فما ان فرغوا من ذلك جاءتهم اخبار بأن الفرنجة تمكنوا من السيطرة على المدينة من جهة الشمال، وقد اشتد القتال بين الطرفين وبقي الفرنج في المدينة أسبوعا يقتلون فيه المسلمين [5]،واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود[6] فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثم تم ايقاف القتال بين الطرفين اذ منح لهم الفرنج الأمان فخرجوا ليلا

---

(1) افتخار الدولة: هو أحد قادة الدولة الفاطمية استطاع سنة(490هـ/1097م) من القضاء على الثورة التي قام بها كتيلة نائب الفاطميين على صور وعين مكانه، وتم تعينه من قبل الافضل على أن يكون نائب الفاطميين في بيت المقدس. ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص20.

(2) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص247.

(3) الفتاح، الحركة الصليبية، ج1، ص195.

(4) ناحية صهيون : وتسمى أيضا بباب صهيون تقع هذه الباب في ناحية الجنوب مما يلي بيت المقدس وهي توصل الى كنيسة صهيون، وهي كنيسة جليلة حصينة، وفيها العلية التي أكل فيها السيد المسيح مع التلاميذ وفيها المائدة باقية. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ج1، ص362؛

(5) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص257.

(6) محراب داود (عليه السلام) : وهو محراب يقع خارج المسجد الأقصى في حصن عند باب المدينة وهو القلعة اتخذها الولاة مكانا يقيمون به، ويعرف هذا الباب قديماً بباب المحراب، ويقال أن محراب داود إنما هو الذي بظاهر الجامع المبني في السور القبلي من جهة الشرق بالقرب من مهد عيسى وهو موضع مشهور. ينظر: مجير الدين، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ص11.

إلى عسقلان فأقاموا بها[1] ، وقد استباح الفرنجة دماء واموال المسلمين فيها، اذ قتل من المسلمين عدد كبير، ونهبوا ممتلكات واموال المسلمين [2] .

وعندما وصلت اخبار بلاد الشام الى الدولة الفاطمية وما فعلة الافرنج بالمسلمين وسيطرتهم على بيت المقدس وخسارة الدولة الفاطمية له، جمع الأفضل قواته وسار بها الى بلاد الشام لمقاتلهم، **وقد أشار الى ذلك ابن الاثير[3] بقوله: "أن المصريين لما بلغهم ما تم على أهل القدس جمع الأفضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار إلى عسقلان وأرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعوا ويتهددهم فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على أثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر وصولهم ولا من حركتهم ولم يكونوا على أهبة القتال فنادوا إلى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم وأعجلهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما في العسكر من مال وسلاح وغير ذلك"** .

وكانت نتيجة المعركة ان انهزم الأفضل ودخل عسقلان وهرب منهم جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز[4] وكان هناك كثيرا من هذه الشجرة، فأحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه وعاد الأفضل مع ما تبقى من قواته إلى مصر عن طريق البحر[5]، ونازل الفرنج عسقلان وحاصروا أهلها وصالحوهم على مبلغ من المال، ثم عادوا إلى القدس [6].

وبعد فشل القوات الفاطمية في استعادة بيت المقدس وسيطرة الافرنج عليه استمروا في الاندفاع للسيطرة على الأراضي التابعة للدولة الفاطمية في بلاد الشام. ففي سنة

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص284.

(2) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص67.

([3]) الكامل في التاريخ، ج10، ص286؛ ينظر كذلك: ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص137.

(4)الجميز: هي شجر يشبه حمله التِّين ويَعْظم عِظَم الفِرْصاد ، وتِينُ الجُمَّيْز من تين الشام أَحمر حلو كبير. ينظر، ابن منظور ، لسان العرب ، ج5، ص324.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق،ص224.

(6) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص24.

(494هـ/1101م) استطاعوا احتلال حيفا[1] وقيسارية[2] ويافا[3] فضلا عن المناطق التي كانوا قد سيطروا عليها سابقا الأردن وفلسطين[4]. الا ان الدولة الفاطمية قامت بأرسال حملة عسكرية بقيادة سعد الدولة الطواشي سنة (494هـ/1101م) لمقاتلة الفرنج، وقد أشار الى ذلك ابن الاثير[5] بان الأفضل اتخذ إجراءاته من اجل التصدي لخطر التمدد الصليبي في بلاد الشام اذ قام بأرسال قوات عسكرية بقيادة سعد الدولة الذي كان مملوكا لأبيه ولقبه بالطواشي إلى الشام لحرب الافرنج ، وقد عسكر بقواته في مدينة عسقلان مدة ثلاث اشهر قبل الدخول في معركة معهم ، مما منح الافرنج فرصة تجميع قواتهم واعداد الخطط لتحقيق الأنتصار على المسلمين ، ثم تحرك سعد الدولة بقواته فلقيهم بين الرملة ويافا، ومقدم الفرنج يعرف ببغدوين، وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج عليهم حملة قوية أدت الى انهزام وقتل سعد الدولة في المعركة، وكان ذلك سنة (494هـ/1101م).

وعلى الرغم من ذلك استطاعت القوات الفاطمية من تجميع قواتها مرة أخرى، وتمكنت من لحاق الهزيمة بقوات الافرنج وكبدتهم خسائر فادحة مما دفعهم الى الانسحاب باتجاه يافا[6].

---

(1) حيفا : هي مدينة بالقرب من عكة على ساحل البحر، والحيف الذي يعبر به عن الجور، حتلها الفرنجة سنة (494هـ/1101م) ، وبقيت في ايديهم إلى أن فتحها صلاح الدين الأيوبي سنة(573هـ/1177م) . ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص332.

(2) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام ، وكانت قديما من أعيان أمهات المدن واسعة الرقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل وأما الآن فليست كذلك وهي بالقرى أشبه منها بالمدن . وقيسارية أيضا: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم وهي كرسي ملك بني سلجوق ملوك الروم أولاد قليج أرسلان. ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص421.

(3) يافا: هي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا في الاقليم الثالث، طولها من جهة المغرب ست وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص426؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج24، ص57.

(4) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص141 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص26 ؛النويريب ، نهاية الارب الارب في فنون الادب ، ج28،ص 261

(5) الكامل في التاريخ، ج10، ص366

(6) ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج2 ، ص68 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص28.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول بان الهزائم التي منيت بها القوات العربية الإسلامية في بلاد الشام وبشكل عام لا يمكن القاء اللوم فيها على الدولة الفاطمية فقط، والتي كانت تعاني مشاكل داخلية وسيطرة الوزراء عليها، الا انه من الممكن القول بانها تتحمل الجزء الاكبر من الفشل في التصدي لهذا الخطر الحقيقي ، فبالإضافة لما سبق فان عدم أدراك الفاطميين لخطورة هذا الغزو وأهدافه وغاياته امر لا يمكن تجاوزه اذ ان الدولة الفاطمية والمتمثلة بالأفضل بن بدر الجمالي اعتقد بان هذا الغزو لا يختلف كثيرا" عن الحملات العسكرية التي كانت تقوم بها القوات البيزنطية للسيطرة على ممتلكات الدولة العربية الإسلامية ، لذا نلاحظ بان المسلمين صدموا بعد ذلك بالقوات العسكرية التي رافقت الحملات الصليبية على البلاد الإسلامية، والتي كانت مصرة على امتلاك بلاد الشام وبيت المقدس .

ومن الأخطاء التي وقع فيها الفاطميين هي محاولتهم التقرب من الصليبين، واتخاذهم وسيلة لابعاد الخطر السلجوقي عن مصر لذا سعى الأفضل الى مهادنتهم وارسال سفارته الأولى اليهم كما أشار لها ابن الاثير سابقا عند حصار الصليبين لمدينة انطاكية سنة 491هـ/1098م، والتي رحب بها الصليبيون وعقدوا مع السفير الفاطمي عدة اجتماعات تسلموا فيها رسالة من الأفضل بينت رغبته في إقامة تحالف مشترك ضد اعدائهم السلاجقة وتم الاتفاق على تقسيم المنطقة بينهم بان يكون شمال بلاد الشام بيد الفرنج والجنوب وبيت المقدس بيد الفاطميين[1].

وقد باشر الإفرنج تحقيق هدفهم بالسيطرة على بلاد الشام حسب الاتفاق مع الأفضل وقد روى ذلك ابن الاثير[2] **بقوله:** " **عزم الفرنج على قصد الشام ساروا إلى القسطنطينية ليعبروا المجاز إلى بلاد المسلمين ويسيروا في البر فيكون أسهل عليهم فلما وصلوا إليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده وقال لا أمكنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتى تحلفوا لي أنكم تسلمون إلي أنطاكية وكان قصده يحثهم على الخروج إلى بلاد الإسلام ظنا منه أن الأتراك لا يبقون منهم أحدا لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد فأجابوه إلى ذلك وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين ووصلوا إلى بلاد قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش وهي قونية**[3]

---

(1) عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية في الجزيرة والشام ، ص210.

(2) الكامل في التاريخ، ج10 ص274.

(3) قونية: وهي مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والأنهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمى بقمر الدين. ويحمل منه أيضاً إلى ديار مصر والشام. وشوارعها متسعة جداً وأسواقها بديعة الترتيب. وأهل كل

وغيرها فلما وصلوا إليها لقيهم قلج أرسلان في جموعه ومنعهم فقاتلوه فهزموه ، واجتازوا في بلاده إلى بلاد ابن الأرمني فسلكوها وخرجوا إلى أنطاكية فحصروها ولمّا سمع صاحبها باغي سيان بتوجههم إليها خاف من النصارى الذين بها فأخرج المسلمين من أهلها".

ومن ما ذكر اعلاه فان الافرنج كانوا مصرين على اجتياح بلاد المسلمين والسيطرة عليها سواء كان بمساعدة الفاطميين او من دونهم ، وكانت سياستهم قائمة على تمزيق القوى العربية الإسلامية واستغلال الانقسامات، الصراعات الداخلية بين المسلمين في كافة مناطق الدولة العربية الإسلامية عباسية كانت او فاطمية ، لذا نلاحظ انهم ارسلوا الى دقاق امير دمشق لكي يطمئنوه بانهم لا يقصدون بلاده، وهم يقصدون المناطق التي بيد البيزنطيون مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب أنطاكية [1] . ونفذ الأفضل ما تم الاتفاق عليه بالسيطرة على بيت المقدس كما مر سابقا الا ان تواجده لم يستمر طويلا بسبب استيلاء الفرنج على بيت المقدس، وطرد القوات الفاطمية منها، لذا يتحمل الأفضل الخطأ الكبير الذي وقع فيه لا نه لم يدرك مدى الخطر الكبير الذي أحاط بالمسلمين وقد مثلت هذه الاحداث الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام تلتها حملة أخرى في عهد الامر بأحكام الله[2].

المبحث الثاني : خلافة الامر بأحكام الله (495 هـ – 524 هـ / 1101 – 1129 م) ونهاية الاسرة الجمالية

شهدت الدولة الفاطمية الكثير من التقلبات السياسية التي جعلت من الدولة ضعيفة تخضع لسلطان الوزراء الذين قد استأثروا بالسلطة دون الخلفاء الفاطميين. ويعود السبب في ذلك الى صغر سن الخلفاء الفاطميين الذين تولوا السلطة بعد وفاة ابائهم؛ لذا نجد ان الوزراء طمعوا في إدارة شؤون الخلافة ولم يبق للخليفة الفاطمي سوى الدعاء والخطبة.

صناعة على حدة وإن من بنى هذه المدينة هو الإسكندر وهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص415؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص282.

(1) الكامل في التاريخ، ج10 ص275.

(2) الكامل في التاريخ، ج10 ص278؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، ص137؛ رنسيمان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة: السيد الباز العريني ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، لبنان ، 1981م ، ص417–419.

وعلى الرغم من أهمية الاحداث التاريخية في مسيرة الدولة الفاطمية الا اننا نجد ان ابن الاثير [1] لم يتطرق الى الكثير من هذه الاحداث دون ان يكون هنالك سبب واضح. فنجد في خلافة المستعلي قد مر بشكل سريع ومختصر دون الافاضة في أي شيء خلافا لخلفاء الدولة الفاطمية السابقين فمثلا" في تولي الامر بأحكام الله روى قائلا":" **ولمّا توفي المستعلي ولي بعده ابنه أبو علي المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه وله خمس سنين وشهر وأربعة أيام ولقب الآمر بأحكام الله ولم يكن بين بالخلافة قط أصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر أكبر من هذا ولم يقدر أن يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير الجيوش أحسن قيام ولم يزل كذلك يدبر الأمر إلى أن قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة**" .

وفي ضوء ما تقدم فان تولي خليفة صغير السن قيادة الدولة الفاطمية كان في مصلحة الأفضل الجمالي المسيطر على أوضاع الدولة الفاطمية، اذ جرد الخليفة الفاطمي من كافة صلاحياته، ونقل مقر الخلافة من مدينة القاهرة الى الفسطاط وبنى دار على النيل سماها دار الملك، ونقل لها كافة دواوين الدولة [2] ، واستخدم اهل الذمة من النصارى في وظائف الدولة الإدارية [3]؛ اذ انه ارد استبعاد الشيعة من الموالين للدولة الفاطمية في هذه المناصب كونه قد اصبح يميل الى المذهب السني الى الحد الذي دفعه الى منع إقامة الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، كما منع الخليفة الفاطمي من الركوب في موسم الأعياد واصبح هو المتصرف لشؤون البلاد ، فضلا عن اعتماده على طائفة الأرمن واحاط نفسة بقوات منهم، لعدم ثقته بجند الخلافة وخوفا" من الغدر به من قبلهم[4].

وقام بتعين اخوته بالمناصب الوزارية كالختم الذي تختم فيه الكتب الوزارية ، وجعل احد أبنائه نائب عنه في الوزارة ، وبذلك اصبح هو وعائلته مسيطرين سيطرة تامة على الدولة ، فضلا عن قيامة بوضع الخليفة بالإقامة الجبرية وفرض عليه الحجر عن طريق حجره في احدى غرف

---

(1) الكامل في التاريخ، ج10، ص328.

(2) ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر ، ص111.

(3)المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3، ص126.

(4)الذهبي، العبر في خبر من غبر،ج2،ص405؛ ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، ص27؛ الأمين ، مستدرك اعيان الشيعة ، ج7، ص28.

القصر[1] ، ولم يكتف بذلك بل حاول قتل الخليفة الفاطمي بدس السم له وقتله [2]، ونتيجة لذلك بداء الامر بأحكام الله يخطط للتخلص من الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، **وقد أورد لنا ابن الاثير[3] تفاصيل دقيقة عن مقتل الافضل انفرد بها عن باقي المصادر الأخرى و ذلك بقوله : "قتل أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي وهو صاحب الأمر والحكم بمصر ، وكان ركب إلى خزانة السلاح[4] ليفرقه على الأجناد على جاري العادة في الأعياد فسار معه عالم كثير من الرجالة والخيالة فتأذى بالغبار فأمر بالبعد عنه وسار منفردا معه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة[5] فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين في خاصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه إلى دار الأفضل"** .

وقد أشار ابن الاثير الى ان الخليفة الفاطمي الامر بأحكام الله زار الأفضل في داره قبل وفاته وسائله عن الأموال فأجابه عن مكان وجودها ، الا ان بعض المصادر لم تشر الى ذلك، اذ اشارت الى ان أبو عبد الله البطائحي[6] ارسل الى الخليفة الفاطمي يخبره بما جرى على الوزير الأفضل والذي توفي قبل وصول الخليفة اليه، وقد اخفى البطائحي وفاة الوزير عن الناس المجتمعين قرب دار الافضل ، وفي اليوم التالي وصل الخليفة الى دار الأفضل فادخله البطائحي على الوزير المقتول واعلمه بان متوفي فامر الخليفة البطائحي بإدخال الناس وابلاغهم بما جرى [7].

---

(1) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج16، ص53.

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5،ص222.

(3)الكامل في التاريخ، ج10، ص590.

(4) وهي خزائن في القصر الفاطمي، يُحفظ فيها كافة أنواع الأسلحة، ويُنفق عليها سنوياً مابين"سبعين الى ثمانين ألف دينار. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا،ج3،ص549.

(5) سوق الصياقلة: الصياقلة جمع صيقل، وهم شحاذ السيوف وجلاؤها. ينظر: الجواهري، الصحاح ،ج5، ص1744؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ص194.

(6) أبو عبد الله البطائحي : أبو عبد الله محمد بن المأمون ابن أبي شجاع البطائحي وزير الآمر العبيدي، وقد وقد كان أحد أتباع الوزير الأفضل، وكان طفلاً يتيماً؛ دخل الى مصر وعمل حمالا للبضائع وقد أعجب به الأفضل= =الجمالي لنشاطه وخفة حركته وجعله من خاصته وعلت حالته حتى صار وزيراً. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19، ص553؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص222.

(7) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص62؛ أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص330؛ أبن خلدون، خلدون، تأريخ أبن خلدون،ج4،ص70؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5،ص222.

وكان الإسماعيلين يكرهونه لأسباب منها تضييقه على إمامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها ترك معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم، وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر، ومنع الاحتفال بالمولد النبوي والائمة الاطهار عليهم السلام، وقام باستحداث ديوان جديد سماه ديوان التحقيق، الذي يشرف على كافة دواوين الدولة وقد استمر هذا الديوان حتى سقوط الدولة الفاطمية [1]، ولم تكن المستعلية فقط من كانت تكن له العداء بل ان النزارية كانت تحمله مسؤولية ما حدث لنزار الابن الأكبر للمستنصر بالله الفاطمي؛ لذ قاموا بعدة عمليات فاشلة لاغتياله والتخلص منه ، فاستغل الامر بأحكام الله هذه الخصومات للقضاء عليه[2].

ولما قتل الافضل وظهر الظلم بعده، اجتمع جماعة من اهل مصر واستغاثوا إلى الخليفة، وكان من جملة قولهم إنهم لعنوا الأفضل فسألهم عن سبب لعنهم إياه فقالوا:" إنه عدل وأحسن السيرة ففارقنا بلادنا وأوطاننا وقصدنا بلده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا" فأحسن الخليفة إليهم وأمر بالإحسان إلى الناس [3].

ولا بد لنا من الإشارة الى موقف والي العهد أبو الميمون عبد المجيد، والذي كان قد منع الخليفة الفاطمي من قتل الأفضل داخل القصر او في أيام الأعياد الان في هذا الفعل شناعة وسوء سمعة؛ مبين السبب في ان الأفضل هـ بدر الجمالي قد خدما الدولة الفاطمية خمسين سنة ، و انه لم يعلم منهم إلا النصح والمحبة والوفاء للدولة، وقد سار هذا الامر في أقطار البلاد وبين الناس فلا يجوز أن يتم مكافأته بهذا الشكل [4]، وعلى الرغم من ذلك فقد اقترح على الخليفة ان يتم تعيين من يتولى المنصب ممن يمكن الاعتماد عليه على ان يكون متمكن مثله أو ما يقاربه ، واقترح عليه أن يراسل أبا عبد الله بن البطائحي فإنه الغالب على أمر الأفضل والمطلع على سره ، وان يعده لتوليه منصبه ويطلب منه أن يدير الأمر في قتله إذا ركب فإذا

---

(1) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج3، ص566؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص275.

(2) ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص44.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص592.

(4) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28، ص279.

ظفر بمن قتله قتلناه وأظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنا قبح الأحدوثة ، ولما قتل ولي بعده أبو عبد الله بن البطائحي ولقب المأمون وتحكم في الدولة[1].

ومما تقدم فانه وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي قدمها الأفضل الجمالي للدولة الفاطمية على الصعيدين الداخلي والخارجي الا ان سياسته وتصرفاته الشخصية تجاه الخليفة الفاطمي بشكل خاص والمذهب الإسماعيلي بشكل عام أدى الى نقمة الناس عليه حتى أولاده حاولوا عدة مرات اغتياله، و ان المصادر التاريخية ذكرات ذلك عدة محاولات لاغتياله والتخلص منه[2]، و حاول أبناء الأفضل طلب الوزارة لأخيهم الأكبر مستعينين بطائفة من الأرمن في محاولة منهم لإبقاء الوزارة بأيديهم وجعلها متوارثة بين افراد الاسرة الجمالية ،الا ان محاولتهم باءت بالفشل اذ قام الوزير البطائحي بإلقاء القبض على جميع أبناء الأفضل وبقية افراد الاسرة الجمالية من أبناء الأوحد والمظفر و قتلهم عدا فتى نحيف البنية من أولاد الافضل ترك ولم يقتل احتقارا له [3].

ويتضح مما تقدم بان البطائحي ادى دور كبير في القضاء على ال الجمالي ساعده في ذلك سوء العلاقة بين الأفضل الجمالي واولاده اذ قام الأفضل بإبعاد ابناءه عنه وتجريدهم من كافة صلاحياتهم ،الامر الذي فسح المجال للبطائحي بالتقرب من الأفضل الذي جعله بمثابة وزيرا" له، وقد أتيح للبطائحي فرصة التقرب من المؤسسات العسكرية وكسب ولاء القادة العسكرين واخذ يعمل على جعل نفسه كبديل عن الأفضل في الإدارة على الرغم من ان الأفضل تلقى تحذيرا"

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص593.

(2)تعرض الأفضل في خلافة الامر الى عدة محاولات اغتيال الأولى كانت عام 509هـ/1116م اذ تعرض الى هجوم من قبل صيرفي حاول قتلة الا انه فشل في ذلك فتمت معاقبته من قبل الخليفة الفاطمي بان تم قتله وصلبه على باب محله ، ثم تعرض لمحاولة اغتيال ثانية عام 512هـ/1119م اذ تمت المحاولة عن طريق هجوم ثلاث اشخاص عليه لقتله الا انهم فشلوا أيضا، وقد تم قتلهم على يد الأفضل على اثر فشلهم في تحقيق غايتهم، وقد اتهم الأفضل أولاده بانهم هم من ارسل هؤلاء لقتله، لذا عمل على اخذ دوابهم وابعدهم عنه ، ثم تلتها المحاولة الثالثة والتي انهت حياته عام 515هـ/1121م ،وقد اتهم الامر بذلك . ينظر: أبن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص158؛ أبن خلكان، وفيات الأعيان ونباء أبناء الزمان، ج1، ص405؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، ج11، ص54؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص203.أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص217.

(3) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص182؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص70.

من ذلك، الا انه لم يلتفت لذلك الخطر الذي اودى بالنهاية بحياته وحياة أولاده والقضاء على الاسرة الجمالية[1].

وما ان تولى البطائحي الوزارة حتى سار على سياسة سلفه الأفضل بن بدر الجمالي مع الخليفة الفاطمي. وعلى الرغم من ان الامر بأحكام الله قد اكرمه ولقبه بجلال الدولة، فضلا عن لقبه (المأمون) واصدر له سجلا خاص به سماه الماموني؛ جعله يطمع بكرم الخليفة عليه فطلب من الخليفة ان لا يستمع لمن يحاول إيجاد الوقيعة بينه وبين الخليفة ، ولا يقوم باي عمل او يقدم على فعل خطير الا بمشورته وعلمه واشترط على الخليفة الفاطمي ان تكون تلك التوصيات سارية حتى بعد نقل الوزارة في حال وفاته الى احد أبناء المأمون البطائحي فوافق الخليفة على ذلك شرط ان تكون جميع إيرادات الدولة تعود الى قصر الخليفة كما كانت قبل ان ينقلها الأفضل الى دار الملك ولا يتصرف بها[2].

وخلال مدة الأربع سنوات التي قضاها البطائحي وزيرا" للخليفة الفاطمي قام بإجراءات منها: بناء جامع الاقمر[3] والذي حمل اسم الخليفة ووزيره البطائحي كما بنى دار لضرب العملة [4]. وعمل على الحد من تزايد نفوذ النزارية اذ حاربهم وأبطل دعواهم حول احقية نزار بالخلافة، وذلك بعد عقد جلسة احضر فيها اخت نزار عمة الخليفة الفاطمي، والتي بينت للحضور بان المستعلي هو احق بالخلافة من نزار، وان اباها اعطى الخلافة للمستعلي قبل وفاته، وامر الوزير المأمون البطائحي بكتابة سجلاً بشهادتها وارساله الى الاقاليم ونشره بين عامة الناس . ومن اجل محاصرة النزارية والتضييق عليهم اتبع خطة امنية لمنع النزارين من الدخول الى الأراضي المصرية بان قام باستبدال والي عسقلان بشخص يثق به و فرض عليه بان لا يسمح بوجود اي

(1)ابن ميسر، اخبار مصر ، ص83؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص197.

(2) طقوش، تأريخ الفاطميين، ص397.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص166.

(4) جامع الاقمر: هو احد الجوامع التي بنيت في مدينة القاهرة في العهد الفاطمي تم بناءه من قبل الوزير الفاطمي البطائحي سنة 519هـ/1125م ، وقد بني هذا الجامع في مكان أحد الأديرة التي كانت تسمى بئر العظمة، لأنها كانت تحوي عظام بعض شهداء الأقباط. وسمي المسجد بهذا الاسم نظرًا للون حجارته البيضاء التي تشبه لون القمر، ويشبه في اسمه مساجد فاطمية أخرى سميت بأسماء منيرة مثل الأنور والأزهر.ينظر : المقريزي ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، ج4، ص79.

شخص في بلاده لا يعرفه وتدقيق جميع القواقل التجارية المارة عبر أرضيه الى الديار المصرية، وارسل بذلك مرسوم الى متولي ديوان مصر[1].

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المأمون البطائحي في إحلال الامن والاستقرار في مصر الفاطمية ، وتحجيم خطر النزارية التي كانت تهدد الخليفة الفاطمي، وتشكل خطر على حياته الا انه أخطأ في سياسته تجاه الامر بأحكام الله اذ اتبع سياسة سلفه الأفضل في تعامله مع الخليفة اذ ساءت العلاقة بينه وبين الخليفة الفاطمي الذي بدأ يفكر في التخلص منه على الرغم من الإجراءات التي اتخذها البطائحي لحماية نفسه وعائلته من القتل فقد جعل اخاه المؤتمن قائدا" عاما" للقوات العسكرية ذا نفوذ على مناطق واسعة من مصر، فضلا عن الشروط التي اشترطها على الخليفة عند توليه الوزارة التي سبق وتم الإشارة لها[2] .

وقد أورد لنا ابن الاثير[3] الكيفية التي تخلص فيها الخليفة الفاطمي من الوزير البطائحي وعائلته بقوله: " قبض الآمر بأحكام الله العلوي صاحب مصر على وزيره أبي عبد الله البطائحي الملقب بالمأمون وصلبه وإخوته ... وأما سبب قتله فإنه كان قد أرسل جعفرا أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع الوزير بذلك أبو الحسن بن أبي أسامة[4] وكان خصيصا بالآمر قريبا منه وقد ناله من الوزير أذى واطرّاح فحضر عند الآمر وأعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل الإحسان بالإساءة ".

وفي ضوء ما تقدم فان ابن الاثير قد أورد سبب قتل الوزير بانه ارسل اخا الخليفة الفاطمي جعفر ليقتل الامر باحكام الله عن طريق دس السم له ويكون هو الخليفة من بعده، وقد وصلت اخبار هذا الاتفاق للخليفة الفاطمي عن طريق أبو الحسن بن ابي أسامة ، ويبدو ان الدافع الذي حفز الخليفة لتصفية الوزير هي الوشاية من قبل ابن ابي أسامة الذي تراجعت مكانته لدى

---

(1) ابن ميسر، أخبار مصر، ج2 ، ص 97-98 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص 108.

(2) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص 111.

(3) الكامل في التاريخ، ج10، ص630؛ينظر كذلك : ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج5، ص299؛ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص71.

(4) أبو الحسن بن أبي أسامة :هو ابو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن أبي أسامة، صاحب ديوان الإنشاء في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله، وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة، ويُنعَت بالشيخ الأجَلّ كاتب الدست الشريف، ولم يكن أحد يشاركه في هذا النعت بديار مصر في زمانه. ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية، ج٣، ص١٤٠؛ حسين ، في اداب مصر الفاطمية ، ص335.

الخليفة الفاطمي بعدما كان من خاصته بسبب زيادة نفوذ المامون البطائحي، لذا نقل له اخبار قد تكون كاذبة للتخلص منه، والدليل على ذلك ان الخليفة لم يكن عنده دليل على صحة ما نقل اليه حول التآمر لقتله لذا امر بحبسه في القصر، وبقي في حبسة ثلاث سنوات ولم يأمر بقتله ، وهذا يعني ان هنالك أسباب أخرى دفعت الخليفة الفاطمي لتصفية البطائحي غير التي ذكرها ابن الاثير منها انه قد وردت معلومات الى الخليفة الفاطمي بان وزيره قام بأرسال ابن نجيب الدولة[1] الى اليمن وامره بضرب السكة النزارية، وعندما وصلت هذه الاخبار الى الخليفة الفاطمي ارد التاكد من هذه الملومات فقام بارسل رسول من الديار المصرية يدعى الأمير الكذاب[2]، فلم يحتفل به ابن نجيب الدولة ، فشق عليه ذلك ، والتحق به أعداء ابن نجيب الدولة ، فقال لهم :" اكتبوا على يدي كتابا أنه دعاكم إلى البيعة لنزار ، واضربوا سكة نزار ، وأنا أوصلها إلى الخليفة الآمر بأحكام الله ففعلوا ذلك وفعل ، فبعث الآمر أميرا ، فقبض عليه ، وسيره إلى مصر"[3].

فضلا عما سبق من الانفراد بالسلطة دون الخليفة فانه اعتمد على أصحاب الدواوين في إدارة أمور مصر واستيفاء أموال الزكاة والمكوس، وهؤلاء تمادوا في ابتزاز الناس في أموالهم ومصادرة الحريات وممتلكات الناس؛ لذا امر الامر بأحكام الله بعزل أصحاب الدواوين واستبدالهم باخرين[4]. وكل هذه أسباب دفعت الخليفة الفاطمي الى التخلص منه، وبقي الامر دون وزير حتى مقتله على يد النزارية. **وقد روى ابن الاثير[5] ذلك بقوله: " قتل الآمر بأحكام الله أبو علي بن المستعلي العلوي صاحب مصر خرج إلى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لأنه كان سئ السيرة في رعيته وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعمره أربعا**

---

(1) ابن نجيب الدولة: هو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة، له عدة القاب منها: الأمير المنتخب عز الخلافة الفاطمية، فخر الدولة، الموفق في الدين، كان أحد غلمان الدولة الفاطمية، ثم أصبح له شان كبير وقد تدرج في المناصب الإدارية ومنها انه كان على خزانة الكتب الأفضلية. ينظر: عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص93؛ الرازي، مختار الصحاح، ص645.

(2) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

(3) ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص103؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج33، ص112؛ أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج2، ص71.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين ، ص 23.

(5) الكامل في التاريخ، ج10، ص630؛ ينظر كذلك : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 362؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 291؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 185.

وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدي عبيد الله الذي ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بإفريقية " .

1- السياسية الخارجية للدولة الفاطمية في خلافة الامر بأحكام الله

استمرت الأوضاع في الدولة الفاطمية متمثله بتسلط الوزراء وسيطرتهم على مقدرات الدولة وادارة أمور البلاد كما سار الأفضل على نفس سياسته في التعامل مع مستجدات الاحداث الخارجية ولم يولي أي اهتمام لما يجري من تقلص في ممتلكات الدولة امام الإفرنج الذين احتلوا مناطق واسعة من بلاد الشام، ففي سنة (495هـ/1102م) قاد الافرنج الحملة الصليبية الثانية قاصدين منطقتي جبيل وعكا من بلاد الشام اذ وصلت قواتهم العسكرية بحرا وبرا في محاولة للسيطرة على أجزاء من بلاد الشام .

أورد ذلك ابن الاثير[1] بقوله: "وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة اللاذقية، فيها التجار، والأجناد، والحجاج، وغير ذلك، واستعان بهم صنجيل الفرنجي[2] على حصار طرابلس، فحصروها معه براً وبحراً، وضايقوها، وقاتلوها أياماً، فلم يروا فيها مطمعاً، فرحلوا عنها إلى مدينة جبيل، فحصروها، وقاتلوا عليها قتالاً شديداً. فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أماناً، وسلموا البلد إليهم، فلم تف الفرنج لهم بالأمان، وأخذوا أموالهم، واستنقذوها بالعقوبات وأنواع العذاب".

ادرك الوزير الأفضل خطورة الموقف في بلاد الشام فجهز قوته العسكرية سنة 497هـ/1103م واسند قيادتها لابنه شرف المعالي، وقد سلك الطريق القديم الذي سلكته الحملة العسكرية الأولى وعسكر في عسقلان في يازور[3] بالقرب من الرملة ، وعندما وصلت اخبار الحملة الفاطمية الى بلاد الشام الى مسامع بغدوين الاول بدأ باتخاذ الاستعدادات العسكرية اللازمة ، وقرر مفاجئة الفاطميين بشن هجوم مباغت وخاطف دون الاستعانة بالقوات الصليبية

---

(1) الكامل في التاريخ، ج10، ص373.

(2) هو ريموند بن صنجيل تولى حكم اقليم تولوز في فرنسا وقد شارك في الكثير من المعارك ضد المسلمين في الاندلس، فضلا عن كونه من أوائل القادة المشاركين في الحملة الصليبية الأولى على الشرق الإسلامي. ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 3، ص 43.

(3) يازور: وهي مدينة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام ، ينسب إليها وزير المصريين الملقب بقاضي القضاة أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري.ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج5،ص425؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص615.

المتواجدة في ميناء يافا، فاشتبكت القوات الفاطمية مع الافرنج فانهزم الفرنج وقتل منهم عدد كبير، وعاد من سلم منهم مغلوبين، اذ ان القوات الفاطمية باغتت الافرنج بالهجوم عليها مما أدى الى حدوث تمزق في صفوفهم [1]، فلما رأى بغدوين شدة الأمر وخاف القتل والأسر فهرب من ساحة المعركة واختفى بين نبات قصب، فاحرق هذا القصب عليه من قبل المسلمين ولحقت النار بعض جسده ، فلما أبتعد المسلمون خرج إلى الرملة، **وقد أورد ذلك ابن الاثير[2] بقوله:** " **خرجت عساكر مصر إلى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقي في أيديهم من البلاد الشامية فسمع بهم برديل صاحب القدس ،فسار إليهم في سبعمائة فارس وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهز م الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم برديل فاختفى في أجمة قصب فأحرقت تلك الأجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها إلى الرملة فتبعه المسلمون أحاطوا به فتنكر وخرج منها إلى يافا وكثر القتل والأسر في أصحابه**".

وسار شرف المعالي بن الأفضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه أعيان الافرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا إلى يافا، بعد ان انتهز فرصة تباطؤ القوات الفاطمية في مهاجمة الرملة اذ وصلت القوات مساء" فقرروا تأجيل الهجوم الى اليوم التالي وبذلك سنحت الفرصة الى بغدوين يترك الرملة متوجها الى يافا، فوصلت اخباره الى شرف المعالي الذي قام بارسل سرية من اجل القاء القبض عليه فاضطر[3] الى تغير وجهته الى مدينة ارسوف وقد نجى بذلك من الوقوع بيد الفاطميين اسيرا" ، ثم قاتل ابن الأفضل ولمدة خمسة عشر يوما الفرنج ثم أخذ الرملة فقتل أربعمائة من الافرنج واسر حاميتهم [4].

واختلف قادة الجيش الفاطمي في مقصدهم فانقسموا الى فريقين الأول: يرغب بالتوجه الى بيت المقدس والسيطرة عليه وارد الفريق الثاني: التوجه الى يافا للسيطرة عليها. مما اثر على سير المعركة، التي استفاد منها بغدوين الذي توجه الى يافا بعد ان حصل على مساعدة من قبل احد الاعراب، والذي ابلغه بالاختلاف الذي حصل بين القوات الفاطمية ورغبتهم في المبيت في

---

(1) ابن الجوزي، مراة الزمان ،ج8، ص11؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص141 .

(2)الكامل في التاريخ، ج10، ص346.

(3) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1. ص514.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص346؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج4، ص68؛ ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص74.

الرملة ، فبينما هم في هذا الاختلاف إذ وصل إلى الفرنج عدد كبير من الحجاج القاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغدوين للغزو معه فساروا إلى يافا وتمكن من السيطرة عليها على الرغم من محاصرتها من قبل القوات الفاطمية ، وعمل على تنظيم قواته العسكرية، فضلا عن ذلك فقد طلب المساعدة من امير الرها الافرنجي بتانكرد وكونت ووصول دعم عسكري له من الغرب مما مكنه من فك الحصار البحري على مدينة يافا واستعد لمهاجمة القوات الفاطمية .

وصلت هذه الاخبار الى شرف المعالي فدخل معهم في معركة انتهت بانسحاب الفاطميين الى عسقلان منتظرين وصول الامدادات من الدولة الفاطمية في مصر[1]، وعاد ولد الأفضل إلى أبيه فسير قوات عسكرية قوامها أربعة آلاف فارس اسند قيادتها الى تاج العجم في البر وهو من أكبر مماليك أبيه، وسير اسطول عسكري في البحر بقيادة القاضي ابن قادوس[2] الى يافا، ونزل تاج العجم على عسقلان فارسل اليه ابن قادوس ليتفقا على وضع خطة عسكرية لقتال الافرنج واستعادة يافا ، الا ان تاج العجم رفض ان يحضر عنده ولا أعانه بحجة انه لم يكلف من قبل الوزير الفاطمي او الخليفة بالتعاون معه اذ ارسل اليه يعلمه بانه لايمكنه ذلك الا بامر الافضل نفسه، مما أدى الى نشوب خلاف بين القوات الفاطمية ، فأرسل القادوسي إلى قاضي عسقلان وشهودها وأعيانها وأخذ خطوطهم بأنه أقام على يافا عشرين يوما[3]، واستدعى تاج العجم فلم يأته ولا أرسل رجلا ، فلما وصلت اخبار الخلاف واسبابها ما بين ابن قادوس وتاج العجم بذلك الى الوزير الأفضل اصدر قرارا بعزل تاج العجم واعتقاله وعين بدل عنه رجلا لقبه جمال الملك[4] فأسكنه عسقلان وجعله متقدم العساكر الشامية .

ونتيجة لذلك أدرك الصليبيون ان الدولة الفاطمية تشكل خطر كبير على تواجدهم في بلاد الشام مما دفع بلدوين والذي سماه ابن الاثير ب(بردويل) الى طلب المساعدة من الرها

([1]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص346؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص229؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص68.

([2]) ابن قادوس: هو محمود بن إسماعيل بن قادوس القاضي أبو الفتح المصري الكاتب صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية أصله من دمياط. ينظر: الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج28،ص66؛ الكتبي ، فوات الوفيات، ج2، ص484.

([3]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص367.

([4]) جمال الملك: هو علي بن مختار بن نصر بن طغان جمال الملك أبو الحسن العامري المحلي المولد الإسكندراني المعروف بابن الجمل هو أحد أولاد الدولة الفاطمية. ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج22،ص118.

وانطاكية التي وقعت تحت سيطرة الصليبين فوصلته قوات عسكرية عززت من قوة الصليبيين ورفعت من معنويتهم، فقاموا بفرض حصارا على عسقلان لغرض السيطرة عليها[1] الا ان مقاومه اهل المدينة حال دون ان يحقق الفرنج أهدافهم وبذلك فشلت حملتهم في السيطرة على عسقلان وذلك بسبب افتقار الحملة الى مساندة من قبل الاسطول البيزنطي الامر الذي دفعهم الى رفع الحصار عن المدية والانسحاب منها[2].

وقد استمرت محاولات الفرنج بالسيطرة على كامل بلاد الشام فلم تدخل سنة 496هـ/1102م الا وبيت المقدس وفلسطين بيد الفرنج ماعدا عسقلان ولهم أيضا يافا وأرسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية وأنطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان ريمند بن صنجيل الافرنجي يحاصر مدينة طرابلس الشام والمواد تأتيها وبها فخر الملك ابن عمار[3]، وكان يرسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج [4] .

اما مدينة صور فقد استعدت القوات الافرنجية للسيطرة عليها، اذ ساروا إليها مع الملك بغدوين صاحب القدس وضربوا حول المدينة حصار شديد وقاموا ببناء ثلاثة أبراج مرتفعة وفي كل برج ألف رجل ونصبوا عليها المجانيق وألصقوا أحدها إلى سور البلد وأخلوه من الرجال وكانت المدينة لا تزال تحت سيطرة الدولة الفاطمية سنة 506هـ/1113م، وكان بها والي من جهة الأفضل أمير الجيوش وزير الآمر بأحكام الله الفاطمي يلقب عز الملك [5]، وكان الفرنج قد حاصروها وضيقوا عليها، وعندما ادرك اهل صور خطورة الموقف أرسلوا إلى أتابك طغتكين[6] صاحب دمشق يطلبون منه أن يرسل إليهم أميرا من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون

([1]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج24، ص44.

(2)عاشور، الحركة الصليبية ،ج1،ص298؛ العريني، الشرق الاوسط ،ج1، ص305.

(3) فخر الملك : هو فخر الملك ابن عمار ، صاحب طرابلس ، كان من دهاة الرجال ،ابتلي بلده بحصار الفرنج خمسة أعوام ، وهو يقاومهم ويستظهر عليهم ، ويراسل ملوك الأطراف ، ويتحفهم بالهدايا ، ولم ينجده أحد ، وقد راسل صاحب الروم مرات ، وأخذت طرابلس منه سنة 502هـ/1109م .ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج19، ص312.

(4) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج10، ص366.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص48 ؛ العامري ، علي فيصل، السياسة الخارجية للدولة الفاطمية، ص223.

(6) طغتكين:هو الملك أبو منصور طغتكين الأتابك ، وهو مؤسس الأسرة البورية التي حكمت دمشق من سنة (497–549هـ/1104_1155م) ومؤسس النظام الاتابكي ، من أمراء السلطان تتش بن ألب أرسلان السلجوقي ،

البلد له وقالوا له :"إن أرسلت إلينا واليا وعسكرا وإلا سلمنا البلد إلى الفرنج" ؛ فارسل لهم قوات عسكرية ووالیا من عنده ليتولى شؤون المدينة، بدل الوالي الفاطمي وارسل المؤن والامدادات لفك الحصار عن المدينة وتمكن من انزال هزيمة ساحقة بالسفن الايطالية[1].

وتم تسليم المدينة الى الوالي مسعود[2] وباستقبال من أهل البلد واستمرت الخطبة والسكة باسم الخليفة الفاطمي للآمر ، وكتب طغتكين إلى الأفضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول له :"متى وصل إليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها إليه ويطلب أن الأسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الأفضل على ذلك وأثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله"[3] ، وهذ يدل على عدم وجود أي رغبه و اطماع لدى طغتكين في املاك الفاطميين في بلاد الشام، فكان ذلك له الأثر الشديد في نفس الافضل ، فاستقبل رسله بالحفاوة والرعاية مبديا لهم شكره وامتنانه ، ثم ارسل اسطولا" وعلى راسه الامير شرف الدولة بدر بن ابي الطيب الدمشقي والي طرابلس السابق نحو صور حاملا الغلات والميرة ونفقات العساكر، فضلا عن الخلع والتحف النفيسة تكريما لطغتكين وللامير مسعود[4] ، وبذلك فقد وجهت القوتين الفاطمية ووالي دمشق طغتكين ضربه قوية للافرنج جعلهم عاجزين من التقدم في بلاد الشام ، فضلا عن ذلك الهجوم الذي شنه طغتكين على القوات الصليبية عندما حاولت التوجه بقوتها صوب مصر سنة 511هـ/1118م اذ طلب الأفضل من امير دمشق شن هجمات على الافرنج وممتلكاتهم في بلاد الشام الامر الذي اضطرهم الى طلب الصلح وسحب قواتهم وقد تمكن طغتكين بعد ان رفض الصلح من تحقيق الانتصار عليهم وغنم ثم عاد[5] .

فزوجه بأم ولده دقاق ، فقتل السلطان ، وتملك بعده ابنه دقاق ، وصار طغتكين مقدم عسكره ، ثم تملك بعد دقاق وكان شهما شجاعا ، مهيبا مجاهدا في الفرنج ، مؤثرا للعدل ، يلقب ظهير الدين .ينظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج10، ص409؛ الذهبي ،سير اعلام النبلاء ، ج19، ص520.

(1) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، ص168 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12،ص214.

(2) مسعود: هو مسعود بن سلار الملقب بسيف الدولة، كان والي لمدينة بانياس وكان معروف بالقدرة والكفاءة العسكرية العالية في الحروب وادارة البلاد. ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص207؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ص93.

(3) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج10، ص367.

(4) ابن الجوزي، مرآة الجنان، ج 8، ص45؛ المقريزي، اتعاظ، ج3، ص52.

(5) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص543؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص55.

ثم جهز الوزير الفاطمي المامون البطائحي سنة 516هـ/1122م أسطولا وسيره إلى صور فاستقامت أحوال أهلها الا ان الامر لم يدم طويلا اذ ساءت أوضاعها الداخلية فسير إليها الوزير الفاطمي أسطولا على جاري العادة وأمر المقدم على الأسطول وحشي بن الطلائع أن يلقي القبض على والي المدينة مسعود الذي ارساله طغتكين ويتسلم البلد منه[1].

وكان السبب في ذلك أن أهل صور أكثروا الشكوى من الوالي مسعود إلى الآمر بأحكام الله، بما يعتمده من مخالفتهم والإضرار بهم فسار الأسطول فأرسى عند صور فخرج الوالي إليه للسلام على المقدم فلما صعد إلى المركب الذي فيه المقدم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الأسطول إلى مصر[2]، وأما الوالي الذي عين من قبل الفاطميين فإنه طيب قلوب الناس، وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد، ثم تم اطلاع طغتكين على سبب ذلك الإجراء، فأبدى الأخير استعداده الدائم لتوحيد جهوده العسكرية مع الفاطميين وهذا دليل على رغبة الفاطميين بعدم خسارة حليف قوي مثل طغتكين[3] .

ولما سمع الفرنج بانصراف والي طغتكين مسعود عن صور قوي طمعهم فيها وحدثوا نفوسهم بملكها وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها وحاصروها، فسمع الوالي الفاطمي الخبر فأدرك بانه لا قوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها لقلة من بها من الجند والميرة فأرسل إلى الخليفة الفاطمي الآمر بذلك، فرأى أن يرد ولاية صور إلى طغتكين صاحب دمشق فأرسل إليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ما ظن فيه كفاية[4]، فسار الفرنج إليهم ونازلوهم وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الأقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين إلى بانياس[5] ليقرب منهم ويذب عن البلد ، ولعل الفرنج إذا رأوا قربه منهم رحلوا ولكنهم يتحركوا ولزموا الحصار فأرسل طغتكين إلى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه، وأشرف على الهلاك فراسل

---

(1) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص271.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص207؛ ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص63؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص182.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص199.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ مصر، ص148؛ ابن ميسر، اخبار مصر ،ج2، ص41.

(5) بانياس: مدينة قريبة من دمشق هي ثغر بلاد المسلمين، وهي صغيرة ولها قلعة يستدير بها نهر يفضي إلى إلى أحد أبواب المدينة. ينظر: ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص273؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص74.

حينئذ صاحب دمشق[1]، وقرر الخليفة الفاطمي الامر بعد الاتفاق مع طغتكين الذي بدوره ارسل وفد الى الصليبيين للتوصل الى اتفاق من اجل انقاذ اهل المدينة من معانتهم وقد تم الاتفاق على أن يسلم المدينة إليهم سنة 518هـ/1124م، ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورجالهم وغيرها ،وفتحت أبواب البلد وملكه الفرنج وفارقه أهله وتفرقوا في البلاد وحملوا ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه، ولم يتعرض الافرنج إلى أحد منهم، ولم يبق إلا الضعيف العاجز عن الحركة[2]، وملك الافرنج البلد، وكان فتحه وهنا عظيما على المسلمين فإنه من أحصن البلاد وأمنعها [3].

ثم توجه الصليبيين الى مدينة صيدا والتي كانت مسرحا للصراع ما بين الفرنج وبين الفاطميين اذ انها كانت احدى ممتلكات الدولة الفاطمية، وقد تعرضت لهجوم بحري من قبل الاسطول الفرنجي سنة (504هـ/1111م)، **وقد روى ذلك ابن الاثير[4] بقولة " ملك الفرنج مدينة من ساحل الشام . وسبب ذلك: أنه وصل في البحر إلى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس وليغزو بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم أن يقصدوا بلاد الإسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها براً وبحراً".**

وكان الأسطول المصري مقيما على صور فلم يقدر على نجدة صيدا فعمل الفرنج برجا من الخشب وأحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به ، فلما عاين أهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم وأشفقوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها إلى الفرنج وطلبوا من ملكهم الأمان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم ، والعسكر الذي عندهم ومن أراد المقام به عندهم أمنوه ومن أراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم على ذلك فخرج الموالي وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد وأقام بالبلد خلق كثير تحت الأمان، وكانت مدة الحصار سبعة وأربعين يوماً، ورحل بغدوين عنها إلى القدس، ثم عاد إلى صيدا بعد مدة يسيرة

---

(1) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج3، ص237؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص214.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص368.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص69؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص279

(4) الكامل في التاريخ، ج10 ، ص480.

فقرر على المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار فأفقرهم، ونهب أموالهم من خلال فرض الضرائب الباهضة على سكانها من المسلمين [1].

وكانت من ابرز النتائج استيلاء الفرنج على مدينة صيدا هو تعرض التجارة الفاطمية في البحر المتوسط الى خطر كبير من طرف القوات الغازية، فأصبحت تجارتهم غير امنة في البحر ، اذ قام قراصنة من الصليبيين بالسيطرة على سفن تحمل بضائع ومنتوجات ومنسوجات ثمينة كانت قد خرجت من مصر عبر البحر فسيطرت عليها سفن صليبية وغنمتها [2] .

وبعد ان سيطرة الافرنجة على مدينة صيدا البحرية توجهوا بأنظارهم باتجاه عسقلان، والتي كانت تمثل خطر كبير على التواجد الصليبي في بلاد الشام، فضلا عن ان السيطرة عليها سوف يمكنهم من التوجه الى مصر واسقاط الخلافة الفاطمية والتخلص من خطرهم، لا سيما وان الفاطميون كانوا قد اتخذوا من عسقلان قاعدة عسكرية لمقاومة الغزو الفرنجي[3]، وقد تطلع امير القدس بغدوين الى السيطرة عليها بعد ان وطد نفوذه في مدينة صيدا، وكان امير مدينة عسقلان شمس الخلافة[4] وكان معروف بميله للتجارة اكثر من الحروب والقتال، لذا قام بمراسلة بغدوين وارسل له الأموال والهدايا رغبة منه في كسبه الى جانبه ، فوصلت اخبار ذلك الى الأفضل بن بدر الذي اظهر تذمره من سياسة شمس الخلافة [5] **وقد أورد ذلك ابن الاثير[6] بقوله: " كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم إن الخليفة الآمر بحكم الله استعمل عليها رجل يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه وأهدى إليه مالا وعرضا فامتنع به من أحكام المصريين عليه إلا فيما يري من غير مجاهرة بذلك، فوصلت الأخبار بذلك إلى الأمر بأحكام الله صاحب مصر وإلى وزيره الأفضل أمير الجيوش فعظم الأمر عليهما وجهزا عسكرا وسيراه**

---

(1)ابن القلانسي ، ذيل تاريخ مصر ، ص 171 .

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج 10،ص482 ؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا،ج3،ص46 .

(3) فهمي توفيق مقبل، الفاطميون والصليبيون، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1980م ، ص75.

(4) شمس الخلافة: هو اسد بن عبد الله محمد بن مختار الافضلي المصري، والي عسقلان من قبل الفاطميين والذي عين مكان والي عسقلان السابق جمال الملك الذي قتل على يد الفرنجة، الا انه أرد الاستقلال عن الدولة الفاطمية فاخرج جند الخليفة الفاطمي وستبدلهم بالأرمن الا ان الأفضل استخدم الحيلة في التخلص منه اذ قام بتحريض اهلي عسقلان عليه فثاروا وقتلوه سنة 506هـ/1112م. ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص225؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص69.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ مصر، ص 172؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص47.

(6) الكامل في التاريخ، ج10، ص481.

إلى عسقلان مع قائد كبير من قواده وأظهرا انه يريد الغزاة وأنفذا إلى القائد سرا أن يقبض على شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصري وجاهر بالعصيان وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفا منهم ".

وقد خاف الأفضل من أن يسلم شمس الخلافة عسقلان إلى الافرنج، والتي تعتبر الممر المهم الى فلسطين، فاعلمه بانه أقره على عمله وأعاد عليه أقطاعه بمصر لغرض استمالته، ثم إن شمس الخلافة خاف من أهل عسقلان ان يغدروا به فأحضر جماعة من الأرمن واتخذهم جندا ولم يزل على هذه الحال إلى آخر سنة 504هـ/1111م فأنكر الأمر أهل البلد فوثب به قوم من أعيانه وهو راكب فجرحوه فانهزم منهم إلى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الأموال بهذه الحجة وأرسلوا إلى مصر بجلية الحال إلى الآمر والأفضل فسرا بذلك وأحسنا إلى الواصلين بالبشارة وأرسلا إليه واليا يستعمل مع أهل البلد الإحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه، وهذا يعني ان عسقلان بقيت بيد الفاطميين حتى سقوط الدولة الفاطمية[1].

وفي سنة 511هـ /1118م تعرضت مصر الفاطمية الى محاولة غزو من قبل الصليبيين بقيادة بغدوين، والذي اعتمد سياسة جديدة تجاه الدولة الفاطمية وهي الهجوم عليها ومحاولة اسقاطها اذ انها شكلت عقبة كبيرة امام الصليبين في سيطرتها على بلاد الشام. ولم يفصل ابن الاثير[2] كثيرا عن الحملة العسكرية التي قادها الفرنج على مصر اذ أشار فيها الى وفاة بغدوين اثناء حملته على **مصر بقوله: "توفي بغدوين ملك القدس وكان قد سار إلى ديار مصر في جمع الفرنج قاصدا ملكها والتغلب عليها وقوي طمعه في الديار المصرية وبلغ مقابل تنيس وسبح في النيل فانتقض جرح كان به فلما أحس بالموت عاد إلى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها ".**

وفي ضوء ما تقدم يبدو ان الإفرنج اتخذوا قرارا" بمهاجمة الدولة الفاطمية فاخذوا يستعدون لذلك فسيطروا على الصحراء الممتدة من جنوب البحر الميت الى خليج العقبة، وعملوا على بناء

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص481؛ ابن الجوزي، مرأة الزمان في تاريخ الأعيان، ج 8، ص35؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 3، ص52.

(2) الكامل في التاريخ، ج10، ص543.

التحصينات فيها فبنو حصن الشوبك[1] واتخذوه قاعدة عسكرية للانطلاق منه للسيطرة على الطرق التجارية ما بين مصر وبلاد الشام [2]. وبذلك اقام الصليبين حواجز منع وقطع للإمدادات بين مصر وبلاد الشام، وقام بغدوين قبل الهجوم على مصر بأجراء مفاوضات مع شيوخ القبائل لضمان عدم التعرض له ولقواته عند التوجه لمصر وما ان استكمل استعداداته توجه الى مصر على راس قوة عسكرية سنة 511هـ /1118م استطاعت من التوغل في الأرضي المصرية فتصدت لهم القبائل المصرية والعساكر في صحراء سيناء وعريش مصر وطردوهم منها بعد ان احدث فيها بغدوين الفوضى ونهبها وخربها وحرق المساجد الموجودة فيها[3] ، الامر الذي دفع بالوزير الفاطمي الى طلب العون من امير مدينة دمشق طغتكين الذي ارسل له المساعدة ، الا ان بغدوين استمر في التقدم فوصل مدينة تنيس الا ان حالته الصحية اخذت بالتدهور بسبب اصابه سابقه في احد المعارك مع المسلمين فاضطر الى مهادنة الوزير الأفضل ثم الانسحاب والعودة الى بيت المقدس[4]، وقد توفي وهو في طريقه اليها، ومثل بجثته [5].

وفي ضوء ما تقدم فقد بين الفرنج بقيادة بغدوين للفاطميين بأنهم يمتلكون قوة عسكرية قادرة على اسقاط الخلافة الفاطمية والسيطرة بسهولة على مصر، فضلا عن رغبة الصليبيين بوقف العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها الدولة الفاطمية على المناطق التي خضعت لسيطرة الفرنج والتي عدوها تهديدا خطيرا" على تواجدها في بلاد الشام، وبينت أيضا عن رغبة بغدوين في تامين الحدود الجنوبية الغربية من خلال بناء التحصينات وانشاء قواعد عسكرية للتصدي

---

(1) حصن الشوبك : وهي قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك . ينظر : الحموي، معجم البلدان، ج3، ص370.

(2) عاشور، الحركة الصليبية، ج 1، ص330.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج35، ص36.

(4) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ونباء الزمان ، ج5، ص301.

(5) قصد بغدوين الفرنجي الديار المصرية فانتهى إلى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها راجعاً إلى الشام وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله إلى العريش فشقه أصحابه ورموا حشوته هناك فهي ترجم إلى اليوم ورحلوا بجثته فدفنوها بقمامة وسبخة بردويل التي في وسط الرمل على طريق الشام منسوبة إلى بردويل المذكور والناس يقولون عن الحجارة الملقاة هناك إنها قبر بردويل وإنما هي هذه الحشوة وكان بردويل المذكور صاحب بيت المقدس وعكا ويافا وعدة من بلاد ساحل الشام وهو الذي أخذ هذه البلاد المذكورة من المسلمين . ينظر: ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص225؛ الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص309.

لاي خطر او هجوم عسكري محتمل من جانب الفاطميين، لذا يمكن ان نعتبر هذه الحملة العسكرية على مصر هو تحول عسكري للفاطميين من الهجوم على الصليبيين الى الدفاع عن وجودها في مصر، وهو اول غزو عسكري خارجي تعرضت له مصر من الفرنج جعل الفاطميين امام امر واحد هو عدم التعرض للصليبيين او القيام باي عمل عسكري ضدهم والقضاء على امل الفاطميين باستعادة ممتلكاتهم التي خسروها في بلاد الشام.

ولم يكتف الصليبين بالهجوم على مصر كما تقدم بل انهم طلبوا المساعدة من إيطاليا اذ أرسل بغدوين الثاني سنة (513هـ/1119م) يطلب من البندقية ارسال الدعم والاسناد ؛ لمقاتلة الدولة الفاطمية لا سيما ان الفاطميين قد بقيت بأيديهم بعض شواطئ بلاد الشام، فوصل ذلك الى مسامع البابا، والذي طلب بدوره من البندقية مساندة الفرنج ودعمهم لقتال الفاطميين ، الا ان الاستعدادات لدعم بغدوين الثاني لم تستكمل الا سنة (516هـ/1122هـ)[1] ، اذ ابحرت الحملة العسكرية من البندقية، وهي تحمل اعداد كبيرة من الصليبيين مع تجهيزاتهم العسكرية فوصلت الحملة العسكرية الى عكا سنة 517هـ 1123م .

ويعود سبب تأخر الحملة سنة كاملة الى القتال الذي اندلع ما بين البنادقة والإمبراطورية البيزنطية اثناء توجه الحملة الى فلسطين اذ اختلفوا حول الامتيازات التجارية للبنادقة في البحر المتوسط فتوجهوا الى جزيرة كورفو[2] البيزنطية لغرض السيطرة عليها الا انهم لم يستطيعوا احتلالها فغادروها الى عكا ، فوجدوا اسطول تابع للدولة الفاطمية يسيطر على بعض الشواطئ الشامية قبالة مدينة عسقلان فقاموا بمهاجمة الاسطول الفاطمي بسفن صغيرة لسحب الاسطول الفاطمي من قواعده ويتجه الى عرض البحر ثم ينقضون عليه بواسطة السفن الكبيرة [3]،وقد وقع الاسطول الفاطمي في الفخ اذ تم الإحاطة بالأسطول الفاطمي من جميع جهاته واشتبكوا معهم في معركة خاسرة **أوردها لنا ابن الاثير[4] وبشكل مختصر بقوله: " لقي أسطول مصر أسطول**

---

(1)ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج 10، ص617.

(2)جزيرة كورفو : وهي ثاني اكبر الجزر اليونانية من حيث المساحة ، يفصلها خليج ضيق عن الساحلين اليوناني والالباني ، كانت تابعة لمدينة البندقية الايطالية . ينظر: جحيدر، معجم اليوميات الليبية، ج1، ص282.

(3) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ مصر ، ص211؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3، ص، 103

(4) الكامل في التاريخ، ج10، ص617.

البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة وأخذ من أسطول مصر عدة قطع وعاد الباقي سالماً"

وخلاصة ذلك يمكن القول بانه، وعلى الرغم من الحملات والجهود الكبيرة التي بذلتها الدولة الفاطمية لوضع حد لتقدم القوات الصليبية في بلاد الشام الا انها فشلت في ذلك لعدة أسباب تأتي في مقدمتها عدم جدية الدولة الفاطمية في القضاء على التواجد الفرنجي في بلاد الشام، وكانت جهودها او حملاتها العسكرية حملات ثائر كان الغاية منها محاسبة الصليبيين ومعاقبتهم لسيطرتهم او لاستحواذهم على ممتلكات الفاطميين في بلاد الشام فكانت تلك الغارات تأديبية اكثر من تحرير الأراضي العربية من قبضة الفرنج ، كما ان القوات الفاطمية المرسلة لمقاتلة الفرنج كانت تفتقر للتوجيه والتخطيط العسكري الفاعل الذي يمكن من خلاله تحقيق النصر على القوات الغازية ، سيما وان الطرق التي كانت تسلكها القوات الفاطمية خلال حملاتها العسكرية كانت مكشوفة بالنسبة للصليبين بسبب عدم تغيير الفاطميين هذه الطرق بطرق بديلة اكثر امان وسرية وتجعلها بعيدة عن مراقبة ورصد الصليبين لها، فضلا عن اعتماد الوزير الأفضل بالدرجة الأساس على قادة لم تكن لهم خبرات في قتال الافرنج ، سيما في مجال توحيد القوتين البرية والبحرية والتي لو تحقق فيها التعاون لحققت نجاحات ساحقة على الأعداء .

ومن الأخطاء التي ارتكبها الفاطميين هو عدم ترك النزاع التقليدي ما بينهم وبين السلاجقة وتوحيد جهودهم للقضاء على التواجد الصليبي في بلاد الشام ، لذا أخفقت الدولة الفاطمية في المحافظة على هذا الجزء الحيوي الذي طالما شكل ممرا للدولة الفاطمية لتحقيق احلامها في السيطرة على المشرق واسقاط الخلافة العباسية ، ومن الملاحظ ان دور الخليفة الفاطمي يكاد يكون معدوم او غير فعال في الحوادث بسبب سيطرة الوزراء على مقاليد الحكم وانفراهم بمقدرات ومصير الدولة الفاطمية مما جعلها صعيفة في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية

2- خلافة الحافظ لدين الله (524 – 544 هـ / 1129 – 1149 م)

مرت الدولة الفاطمية بعد اغتيال الامر بأحكام الله بمرحلة خطيرة لم تسبق ان واجهت مثلها قبلا وتمثلت بمشكلة عدم وجود وريث للخلافة اذ ان الخليفة الفاطمي الامر بأحكام الله لم يعهد بولاية العهد لأي أحد من افراد البيت الفاطمي؛ مما سبب انشقاق بين أنصار الإسماعيلية ،

وبحسب ما أورده ابن الاثير[1] بقوله: " فلما قتل (أي الامر بأحكام الله) لم يكن له ولد ولي بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وإنما بويع له لينظر في الأمر نيابة حتى يكشف عن حمل إن كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائبا عنه وكان مولد الحافظ بعسقلان لأن أباه خرج من مصر إليها في الشدة فأقام بها فولد ابنه عبد المجيد هناك ".

وفي ضوء النص السابق نجد ان ابن الاثير قد أشار الى ان للأمر بأحكام الله له ولد ولم يعطي تفاصيل دقيقة ،الا ان بعض المصادر بينت ان الخليفة الفاطمي الامر باحكام الله قد اقام حفل في مصر للاحتفال بمولده الجديد سنة 524هـ/1129م[2]، وقد اسماه أبا القاسم الطيب، في حين اكدت بعض المصادر الأخرى ان الامر باحكام الله قتل ولم يترك وريث للعرش بل ترك زوجته حاملا ولم تلد له ولد بل كانت انثى[3] ،اما مصير الطفل فلم تشر المصادر التاريخية عن حالته سوى بعض الإشارة على انه قد ارسل الى اليمن[4].

وبناء" عليه كان لابد من اختيار شخصا" يقود الدولة الفاطمية من اجل عدم ترك الدولة دون خليفة وسد الفراغ الذي تركه مقتل الامر بأحكام الله لذا وقع الاختيار على ابي الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر العلويّ، وكان الآمر باحكام الله قد اصطفى مملوكين يقال لأحدهما هزاز الملوك واسمه جوامرد والآخر برغش ويلقب بالعادل وهو صاحب المسجد قبالة

---

(1) الكامل في التاريخ، ج10، ص665.

(2) ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص110؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج28، ص296.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص289؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص298؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15،ص78.

(4)اذ ظهرت بعد مقتل الامر فرقة اسماعيلية جديده عرفت بالامرية هي نسبة إلى الآمر بأحكام الله أبي علي المنصور بن المستعلي بالله أبي القاسم والذين كانوا يعتقدون إلهية الآمر وعودته إلى الدنيا ورجعته إليها وملكه لها وهم كثيرون ، كما ظهرت فرقة أخرى تسمى الدعوة الطيبة نسبة الى أبا القاسم الطيب ولد الامر باحكام الله وقد رفض الدعاة في اليمن وعلى راسهم السيدة الحرة اروى الصلحية أمامته ، وأعدوها غير شرعية لان الامامة لاتنتقل الا بالاعقاب ، واعترفوا بامامة الطيب ابن الخليفة الفاطمي الامر باحكام الله الذي اخرجه الدعاة من مصر الى اليمن خشية عليه من الوزير ابي علي بن الافضل ودخل في طور الستر فضلا عن فرقة الحافظية نسبة الى الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله . ينظر: ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ج1، ص22؛ السيوطي، لب الالباب في تحرير الانساب، ص4؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص219.

الروضة من بر مصر ، فلما قتل الآمر باحكام الله ولم يترك من يدبر الأمر من بعده معتمدا على الأمير أبي الميمون عبد المجيد وكان أكبر الفاطميين سنا، فتحايل بأن الخليفة الذي قتل كان قبل وفاته بأسبوع أشار إلى شيء من ذلك وإنه كان يرى بانه سوف يقتل بالسكين، و إن احدى زوجاته حامل منه، وإنه رأى رؤيا تدل على أنها ستلد ولدا ذكرا وهو الخليفة من بعده، وإن كفالته للأمير عبد المجيد أبي الميمون فجلس عبد المجيد المذكور كفيلا ونعت بالحافظ لدين الله وأن يكون هزاز الملوك وزيرا ، هذا الامر لم يرق للعادل برغش الذي كان يطمع بالوزارة لنفسه [1] ؛لذا عمل مكيدة للتخلص من هزاز الملوك وهي ان اقنع احمد بن الأفضل الجمالي[2] بالخروج للجند الذين طالبوا بتغيير هزاز الملوك وحاولوا اقتحام القصر الفاطمي وهددوا بحرقه وحال خروجه صاح الجند هذا هو الوزير ابن الوزير واختاروه وزير للدولة ونصبوا له مخيم امام القصر وحين أحدقوا به وأغلقت أبواب القصر، واضطر الحافظ إلى عزل هزاز الملوك ثم قتله[3] . وولى أحمد بن الأفضل الوزارة وجلس بدست أبيه، ورد الناس أموال الوزارة الا انه استبد على الحافظ ومنعه من التصرف، ونقل الأموال من الذخائر والقصر إلى داره، وكان اماميا من الشيعة الاثنا عشرية فأشار عليه الامامية بإقامة الدعوة للقائم المنتظر، وضرب الدراهم باسمه دون الدنانير ونقش عليها الله الصمد الإمام محمد وهو الامام المنتظر، وأسقط ذكر إسماعيل من الدعاء على المنابر، وذكر الحافظ وأسقط من الأذان حي على خير العمل ونعت نفسه بنعوت أمر الخطباء بذكرها على المنابر، وأراد قتل الحافظ بمن قتله الامر باحكام الله من اخوته لان الامر باحكام الله أجحفهم عند نكبة الأفضل، وقتلهم فلم يقدر أبو علي احمد الجمالي على قتله، فخلعه واعتقله، وركب بنفسه في المواسم وخطب للقائم[4].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص241.

(2) احمد بن الأفضل أمير الجيوش شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي المصري سجن بعد قتل أبيه مدة إلى ان قتل الآمر وأقيم الحافظ فأخرجوا الأكمل وولى وزارة السيف والقلم، وكان شهما مهيبا عالي الهمة كأبيه وجده فحجر على الحافظ ومنعه من الظهور وأخذ أكثر ما في القصر. وأمر الخطباء بأن يخطبوا له بهذه= =الألقاب التي نص لهم عليها، وهي: السيد الأفضل الأجل ، سيد ممالك أرباب الدولة ، المحامي عن حوزة الدين ، ناشر جناح العدل على المسلمين ، ناصر إمام الحق في غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضي سيفه وصائب رأيه وتدبيره ، أمين الله على عباده قتل سنة 526هـ /1131م .ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان و، ج19،ص86.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج3، ص193.

(4) ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص 113؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص72.

اما ابن الاثير[1] فقد اورد رواية قصيرة عن أوضاع الخلافة الفاطمية أيام الحافظ قائلا: " ولما ولى استوزر أبا علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي، واستبد بالأمر وتغلب على الحافظ ومحجر عليه وأودعه في خزانة ولا يدخل إليه إلا من يريده أبو علي وبقي الحافظ له اسم لا معنى تحته، ونقل أبو علي كل ما كان في القصر إلى داره من الأموال وغيرها ولم يزل الأمر كذلك إلى أن قتل أبو علي سنة ست وعشرين وخمسمائة فاستقامت أمور الحافظ وحكم في دولته وتمكن من ولايته وبلاده" .

وقد الوزير أحمد الجمالي قام بأجراء العديد من التعديلات منها تعديل على النظام القضائي اذ انه عين أربعة قضاة اثنان أحدهما إمامي والآخر إسماعيلي، وهما هبة الله الشيعي[2] وهبة الله الانصاري[3] واثنان أحدهما مالكي أبو عبد الله محمد[4] والآخر شافعي وهو سلطان بن إبراهيم[5] فحكم كل منهما بمذهبه ، وورث على مقتضاه[6]، فضلا عن إقامة الخطبة للقائم المنتظر ، وضرب السكة باسم القائم فنقش عليها عبارة(الله الصمد الامام محمد) [7] .

---

(1) الكامل في التاريخ، ج10، ص665؛ ينظر: ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 33؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص 65.

(2) هبة الله بن عبد الله: هو هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن ابي كامل، كان على مذهب الشيعة الامامية ومن فقهاهم المعروفين في مصر. ينظر: ابن حجر، رفع الاصر عن قضاة مصر، ص459.

(3) هبة اللَّه بن عبد الله بن حسن: هو هبة اللَّه بن عبد الله بن حسن بن محمد، أبو الفضائل، المعروف بابن الأزرق، عمل مدرس في دار العلم اذ عهد اليه الخليفة الحافظ التعليم هنالك فأختلف مع أحد مدرسي الدار، ثم عين قاضي في وزارة احمد بن الأفضل. ينظر: ابن حجر، رفع الاصر عن قضاة مصر، ص 458؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص142.

(4) أبوعبد الله محمد بن المحدث أبي محمد عبد المولى بن محمد بن أبي عبد الله عقبة اللخمي اللبني المالكي حدث بالإجازة عن والده ولقب باللبني نسبة إلى لبن، وهي من قرى القدس، وقد كلف هذا القاضي بعد مقتل أحمد بن الأفضل بأجراء عقود الزواج من قبل الوزير رضوان بن ولخشي وظل يمارس هذه المسؤولية مدة ثلاثة أشهر. ينظر: ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج7، ص277.

(5) سلطان بن إبراهيم بن مسلم أبو الفتح المقدسي الفقيه ابن الصابوني، ويعرف بابن رشا أحد الأئمة تفقه على الفقيه نصر بن إبراهيم حتى برع في المذهب الشافعي مقدسي المولد، دخل مصر وسمع الكثير بقراءته على أبي إسحاق الحبال والخلعي ، كان من أفقه الفقهاء بمصر .ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج7، ص94؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص186.

(6) ابن ميسر، اخبار مصر، ج2، ص114؛ محسن الأمين، اعيان الشيعة، ج2، 481.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص627؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص200.

وفي ضوء ما تقدم فقد مثلت هذه الفترة من الخلافة الفاطمية منعطفا" تاريخيا" خطيرا" جعل من الدولة خاوية يتلاعب بها الوزراء، ومن ثم الجند الذين أصبحوا يتدخلون في اختيار الوزراء، وهذا يدل على الضعف الكبير الذي أصاب الدولة الفاطمية، بل تعدى الوزراء صلاحياتهم بان اسقطوا اسم إسماعيل من الدعوة ودعوا للأمام المنتظر محمد بن الحسن (عليه السلام) الاثنا عشري، وهذا يمثل رسميا اسقاط الدولة الفاطمية التي قامت على أساس الدعوة الإسماعيلية لا الاثنا عشرية ، ان هدف احمد بن الأفضل من ذلك هو الاخذ بالثأر من قتلة اسرة ال الجمالي الذي قام بتصفيتهم الامر بأحكام الله الفاطمي، والدليل على ذلك ما قام به من تعديلات اتجاه القضاء بان جعله مشتركا" بين مختلف الفرق الإسلامية ، فضلا عن رغبته بأضعاف المذهب الإسماعيلي او القضاء عليه . لذا بدء الحافظ لدين الله وبمساعدة من قبل الخادم يانس [1] يخطط للقضاء على الوزير احمد بن الأفضل.

وقد أورد ذلك ابن الاثير[2] بقوله: " قتل أبو علي بن الأفضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ لدين الله العلوي صاحب مصر وسبب قتله أنه كان قد حجر على الحافظ ومنعه أن يحكم في شيء من الأمور قليل أو جليل وأخذ ما في قصر الخلافة إلى داره وأسقط من الدعاء ذكر إسماعيل الذي هو جدهم ، وإليه تنسب الإسماعيلية ...وأمر الخطباء أن يخطبوا له بألقاب[3] كتبها لهم ...".

يبدو من خلال النص ان الوزير احمد بن الأفضل قد خلق نتيجة هذه السياسية التي اتبعها أعداء له متربصين به للقضاء عليه اذ ان كبار القادة والجند المقربين من الدولة الفاطمية أدركوا ان الدولة في طريقها للسقوط اذ استمر هذا الوزير على هذا النحو في السيطرة على الدولة والخطبة والدعاء لنفسه من دون الخليفة الفاطمي، فضلا عن ذلك فأنه يعني القضاء على نفوذهم

---

(1) يانس: هو أبا الفتح يأنس الحافظي الارمني لقب أمير الجيوش، وهو صاحب حارة اليانسية وكان مملوك للأفضل بن بدر الجمالي ثم عمل في خدمة الحافظ لدين الله الذي استوزرة بعد مقتل أبا علي احمد بن الأفضل. ينظر: ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج3، ص65؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص252.

(2) الكامل في التاريخ، ج10، ص673.

(3) أشار ابن الاثير متعجبا من هذه الألقاب التي لقب بها احمد الجمالي نفسة فيها قائلا "إنما ذكرت ألقاب أبي علي علي تعجبا منها، ومن حماقة ذلك الرجل فإن وزير صاحب مصر وحدها إذا كان هكذا فينبغي أن يكون وزير السلاطين السلجوقية كنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على أن تربة مصر هكذا تولد ألا ترى إلى فرعون يقول :(أنا ربكم الأعلى)". ينظر: الكامل في التاريخ ، ج12،ص673.

السياسي في مصر لذ اخذوا يتحينون الفرص للقضاء عليه وتصفيته، واتفق على ذلك عدد من الجنود لتحقيق هدفهم[1]. وقد جاءت لهم الفرصة لقتل احمد بن الأفضل اذ توجه خارج القاهرة على فرسه للسباق ولعب كرة القدم على عادته وبعد مدة قصيره تمت مهاجمته من قبل عشرة من الصبيان الخاص[2] كانوا قد اتفقوا على قتله وقد وثبوا عليه وطعنوه بالسكاكين حتى قتل، وقطعت راسه وارسلت الى القصر سنة (526هـ/1131م) [3]. اما دار احمد بن الأفضل فقد نهبت وتم الاستيلاء على خزائنه، واطلق سراح الخليفة الفاطمي من سجنه واجلسوه على كرسي الخلافة وتم ابلاغ الخليفة بان الخادم يانس هو من خطط لقتل ابن الأفضل [4].

وبعد القضاء على احمد بن الأفضل عين الخليفة الحافظ لدين الله يانس وزيرا له ولقبه امير الجيوش سيف الإسلام، وذلك لجهوده الكبيرة في تخليص الخليفة من سجنه وقضاءه على الوزير ابي علي احمد الجمالي وقضاءه على الاسرة الجمالية نهائيا، اذ لم تذكر بعد ذلك الى سقوط الدولة الفاطمية، الا ان ابن يانس لم يتعظ من أخطاء الوزراء السابقين اذ سلك نفس سياسة سلفه في التعامل مع الخليفة الحافظ الذي بداء يخطط للتخلص منه والقضاء عليه [5].

وقد أورد ابن الاثير[6] ذلك بقوله: "... استوزر أبا الفتح يأنس الحافظي في ذلك اليوم بعينه ولقب أمير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير الشر فخافه الحافظ على نفسه وتخيل منه يأنس فاحتاط ولم يأكل عنده شيئا ولا شرب ، فاحتال عليه الحافظ بأن وضع له فراشه في بيت الطهارة ماء مسموماً فاغتسل به فوقع الدود في سفله وقيل له متى قمت من مكانك

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص140؛ اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج3، ص191.

(2) الصبيان الخاص: وهم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة نفر منهم أمراء وغيرهم، ومقامهم مقام المعروفين بالخاصكية والخاصكية هم الذين يلازمون السلطان في خلواته ويسوقون الحمل الشريف ويجهزون في المهمات الشريفة ومتعينون للإمرة ، والمقربون في المملكة. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج3، ص552.

(3) القمي، الكنى والالقاب ، ج2، ص460؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج10، ص666؛ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص239.

(4) ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ص78؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص296.

(5) ابن حجر، رفع الاصر عن قضاة مصر، ص444؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص299؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكرى الخطط والاثار، ج2، ص19.

(6) الكامل في التاريخ، ج10، ص673.

هلكت فكان يعالج بأن يجعل اللحم الطري في المحل فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفاء ، فقيل للحافظ إنه قد صلح وان تحرك هلك فركب إليه الحافظ كأنه يعوده فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفي"

من خلال النص السابق فقد تبين لنا ان الدولة الفاطمية أصبحت خاوية يتلاعب بها الوزراء اذ وصلت بهم الى حبس الخليفة الفاطمي وتحجيم دوره بل تعدى ذلك الى اغتيال بعض الخلفاء الفاطميين، وقد بقي هذا الحال حتى انهيار الدولة الفاطمية وسقوطها، فضلا عن ذلك استخدام الخلفاء الفاطميين طريقة جديدة للتخلص من منافسيهم او ممن يسئ معاملة الخليفة الفاطمي وهو استخدام السم في مياه الاستحمام، ومن جانب اخر يلاحظ من ان الوزراء أيضا لم يتعظوا من مصير الوزراء السابقين الذين قتلوا بسبب سياستهم واستبدادهم وتفردهم بالحكم دون الخليفة الفاطمي، وهذا ما حدث مع الوزير يانس الذي اخذ يعمل على ابعاد الخليفة الفاطمي عن السلطة محاولا القضاء على الخليفة وعدد من الصبيان الخاص.

والعدم اطمئنان الوزير لهؤلاء الخاص وكان يتخوف منهم ان يقوموا بتصفيته كما فعلوا مع احمد الجمالي، لذا عمل على قتل ثلاثمائة منهم وهرب الباقي، وبذلك عمل على تحجيم دورهم والقضاء على خطرهم، مما أدى الى استنكار الخليفة لما فعله بالخاص، وصار يعمل على تدبير المكائد لقتلة والتخلص منه [1].

ومما زاد الامر سوء بين الخليفة الفاطمي ويانس انه عمل على تصفية عدد من المقربين للخليفة الفاطمي، ومنهم قاضي القضاة أبو الفخر[2]، والقاضي ابن قادوس[3]؛ لذا اصبح من الصعوبة على الخليفة الفاطمي تقبل الوضع، وخاف على نفسه من ان يقتل على يد الوزير يانس، لذا طلب من احد الأطباء ان يصنع له سم لقتل الوزير الا ان الطبيب خاف من سطوة أبو الفتح يانس ، الا ان الخليفة الفاطمي نفذ ما ارد بوضع السم للوزير في المياه التي يغتسل

---

(1) النويري، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28، ص.

(2) هو أبا الفخر صالح بن عبد اللَّه بن أبي رجاء عين قاضيا للقضاة في مصر من قبل الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي بعد عزل هبة الله بن ميسّر القيسراني، قبض عليه الوزير يأنس الرّومي وقتله، فولّى سراج الدّين أبو الثّريّا نجم بن جعفر، ثم قتل في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ؛ فأعيد سناء الملك بن ميسّر ، فأقام إلى أن قبض عليه ، وسيّر إلى تنّيس فقتل بها . وولى بعده القاضي الأعزّ أبو المكارم أحمد بن عبد الرّحمن بن محمد بن أبي عقيل، إلى أن توفي. ينظر: ابن ميسر، أخبار الدول المنقطعة، ص 101.

(3) لم يعثر الباحث على ترجمة له في المصادر التي اطلع عليها.

بها فأصيب بمرض خطير علاجه هو عدم التحرك من مكانه وأشار الطبيب على الخليفة الفاطمي بزيارته لتعجيل قتله فقام الحافظ لدين الله بزيارته ،واطال المكوث عنده، مما اضطر الوزير الجلوس والتحرك لوقت طويل فما ان خرج الخليفة من دار الوزير حتى سمع بموت الوزير [1].

3- الصراع على ولاية العهد بين أبناء الخليفة الحافظ لدين الله

قاست الدولة الفاطمية بعد ازدياد نفوذ الوزراء من استبداد وتفرد الوزراء بالسلطة بل وتعدى ذلك الى سجن الحلفاء الفاطميين بعد تجريدهم من كافة صلاحياتهم تمهيدا لأسقاط الخلافة الفاطمية، لذا سار الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله على سياسة سلفه الامر بأحكام الله الذي لم يتخذ له وزير بعد مقتل الأفضل الجمالي، فقرر الاعتماد على نفسه في ادارة الدولة دون ان يكون هناك من يشاركه فيها، الا انه لم يستمر طويلا في ذلك فعدل من سياسه الإدارة بان جعل ابنه الأكبر سليمان وزير له واتخذه واليا للعهد بدل من الاستعانة بوزير من احدى الاسر المتسلطة، والذي يعمل في النهاية على تحجيم دوره وحصر السلطات بيده [2].الا ان سليمان توفي بعد شهرين من توليه الوزارة [3]، ثم بعد ذلك منح الحافظ لدين الله ولاية العهد لابنه أبا تراب حيدرة الا انه بهذا الاجراء قد تسبب بمشكلة داخل البيت الفاطمي اذ انه قد تجاوز الأخ الأكبر الحسن وأعطى ولاية العهد والوزارة الى اخيه الأصغر حيدرة؛ والسبب يعود الى ان الحسن كان مستبدا لا يحترم ابيه[4] ،الامر الذي لم يرتضيه الحسن مما دفعه الى اعلان الثورة وجرى بينه وبين أبى تراب حيدرة، حرب شديدة وافترقت العساكر على فرقتين، وهما الرّيحانية وغالبيتهم من العبيد السودان ، والجيوشية وتنتسب الى بقايا جيوش الامير بدر الجمالي واغلب عناصرها من الأرمن[5]، ووقعت الحرب بينهما ؛ وقتل من الطَّائفتين عشرة آلاف رجل . وكان سبب ذلك أن الحافظ جعل ولده حيدرة ولىّ عهده من بعده، فلم يرض الحسن بذلك، فوقع الاختلاف والحرب بينهما واستظهر الحسن على أخيه حيدرة، فهرب حيدرة إلى أبيه، فأرسل الحافظ إلى ابنه

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكرى الخطط والاثار، ج3، ص33.

(2) ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص45؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص235.

(3) أبن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص72.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكرى الخطط والاثار، ج2، ص22.

(5) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج3، ص552.

الحسن ليدخل إليه، فامتنع وضايق القصر، وطالبه بأخيه حيدرة، فتلافاه الحافظ بان جعله ولىّ عهده من بعده [1].

وتمكَّن الحسن من الدّولة والتصرف فيها بحسب رأيه ، ولم يبق للحافظ معه حكم[2]، وقد اشار ابن الاثير[3] الكيفية التي تعامل بها الخليفة مع ابنة الحسن اذ استوزره سنة(526هـ/1131م) وخطب له بولاية العهد فبقي هذه السنة الى ان مات مسموماً على يد ابيه ؛ ويرجع السبب في ذلك الى أنه كان جريئاً على سفك الدماء، وكان في نفس الحافظ على الأمراء الذين أعانوا أبا علي بن الأفضل حقد ويريد الانتقام منهم من غير أن يباشر ذلك بنفسه فاستوزر ابنه وأمره بذلك فتغلب على الأمر جميعه واستبد به ولم يبق لأبيه معه حكم وقتل من الأمراء المصريين ومن أعيان البلاد جمعاً حتى إنه قتل في ليلة واحدة أربعين أميراً فلمّا رأى أبوه تغلبه عليه أخرج له خادماً من خدم القصر الأكابر فجمع الجموع وحشد من الرجالة خلقاً كثيراً وتقدم إلى القاهرة ليقاتل الحسن ويخرجه منها ، فأرسل له جماعة من خواصه وأصحابه فقاتلوهم فانهزم الخادم وقتل الرجال الذين معه وعبر الباقون إلى الجيزة [4].

ثم إن الباقين من الأمراء المصريين اجتمعوا واتفقوا على قتل الحسن وأرسلوا إلى أبيه الحافظ وطلبوا منه ان يسلم ابنه اليهم ليقتلوه وان رفض ذلك فانهم سوف يقومون بقتله وقتل والده فاستدعى ولده إليه واحتاط عليه ، وأرسل إلى الأمراء في محاولة لتهدئتهم الا انهم اعلموه بقرارهم انهم لا يرضون إلا بقتله فرأى أنه إن سلمه إليهم طمعوا فيه وليس إلى إبقائه سبيل[5]، وفي نفس نفس الوقت ادرك الحسن بانه لا يستطيع التصدي لهذه الجموع الغفيرة المحتشدة لقتله ففر الى القصر لكي يوفر له والده الحماية من القتل ، وعلى الرغم من المحاولات المتكررة من قبل الخليفة الفاطمي لتهدئة الأوضاع الا ان المجتمعين كانوا مصرين على طلبهم ، وهددوا بحرق

---

(1) ابن ميسر، اخبار مصر ، ص119–120؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص149.

(2) أبن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص389؛ أبن ميسر، أخبار مصر، ج2، ص79؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص195.

(3) الكامل في التاريخ، ج11، ص23.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص72.

(5) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص300.

القصر في حال عدم تنفيذ مطلبهم مما دفع الخليفة الى طلب المهلة لتحقيق مطلبهم[1]، فأحضر طبيبين كانا له أحدهما مسلم والآخر يهودي فقال لليهودي:" نريد سماً نسقيه لهذا الولد ليموت ونخلص من هذه الحادثة فقال أنا لا أعرف غير النقوع وماء الشعير وما شاكل هذا من الأدوية فقال أنا أريد ما أخلص به من هذه المصيبة فقال له لا أعرف شيئاً فأحضر المسلم وأمره بذلك فصنع له شيئاً فسقاه الولد فمات لوقته فأرسل الحافظ إلى الجند يقول لهم إنه قد مات فقالوا نريد ننظر إليه فأحضر بعضهم عنده فرأوه وظنوه قد عمل حيلة فجرحوا أسافل رجليه فلم يجر منها دم فعلموا موته وخرجوا ودُفن الحسن "[2].

وفي ضوء ما تقدم نجد ان الدولة الفاطمية أصبحت دولة محطمة فلم يعد للخليفة الفاطمي أي هيبة داخل الدولة، اذ تتلاعب به الجيوش التي انقسمت وتصارعت من اجل السيطرة على إدارة الدولة ولأول مرة في تاريخ الدولة الفاطمية يقوم الاب بقتل ابنه بدس السم له للتخلص منه فلم يسبق بان قام خليفة فاطمي بمثل هذا الفعل، اذ وجد الحافظ نفسه ما بين استمرار الخلافة الفاطمية او اسقاطها اذ اتفق الجند والامراء على خلع الحافظ وولده الحسن وارسلوا الى الحافظ بذلك وهددوا باقتحام القصر، وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها الحافظ لتهدئة الثائرين فعرض عليهم الأموال والمناصب الا انهم رفضوا مطالبين بقتل الحسن، وتم امهال الحافظ ثلاثة أيام لتنفيذ المطالب، مما اضطره الى قتل ولده بدس السم له من اجل المحافظة على الخلافة وتهدئة الوضع العام في مصر .

وبعد مقتل الحسن بن الحافظ منح الخليفة الوزارة الى بهرام الأرمني[3] بعد تعرض الخليفة الفاطمي الى ضغط من قبل الامراء على توليه، اذ كان بهرم من المولين للحسن بن الحافظ، فقد ارسل له حشد الأرمن من صعيد مصر لنصرته على امراء وكبار رجالات الدولة والذين كانوا

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج9، ص254؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، ج1، ص 242؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 4، ص240.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص23؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص155.

(3) بهرم الأرمني: هو أبو المظفر بهرام تاج الدولة وسيف الإسلام، وزير فاطمي نصراني الديانة أرمني الجنسية، قدم إلى القاهرة والتحق بخدمة الدولة وارتفعت مكانته لحكمته وحسن سياسته فتولى ولاية المحلة، ثم قدم إلى القاهرة وتولى الوزارة سنة 529هـ/1134م وقام بالعديد من الإصلاحات، واستمر في وزارته قرابة العامين حتى طرده منها رضوان بن ولخشي وتولى مكانه. وقد مات بهرام سنة 535هـ/1135م. ينظر: الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج6، ص514؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 38.

يطالبون بقتل الحسن، فسار بهرم بالأرمن اذ بلغ عددهم الفي رجل الا انه وصل متأخر الان الحسن قد قتل، ونتيجة لذلك اضطر الخليفة الفاطمي الى القبول بتعيين بهرام وزيرا له سنة(529هـ/1134م) وخلع عليه وفوض إليه الأمور السلطانية ولقبة بسيف الإسلام تاج الملوك[1].

وكان الخليفة الفاطمي قد استشار بعض أهله وأكابر رجالات دولته فيما يتعلق برتقاء الوزير بهرم المنبر، فقد أشاروا عليه ألا يفعل، لأنه نصراني ولا يرضاه المسلمون، وإنّ من شروط الوزارة أنّ الوزير يرقى المنبر مع الإمام في الأعياد ليزرّ عليه المأزرة الحاجزة بينه وبين الناس؛ وأنّ القضاة هم نواب الوزراء، من زمن أمير الجيوش بدر الجمالي، ويذكرون في النّيابة عنهم في الكتب الحكمية النّافذة عنهم إلى الآفاق فرد عليهم الحافظ ذلك بانه إذا رضيناه نحن فمن يخالفنا، وهو وزير السيف، وأمّا صعود المنبر فيستنيب عنه فيه قاضى القضاة ، وأمّا ذكره في الكتب الحكميّة فلا حاجة إلى ذلك [2].

وقد أورد ابن الاثير[3] ذلك بقوله: "ولما مات حسن استوزر الحافظ الأمير تاج الدولة بهرام وكان نصرانياً فتحكم واستعمل الأرمن على الناس فاستذلوا المسلمين"

وفي موضع اخر ذكر ابن الاثير[4] ذلك عندما بين مصير بهرام الأرمني بعد ان تعسف في سياسته اتجاه المسلمين في مصر بقوله: "هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين الله العلوي صاحب مصر ... هو والأرمن الذين ولاهم وطمعوا فيهم فلم يكن في أهل مصر أنف من ذلك إلا رضوان بن الريحيني[5] فإنه لما ساءه ذلك وأقلقه جمعاً كثيراً وقصد القاهرة فسمع به بهرام فهرب إلى الصعيد من غير حرب ولا قتال وقصد مدينة أسوان فمنعه واليها من الدخول إليها وقاتله " .

---

(1) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص73.

(2) ابن ميسر ، المنتقى من اخبار مصر ، ج2 ، ص 123؛ المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص156.

(3) الكامل في التاريخ ،ج11، ص24.

(4) المصدر نفسه ،ج11، ص49.

(5) رضوان بن ولخشي كان يعمل حاجبا للخليفة الفاطمي عندما كان بهرام وزير للحافظ، وكان معروف بقوة شخصيته الامر الذي اثار مخاوف الوزير من تنامي نفوذة فقام بأرساله الى عسقلان ليكون واليا عليها ، وقد عمل على الحد من استقدام الاعداد من الأرمن الى بلاد الشام من قبل بهرام الامر الذي لم يرق الى الوزير فاستدعاه وجعلة واليا على الغربية بمصر ثم اصبح وزيرا للخليفة الفاطمي الحافظ، وهو اول وزير من اهل السنة وعلى المذهب المالكي يتولى هذا المنصب، وقد قام ببناء المدرسة الحافظية. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج10، ص465؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج3، ص158 .

يتضح من خلال النص ان الأوضاع الداخلية في مصر أصبحت مرتبكة جدا"، اذ اساء الوزير بهرم للناس بشكل عام والخليفة الفاطمي بشكل خاص، اذ اتبع سياسة استقدام الأرمن وبأعداد كبيرة، فضلا عن تحكمه بأمور الدولة دون الخليفة، الامر الذي استفز امراء البلاد مما دفعهم الى مراسلة رضوان، يطلبون منه التوجه الى القاهرة الاستلام الوزارة، وتخليصهم من بهرام، فوافق على ذلك وسار بقواته الى القاهرة، فخرج بهرام بقواته لمقاتلة رضوان الذي قام بحرمة رفع المصاحف على رؤوس الرماح؛ بهدف تفكيك جيش بهرام وقد نجح في ذلك ، اذ ترك المسلمون الذين كانوا ضمن جيش بهرام وانظموا الى رضوان، فلم يبقى مع بهرام الا عدد قليل من الأرمن اذ اضطر الى الانسحاب بقواته من ارض المعركة فدخل رضوان القاهرة [1]، الامر الذي دفع الخليفة الفاطمي الحافظ الى تعينه وزيرا له ولقبه بالملك الأفضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك وكان ذلك بعد ترك بهرام القاهرة والتي دخلها رضوان وبدورة قام بأرسال جيش لمطاردة بهرام الأرمني والذي حصل فيما بعد على الأمان مع جيشة الأرمني من الخليفة الفاطمي الحافظ[2].

ثم فسد ما بينه وبين الحافظ فقد سار على سياسة سلفه من الوزراء السابقين بعدم احترام الخليفة وخاصته، فضلا عن محاولته خلع الخليفة الحافظ اذ عقد اجتماع للفقهاء شرح فيه عدم احقية الخليفة الفاطمي بالخلافة؛ كونه كفيلا لغيره، وانه ليس الامام او الخليفة الواجب الطاعة [3]. وعندما وصلت اخبار ذلك الى الخليفة، فعمل على استخدام الحيلة لطرد رضوان من القاهرة من خلال استدعاء بهرام الى القصر الفاطمي، وقد وافق رضوان مجبرا"، مشترط على الخليفة بان لا يوليه أي منصب، ثم قام الخليفة وبالاتفاق مع ابن السلار[4] والصبيان في القضاء على

---

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الادب، ج28، ص197؛ الهاشمي، موسوعة تأريخ العرب، ص364.

(2) الارمني، أبو المكارم سع الله (ت 605هـ/1208م)، كنائس واديرة مصر المعروف بتاريخ ابو صالح الارمني، ترجمة وتحقيق إفيليت، طبع في المطبعة المدرسية في مدينة أوكسفورد ،1895م، ص106؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص73.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص166.

(4) العادل بن السلار: هو أبو الحسن علي بن السلار المنعوت بالملك العادل سيف الدين، وزير الظافر بأمر بالله الفاطمي، وهو من اصول كردية زرراريه وكان تربية القصر بالقاهرة وتقلبت به الأحوال في الولايات وبالصعيد وغيره ، ثم عين واليا على الإسكندرية والبحيرة ثم تركها الى القاهرة فور سماعه بوفاة الخليفة الفاطمي الحافظ معترض على وزراة ابن المصال، وبقي في القاهرة حتى تولى الوزارة للظافر سنة 543هـ/1149م وتشير بعض المصادر على ان

رضوان الذي ادرك عدم قدرته على التصدي لهم[1]، مما دفعه الى الهرب من داره وتركها بما فيها فنهب الناس منها ما لا يحد ولا يحصى وركب الحافظ فسكن الناس ونقل ما بقي في دار رضوان إلى قصره[2].

فسار رضوان يريد الشام يستنجد الأتراك ويستنصرهم فقصد صرخد[3] فوصل إليها في ذي القعدة ونزل على صاحبها أمين الدولة كمشتكين[4] فأكرمه وعظمه وأقام عنده [5].

ثم سار إلى مصر سنة(534هـ /1139م) ومعه عسكر فقاتل المصريين عند باب النصر[6] وهزمهم وقتل منهم جماعة كثيرة وأقام ثلاثة أيام فتفرق عنه كثير ممن معه فعزم على العود إلى الشام [7]، فأرسل إليه الحافظ الأمير ابن مصال[8] فرده وحبسه عنده في القصر وجمع بينه وبين عياله وأهله فأقام في القصر ، فنقب الحبس وخرج منه وقد أعدت له خيل فهرب عليها وعبر النيل إلى الجيزة[9] وجمع المغاربة وغيرهم وعاد إلى القاهرة فقاتل المصريين عند جامع ابن طولون وهزمهم ودخل القاهرة فنزل عند جامع الأقمر فأرسل إلى الحافظ يطلب منه مالاً ليفرقه على عادتهم فإنهم كانوا إذا وزروا وزيراً أرسلوا إليه عشرين ألف دينار ليفرقها فأرسل الحافظ

الظافر استوزر نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال في أول ولايته وكان ابن مصال من أكابر أمراء الدولة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج1، ص237؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص210.

(1) أبن ميسر، إخبار مصر،ج2، ص83، أبن خلدون، تأريخ ابن خلدون، ج4، ص94.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36، ص202.

(3) صرخد: هي بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص401.

(4) كمشكين: هو امين الدولة، ربيع الإسلام، أمين الدين كمشتكين بن عبد الله الطغتكي، نائب قلعة بصرى وقلعة صرخد، توفي سنة 541 هـ/1147م. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج24، ص276.

(5) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص50.

(6) باب النصر: وهو أحد ابواب القاهرة التي شيدها جوهر الصقلي بعد دخوله مصر وبناء مدينة القاهرة وتم تجديد بناءه على يد الأفضل بن بدر الجمالي. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج3، ص397؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، ص39.

(7) النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28، ص305.

(8) ابن المصال: هو نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال ، وكان ابن مصال من أكابر أمراء الدولة ارسله الحافظ لاعتقال رضوان فتم له ذلك بعد ان اعطى له الأمان، ثم استوزره الخليفة الفاطمي الظافر وقد قتل على يد ابن السلار. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج3، ص416؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص108.

(9) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، ص272 .

عشرين ألف دينار فقسمها وكثر عليه الناس وطلب زيادة فأرسل إليه عشرين ألف دينار ففرقها فتفرق الناس وخفوا عنه فإذا الصوت قد وقع وخرج إليه جمع كثير من السودان وضعهم الحافظ عليه فحملوا على غلمانه فقاتلوهم فقام يركب فقدم إليه بعض أصحابه فرساً ليركبه فلما أراد ركوبه ضرب الرجل رأسه بالسيف فقتله وحمل رأسه إلى الحافظ فأرسله إلى زوجته فوضع في حجرها فألقت به وقالت هكذا يكون الرجال ولم يستوزر الحافظ أحداً وباشر الأمور بنفسه إلى أن مات[1] .

وفي ضوء ما تقدم فان منصب الوزارة في الدولة الفاطمية بات يشكل عبئا" كبيرا عليها اذ خسرت الدولة الكثير من هيبتها واموالها في سبيل التخلص من الوزراء المتمردين، والذين تسببوا في زعزعة الامن والاستقرار الداخلي، وادخلت الدولة في صراع وانقسام عجل في نهايتها وجعلها عرضة لمحاولات الوزراء المتمردين للاستحواذ على السلطة ومحاولة إقالة الخلفاء الفاطميين واستبدالهم بآخرين لتعزيز سيطرتهم على الدولة او محاولة قتلهم بدس السم لهم والقضاء عليهم.

اما الصراع بين المتنفذين من كبار رجالات الدولة الطامعين بمنصب الوزير فقد تحول من وشاية لدى الخليفة ليعزلوا او يقتلوا الى صراع فيما بينهم للاستحواذ على المنصب، واستفاد منه الخليفة الفاطمي بضرب المتصارعين بعضهم مع البعض الاخر ، وكانت ردة فعل الخلفاء الفاطميين هو ترك الدولة دون وزير وادارتها من قبلهم مباشرة دون ان يكون هناك وزير حتى من أبناء الخلفاء الذين طمعوا أيضا بالخلافة وتصارعوا فيما بينهم للاستحواذ على السلطة، وبذلك فقد مرت الدولة الفاطمية في فترة صعبة جدا لا سيما بعد خسارتها اغلب ممتلكاتها في المغرب و بلاد الشام فضلا عن الازمة الاقتصادية الحادة وارتفاع الأسعار وانتشار الأوبئة والامراض في مصر سنة 536هـ/1141م [2].

4- خلافة الظافر بامر الله (544-549هـ/1149-1154م):

لقد أشار ابن الأثير[3] الى ان الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله توفي سنة 544هـ/1149م فبويع لولده ابي المنصور إسماعيل في نفس يوم وفاته وتلقب بالظافر بأمر الله [4]، وقد استمر

---

(1) الكامل في التاريخ ،ج11، ص50.

(2) الكامل في التاريخ، ج11، ص137.

(3)المصدر نفسة، ج11، ص141؛ ينظر كذلك: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج1، ص237.

(4) أبو المنصور إسماعيل الملقب الظافر ابن الحافظ محمد، بويع الظافر يوم مات أبوه بوصية أبيه وكان أصغر أولاد أبيه سنا وكان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجواري واستماع الأغاني، وكان يأنس إلى نصر بن عباس وكان

في عهده الصراع على الوزارة بين كبار رجالات الدولة الذين دئبوا في محاولات السيطرة على السلطة مستغلين صغر سن الخلفاء الفاطميين اللذين يتولون السلطة بعد وفاة ابائهم، ومنهم الظافر بأمر الله الذي تولى الخلافة وعمره 17 عشر عاما اذ انه ولد في القاهرة سنة 527هـ/1131م، واتخذ من ابن مصال وزيرا له فبقي أربعين يوما يدبر الأمور فقصده العادل بن السلار من ثغر الإسكندرية ونازعه في الوزارة، وكان ابن مصال خارج القاهرة في طلب بعض المفسدين من السودان فخالفه العادل بالقاهرة وصار وزيراً " ولقّبه الخليفة الفاطمي الظافر بالله بالأفضل امير الجيوش سعد الملك ليث الدولة[1] ، **وقد أشار ابن الاثير[2] الى الطريقة التي تم فيها وصول العادل الى الوزارة وقتل ابن المصال وزير الحافظ بقوله: " وسير عباس بن أبي الفتوح[3] بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي في عسكره وهو ربيب العادل إلى ابن مصال فظفر به وقتله وعاد إلى القاهرة واستقر العادل وتمكن ولم يكن للخليفة معه حكم "**

ويبدو مما تقدم ان قوات الخلافة أصبحت متورطة في الصراع المحتدم بين المتنافسين على منصب الوزارة، اذ نلاحظ ان والي الإسكندرية لم يرق له اختيار الظافر الفاطمي العادل بن المصال وزيرا" له فتحرك بقوة عسكرية من الإسكندرية الى القاهرة بعد الاتفاق مع عباس بن ابي الفتوح الصنهاجي بهدف الحصول على منصب الوزارة بالقوة، وعندما وردت اخبار ذلك للخليفة الفاطمي، والذي كان يدرك بان ابن المصال غير قادر على التصدي لهذه القوات المشتركة ، فنصح الخليفة وزيره ابن مصال بعد ان أعطاه الاموال بالخروج من القاهرة الى صعيد مصر، للاستعانة بهم في قتاله مع ابن السلار، فسمع الوزير كلام الخليفة وسار الى الصعيد وحشد جماعة من المغاربة، الامر الذي لم يرق للعادل سيطرة ابن مصال على الصعيد، فجهز العساكر

عباس وزيره. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص202؛ الغربي، حمزة بن أحمد بن عمرو (ت 926هـ/ 1520م)، تأريخ أبن ساباط المعروف بصدق الأخبار، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص 94؛ القمي ، الكنى والالقاب ، ج2، ص640؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرا الذهب في اخبار من ذهب ، ص153.

(1) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج20، ص282؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص74.

(2) الكامل في التاريخ، ج11، ص141.

(3) عباس بن ابي الفتوح: هو ابا الفضل عباس بن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس وصل إلى القاهرة وهو صبي ومعه أمه بلازة فتزوجها العادل وأقامت عنده زمانا ورزق عباس ولدا سماه نصرا، وزّر للظافر باللّه ومن بعده للفائز بنصر اللّه. واستمرت وزارته من 548 –549هـ /1153–1154م. ثم انتقلت الوزارة الى طلائع بن رزيك. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص201؛ الصفدي، الوفي بالوفيات، ج21، ص94.

واسند قيادتها لعباس الصنهاجي، والذي التقى به فانتصر عليه بدلاص[1] من الوجه القبلي وأخذ رأسه ودخل به إلى القاهرة[2].

وكعادة الوزراء السابقين فقد اساء ابن السلار في معاملته للخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله محاولا تجريده من كافة صلاحياته، والتجاوز على خواص الخليفة والتحكم بالقصر اذ قام بغلق أبواب القاهرة والقصور، وقبض على الصبيان الخاصّ وقتلهم، وكانوا جمعا كثيرا وهم أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدّولة فكان الرجل إذا توفّى وخلَّف أولادا حملوا إلى حضرة الخلافة وأودعوا في أماكن مفردة لهم، ويتم تعليمهم الفروسية وغير ذلك. وكان سبب إيقاع العادل بهم أنه بلغه أنهم تعاقدوا على قتله، فبادرهم وقبض عليهم، وقتل أكثرهم، وجعل من بقي منهم في المراكز بالثغور[3].ولم يكتف بذلك بل قام بقتل القاضي وناظر الدواوين بمصر محمد بن معصوم التنيسي[4]، وحاول أيضا" ضرب المعتقدات الإسماعيلية، وذلك بإنشاء المدرسة العادلية[5] لتعليم

---

(1) دلاص : من البلاد المصرية في الضفة الشرقية من النيل ، تصنع بها اللجم الدلاصية، وهي مدينة صغيرة عامرة جليلة، وصناعة الحديد فيها قائمة ، وكانت مجتمع سحرة مصر ، وكانت في أيام القبط كبيرة إلا آن تسلط عليها البرابر من لواتة وشرار العرب فأفنوا عمارات أطراف هذه البلاد وأفسدوها فقل ساكنوها. ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج2، ص459 ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص236.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص211؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص295.

(3) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص 143؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 3، ص 196، الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر، ج 6 ،ص 553 ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 11 ص 142.

(4)التنيسي: هو أبو الكرم محمد بن معصوم الملقب بالموفق قتلة ابن السلار سنة 544هـ/1149م؛ وكان سبب ذلك أن العادل في مبدأ أمره كان من صبيان الحجر وكان يتكرر دخوله إلى الموفق برسائل ويكلّمه بكلام غليظ، فكرهه الموفّق، ثم كتب بعد ذلك لابن السّلار منشور فدخل به إليه، فتغافل عنه. ينظر: ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص136؛ ابن الظافر، اخبار الدولة المنقطعة، ج6، ص251؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص313.

(5) المدرسة العادلية: سميت بهذا الاسم نسبة الى بانيها العادل بن السلار وسميت أيضا بالسلفية او مدرسة الحافظ السلفي نسبة الى أبو الطاهر احمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم سلفة الاصبهاني له الكثير من المؤلفات وكان حافظا= =ومحدثا وفقيه، ولم تكن هذه المدرسة الوحيدة لتدريس المذهب السني بل سبقتها مدرسة بناها الوزير رضوان وهي المدرسة العوفية يدرس فيها أبا الطاهر إسماعيل بن عوف. ينظر: ابن ميسر، المنتقى من اخبار مصر، ص130؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء انباء الزمان، ج5، ص170؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج12، ص88؛ خالد عبد الرحمن القاضي، الحياة العلمية في مصر الفاطمية، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، 2008، ص151.

المذهب الشافعي في مدينة الإسكندرية؛ لأنه سني المذهب ومن اجل دعم المذهب السني ومقاومة الفكر الشيعي الإسماعيلي ؛ لذا أصبحت علاقته سيئة بالخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله ؛ لذا اخد يعمل على التدبير والتخطيط للتخلص منه والقضاء عليه على الرغم من الإجراءات الاحترازية التي قام بها اذ أحاط نفسه بعدد كبير من الحراس بلغت ستمائة مقاتل[1] .

ونتيجة لسياسية ابن السلار فقد خلق لنفسه أعداء داخل القصر الفاطمي اخذوا يتحينون الفرص للقضاء عليه، والتي جاءت على يد نصر بن عباس، **وقد أورد لنا ابن الاثير[2]الكيفية التي قتل فيها ابن السلار بقوله:" قتل العادل بن السلار وزير الظافر بالله قتله ربيبه عباس ابن أبي الفتوح بن يحيى الصنهاجي أشار إليه بذلك الأمير أسامة بن منقذ[3] ووافق عليه الخليفة الظافر فأمر ولده نصرا فدخل على العادل وهو عند جدته أم عباس فقتله وولي الوزارة بعده ربيبه عباس وكان عباس قد قدم من المغرب إلى مصر وتعلم الخياطة وكان خياطا حسنا فلما تزوج ابن السلار بأمه أحبه وأحسن تربيته فجازاه بأن قتله وولي بعده"** .

ويبدوا من النص أعلاه ان المؤامرات والتخطيط للتخلص من ابن السلار كانت من داخل بيته، اذ ان هناك اتفاق مسبق قد تم ما بين عباس ربيب ابن السلار وبين أسامة بن منقذ يساعدهم في ذلك نصر بن عباس الصنهاجي لقتل الوزير، وقد جرى هذا الاتفاق عندما كان عباس وبصحبته ابن منقذ في حملة عسكرية جهزها ابن السلار لحماية عسقلان من الهجمات الصليبية المتكررة ، وعند وصول القوات العسكرية الفاطمية مدينة بلبيس[4] تذاكر عبّاس وأسامة القاهرة وطيب المقام بها وما خرجا إليه ، وما يلقيانه من الشّدائد ولقاء العدوّ ؛ فتأوّه عبّاس لذلك ولام عمّه كونه جرّده ، فقال له أسامة: " لو أردت أنت كنت سلطان مصر . قال : وكيف الحيلة

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، ص55.

(2) الكامل في التاريخ، ج11، ص185.

(3) أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد الكناني الكلبي الشيزري ،ولد بقلعة شيزر سنة 488هـ/1095م، وسكن دمشق ثم انتقل إلى مصر فبقي بها مؤمرا مشارا إليه بالتعظيم وان قدومه مصر كان في أيام الظافر بن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار فأحسن إليه وعمل عليه حتى قتل وبقي إلى أيام الصالح بن رزيك ثم عاد إلى الشام توفي سنة 584هـ/1154م . ينظر: ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج3، ص1359؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ونباء أبناء الزمان ، ج1، ص196؛ كحالة ، معاجم المؤلفين ، ج2، ص225.

(4) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام ، فتحت على يد عمرو بن العاص ، وهي مدينة كبيرة ذات بساتين كثيرة . ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص479؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص50.

في ذلك ؟ فقال: هذا ولدك، بينه وبين الظَّافر مودّة عظيمة، فأرسله إليه وخاطبه على لسانه أن تكون أنت السّلطان مكان عمّك ، فهو يختارك ويكره العادل فإن أجابك لذلك فاقتل عمّك"[1].

اثر هذا الكلام في نفس عباس الذي طمع بمنصب الوزارة فارسل ابنه الى القاهرة بعد ان وضع خطة لقتل الوزير عرضها على الخليفة الفاطمي فوافق عليها، واخفى خبر عودة نصر من عسقلان، فتوجه نصر الى دار جدته بحجة ان والده كان يخاف عليه من القتل على يد الفرنج، ليتمكن من تنفيذ خطة والده بقتل الوزير ابن السلار الذي كان نائم عندها فتم ذلك له فقتله وأحتز راسة وحمله للخليفة الفاطمي[2] ،فما كان من الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله الا ان عين عباس الصنهاجي وزير له، ومنحه كافة الصلاحيات ولقبه بسيف الإسلام الأفضل امير الجيوش ركن الإسلام [3].

5- السياسية الخارجية للدولة الفاطمية في خلافة الظافر بامر الله(544-549هـ/1149-1154م)

انعكس الوضع الداخلي غير المستقر للدولة الفاطمية على سياستها الخارجية تجاه المشرق والمغرب والاحداث التي شهدتها المناطق العربية، اذ انشغلت الدولة بالصراعات على السلطة بين ولاة العهد، للوصول الى السلطة من جهة، والصراع بين كبار رجالات الدولة؛ للوصول الى منصب الوزير من جهة أخرى تاركة ما خسرته من ممتلكاتها في بلاد المغرب وبلاد الشام بيد من سيطر عليها وما تبقى بيدها من ممتلكات.

اما بلاد الشام فقد أصبحت تحت خطر السقوط بيد الصليبيين الذين انتهزوا فرصة الفوضى والاضطرابات الداخلية، فأحطوا بمدينة عسقلان اخر معاقل الفاطميين في بلاد الشام، وفرضوا عليها حصار شديد سنة (547هـ /1153م) [4]،سيما بعد ان عقدوا صلحا مع مدينة

(1) ابن ميسر، المنتقى من اخبار اخبار مصر، ج2، ص146؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص315.

(2) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج4، ص132؛ ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ص149.

(3) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص 147؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص204 ؛الدواري، أخبار الدول المنقطعة ، ص 103؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج11، ص185.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص156؛ حسن، الفاطميون في مصر، ص294.

دمشق التي أصبحت تحت سيطرة نور الدين محمود زنكي[1] اذ شهدت هذه الفترة نشاط كبير من قبل عماد الدين زنكي وابنه نور الدين زنكي الذي تمكن من الاستحواذ على عدد كبير من مدن بلاد الشام بما فيها دمشق التي كان الفرنج يحاولون السيطرة عليها دون جدوى؛ بسبب المقاومة الكبيرة التي جوبهت بها القوات الغازية من قبل والي دمشق[2]؛ لذا اتجه الفرنج نحو عسقلان التي كانت ما تزال تحت سيطرة الدولة الفاطمية، للسيطرة عليها .

وقد أشار الى ذلك ابن الاثير[3] بانه لما قتل ابن السلار اضطربت الأوضاع في مصر الى ان ولي عباس الصنهاجي الوزارة، فاغتنم الفرنج فرصة انشغال الخلافة في مصر عن عسقلان ، فسيروا قواتهم وحاصروها فصبر أهلها وقاتلوهم قتالا شديدا حتى أنهم بعض الأيام قاتلوا خارج السور وردوا الفرنج إلى خيامهم مقهورين وتبعهم أهل البلد إليها حتى ان الافرنج قد يئسوا من السيطرة عليها، وبينما هم عازمين على الرحيل أتاهم الخبر أن البلد قد وقع بين أهله خلاف وقتل منهم قتلى فصبروا ؛وكان سبب هذا الاختلاف أنهم لما عادوا من قتال الفرنج منصورين ادعى كل طائفة منهم أن النصرة من جهتهم كانت، وأنهم هم الذين ردوا الفرنج خاسرين فعظم الخصام بينهم إلى أن قتل من إحدى الطائفتين قتيل واشتد الخطب وعظم حينئذ وتفاقم الشر ووقعت الحرب بينهم فوقع بينهم قتلى فطمع الفرنج وزحفوا إلى عسقلان وتمكنوا من السيطرة عليها.

ومن خلال ما سبق اتضح ان سبب سقوط مدينة عسقلان هو: ان الدولة الفاطمية انشغلت بالمشاكل الداخلية والدسائس التي تحاك فيما بين ساستها ومتنفذيها، والتي أدت الى عدم وصول الامدادات الى عسقلان، فضلا عن الخلاف الذي نشب بين العرب في عسقلان حول الانتصار على الصليبيين اذ ان كل فريق منهم يرى بانه هو من حقق هذا الانتصار دون غيرة ، الامر

---

(1) نور الدين محمود زنكي: هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر الملقب الملك العادل نور الدين، كان والده مملوك للسلطان ملكشاه ابن الب أرسلان ومن ثم تم تعينة واليا على الموصل سنة= =516هـ/1123م من قبل العباسيين، توفي مقتول عند حصار قلعة جعبر فخلفه ابنه العادل نور الدين على الموصل وقد تمكن بعد ذلك من السيطرة على حلب ودمشق ومناطق عديدة من بلاد الشام بعد طرد الصليبيين منها . ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان ونباء ابناء الزمان ، ج5، ص184، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج29، ص371.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص118؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج5، ص160-161.

(3) الكامل في التاريخ، ج11، ص 188-189.

الذي شجع الفرنج المهزومين على العودة مره أخرى لمحاصرة عسقلان واحتلالها[1]، فضلا عن مهاجمة اسطول صقلية المتكون من ستين سفينة حربية مدينة دمياط المصرية سنة(548هـ /1153م) وعاثوا فيها فسادا [2]، تم هاجموا تنيس ونهبوها وقتلوا أهلها من الرجال والنساء ، ثم غادروها الى الإسكندرية، وسلبوها ونهبوها ثم انسحبوا مهزومين امام الاسطول الفاطمي [3].

ويظهر ان اخر معقل للفاطميين قد سقط بيد الفرنج ولم يبقى بيد الفاطميين سوى مصر التي كانت تنتظر دورها للسقوط بيد الصليبيين، وهذ يظهر مدى الضعف والتفكك الذي وصلت اليه البلاد العربية الإسلامية اذ ان الخلافتين العباسية والفاطمية اللتان اقتسمتا البلاد العربية الإسلامية، وبعد ذلك مدا نفوذهما على مناطق واسعة شرقا وغربا بل تعدت املاكهما ذلك الى قيام الامارات والخلافة في الاندلس (اسبانيا والبرتغال)، ووصلت حتى فرنسا وهاجمت القوات العربية الإسلامية القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، أصبحتا غير قادرتين على الدفاع عن ارضيها التي أصبحت هي الأخرى مفككة؛ بسبب النزاعات والمؤامرات التي كانت تحاك فيما بينهم تاركين العدو يستغل هذه الثغرات للسيطرة على البلاد الإسلامية واذلال المسلمين وقتلهم في كل انحاء العالم الإسلامي .

6- اغتيال الخليفة الظافر بالله

يعتبر اغتيال الخليفة الفاطمي في هذا الوقت من اخطر التحديات التي واجهت الدولة الفاطمية اذ كانت تعاني من خطر الفرنج الذين اخذوا يعدون العده للسيطرة على مصر والقضاء على الوجود الفاطمي فيها ، فضلا من ان اغتيال الخليفة بعد وضع الدسائس والمكائد للتخلص منه بهذه الطريقة ضربه موجعة للمذهب الشيعي الإسماعيلي. وقد اختلفت الروايات التاريخية حول أسباب قتل الخليفة الفاطمي **فقد ذكر بعضها ابن الاثير[4]، والذي ضمن في نصه كلمة (قيل) أي انه لم يكن متأكد مما نسب الى الخليفة من تهمة تسببت بمقتله فقال: " قتل الظافر صاحب مصر وكان سبب قتله أن وزيره عباسا كان له ولد اسمه نصر فأحبه الظافر وجعله**

---

(1) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ص553؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص356؛ ابن كثير، البداية النهاية، ج12، ص213؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص89؛ المقريزي ،اتعاظ الحنفا ، ج3، ص203-205، ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ج6، ص201.

(2) ابن القلانسي ، ذيل اخبار مصر ، ص 331.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج11، ص190.

(4)المصدر نفسة، ج11، ص191.

من ندمائه الذين لا يقدر على فراقهم ساعة واحدة ... وقيل إن الظافر أقطع نصر بن عباس قرية قليوب ، وهي من أعظم قرى مصر ، فدخل إليه مؤيد الدولة بن منقذ وهو عند أبيه عباس قال له نصر قد أقطعني مولانا قرية قليوب فقال له مؤيد الدولة ما هي في مهرك بكثير ؛ فعظم عليه وعلى أبيه وأنف من هذه الحال وشرع في قتل الظافر ".

يتضح من النص اعلاه ان ابن الاثير قد اغفل ذكر السبب الذي أدى الى اغتيال الظافر من قبل وزيره وهو ان ابن منقذ ادرك ان الخليفة الفاطمي سوف يتخلص منه؛ لأنه كان السبب في تحريض عباس الصنهاجي لقتل ابن السلار وزير الخليفة الفاطمي السابق، فضلا عن تحريض الخليفة الفاطمي لنصر بن عباس ووعده بالوزارة بعد ان يقوم بقتل والده وذلك بدس لسم له، لذا فقد سعى ابن منقذ الى تحريض عباس الصنهاجي، والذي كان يتطلع الى التخلص من الخليفة الفاطمي هذه المرة بحجة ان الامراء والناس يتكلمون بالسوء عن ولده وان الخليفة الفاطمي يفعل معه قبيح الفعل ، لذا استاء عباس الصنهاجي ونصر بن عباس من كلام ابن منقذ ووضعوا خطة من اجل قتل الخليفة الفاطمي[1] ، اما ابن منقذ فلم يذكر بان الخليفة ونصر بن عباس كانا يخرجان في الليل وهما متنكرين ، وهما اتراب وسنهما واحد وهذا يعني ان هناك تقارب بينها في السن وانهما كانا مجرد صديقين كما هو الحال في صداقة عباس مع ابن منقذ ، اذ يقول [2] " وانا مع عباس لا يفسح لي في الغيبة عنه ليلا ولا نهارا : انام وراسي على راس

---

(1) قال ابن الجوزي وابن تغري بردي "بان سبب قتل الخليفة الظافر هوا ن عَبَّاس الصُّنْهاجي لما قتل ابن السَّلّار وَزَرَ له، واستولى عليه، كان له ولدٌ اسمه نصر، فأطمع نفسه في الأمر، وأراد قَتْلَ أبيه، وَدَسَّ إليه سُمًّا ليقتله، فَعَلِمَ واحترز، وأراد أن يقبض عليه، فما قَدَرَ ومنعه مُؤَيَّد الدولة أُسامة بن مُنْقذ، وقبَّح عليه ذلك وقال: إن فعلتَ هذا لم يثق بك أحد، ونَفَرَ النَّاسُ عنك. فشرع أبوه يلاطفه، وقال: عوض ما تقتلني فاقْتُلِ الظافر، فعزمه الغدر بنا، ونولي ولده وهو صبيٌّ صغير، لذا عمل ابن منقذ من اجل تحقيق هدفه في اثارة عباس الصنهاجي وابنه بان الناس يتهمون الخليفة الفاطمي بانه يعمل الفاحشة مع نصر الذي ثار هو أيضا وتفق مع والده لقتل الخليفة". ينظر: مرآة الجنان في تواريخ الاعيان، ج20، ص452؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص288.

(2) يقول ابن منقذ "وأصبح والده عباس داخل القاهرة وجلس في دار الوزارة، وخلع عليه الظافر وفوض إليه الأمر، وابنه نصر مخالصة ومعاشره، وأبو العباس كاره لذلك مستوحش من ابنه لعلمه بمذهب القوم في ضربهم بعض الناس ببعض حتى يفنوهم ويجوزوا كلما لهم حتى يتفانوا، فأحضراني ليله وهم في خلوه يتعاتبان وعباس يرد عليه الكلام وابنه مطرق كأنه نمر يرد علية بعد كلمة يشتاط منها عباس ويزيد في لومه وتأنيبه. فقلت لعباس يا مولاي الأفضل كم تلوم مولاي ناصر الدين وتوبخه وهو ساكت؟ اجعل الملامة لي، فأنا معه في كل ما يعمله، ما أتبرأ، من خطأة ولا صوابه، أي شيء هو ذنبه؟ ما أساء إلى أحد من أصحابك، ولا فرط في شيء من مالك، ولاقدح في دولتك خاطر

مخدته"، فلماذا هنا لم يتهم الوزير وابن منقذ بوجود علاقة بينهما كما اتهم الخليفة ونصر؟ لذا فانه من غير المنطقي ان يقوم الخليفة بمثل هذا التصرف الذي يؤدي الى ضرب المذهب الإسماعيلي، فضلا عن ذلك فان ابن منقذ لو كان على اطلاع او معرفة أي شيء عن هذه العلاقة المزعومة التي أوردتها المصادر التاريخية فانه لا يتوانى ان يصرح بها دون أي اعتبار لا سيما انه يريد ان يتخلص من الخليفة الفاطمي، فضلا عن ان ولاءه كان للخلافة العباسية وليس للفاطميين، وقد أكد ذلك ابن ظافر[1] من خلال قوله: " ان امراء الدولة وعوامها قد اكثروا من أمر ولدك فيما هو بريء منه بعيد من التهمة به"

وخلاصة القول ان قتل الظافر كان سببه هو رغبة الخليفة التخلص من عباس الوزير، ومن ثم التخلص من نصر لذا نجد ان ابن منقذ يضع الخطة لعباس للقضاء على الخليفة والتخلص منه كما فعل سابقا مع الوزير ابن السلار.

المبحث الثالث: سقوط الدولة الفاطمية

1- الخليفة الفائز[2] (549-555هـ/1154-1160م) واستوزار طلائع بن رزيك

لم يكتف الوزير عباس الصنهاجي بقتل الخليفة الفاطمي بل اخذ يعمل على تصفية اخوة الخليفة اذ أراد بذلك ان يبعد تهمة قتل الخليفة عن ولده، وذلك باتهام اخوة الخليفة، وقد أشار الى ذلك ابن الاثير[3] بانه لما وصلت اخبار مقتل الخليفة الفاطمي الى الوزير عباس الصنهاجي توجه إلى القصر وطلب من الخدم الخصيصين بخدمة الظافر أن يطلبوا له إذنا في الدخول عليه لأمر يريد أن يأخذ رأيه فيه فاخبروه إنه ليس في القصر فالح في طلب مقابلته وكان

بنفسه حتى نلت هذه المنزلة، فأمسك عنه والده ورعى لي ابنه ذلك ". ينظر: الاعتبار، مكتبة الثقافة الدينة للنشر، القاهرة، د.ت، ص20-21

1- ابن ظافر ، اخبار الدولة المنقطعة ، ص 105.

2- الفائز بنصر الله أبو القاسم ، خليفة مصر بويع بالقاهرة يوم قتل والده وله خمس سنين ، وقيل : بل سنتان ، فحمله الوزير عباس على كتفه ، ووقف في صحن الدار به ، مظهراً الحزن والكآبة ، وأمر أن يدخل الأمراء ، فدخلوا فقال : هذا ولد مولاكم ، وقتل عماه مولاكم ، وقد قتلتهما كما ترون به ، والواجب إخلاص الطاعة لهذا الطفل . فقالوا كلهم : سمعنا وأطعنا . وضجوا ضجة واحدة بذلك ، ففزع الغلام ، وبال على كتف عباس من الفزع وسموه الفائز ، وسيروه إلى أمه ، واختل عقله من تلك الصيحة فيما قيل ، فصار يتحرك في بعض الأوقات ويصرع . ولم يبق على يد عباس يد ، ودانت له الممالك .ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج38، ص166؛ابن العماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ص175.

3- الكامل في التاريخ ، ج11، ص192.

غرضه من ذلك أن ينفي التهمة عنه بقتله، وأن يقتل كل من بالقصر ممن يخاف أن ينازعه فيمن يقيمه في الخلافة، فلما ألح عليهم عجزوا عن إحضاره . فبينما هم يطلبونه حائرين دهشين لا يدرون ما الخبر إذ وصل إليهم الخادم الصغير الذي شاهد قتله وقد هرب من دار عباس عند غفلتهم عنه وأخبرهم بقتل الظافر، فخرجوا إلى عباس وطلبوا منه ان يسال ولده عنه فإنه يعرف أين هو؛ لأنهما خرجا جميعا فلما سمع ذلك منهم، قال:" أريد أن اعترض القصر لئلا يكون قد اغتاله أحد من أهله فاستعرض القصر فقتل أخوين للظافر وهما يوسف وجبريل " . وأجلس الفائز بن الظافر بأمر الله إسماعيل ثاني يوم قتل أبوه وله من العمر خمس سنين فحمله عباس على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايع له الناس وأخذ عباس من القصر من الأموال والجواهر والأعلاق النفيسة ما أراد ولم يترك فيه إلا ما لا خير فيه [1].

تولى الفائز بنصر الله الخلافة وكان صغير السن اذ لم يتعدى عمره الخمس سنوات فأصبحت الدولة وادارتها بيد عباس الصنهاجي الذي استمر في منصبه كوزير للخليفة الفاطمي الجديد بعد ان اخذ البيعة للخليفة من امراء الدولة وقادتها ، الا ان الوضع لم يستمر طويلا اذ اضطربت الأحوال في مصر بعد اكتشاف عامة الناس واهل القصر خاصة بان عباس الصنهاجي وولده نصر هما من قاما بقتل الخليفة الفاطمي وليس كما ادعى عباس فاعلن الجند التمرد ضده. **وقد أشار الى ذلك ابن الاثير[2] بقوله: "ان عباسا لما قتل الظافر وأقام الفائز ظن أن الأمر يتم له على ما يريده فكان الحال خلاف ما اعتقده فإن الكلمة اختلفت عليه وثار به الجند والسودان وصار إذا أمر بالأمر لا يلتفت إليه ولا يسمع قوله فأرسل من بالقصر من النساء والخدم إلى الصالح طلائع بن رزيك[3] يستغيثون به وأرسلوا شعورهم على الكتب وكان**

(1) ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج3،ص491؛ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص208؛ ابي الفداء،تاريخ الب الفداء،ج3، ص28..

(2) الكامل في التاريخ ، ج11، ص192.

(3) طلائع بن رزيك: هو أبو الغارات طلائع بن رزيك الملقب الملك الصالح وزير مصر كان واليا بمنية بني خصيب من أعمال صعيد مصر فلما قتل الظافر إسماعيل صاحب مصر سير أهل القصر إلى الصالح واستنجدوا به على عباس وولده نصر المتفقين على قتله فتوجه الصالح إلى القاهرة ومعه جمع عظيم من العربان فلما قربوا من البلد هرب عباس وولده وأتباعهما ومعهما أسامة بن منقذ أيضا لأنه كان مشاركا لهما في ذلك على ما يقال ودخل الصالح إلى القاهرة. ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ونباء أبناء الزمان ، ج2، ص526؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج20، ص398.

في منية بني خصيب واليا عليها وليست من الأعمال الجليلة وإنما كانت أقرب الأعمال إليهم وكان فيه شهامة"

وقد جمع ابن الطلائع قواته العسكرية وسار الى مصر، فلما سمع عباس بذلك خرج من مصر نحو الشام بما معه من الأموال التي استولى عليها من القصر، فأوقع به الفرنج فقتلوه وأخذوا جميع ما معه فتقووا به ، وسار الملك الصالح الطلائع فدخل القاهرة بأعلام سود وثياب سود حزنا على الظافر والشعور التي أرسلت إليه من القصر على رؤوس الرماح، وكان هذا من الفأل العجيب فإن الأعلام السود العباسية دخلتها وأزالت الأعلام العلوية بعد خمس عشرة سنة، ولما دخل القاهرة خلع عليه خلع الوزارة واستقر في الأمر وأحضر الخادم الذي شاهد قتل الظافر فأراه موضع دفنه فأخرجه ونقله إلى مقابرهم بالقصر[1]. ولما قتل الفرنج عباس الصنهاجي أسروا ابنه، فأرسل الملك الصالح إلى الفرنج المال وأخذه منهم، وسار من الشام مع أصحاب الصالح فلم يكلم أحدا كلمة واحده حتى رأى القاهرة فأنشد :(بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العواثر)

وأدخل القصر وقتل وصلب على باب زويلة واستقصى الصالح البيوت الكبار والأعيان بالديار المصرية فأهلك أهلها وأبعدهم عن ديارهم وأخذ أموالهم فمنهم من هلك ومنهم تفرق في البلاد والحجاز واليمن وغيرها فعل ذلك خوفا منهم أن يثوروا عليه وينازعوه في الوزارة، وكان ابن منقذ قد هرب مع عباس فلما قتل هرب إلى الشام [2].

وفي ضوء ما تقدم يتضح ان الخلافة الفاطمية عاشت ظروف سياسية قاسية سببت حالة من الفوضى وارتباك سياسي كنتيجة طبيعية لسياسة الفاطميون في إدارة البلاد لا سيما بعد وصول خلفاء صغار السن ضعفاء الى الخلافة غير قادرين على الإمساك بزمام الأمور كالفائز بنصر الله تاركين الدولة بيد الوزراء اللذين تحكموا بالدولة وتصارعوا فيما بينهم للوصول الى السلطة، والتي أدت بالتالي الى تدخل النساء في طلب المساعدة من ولاة مصر لتخليصهم من الوزير عباس الصنهاجي، فضلا عن طلب المساعدة من الفرنج أعداء الدولة الفاطمية، والذين كانوا

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص511؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ح4، ص75؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص310.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص192؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج4، ص139؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص230.

يتحينون الفرص للسيطرة على مصر واسقاط الخلافة الفاطمية اذ طلبت اخت الظافر من الفرنج تسليم نصر بن عباس اليها[1] . والامر الملفت للنظر هنا هي الكيفية التي فسر فيها ابن الاثير دخول الطلائع الى القاهرة لابسا ثياب سوداء ورافع اعلام سوداء بانها فال عجيب اذ زالت الدولة الفاطمية بعد هذا الامر، الا ان الحقيقة ليس كما فسرها، وانما كان دخوله بهذه الهيئة هو إعلانه الحزن لما جرى على الخليفة الفاطمي واخوته من تنكيل وقتل على يد عباس الصنهاجي وابنه وابن منقذ ، فضلا عن كسب الناس ونساء القصر الفاطمي، الى جانبه في حربه التي سوف يخوضها ضد الوزير المذكور واتباعه الا ان الصالح دخل القاهرة دون قتال على اثر هرب عباس وجماعته الى بلاد الشام وتم تعينه وزيرا للخليفة الفاطمي وبقي في منصبه حتى وفاة الفائز بنصر الله .

2-الخليفة العاضد لدين الله[2] (555-567هـ/1160-1171م)

توفي الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله دون ان يترك وريثا" للعرش، اذ انه لم يتزوج، فضلا عن انه كان مريضا" طيلة مدة حكمه الست سنوات، وقد أشار ابن الاثير[3] الى انه بعد وفاة الخليفة الفاطمي الفائز دخل الصالح بن رزيك القصر الفاطمي الاختيار من يقود الدولة خلفا للخليفة الراحل، فأشار عليه بعض أصحابه سرا بان يختار للخلافة شخص من البيت الفاطمي صغير السن، مذكريه بما قام به عباس الصنهاجي وانه ليس بأحزم من ابن رزيك، اذ اختار الصغير وترك الكبير واستبد بالأمر ،فأمر حينئذ بإحضار العاضد لدين الله ولم يكن أبوه خليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهقا قارب البلوغ فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح ابنته، ونقل معها

---

(1) اضطرت أخت الظافر الى مكاتبة الافرنج في عسقلان بسبب نصر وابيه عباس، وشرطت لهم مالاً جزيلاً إذا أمسكوه، فخرجوا عليه وصادفوه، فتواقعوا واقتتلوا، وقتلوا عباساً وأخذوا مآله وولده، وانهزم بعض أصحابه إلى الشام، وسيرت الفرنج نصر بن عباس القاتل المذكور إلى القاهرة في قفص حديد، فلما وصل تسلم رسولهم ما شرطوا لهم من المال، وأخذوا نصراً المذكور، ومثلوا به، ثم صلبوه على باب زويلة، ثم أحرقوه. ينظر: اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ص236.

(2) العاضد: هو عبد الله بن يوسف هو العاضد لدين الله أبو محمد بن يوسف بن عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدي المصري هو آخر خلفاء المصريين ولد سنة 546هـ/1152م في أولها وتوفي سنة 569هـ/1174م لما توفي الفائز ابن عمه واستولى الملك الصالح طلائع على الديار المصرية بايع العاضد وأقامه صورة وكان كالمحجور عليه لا يتصرف في أمر. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص365.

(3) الكامل في التاريخ، ج11، ص192.

من الجهاز ما لا يسمع بمثله، وعاشت بعد موت العاضد وخروج الأمر من العلويين إلى الأتراك وتزوجت.

يتضح من خلال ما تقدم من ان مسألة اختيار الخليفة الفاطمي حسب المعتقدات الإسماعيلية قد انتهى العمل بها في أواخر عهد الدولة الفاطمية، اذ كان من المبادئ الأساسية في تولي الخلافة ان تكون للابن الأكبر بعد وفاة ابيه، الا اننا نجد ان مسألة تولية الخلافة أصبحت بيد الوزراء يعينون من يرغبون بتولي هذا المنصب، لذا نلحظ بأن ابن رزيك أراد إعطاء الخلافة الى أحد أبناء الاسرة الفاطمية من كبار السن الا ان بعض من أصحابه أشاروا عليه بان يعطي الخلافة لصبي صغير لكي يتمكن من الاستحواذ على السلطة[1].

وبالفعل عين ابن رزيك العاضد خليفة للدولة الفاطمية، وبذلك فقد سيطر على مقاليد الحكم منتهزا" فرصة صغر سن الخليفة الفاطمي وعدم معرفته بشؤون الدولة ، فقام الوزير بالتخلص من كبار رجالات الدولة الذين وجد انهم يشكلون خطر على وزارته واستولى على ممتلكاتهم واموالهم الامر الذي دفعهم الى الهرب خارج الدولة ، فضلا عن قيامة ببيع المناصب الإدارية اذ جعل لكل ولاية سعر مع تحديد مدة تولى الوالي لهذه الولاية ، كما ساءت الأوضاع الاقتصادية وارتفعت الأسعار بسبب احتكاره للغلة الزراعية[2] ، الا ان ابن رزيك لم يستمر طويلا في وزارته اذ تم وضع الخطط للتخلص من سطوة الوزير المتنفذ وقتله، وقد أشار الى ذلك ابن الاثير[3] **بقوله: "قتل الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك الأرمني وزير العاضد العلوي صاحب مصر وكان سبب قتله أنه تحكم في الدولة التحكم العظيم واستبد بالأمر والنهي وجباية الأموال إليه لصغر العاضد ولأنه هو الذي ولاه ووتر الناس فإنه أخرج كثيرا من أيمانهم وفرقهم في البلاد ليأمن وثوبهم عليه ثم إنه زوج ابنته من العاضد فعاداه أيضا الحرم من القصر".**

وكانت عمة ست القصور[4] العاضد قد أرسلت الأموال إلى أمراء مصريين ودعتهم إلى قتله، وكان أشدهم عليه في ذلك ابن الداعي[1] فوقفوا له في دهليز القصر فلما دخل ضربوه بالسكاكين

---

(1) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، ص22؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي ، ج2 ، ص72.

(2) المقريزي، تعاظ الحنفا ، ج2، ص288، النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28، ص322.

(3) الكامل في التاريخ، ج11، ص275.

(4) وهي بنت الحافظ لدين الله وعمة الخليفة العاضد وكانت متكفلة بالخليفة الفائز الى وفاته ، وقد قررت ان تضع حد لتجاوزات الوزير ابن رزيك فدبرت خطة لقتله والتخلص ، ثم قتلت من قبل الوزير قبل وفاته.ينظر:: الكامل في التاريخ ، ج11، ص276.

فجرحوه جراحات مهلكة إلا أنه حمل إلى داره وفيه حياة فأرسل إلى العاضد يعاتبه على الرضا بقتله، مع أثره في خلافته فأقسم العاضد أنه لا يعلم بذلك، ولم يرض به فطلب اليه بأن يسلم عمته له حتى يتيقن من ان العاضد لم يكن يعلم بتدبير خطة لقتل الوزير، ولكي ينتقم الوزير من عمت العاضد[2] فارسل بطلبها فارسلها العاضد اليه، فقتلها الطلائع ابن رزيك ووصى بالوزارة لابنه رزيك ولقبه بالعادل فانتقل الأمر إليه بعد وفاة أبيه[3].

ومما تقدم بين ابن الاثير ان السبب الذي أدى لمقتل الوزير ابن رزيك هو انفراده بالسلطة دون الخليفة، فضلا عن تحكمه بالأموال اذ حمل أموال القصر الى دار الوزارة، واجبر الخليفة على الزواج من ابنته، لكي تنجب له ولد ذكر، ليكون وليا" للعهد وخليفة من بعده للدولة الفاطمية [4]، فضلا عن ذلك فقد تجاوز حدوده بمعاداته لنساء القصر، فاصبح من الضروري التصدي له فتصدرت لذلك ست القصور عمة العاضد ، وكانت النتيجة هي مقتلها على يد طلائع بن رزيك، وقد ايد هذا الكلام عد من المؤرخين [5]،الا المقريزي وابن خلدون [6] فقد خالفا ابن الاثير في

---

(1) لم يقف له الباحث على ترجمه في ضوء المصادر التي اطلع عليها.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص275.

(3) ان السبب الذي دفع الوزير الى الانتقام من عمة العاضد هو انها كانت السبب وراء تدبير عملية اغتياله، اما السبب الذي دفع ست القصور عمة العاضد الى اغتيال الوزير الى استبداده وسطوته على جميع أمور الخلافة ؛فلم يكن للعاضد معه أمرٍ ولا نهي سيما وأنه كان من أجلسه على سرير الخلافة؛ وقد وصلت به جرأته الى نقل جميع أموال القصر الى دار الوزارة ؛ فضلاً عن صغر سن العاضد وأجباره على الزواج من أبنته؛ وتضييقه المستمر على أهل القصر الأمر الذي جلب عليه عداوة نسوة ذلك القصر اللاتي برز دورهن مرةً أخرى فتدخلت عمة العاضد "ست القصور"؛ لوضع حدٍ لتسلط ابن رُزيك هذا. ينظر: ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج8، ص237؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ص62.

(4) ابن الظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص112؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج2، ص528.

(5) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج3، ص37؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص320.

(6) أورد المقريزي ان من قام بقتل ست القصور هو ابن الطلائع اذ قام بقتلها بعد وفاة ابيه بقوله "ولما مات الصالح خرج ولده المنصور وهو مجروح وجلس في مرتبة أبيه، وبعث إلى العمة ست القصور من أهل القصور فسلمت إليه، فخنقها بمنديل ورميت قدامه، فبعثت السيدة العمة أختها إلى سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء، صهر الصالح، وحلفت له أنها لم تدر ما جرى على الصالح وأن فاعل ذلك أصحاب أختها المقتولة. وحضر إليها مجد الإسلام أبو شجاع رزيك بن الصالح فخلع عليه الوزارة، فإن الصالح أوصى بها إليه وجعل من حسين بن أبي الهيجاء الكردي مدبر أمره، ونعت بالسيد الأجل مجد الإسلام الملك العادل الناصر أمير الجيوش؛ وفسح له في أخذ من ارتاب به في قتل أبيه، فأخذ ابن قوام الدولة وقتله وولده والأستاذ الذي شغل الصالح بالحديث". ينظر: اتعاظ الحنفا، ج3، ص253؛ ينظر كذلك: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص76.

مقتل ست القصور، في حين أشار ابن تغري بردي ان سبب قتل الطلائع بالإضافة الى ما سبق هو انتقام ست القصور لمقتل اختها الكبرى التي قتلت على يد ابن رزيك[1]

3- نهاية الدولة الفاطمية عند ابن الاثير

أ: صراع على منصب الوزارة بين رزيك و شاور[2] وضرغام[3] (557-558هـ/ 1162-1163م)

اصبح الصراع على الوزارة بين كبار رجالات الدولة في أواخر عهد الدولة الفاطمية من الأمور الطبيعية اذ لطالما تصارعوا فيما بينهم للوصول الى هذا المنصب طمعا في إدارة الدولة دون الخليفة الفاطمي الذي اصبح مجرد أداة شرعية لحكم هؤلاء الوزراء اما الخليفة فلم يبقى له سوى الاسم فقط وغالبا ما يكون تحت وصاية النساء او محجور عليه من قبل الوزراء ، هذا الوضع كان له الأثر الاكبر في سقوط الدولة لا سيما بعد خسارة الدولة ممتلكاتها في المشرق والمغرب ولم يتبقى لها سوى مصر التي أصبحت ايله للسقوط اما بيد حلفاء العباسيين في دمشق او على يد الصليبيين المتربصين بالدولة الفاطمية ، وقد بين ابن الاثير[4] ذلك من خلال توضيح توضيح وضع الخلافة، الذي اصبح مترديا" والصراع قائم بين المتنفذين للسيطرة على الوزارة اذ

---

(1) اذ انفرد برواية يقول فيها "وكان الخليفة الفائز في تدبير عمته شرعت في قتل طلائع بن رزيك المذكور وفرقت في ذلك مالا يقرب من خمسين ألف دينار فعلم ابن رزيك بذلك فأوقع بها وقتلها بالأستاذين والصقالبة سرا والخليفة في واد= =آخر من الاضطراب ثم نقل ابن رزيك كفالة الفائز إلى عمته الصغرى وطيب قلبها وراسلها فما حماه ذلك منها بل رتبت قتله وسعى لها في ذلك أصحاب أختها المقتولة فرتبت قوما من السودان الأقوياء ... فضربوا رزيك بن الصالح طلائع ضربة أوقعت عضده الأيمن وجرح أبوه الصالح طلائع بن رزيك من ابن الراعي . ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص315.

(2) أبو شجاع شاور بن مجير الدين بن نزار بن عشائر بن شاس بن مغيث بن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن مخيس بن أبي ذؤيب عبد الله وهو والد حليمة السعدية، ولاه الصالح الاعمال القوصية في صعيد مصر، ثم لقب بأمير الجيوش، بعد ان اصبح وزير الديار المصرية أيام العاضد، وهو الذي انتزع الوزارة من يدي العادل رزيك بن طلائع ابن رزيك. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج2، ص439؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج20، ص514.

(3) ضرغام بن عامر بن سوار الملك المنصور فارس المسلمين أبو الأشبال اللخمي المنذري من امراء الدولة وكبار قوادها، ترقّى في المناصب حتى اصبح صاحب الباب وهي مرتبة تلي الوزارة، استولى على الديار المصرية سنة 559هـ/ 1164م بعد هزيمة الوزير شاور الذي هرب إلى نور الدين مستجيرا به ومستنجدا فسير نور الدين معه أسد الدين شيركوه. ينظر: ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص141؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص211.

(4) الكامل في التاريخ، ج11، ص290؛ ينظر كذلك: ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج3، ص53؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، 294.

وزر شاور للعاضد لدين الله، وكان في بداية أمره يخدم الصالح بن زريك اذ ولاه الصعيد وهو أكبر الأعمال بعد الوزارة فلما ولي الصعيد ظهرت منه كفاية عظيمة وتمكن من استمالة الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم، فاصبح من الصعوبة على الصالح عزله فاستدام استعماله لئلا يخرج عن طاعته، فلما جرح الصالح كان من جملة وصيته لولده العادل أنه لا يغير على شاور قالا" له:" فإنني أنا أقوى منك وقد ندمت على استعماله ولم يمكنني عزله فلا تغيروا ما به فيكون لكم منه ما تكرهون".

ومما سبق يتبين لنا ان الوضع في مصر أصبح مضطرب اذ نلاحظ ان مصر أصبحت مقسمة بين ذوي النفوذ الذين أصبحوا يمتلكون القوة والسطوة التي تمكنهم من تهديد الوزير الفاطمي بدخول القاهرة، وهذا ما حدث بين شاور والي الصعيد وبين الوزير الفاطمي الطلائع بن رزيك الذي أراد عزل شاور بعد ازدياد نفوذه واستمالته للعرب والوفدين اليه مكون قوه عسكرية، فضلا عن سطوته وكفاءته في إدارة صعيد مصر الا ان الوزير لم يستطع ذلك، وقد أشار الطلائع عن ندمه لتوليته شاور عند وصيته لأبنائه حين وفاته [1].

ولم تستقر الاوضاع الداخلية في مصر على الرغم من تولي الملك العادل امير الجيوش رزيك بن الصالح الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد الا ان الصراع على الوزارة والمناصب استمر بين أصحاب النفوذ في الدولة اذ شهدت هذه المرحلة صراع بين شاور وبين الوزير رزيك العادل الذي شعر بخطورة وجود شخصية مثل شاور في احدى ولاياته؛ لذا لم يلتزم رزيك بوصية والده بعدم التعرض الى شاور والي الصعيد[2] وقد أورد ذلك ابن الاثير[3] بقوله:" **فلما توفي الصالح من جراحته وولي ابنه العادل رزيك بن الطلائع الوزارة حسن له أهله عزل شاور واستعمل بعضهم مكانه وخوفوه منه إن أقره على عمله فأرسل إليه بالعزل فجمع جموعاً كثيرة وسار إلى**

(1) أنّ الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم في جملة وصيته :ما ندمت قط في شيء عملته إلّا في ثلاثة، الأوّل بنائي هذا الجامع على باب القاهرة، فإنه صار عونا لها. والثاني :توليتي لشاور الصعيد الأعلى. والثالث :خروجي إلى بلبيس بالعساكر وإنفاقي الأموال الجمة، ولم أتم بهم إلى الشام وأفتح بيت المقدس واستأصل ساقة الفرنج. ينظر: ابن الظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص112؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج4، ص84.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص253.

(3) الكامل في التاريخ، ج11، ص290؛ ينظر كذلك: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص54؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص322؛ ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ص212.

القاهرة بهم فهرب منه العادل بن الصالح بن رزيك فأخذ وقتل فكانت مدة وزارته ووزارة أبيه قبله تسع سنين وشهراً وأياماً وصار شاور وزيراً وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بني رزيك وودائعهم وذخائرهم وأخذ منه أيضاً طي والكامل ابنا شاور شيئاً كثيراً وتفرق كثير منها وجحد وظهرت عليهم عند انتقال الدولة عن شاور والمصريين إلى الأتراك".

اما مقتل شاور فان ابن الاثير لم يبين لنا الطريقة التي ظفر فيها شاور بالوزير زريك والكيفية التي قتل فيها اذ ان ابن خلكان[1] أشار الى ان رزيك بعد هربه من القاهرة استجار بيعقوب بن النيص اللخمي وكان من خواص أصحابهم فأنزلهم عنده وهو بإطفيح[2] وسار إلى شاور وأعلمه بهم فندب معه جماعة ومضوا إلى العادل وأخذوه أسيرا وأحضروه إلى باب شاور فوقف مده طويلا ثم حبسه ثم قال شاور لابن النيص "لقد خبأك الصالح ذخيرة صالحة لولده وأنا أخبك أيضا لولدي" ثم شنقه وبقي العادل في الاعتقال مده مديده ثم قتله واخرج رأسه لأمراء الدولة.

واور ابن تغري بردي [3] رواية تختلف عما اورده ابن الاثير حول سبب توجه شاور الى مقاتلة رزيك اذ أن رزيك لما وزر مكان والده طلائع بعد وفاته سار على سيرة أبيه الامر الذي لم يرق للخليفة الفاطمي العاضد فارد التخلص منه؛ لكي يتمكن من ادارة الدولة دون ان يكون له وزير يشاركه في الإدارة، فارسل إلى شاور يخبره برغبته في التخلص من رزيك الوزير، فتحرك شاور من بلاد الصعيد وجمع قواته العسكرية وقدم إلى القاهرة فخرج إليه رزيك بن طلائع وقاتله، وكان الخليفة العاضد مساند لشاور فانهزم رزيك ودخل شاور إلى القاهرة وملكها وخرب دور الوزارة ودور بني رزيك واختفى الوزير رزيك المذكور إلى أن ظفر به شاور وقتله.

الان المصادر التاريخية[4] التي سبقت ابن الاثير لم تشير الى ان العاضد(555-567هـ/1160-1171م) قد استعان بشاور للتخلص من الوزير رزيك الذي اساء أيضا معاملة

---

(1) وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج2، ص530.

(2) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل في شرقيه، وفي قبلته مقام موسى بن عمران (عليه السلام)، فيه موضع قدمه، وينسب إليه بعض العلماء. ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج1، 218.

(3) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص346.

(4) الاصفهاني، عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد (ت: 597هـ/ 1201م)، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ،2002، ص384؛ ابن الظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص182.

الخليفة وهذا يعني ان كلام ابن الاثير كان اصح من كلام ابن تغري بردي حول سبب قدوم شاور الى القاهرة وقتل رزيك، وبمقتل العادل رزيك انتهت هذه الاسرة بعد ان خلفت دمار واسع في الدولة منذ ان سيطروا على الوزارة في الدولة الفاطمية حتى مقتل اخر أبناءها سنة(558هـ/1163م)، وما ان استقر شاور وزيرا للخليفة العاضد حتى سار على سيرة السابقين من الوزراء في الإساءة للخليفة ولعامة الناس حتى جوبه بثورة قادها احد امراء الجيش وهو ضرغام بن عامر. **وقد أورد ذلك ابن الاثير[1] بقوله:" ثم إن الضرغام جمع جموعاً كثيرة ونازع شاور في الوزارة وظهر أمره وانهزم شاور منه إلى الشام على ما نذكره سنة تسع وخمسين وخمسمائة وصار ضرغام وزيراً كان هذه السنة ثلاثة وزراء العادل بن رزيك وشاور وضرغام فلما تمكن ضرغام من الوزارة قتل كثيراً من الأمراء المصريين لتخلو له البلاد من منازع فضعفت الدولة بهذا السبب حتى خرجت البلاد عن أيديهم".**

ومما تقدم بينت الاحداث الجارية خطورة الوضع الداخلي اذ ان المتخاصمين بدوا يلتجؤون الى اطراف خارجية ويطلبون المساعدة منهم للتدخل من اجل اعادتهم الى مناصبهم، وهذا يعني خضوع الدولة الى قوى جديدة يمكن ان يكون لها أطماع للسيطرة على الخلافة او اسقاطها وهذا ما حدث بالفعل عندما لجأ شاور الى دمشق حيث نور الدين زنكي الذي استقبله واكرمه ، فضلا عن ذلك فان ما جرى داخل الدولة اثبت ضعف الخليفة الفاطمي فلم يكن له أي ردة فعل عن الاحداث الجارية ، ولم تكن لديه أي قوة عسكرية قادرة على انهاء الوضع المتردي وجعل القيادة بيد الدولة من خلال انتهاز هذه الفرصة والحرب الدائرة بين المتنافسين للسيطرة على زمام الأمور والقضاء على هؤلاء وارجاع هيبة الدولة ، والذي بالتالي كانت له اثار سيئة على مستقبل الدولة الفاطمية وعجل في سقوطها.

ب- السياسة الخارجية للدولة الفاطمية في عهد العاضد (555-567هـ/1160-1171م).

بعدهزيمة شاور وهروبه الى بلاد الشام عين ضرغام بن عامر وزيرا للعاضد سنة (558هـ/1163م) فقام بتشكيل جيش وجمع الأموال لذلك بشتى الطرق؛ مما اثار ذلك عامة الناس، فضلا عن سيطرته على الدولة، فقد اساء معاملة الخليفة الفاطمي العاضد، وقام بتصفية

(1) الكامل في التاريخ، ج11، ص291.

عدد من امراء الجيش[1]. ولم يكن الوزير المخلوع شاور من الشخصيات الضعيفة التي تتخلى عن منصبها بسهولة؛ لذا اخذ يطلب المساعدة من نور الدين بن محمود زنكي الذي تردد في بداية الامر تقديم المساعدة له لعدم ثقته بشاور الا انه عدل عن ذلك لرغبته في السيطرة على مصر[2]، وقد أشار ابن الاثير[3] الى ان نور الدين محمود بن زنكي ارسل قواته العسكرية إلى مصر وجعل عليهم الأمير أسد الدين شيركوه[4]؛وكان سبب إرسال هذا الجيش أن شاور وزير العاضد لدين الله نازعه في الوزارة ضرغام وغلب عليها فهرب شاور منه إلى الشام ملتجئا إلى نور الدين ومستجيرا به فأكرم مثواه وأحسن إليه وأنعم عليه وطلب منه إرسال العساكر معه إلى مصر ليعود إلى منصبه، وعرض عليه ان ويكون لنور الدين ثلث خراج البلاد بعد إقطاعات العساكر، ويكون شيركوه مقيما بعساكره في مصر مع عدد من امراء الشام، ويتصرف هو بأمر نور الدين وينفذ جميع أوامره على ان يقدم له المساعدة في قتل ضرغام واعادته الى منصبه.

وفق هذا الاتفاق قام نور الدين بتجهيز قوات عسكرية اسند قيادتها الى اسد الدين فسار وبصحبته شاور في سنة 559هـ/1164م وتقدم اسد الدين ليعيد شاور إلى منصبه وينتقم له ممن نازعه فيه، وفي نفس الوقت سار نور الدين إلى طرف بلاد الافرنج مما يلي دمشق بعساكره

---

(1) أنّ الصالح طلائع بن رزيك كان قد أنشأ في وزارته أمراء يقال لهم البرقيّة، وجعل ضرغاما مقدّمهم، فترقّى حتّى صار صاحب الباب، وطمع في شاور السعدي لما ولي الوزارة بعد رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك، فجمع اتباعه فتخوّف شاور منه، وصار العسكر فرقتين: فرقة مع ضرغام وفرقة مع شاور. وبعد تسعة أشهر من وزارة شاور ثار ضرغام سنة 558هـ/1163م ، واخرج شاور من القاهرة، وقتل ولده الأكبر المسمّى بطيّئ، وعند تقلده الوزارة أخذ يتنكّر لرفقته البرقيّة الذين قاموا بنصرته وأعانوه على إخراج شاور وتقليده للوزارة فأحضرهم إليه في دار الوزارة ليلا وقتلهم بالسيف.ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان،ج2، ص440؛ المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج3،ص24.

(2) الاصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، ص387.

(3) الكامل في التاريخ، ج11، ص298؛ ينظر كذلك: ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج3، ص41؛ابن كثير، البداية والنهاية،ج12، ص308.

(4) أسد الدين شيركوه : هو أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مران بن يعقوب الملك المنصور أسد الدين وزير العاضد مولده بدوين من أذربيجان بطرفها ونشأ بتكريت إذ كان أبوه متولي قلعتها، أصلهم من الأكراد الروادية هم فخذ من الهذبانية وأنكر هذه النسبة جماعة من بني أيوب وقالوا إنما نحن عرب وتزوجنا من الأكراد ،كان من كبار أمراء نور الدين وسيره عونا لشاور ولم يفي له شاور فعاد إلى دمشق، ثم عاد إلى مصر مره اخرى طامعا في أخذها ، مات سنة 564هـ/1169م .ينظر: ابن خلكان، وفيات العيان وانباء أبناء الزمان، ج2، ص479؛الصفدي، الوافي بالوفيات ،ج16 ،ص126.

ليمنع الفرنج من التعرض لأسد الدين ومن معه ، فوصل أسد الدين والعساكر معه إلى مدينة بلبيس فخرج إليهم ناصر الدين أخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وعاد إلى القاهرة مهزوماً[1] .

ووصل أسد الدين الى القاهرة فخرج ضرغام من القاهرة فقتل عند مشهد السيدة نفيسة[2] وقتل أخوه فارس المسلمين وخلع على شاور وأعيد إلى الوزارة وتمكن منها سنة 559هـ/1164م[3]، وحسب الاتفاق فقد أقام أسد الدين بظاهر القاهرة الا ان شاور غدر به ورجع عن ما قرره لنور الدين من البلاد المصرية ولأسد الدين أيضا، وأرسل إليه يأمره بالعودة إلى الشام فأعاد الجواب بالامتناع وطلب تنفيد ما اتفق علية بينهم فلم يجبه شاور إليه فلما رأى ذلك أرسل إلى نوابه فتسلموا مدينة بلبيس وحكم على البلاد الشرقية، وأرسل شاور إلى الفرنج يستمدهم ويخوفهم من نور الدين ملك مصر [4].

وبذلك نرى ان الدولة الفاطمية انتهت سياسيا، ولم يبقى لها سوى الاسم اذ تحكم المتنفذين بها كيفما يشاؤون دون ان يكون هناك أي اعتراض او ردة فعل من الخليفة الفاطمي العاضد؛ لذا فقد طمعت القوى الأخرى في انتهاز هذه الفرصة في السيطرة على مصر واسقاط الدولة الفاطمية، فعلى الرغم من عدم ثقة نور الدين بشاور بن مجير؛ الا انه وجد ما يصبوا اليه فيما اقترح عليه شاور من العروض ، وهذا يعني ان دخوله الى مصر سوف يمكنه من الحصول على الإمكانات الاقتصادية والعسكرية التي تعمل على تعزيز قوته العسكرية في مجابهته للصليبيين ، اذ يمكنه ذلك من فتح جبهه جديد تضعف من قوة الصليبيين من خلال سيطرته على سواحل البحر المتوسط التي تطل عليها مصر .

---

(1) الكامل في التاريخ، ج11، ص299؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص284.

(2) مشهد السيدة نفيسة: هي نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام)، أمّها أمّ ولد، ، وتوفيت السيدة نفيسة سنة208هـ/824م، ودفنت في منزلها، وهو الموضع الذي به قبرها ، ويعرف بخط درب السباع، وأراد إسحاق بن الصادق وهو زوجها أن يحملها ليدفنها بالمدينة، فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لأجل البركة، وأول من بنى على قبر السيدة نفيسة، هو عبيد الله بن السري والي مصر، من قبل الدولة العباسية، ثم أعيد بناء الضريح في عهد الدولة الفاطمية، وأضيفت له قبة. ينظر: الحموي، معجم البلدان،ج5، ص143؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ج4، ص324-325.

(3) النويري، نهاية الارب، ج28، ص333؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص304.

(4) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص121.

وعلى الرغم من نجاح الحملة العسكرية على مصر بقيادة اسد الدين وعودة شاور الى الوزارة[1] مرة أخرى، طلب المساعدة من الفرنج وقد أورد ذلك ابن الاثير[2] بقوله: "**وكان الفرنج قد أيقنوا بالهلاك إن تم ملكه لها فلما أرسل شاور يطلب منهم أن يساعدوه على إخراج أسد الدين من البلاد جاءهم فرج لم يحتسبوه وسارعوا إلى تلبية دعوته ونصرته وطمعوا في تلك الديار المصرية وكان قد بذل لهم مالا على المسير إليه وتجهزوا وساروا فلما بلغ نور الدين ذلك سار بعساكره إلى أطراف بلادهم ليمتنعوا عن المسير فلم يمنعهم ذلك لعلمهم أن الخطر في مقامهم إذا ملك أسد الدين مصر أشد فتركوا في بلادهم من يحفظها وسار ملك القدس في الباقين إلى مصر**" .

كان قد وصل إلى سواحل بلاد الشام جمع كثير من الافرنج في البحر لزيارة البيت المقدس فاستعان بهم الافرنج الساحلية فأعانوهم فسار بعضهم معهم، وأقام بعضهم في البلاد لحفظها فلما وصل الافرنج مصر انسحب أسد الدين متوجها" الى مدينة بلبيس فأقام بها هو وعسكره وجعلها له ظهيرا يتحصن به واجتمعت العساكر المصرية بقيادة شاور والافرنج ونازلوا أسد الدين شيركوه بمدينة بلبيس وحاصروه بها ثلاثة أشهر وهو ممتنع بها على الرغم من ان سورها قصير جدا وليس لها خندق يحميها الا ان اسد الدين دافع عن بلبيس ولم يتمكن الافرنج من تحقيق اهدافهم[3]. مما دفع الافرنج الى طلب الصلح والانسحاب عن مصر؛ وذلك بسبب خبر هزيمة الفرنج في حارم[4] وملك نور الدين لها ومسيره إلى بانياس فحينئذ سقط في أيديهم وأرادوا العودة إلى بلادهم ليحفظوها فراسلوا أسد الدين في الصلح والعودة إلى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها إلى المصريين فأجابهم إلى ذلك انه لا يعلم ما فعله نور الدين بالشام بالفرنج ولأن الأقوات والذخائر قلت عليه وخرج من بلبيس، اذ تم الاتفاق على انسحاب القوتين من مصر ،

(1)القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج3،ص495.

(2) الكامل في التاريخ، ج11، ص300؛ ينظر كذلك : النويري، نهاية الارب في فقنون الادب،ج28، ص334.

(3) الكامل في التاريخ، ج11، ص299.

(4) حارم : وهي حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهي من أعمال حلب، وفيها أشجار كثيرة ومياه. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص205.

وبذلك يكون شاور هو المستفيد الوحيد من هذه الاحداث اذ اعيد الى منصبه وتمكن من التخلص من منافسه ضرغام ومن الالتزام امام نور الدين والافرنج [1].

قال ابن الاثير[2] " "فحدثني من رأى أسد الدين حين خرج من بلبيس قال أخرج أصحابه بين يديه وبقي في آخرهم وبيده لت من حديد يحمي ساقتهم والمسلمون والفرنج ينظرون إليه قال فأتاه فرنجي من الغرباء الذين خرجوا من البحر فقال له أما تخاف أن يغدر بك هؤلاء المصريون والفرنج وقد أحاطوا بك وبأصحابك ولا يبقى لكم بقية فقال شيركوه يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما أفعله كنت والله أضع السيف فلا يقتل منا رجل حتى يقتل منهم رجالاً ".

ومن ما ذكر اتضح ان الدولة الفاطمية أصبحت مسرحا للصراع بين اسد الدين وبين الصليبيين اذ وقف الخليفة الفاطمي العاضد موقف المتفرج من الاحداث الجارية، دون ان يحرك ساكن. اما شاور فقد كان الرابح من بين الأطراف المتنازعة اذ حقق ما أراد من خلال ضرب الطرفين الذين اتفقا في النهاية على الانسحب من ارض مصر بعد عقد صلح بين الطرفين، انسحب على أثرها اسد الدين الى بلاد الشام، بالمقابل انسحاب الفرنج من مصر بعدما خسروا حصون في بلاد الشام، جعل وضعهم حرج في مصر، فضلا عن ذلك فقد بينت الحملة العسكرية التي قادها اسد الدين بدعم واسناد من قبل نور الدين إمكانية السيطرة على مصر، وتحقيق حلم نور الدين بتطويق الفرنج وطردهم من بيت المقدس ، وزيادة التبادل التجاري مع بلاد المغرب والدول الاوربية [3] .

وفي سنة(562 هـ/1167م) بدأ نور الدين يتجهز لحملة عسكرية ثانية على مصر وذلك بناء على الحاح من قبل اسد الدين؛ للسيطرة عليها، اذ أصبحت هذه المنطقة حلم كل طرف يسعى الى تحقيقه مستغل الضعف الذي أصاب الدولة الفاطمية[4] وقد أورد ابن الاثير[5] ذلك بان نور الدين بتجهز لغزو مصر فسار بجيش قوي وسير معه جماعة من الأمراء فبلغ عدهم ألفي فارس، وعلى الرغم من عدم رغبة نور الدين بقيادة هذه القوات الا ان أسد الدين كان

---

(1) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص122؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الجنان، ج8، ص252؛ الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج 7، ص22.

(2) الكامل في التاريخ، ج11، ص299.

(3)ماهر، البحرية في مصر الاسلامية، ص100.

(4) ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج7، ص147؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص164.

(5) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص131.

مصر على توجه هذه الحملة الى مصر؛ وذلك لتخوفه من شاور الذي قد يستنجد بالإفرنج مما يؤدي الى تمكين الافرنج على مصر حال هزيمته في المعركة، فلما اجتمع معه عسكره سار إلى مصر على البر وترك بلاد الفرنج على يمينه فوصل الديار المصرية فقصد اطفيح وعبر النيل عندها إلى الجانب الغربي ونزل بالجيزة مقابل مصر وسيطر على الجزء الغربي من البلاد وحكمها خمسين يوما.

ولما بلغ شاور ذلك أرسل إلى الفرنج يستنجدهم، الا انه ادرك ان اسد الدين اذ دخل مصر لن يخرج منها هذه المرة، فرحب الافرنج بذلك خوفا من أن يملكها أسد الدين فلا يبقى لهم في بلادهم مقام، فضلا عن رغبتهم بأبعاد القوات الشامية ووجدوا انها الفرصة المناسبة للسيطرة على مصر[1].

وقد جرى اتفاق بين شاور وبين الافرنج على مبلغ من المال يؤديه شاور يدفع نصفة والنصف الاخر بعد تحقيق الانتصار على القوات الشامية، وتم تصديق هذا الاتفاق من قبل الخليفة الفاطمي بعد ضغط عليه من قبل الوزير شاور ؛ لإعطاء الاتفاق صفة شرعية[2].

وكان أسد الدين وعساكره قد ساروا إلى الصعيد فبلغ مكانا يعرف بالبابين[3]، وسارت العساكر المصرية والفرنج وراءه فأدركوه بها، وكان قد أرسل إلى المصريين والفرنج جواسيس فعادوا إليه وأخبروه بكثرة عددهم وجدهم في طلبه فعزم على قتالهم إلا أنه خاف من أصحابه أن تضعف نفوسهم عن القتال، فاستشارهم فكلهم أشاروا عليه بعبور النيل إلى الجانب الشرقي والعوده إلى الشام ؛ بسبب تخوفهم من الهزيمة على يد المصريين والافرنج سيما ان الأرض التي يقاتلون عليها هي ارض للعدو ولا يمتلكون فيها ملجأ" يهربون ليه اذا خسروا المعركة [4].

فقام أمير من مماليك نور الدين وهو شرف الدين برغش صاحب شقيف[5] وكان شجاعا وقال" من يخاف القتال والأسر فلا يخدم الملوك بل يكون في بيته مع امرأته والله لئن عدنا إلى

---

(1) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج3، ص43.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص299؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص900.

(3) البابين: وهي قرية كانت تقع جنوب مدينة المنيا بالقرب من الاشمونين والتي هي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل ذات بساتين ونخل كثير. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص200.

(4) الكامل في التاريخ، ج11، ص327.

(5) شقيف: وهو قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص356.

نور الدين من غير غلبة ولا بلاء نعذر فيه ليأخذن مالنا من أقطاع وجامكية وليعودن علينا بجميع ما أخذناه منذ خدمناه إلى يومنا هذا ويقولون تأخذون أموال المسلمين وتفرون عن عدوهم وتسلمون مثل مصر إلى الكفار والحق بيده"، فوافق على هذا الكلام اسد الدين وابن أخيه صلاح الدين[1] ثم كثر الموافقون لهم [2]. واجتمعت الكلمة على القتال فأقام بمكانه حتى أدركه المصريون والفرنج، وقسم القوات العسكرية فجعل الامتعة والاموال في القلب لأنه لا يتمكن من أن يتركها بمكان آخر فينهبها أهل البلاد، وجعل صلاح الدين في القلب موضحا" سبب ذلك؛ بإن المصريين والفرنج يجعلون حملتهم على القلب ظنا منهم انه فيه، وقد اوصاهم انه في حال اشتداد القتال فعليهم بالانسحاب، وان لا يهلكوا أنفسهم فإذا عادوا عنكم فارجعوا في أعقابهم [3].

واختار من عسكره جمعا من الشجعان ممن يثق بهم ويعرف صبرهم في الحرب ووقف بهم على الميمنة فلما تقاتلت الطائفتان فعل الفرنج ما ذكره اذا حملوا على القلب فقاتلهم قتالا يسيرا وانهزموا بين أيديهم غير متفرقين، ومعهم الفرنج فحمل حينئذ أسد الدين فيمن معه على من تخلف من الذين حملوا من المسلمين والفرنج الفارس والراجل فهزمهم ووضع السيف فيهم فأثخن وأكثر القتل والأسر فلما عاد الفرنج من أثر المسلمين رأوا عسكرهم مهزوما والأرض قفرا فانهزموا أيضا وكان هذا من أعجب ما يؤرخ أن ألفي فارس تهزم عساكر مصر والفرنج الساحل[4].

ومن النص أعلاه اتضح ان نور الدين واسد الدين كانوا مصرين على دخول مصر والسيطرة عليها من خلال وضع الخطط العسكرية اللازمة لذلك، على الرغم من قلة عدد القوات بمعيتهم، الا ان اسد الدين قسم القوات على ثلاثة اقسام الميمنة وجعل عليها مجموعة من الجند ممن يثق بهم، والميسرة وكانت بقيادته، اما القلب كانت تحت امرة صلاح الدين، فضلا عن ذلك فقد احتاط لمسألة انسحابه في حال خسارة المعركة مع القوات الفرنجية المصرية المشتركة اذ ارسل

---

(1) صلاح الدين: هو ابو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية ولد في سنة 532هـ/1138م وكان أبوه نجم الدين متولي تكريت نيابة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء انباء ال زمان، ج7، ص139؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج21، ص279.

(2) جمال الدين، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، ج1، ص151.

(3) ابن الجوزي، مرآة الجنان، ج8، ص275؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص312.

(4) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص133.

الى اهالي الإسكندرية يستنجد بهم فأجابوه على ذلك رغبة منهم في التخلص من شاور سيما ان اهالي الإسكندرية كانوا من المعارضين للدولة الفاطمية[1].

وكان اسد الدين يتوقع ان يهجم العدو على القلب اذ امرهم بان يتظاهروا بالهزيمة والتقهقر امام العدو، وتم ذلك فعند مهاجمة العدو بثقلهم على القلب هاجم اسد الدين الصليبين من خلفهم، وفي الوقت نفسه كانت قوات صلاح الدين قد اشتبكت مع القوات المصرية التي كانت بقيادة شاور، وتمكنت من هزيمتها ثم انظمت مع اسد الدين لمقاتلة الفرنج الذين وجدو انفسهم محاصرين وهكذا حقق اسد الدين انتصار كبير على الصليبيين والمصرين على الرغم من عدم التكافؤ في القوة ما بين الطرفين جعل المؤرخين يعجبون من ذلك [2].

ولما انهزم المصريون والفرنج من أسد الدين بالبابين سار إلى ثغر الإسكندرية وجبى ما في القرى على طريقه من الأموال، ووصل إلى الإسكندرية فتسلمها بمساعدة من أهلها فاستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين وعاد إلى الصعيد فملكه وجبى أمواله [3].

وأما المصريين والفرنج فإنهم عادوا على القاهرة وأصلحوا حال عساكرهم، وجمعوا وساروا إلى الإسكندرية فحاصروا صلاح الدين بها واشتد الحصار وقل الطعام على من بها فصبر أهلها على ذلك[4]، وسار أسد الدين من الصعيد إليهم وكان شاور قد أفسد بعض من معه من التركمان فوصل رسل الفرنج والمصريين يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما أخذه من البلاد فأجاب إلى ذلك وشرط على الفرنج أن لا يقيموا بالبلاد ولا يتملكوا منها قرية واحدة فأجابوا إلى ذلك، واصطلحوا وعادوا إلى الشام، وتسلم المصريون الإسكندرية ووصل شيركوه إلى دمشق[5].

وأما الفرنج فإنهم اتفقوا بينهم وبين المصريين أن يكون لهم بالقاهرة شحنة وتكون أبوابها بيد فرسانهم ليمنع نور الدين من إنقاد عسكر إليهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة ألف

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص8؛ قلعجي، قدري، صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، شركة المطبوعات للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص136.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص9؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص335؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، 347.

(3) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص134.

(4) ابن الظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص117؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص164.

(5)ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12، ص314؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص476.

دينار هذا كله اتفاق مع شاور اما العاضد لم يكن له معه حكم لأنه قد حجر عليه وحجبه عن الأمور كلها، وعاد الفرنج إلى بلادهم بالساحل الشامي، وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم، وكان الكامل شجاع بن شاور قد أرسل إلى نور الدين مع بعض الأمراء يبين له رغبته الدخول في طاعته وضمن على نفسه أنه يفعل هذا وبذل ما يحمله كل سنة فأجابه إلى ذلك وحمل إليه مالا جزيلا[1].

يتبين مما سبق انه وعلى الرغم من اتفاق الأطراف المتنازعة في مصر على الانسحاب، الا ان الصليبيين لم ينفذوا ما اتفقوا عليه مع اسد الدين، اذ ابقوا حامية عسكرية في القاهرة، لتكون عين لهم في مصر ترسل لهم اخبار الدولة الفاطمية، والتي كانت ضعيفة جدا مما جعل الفرنج يطمعون في السيطرة عليها؛ لذا اخذوا يعدون العدة وينظمون حملة عسكرية سنة 564هـ/1168م، وقد بين الصليبيين ان وجهتم بلاد الشام الا انهم سرعان ما توجهوا الى مصر فحاصروا مدينة بلبيس وسيطرو عليها وقتلوا أهلها ثم اتجهوا نحو القاهرة [2].

وهذا الامر دفع الفاطميين الى طلب المساعدة من نور الدين محمود زنكي، **وقد أورد ذلك ابن الاثير[3] بقوله:" تمكن الفرنج من البلاد المصرية وأنهم جعلوا لهم في القاهرة شحنة وتسلموا أبوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم وأعيان فرسانهم وحكموا على المسلمين حكما جائرا وركبوهم بالأذى العظيم ".**

يتبين من خلال النص مدى الضعف الذي أصاب الدولة الفاطمية ؛لذا فقد طمع الفرنج باحتلالها اذ كانت تصل اخبارها عن طريق الحامية العسكرية الى الفرنج فعلى الرغم من ان الدولة الفاطمية كانت تدفع الأموال لهم بناء على الاتفاق الذي تم بينهم وبين الوزير شاور فقد قرروا احتلالها، وقد ابدى قائد الفرنج في بلاد الشام اعتراضه على ذلك؛ لانه كان يرى غير ذلك اذ بين لهم بان أموال الدولة الفاطمية تصل اليهم دون تعب او جهد وان غزوها لا يجدي نفعا بل يمكن ان يفتح جبهه جديدة ضد الصليبيين في مصر اذ ان أهلها ليس من السهولة ان يسلموا

---

(1)ابن الاثير ،الكامل في التاريخ، ج11، ص327.

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج5، ص349؛ الحنبلي ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج1، ص312.

(3) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص138.

ارضهم للفرنج بدون قتال الا انه اضطر مجبر الى التوجه نحو مصر لأسقاط الخلافة الفاطمية فيها وامتلاكها[1].

فشرعوا يتجهزون ويظهرون أنهم يريدون قصد مدينة حمص ، ولم يكن شاور يعلم بتحركات الافرنج الا بعد ان تحركت الحملة العسكرية الافرنجية الى مصر، فارسل شاور يستفسر عن سبب الحملة سيما ان الاتفاق معهم لم يخرق من قبل الفاطميين، وارسل احد مستشاريه لغرض استمالتهم الا انه فشل في ذلك [2].

فلما سمع نور الدين شرع أيضا يجمع عساكره وأمرهم بالقدوم عليه وجد الفرنج في السير إلى مصر فقدموها ونازلوا مدينة بلبيس وملكوها قهرا ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وسبوا، وكان جماعة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرة للتخلص من شاور، فقوي امر الافرنج وساروا من بلبيس إلى مصر فنزلوا على القاهرة وحصروها فخاف الناس منهم أن يفعلوا بهم كما فعلوا بأهل بلبيس فحملهم الخوف منهم على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه فلو أن الفرنج أحسنوا السيرة في بلبيس لملكوا مصر والقاهرة [3].

اما شاور فقد اتبع سياسة الأرض المحروقة بعد ان غدر به الفرنج فقام بإحراق مدينة مصر وأمر أهلها بالانتقال منها إلى القاهرة وأن ينهب البلد فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينة وافتقر أهلها وذهبت أموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم خوفا أن يملكها الفرنج فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوماً، وأرسل الخليفة العاضد إلى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج، وأرسل في الكتب شعر النساء، وقال :"هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج فشرع في تسيير الجيوش" [4].

ومن ذلك يتضح لنا مدى الفوضى والارتباك الذي تعيشه الدولة الفاطمية والشعب المصري الذي خسر الكثير من الأرواح والأموال بسبب الصراع الدائر فيها، ومنها مدينة الفسطاط التي اجبر اهاليها بصورة مفاجئة على ترك أموالهم ومنازلهم والانتقال الى القاهرة لان شاور قام

---

(1) ابن الجوزي، مرآة الجنان، ج 8، ص275؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992، ج2، ص612.

(2) ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ص115؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص330 المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3، ص293.

3- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص138.

4- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص139.

بأحراق المدينة خشية من سقوطها بيد الفرنج وحتى لا يستفيد الفرنج عند دخولهم اليها من الأموال في حال سيطرتهم عليها غير ابهيين بالناس الذين أصبحوا دون ماوى ودون أموال وما خلفته هذه الهجرة من ضغط على سكان مدينة القاهرة التي أصبحت تضيق بسكانها.

وبالمقابل فان الفرنج قد اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على أهلها، وشاور هو المتولي للأمر والعساكر والقتال فضاق به الأمر، وضعف عن ردهم فاحتال وأرسل إلى ملك الفرنج يذكر له مودته ومحبته له قديما، وأن هواه معه؛ لخوفه من نور الدين والعاضد وإن المسلمون لا يوافقون على التسليم إليه ويشير بالصلح، وأخذ المال لئلا يستلم البلاد نور الدين فأجابه إلى ذلك على أن يعطوه ألف ألف دينار مصرية يعجل البعض ويمهل البعض فاستقرت الامر على ذلك[1].

وقد وجد الافرنج أنهم لا يستطيعون السيطرة على مصر؛ بسبب قوة المقاومة فيها ورغبة نور الدين للسيطرة عليها، وربما سلمت المدينة الى نور الدين لرغبة أهالي مصر بذلك للتخلص من شاور، مما دفعهم الى قبول الصلح واخذ الأموال والانسحاب الى بلاد الشام، فجعل لهم شاور مائة ألف دينار، وطلب منهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال فرحلوا قريبا وجعل شاور يجمع لهم المال من أهل القاهرة ومصر فلم يتحصل له الا خمسة آلاف دينار؛ وسببه أن أهل مصر كانوا قد احترقت دورهم وما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدرون على الأقوات، وأما أهل القاهرة فالأغلب على أهلها الجند وغلمانهم فلهذا تعذرت عليهم الأموال، وهم في خلال هذا يراسلون نور الدين بما فيه الناس وبذلوا له ثلث بلاد مصر، وأن يكون أسد الدين مقيما عندهم في عسكر وإقطاعهم من البلاد المصرية أيضا خارجا عن الثلث الذي لهم [2].

وكان نور الدين لما وصله كتب العاضد بحلب أرسل إلى أسد الدين يستدعيه إليه فاستجاب لطلبه ولقيه على باب حلب وقد قدمها من حمص وكانت أقطاعه؛ وكان سبب وصوله أن كتب المصريين وصلته أيضا لنفس الغرض، فسار أيضا إلى نور الدين واجتمع به وعجب نور الدين من حضوره في الحال وسره ذلك وتفاءل به وأمر بالتجهيز إلى مصر وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والأسلحة وغير ذلك وحكمه في العسكر والخزائن، واختار من العسكر ألفي

1- الحنبلي ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص311 ؛محمد العروسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، 1982، ص74.

(2) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص138؛ أبن الوردي، تأريخ أبن الوردي،ج2،ص73.

فارس وأخذ المال وجمع ستة آلاف فارس، وسار هو ونور الدين إلى باب دمشق فوصلها، وأعطى نور الدين كل فارس ممن مع أسد الدين عشرين دينارا وأضاف إلى أسد الدين جماعة أخرى من الأمراء[1] .

وسار أسد الدين شيركوه فلما قارب مصر رحل الفرنج إلى بلادهم ، وسمع نور الدين بعود الفرنج، فسره ذلك وأمر بضرب البشائر في البلاد وبث رسله في الآفاق مبشرين بذلك فإنه كان فتحا جديدا لمصر وحفظا لبلاد الشام وغيرها، ووصل أسد الدين إلى القاهرة ودخل إليها واجتمع بالعاضد لدين الله وخلع عليه وعاد إلى خيامه بالخلعة العاضدية[2]، ولم يمكن شاور من منع ذلك لأنه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على إظهار ما في نفسه واخذ يماطل أسد الدين في تقرير ما كان بذل لنور الدين من المال وإقطاع الجند وإفراد ثلث البلاد لنور الدين وهو يركب كل يوم إلى أسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه[3].

ومن خلال ما تقدم فقد أوضحت المعارك التي دارت مابين الفرنج وقوات اسد الدين مدى قوة الزنكيين وقدرتهم على تحقيق النصر على الرغم من الفارق في العدد والعدة، فضلا عن الخلاف الذي حدث بين شاور وبين الصليبيين حول ارسال الأموال التي ماطل شاور في ارسالها لهم واطماع الصليبيين في السيطرة على مصر، والتي خدمت في النهاية اسد الدين ومكنتهم من السيطرة على مصر.

ثم أنه عزم على أن يعمل دعوة يدعو إليها أسد الدين والأمراء الذين معه ويقبض عليهم ويستخدم من معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الفرنج فنهاه ابنه الكامل وقال له:" والله لئن عزمت على هذا الأمر لأعرفن شيركوه فقال له أبوه والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعا فقال صدقت ولأن نقتل ونحن مسلمون والبلاد إسلامية خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج فإنه ليس بينك وبين عود الفرنج إلا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه وحينئذ لو مشي العاضد إلى نور الدين لم يرسل معه فارسا واحدا ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه [4]".

---

(1) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج7، ص30؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28، ص340؛ المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص75.

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج5، ص351.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص339.

(4) ابن الجوزي، مراة الجنان، ج8، ص276.

وعند التدقيق في فحوى الكلام السابق او الحوار الذي دار ما بين الكامل ووالده حول قيامهم بألقاء القبض على نور الدين، واعتراض الكامل على ذلك نجد ان هنالك مبالغة في تلميع صورة شاور وولده الذين لا يمكن وفق ما مر بنا سابقا" ان نجد لدى الوزير شاور أي اعتبار قومي او ديني يمنعه من تحقيق أهدافه او مصالحه الشخصية مع أي طرف كان، فلما رأى العسكر النوري مماطلة شاور خافوا شره فاتفق صلاح الدين يوسف بن أيوب وعز الدين جورديك[1] وغيرهم على قتل شاور فنهاهم أسد الدين الا انهم كانوا عازمين على قتله فاتفق أن شاور قصد عسكر أسد الدين على عادته فلم يجدوه في الخيام اذ كان يزور قبر الشافعي[2] فلقيه صلاح الدين ويوسف وجورديك في جمع من العسكر وخدموه وأعلموه بأن شيركوه في زيارة قبر الإمام الشافعي ، فساروا جميعا فسايره صلاح الدين وجورديك وألقوه إلى الأرض عن فرسه فهرب أصحابه عنه فأخذ أسيرا فلم يمكنهم قتله بغير أمر أسد الدين فتوكلوا بحفظه أعلموا أسد الدين فحضر ولم يمكنه إلا إتمام ما عملوه وسمع الخليفة العاضد صاحب مصر الخبر فأرسل إلى أسد الدين يطلب منه رأس شاور وتابع الرسل بذلك فقتل وأرسل رأسه إلى العاضد[3].

ودخل أسد الدين القاهرة فرأى من اجتماع الخلق فقال لهم "العاضد يأمركم بنهب دار شاور فتفرق الناس عنه إليها فنهبوها وقصد هو قصر العاضد فخلع عليه خلع الوزارة ولقب الملك المنصور أمير الجيوش وسار بالخلع إلى دار الوزارة وهي التي كان فيها شاور فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقر في الأمر وغلب عليه ولم يبق له مانع ولا منازع واستعمل على الأعمال من يثق إليه من أصحابه وأقطع البلاد لعساكره"[4].

---

(1) عز الدين جورديك بن عبد الله النوري كان من أكابر الامراء في أيام نور الدين، وكان ممن شارك في قتل شاور، وحظي عند صلاح الدين، وقد استنابه على القدس حين افتتحها، وكان يستند به للمهمات الكبار فيسدها بنفسه وشجاعته. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص25.

(2) الشافعي: هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ولد في غزة من بلاد فلسطين بنواحي بيت المقدس سنة 150هـ/767م ونشأ بمكة، وبها تعلم العلم، وبالمدينة، وسكن مصر وتوفي بها في رجب سنة204هـ/820م. ينظر: السمعاني، الانساب، ج3، ص379؛ ابن الاثير، الالباب في تهذيب الانساب، ج2، ص175؛ المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج3، ص436.

(3) ابن الجوزي ، مراة الجنان ، ج8،ص277، ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج1، ص55؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج4، ص79.

(4) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص140.

وأما الكامل بن شاور فإنه لما قتل أبوه دخل القصر هو وإخوته معتصمين به فكان آخر العهد بهم وكان شيركوه يتأسف عليه كيف عدم، لأنه بلغه ما كان منه مع أبيه في منعه من قتل شيركوه، وكان يقول "وددت أنه بقي لأحسن إليه جزاء الصنيعة"[1].

ج- زوال الدولة الفاطمية

بعد ان تمكن اسد الدين شيركوه من القضاء على شاور وقتله عين الخليفة الفاطمي العاضد اسد الدين وزيرا له سنة 564هـ /1168م، ومنحة لقب السيد الاجل الملك المنصور أمير الجيوش، واخرج له من القصر منشور مكتوب بخط الخليفة ما نصه "هذا عهد لا عهد لوزير بمثله فتقلد ما رآك الله وأمير المؤمنين أهلا لحمله وعليك الحجة من الله فيما أوضح لك من مراشد سبله فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك إلى بنوة النبوة"[2]، الا ان اسد الدين لم يمكث طويلا في وزارته اذ توفي في نفس السنة التي نولى فيها الوزارة [3] ، ثم ولي الوزارة بعدة صلاح الدين الايوبي وقد اشار ابن الاثير[4] الى الكيفية التي تم فيها تولية صلاح الدين الوزارة، اذ ان جماعة من الأمراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة العاضدية بعده منهم عين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال وسيف الدين المشطوب الهكاري وشهاب الدين محمد الحامي وهو خال صلاح الدين، وكل واحد من هؤلاء يخطبها وقد جمع أصحابه ليغالب عليها فأرسل العاضد إلى صلاح الدين أحضره عنده وخلع عليه وولاه الوزارة بعد عمه.

فلما خلع عليه لقب الملك الناصر ولم يعطه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ولا خدموه، وكان الفقيه عيسى الهكاري معه فسعى مع المشطوب حتى أماله إليه، وقال له إن هذا الأمر لا يصل إليك مع عين الدولة والحارمي وغيرهما، ثم قصد الحامي وقال هذا

---

(1) ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء انباء الزمان، ج2، ص448؛ ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج3،ص46.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص282.

(3) ان أسد الدين كان كثير الاكل شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة تتواتر عليه التخم والخوانيق وينجو منها بعد مقاساة شدة عظيمة فأخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله ولم يخلف ولدا سوى ناصر الدين محمد بن شيركوه الملقب الملك القاهر وهناك من أشار الى ان الخليفة العاضد قد قتل اسد الدين بسمة بمنديل الحنك. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء انباء الزمان، ج2، ص480\ .

(4) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص142؛ الكامل في التاريخ، ج11، ص345.

صلاح الدين هو ابن أختك وعزه وملكه لك، وقد استقام له الأمر فلا تكن أول من يسعى في إخراجه عنه ولا يصل إليك فمال إليه أيضا، ثم فعل مثل هذا بالباقين وكلهم أطاع غير عين الدولة الياروقي فإنه قال أنا لا أخدم يوسف وعاد إلى نور الدين بالشام ومعه غيره من الأمراء وثبت قدم صلاح الدين ومع هذا فهو نائب عن نور الدين[1].

يتبن لنا من خلال ما تقدم ان الخليفة الفاطمي فقد الإرادة حتى في تعيين وزير له اذ نجد ان المتنفذين في الدولة قد انقسموا الى فريقين فريق يطلب من الخليفة ان لا يعين وزير له وان تكون لجماعة من قادة العسكر، اما الفريق الاخر فطالب ان يكون صلاح الدين وزير للخليفة الفاطمي العاضد خلفا لعمه اسد الدين، وقد مال الخليفة للفريق الثاني، وكان هدف الخليفة من ذلك هو فرض اردته على الوزير الجديد باعتباره اقل خبرة من اسد الدين، وان الخليفة هو من قام بتعينه الا ان الخليفة العاضد لم يضع في حساباته ان صلاح الدين سوف يضع نهاية للدولة الفاطمية .

ومن اجل ان ينفذ صلاح الدين خطة في احكام سيطرته على مصر واسقاط الخلافة الفاطمية فقد عمل على استمالة قلوب الناس وبذل الأموال فمالوا إليه وأحبوه وضعف أمر العاضد ثم أرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل إليه إخوته وأهله فأرسلهم إليه وشرط عليهم طاعته والقيام بأمره ومساعدته وكلهم فعل ذلك، وأخذ إقطاعات الأمراء المصريين فأعطاها أهله والأمراء الذين معه وزادهم فازدادوا له حبا وطاعة[2]، وعمل على تقوية المذهب السني وضرب المذهب الإسماعيلي وقد أورد ذلك ابن الاثير[3] بقوله: "كان بمصر دار للشحنة تسمى دار المعونة يحبس فيها من يريد جبسه فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية وأزال ما كان فيها من الظلم وبنى دار العدل مدرسة للشافعية أيضا وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة وأقام قاضيا شافعيا في مصر فاستناب القضاة الشافعية في جميع البلاد و اشترى تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين منازل العز بمصر وبناها مدرسة للشافعية و أغار شمس الدولة تورانشاه أخو صلاح الدين على الأعراب الذين بالصعيد وكانوا قد أفسدوا في البلاد ومدوا أيديهم فكفوا عما كانوا يفعلونه".

---

(1) المصدر نفسة، ص143.

2- ابن الاثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، ص144.

3- المصدر نفسة، ج11، ص339.

اما الجانب العسكري فقد قام بأجراء إصلاحات جذرية اذ اعتمد على القوات الاسدية التي كانت تمثل قوات اسد الدين، والتي لعبت دورا" كبيرا" في الاحداث السابقة، وقام باستخدام الاتراك والاكراد بدلا من السودان والبربر والارمن[1]، الامر الذي أدى بالتالي الى ان يفقد العديد من رجالات الدولة السابقين العديد من الامتيازات وضعف قوتهم ومنهم الخادم مؤتمن الخلافة ومقدم السودان الذي استعان بالفرنج ضد صلاح الدين الايوبي [2].وقد أدى هذا الى نشوب ثوره ضد صلاح الدين الايوبي وقد أورد ابن الاثير[3] بقوله: " قتل مؤتمن الخلافة وهو خصي كان بقصر العاضد إليه الحكم فيه والتقدم على جميع من يحويه فاتفق هو وجماعة من المصريين على مكاتبة الفرنج واستدعائهم إلى البلاد والتقوي بهم على صلاح الدين ومن معه ... فلما علم به صلاح الدين أرسل إليه جماعة فأخذوه وقتلوه وأتوا برأسه وعزل جميع الخدم الذين يتولون أمر قصر الخلافة "

ومن خلال النص السابق يتبين لنا ان الوضع في الدولة الفاطمية أصبح وبشكل كامل بيد صلاح الدين الايوبي فعمل على القضاء على السودان والارمن وسيطر على مصر وانتهى وجودهم بمصر، فضلا عن ذلك فان ما قام به كان بمثابة تهديد وانذار لكل من اراد الخروج الو الثورة ضدة مستقبلا ، وبذلك مهد الطريق الاسقاط الخلافة الفاطمية دون ان يكون هناك أي معارض لذلك.

وقد ذكر ابن الاثير[4] الكيفية التي اسقط فيها الايوبيين الدولة الفاطمية بقوله:" **قطعت خطبة العضد لدين الله ... وكان سبب الخطبة العباسية بمصر أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه بمصر وأزال المخالفين له وضعف أمر الخليفة بها العاضد وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونائبه قراقوش وهو خصي كان من أعيان الأمراء الأسدية كلهم يرجعون إليه**

1- المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج1،ص93-94.

2- اتفق هذا الخادم مع جماعة من الأمراء المصريين على مكاتبة الفرنج واستدعائهم إلى الديار المصرية ، والاعتضاد بهم على صلاح الدين ومن معه ؛ وأرسل الكتب مع رجل ، فجعلها في نعل ولبسه ، وسار على أنه فقير رثّ الهيئة . فلما وصل إلى البيضاء وجده تركمانى ، فأنكر حاله إذ هو رثّ الهيئة جديد المداس . فأخذ مداسه وفتقه ، فوجد الكتب فيه ، فحمله بها إلى الملك النّاصر ، فوقف عليها ، وكتم الأمر ، وقرّر الرجل بالعقوبة ، فأقرّ أنّ الكتب بخط رجل يهودي ، فاستحضره ، فأقرّ بها . ثم قتل صلاح الدّين القاصد. ينظر: النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج28،ص360

3- الكامل في التاريخ، ج11، ص347.

4- الكامل في التاريخ، ج11، ص368.

فكتب إليه نور الدين محمود بن زنكي يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة المستضيئية"

الاستنتاجات

من خلال درستنا لأخبار الدولة الفاطمية في مصنفات ابن الاثير (ت630-1232م) لا بد لنا من ان نبين ما توصلنا اليه من خلالها من استنتاجات وهي:

1- استمد ابن الاثير معلوماته عن الدولة الفاطمية من المصادر الشفوية وشهود العيان، فضلا عن اعتماده على مشاهدته واتصالاته الشخصية، وهذا يعني ان ابن الاثير كان قريب جدا على حوادث الدولة الفاطمية ونهاياتها.
2- حاول ابن الاثير التأكيد على صحة النسب الفاطمي، الا انه اكتفى بالأبيات الشعرية التي قالها الشريف الرضي بحق الفاطميين، واستدل على صحة النسب الفاطمي، عندما

استدعى الخليفة العباسي القادر بالله (381-422هـ/991-1031م) والد الشريف الرضي واطلعه على القصيدة وطلب الخليفة من الاب ان يعتذر والده الشريف الرضي عن هذه الابيات الشعرية، وان يطعن في نسب القوم فلم يرضى الشريف الرضي ولم يعتذر للخليفة، وهذا الامر ليس كافيا، فالشعراء لا يمكن الاعتماد عليهم في هذا الامر بسبب تقلب اهوائهم وميولهم اتجاه الحكام وحسب مصالحهم الشخصية ، اذ كان ينبغي عليه ان يعطي دلائل أخرى للأثبات صحة النسب الفاطمي سيما وجود مشككين حول صحة النسب.

3- ان ابن الاثير ابدى استغرابه من ان الحسين الوصي وابي عبد الله الشيعي ينقلا الدعوة من الإسماعيليين الى رجل ذو أصول يهودية وهل يعقل بانه لا يوجد امام تنتقل ليه الامامة بعد وفاة الحسين الوصي خاصة وان الإسماعيلية كتلة شيعية لها ثقلها في المجتمع الإسلامي الا انه لم يجزم او يعطي دليلا واضح على ذلك

4- تحدث ابن الاثير عن الإسماعيلية ودعاتهم في تاريخه، اذ أسماهم بالقرامطة، وذكر بداية أمرهم، في البحرين، حيث ظهر رجل منهم يُدعى أبي سعيد الجنابي، وقد اجتمع إليه جماعة من الأعراب، إلى أن قوي أمرهُ، فأغار على ما حوله من قرى، ثم سار إلى منطقة القطيف، وأغار إليها وقتل منها عدداً كبيراً، ومن ثمّ أراد الوجه نحو البصرة لتملكها. وأما في منطقة القطيف فقد نشط رجلٌ من القرامطة يُدعى يحيى بن المهدي، الذي قصد القطيف، ونزل عند رجل يُدعى علي بن المعلى بن حمدان، وكان مغالياً في التشيع، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي، وكان ذلك نحو سنة 281هـ/894م، وذُكر أنه خرج في شيعته يدعو الناس إلى أمره، فوجه علي بن المعلى إلى سائر أهل القطيف فلبوه.

5- اسهب ابن الاثير في نقل تفاصيل الاحداث التاريخية لنشؤ الدولة الفاطمية من بداية تكوينها مرورا بأبي عبد الله الشيعي وجهوده في تثبيت اركان الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، ثم استدعائه عبيد الله المهدي لاستلام الخلافة في بلاد المغرب وجهوده في انقاذ عبيد الله المهدي من سجن ابن مدرار بالسلمية ، ثم ذكر بعد ذلك سوء العلاقة مابين المهدي وأبي عبد الله الشيعي التي دفعت المهدي الى تصفية ابي عبد الله الشيعي واخيه ابي العباس للانفراد بالسلطة دون ان يكون له منافس ينافسه عليها.

6- لم يعط ابن الاثير في جميع كتاباته عن الجانب الحضاري او العمراني او الاقتصادي للدولة الفاطمية سوى بعض الإشارات البسيطة حول بناء مدينة المهدية والمنصورية والقاهرة، او كتاباته عن الجانب الاقتصادي الفاطمي سوى الإشارة الى الشدة المستنصرية، ومعلومات بسيطة عن المجاعة التي حدثت في مصر.

7- فصل ابن الاثير في كتاباته الكيفية التي تنتقل فيها الخلافة من الاب الى الابن ، او من الخليفة الى والي العهد ، ووضح حال الدولة الفاطمية من خلال سيطرة النساء أمهات او عمات الخلفاء على قيادة الدولة الفاطمية بسبب صغر سن الخلفاء الفاطميين شارحا بالفصيل مجريات الاحداث التاريخية المرافقة لقيادة هذه النساء للدولة والكيفية التي تخلص فيها الخلفاء الفاطميين من هذه الوصية الثقيلة التي ارهقت الدولة نتيجة للتخبط في القرارات ولا سيما تصفية بعض الوزراء الذي وجدت فيه بعض نساء القصر خطر يهدد وجودها وقيادتها للدولة .

8- اعط ابن الاثير فيما اوردة من اخبار عن الدولة الفاطمية كتاباته مساحة واسعة جدا في نقل اخبار التمردات والثورات التي قامت ضد الدولة الفاطمية والكيفية التي عالجت بها الدولة تلك التمردات، اذ نقل ابن الاثير اخبار دقيقة عن ثورات كادت ان تطيح بالدولة الفاطمية وشكلت خطر كبير عليها مثل تمرد بن كيداد الذي كاد ان يسقط الدولة الفاطمية .

9- افرد ابن الاثير في كتاباته حال اهل الذمة في الدولة الفاطمية فقد تمتع أهل الذمة بالتسامح والعدل من الخلافة الفاطمية وسكان مصر من جهة، والتعاون والمودة والمشاركة في الأعياد والاحتفالات من جهة أخرى، مما أشاع روح المساواة والمواطنة الصالحة، باستثناء بعض الأحيان المحدودة من عهد الخليفة الحاكم وفيها لحقتهم من سوء المعاملة ومصادرة الأموال للأشخاص ودور العبادة ، ثم رفعت عنهم هذه المحنة لتعود الأمور إلى مجاريها بطيب المعاملة.

10-نقل ابن الاثير عن موقف الامراء البويهيين من الدعوة الفاطمية في العراق بصورة عامة كان يسوده نوع من التناقضات السياسية، فعلى الرغم من أن البويهيين كانت تربطهم أواصر مشتركة مع الفاطميين ويعدُّون العباسيين مغتصبين للخلافة من أصحابها الشرعيين وهم العلويين لكن ليس على حساب مصالحهم السياسية، فعندما تصطدم هذه المصالح مع الفاطميين نراهم في بعض الأحيان يشككون في نسبهم ويحاولون القضاء عليهم والسبب يعود الى تنامي خوف البويهيين من تزايد قوة الفاطميين وتهديد حكمهم في بغداد، كما أشار

أيضا الى موقف السلاطين السلاجقة العدائي للدعوة الفاطمية في العراق، وهذا يعود بطبيعة الحال الى أن السلاجقة كانوا على مذهب الخلفاء العباسيين السنة، لذلك لا يرحبون بقيام دولة شيعية في العراق، فضلا عن أمور سياسية تتمثل بمحاولتهم الأستئثار بالسلطة على حساب الخلافة العباسية او اي سلطة اخرى يمكن ان تنازعهم هذا الامر .

- **القران الكريم**

أولاً- المصادر الأولية:

- **ابن الآبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(658هـ/1260م).**

1. الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، لشركة العربية الطباعة والنشر، القاهرة،1963م.

- الابشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفت(ت852ه/1448م) .

2. المستطرف في كل فن مستطرف ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1986م.

- **ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت630هـ/ 1233م).**

3. اللباب في تهذيب الانساب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، د.ت.
4. الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر طعيمات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، 1995.
5. الكامل في التأريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1386هـ/1966م.

- **الإدريسي ، محمد بن العزيز (560 هـ/1164م).**

6. المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، مطبعة بريل، مدينة ليدان، 1863م.

- **ابي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال (ت283هـ /896م).**

7. الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الأضواء للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت.

- **الاسحاقي، محمد عبد المعطي بن ابي الفتح بن حمد (ت1060هـ/1650م).**

8. اخبار الاول فيمن تصرف في مصر في ارباب الدول ، تحقيق : محمد رضوان مهنا ، مكتبة الايمان ، القاهرة ، 2000.

- **ابادي، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني (ت 415هـ/1024م).**

9. تثبيت دلائل نبوة، دار الكتب العلمية، بيروت 1971.

- **الإسرائيلي، إسحاق بن سليمان (320هـ/ 932م) .**

10. كتاب الأغذية والأدوية، تحقيق: محمد صباح ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، 1992م.

- **الاصفهاني ، عماد الدين محمد بن محمد بن ماجد (ت597هـ/1200م).**

11. تاريخ دولة آل سلجوق ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، 2004م.

- **ابن اعثم الكوفي، ابي احمد محمد (314ه/926م).**

12. كتاب الفتوح ،تحقيق: علي شيري ، دار الأضواء للطباعة والنشر ، بيروت ، 1411ه.

- **أبن أياس، أبو البركات محمد بن أحمد بن أياس الحنفي (ت 930هـ/1523م).**

13. بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008.

- **ابن ايبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت736ه/1335م).**

14. كنز الدرر وجامع الغرر(الدرر المضية في اخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق :صلاح الدين المنجد ،القاهرة ، 1961م.

- **البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت429ه/1037م).**

15. الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، تحقيق : محمد عثمان ، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة،1988،ص247؛

- **البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت487ه/1097م).**

16. المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ،د-ت.
17. المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – 2002م.

- **البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م).**

18. أنساب الأشراف، تحقيق: عبد العزيز الدوري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1978م.

- **ابن عنبة، جمال الدين احمد بن علي الحسني (ت : 828هـ/1424م).**

19. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، تحقيق تصحيح : محمد حسن آل الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف،1961.

- **أبن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/1200م).**

20. المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، تصحيح: نعيم زعرور، دار الكتب العلمية، بيروت،1995م.

- **سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله(654ه/1256م)**

21. مرأة الزمان في تواريخ الاعيان ، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت،2013م.

- **ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت656ه/1258م).**

22. شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، 1959م.

- **ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت 799هـ/1397م).**

23. تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (رحلة ابن بطوطة)، دار التراث للطباعة والنشر ، بيروت ،1968م.

- **ابن حبان، محمد بن احمد بن حاتم (ت327هـ/948م).**

24. الثقات، المطبعة الثقافية، الهند، 1973م.

- **الحمادي، محمد بن مالك بن ابي الفضل (470ه/1077م).**

25. كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة وكيفية مذاهبهم وبيان اعتقادهم ، تحقيق محمد عثمان ، مكتب الساعدي للطباعة والنشر، الرياض، د. ت.

- **ابن حجر ، شهاب الدين احمد بن علي (ت852ه/1448م).**

26. تقريب التهذيب ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1984م.

27. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،1959م.

28. رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1998م.

- **ابن حزم ، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد(ت456ه/1072م) .**

29. جمهرة انساب العرب ، تحقيق : لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1983م.

- **ابن الحسين، يحي بن الحسين بن القاسم بن محمد علي(ت1100ه/1688م).**

30. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، عقيلة الدمن المختصر من أنباء الزمن في اخبار اليمن، تحقيق وتقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: محمد مصطفي زيادة، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، 1968م.

- **الحسيني، تاج الدين بن محمد (ت753ه/895م).**

31. غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، بولاق ، 1892م.

- **ابن حماد، ابو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت626هـ/1228م).**

32. اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق: التهامي نقره وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، (1401هـ1981).

- **ابـن حمـاد الصـنهاجي، ابـي عبـدالله محمـد بـن علـي بـن** حمـاد **بـن عيسـى أبـي بكر(ت628ه/1231م).**

33. اخبـار ملـوك بنـي عبيـد وسيرتهم، تحقيـق: جـلال البـدوي، المؤسسـة الوطنيـة للكتـاب، الجزائر، ١٩٨٤م.

- **الحنبلي ، عبد الرحمن بن احمد بن رجب (795ه/ 1393م).**

34. الاستخراج الاحكام الخراج ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1985.

- **الحنبلي، قاضي القضاة أبو اليمن القاضي مجير الدين (ت927ه/1521م) .**

35. الانس الجليل بتـاريخ القدس والخليل ، تحقيق محمد بحر العلوم، المطبعـة الحيدريـة، النجف الاشرف، 1968م.

- **أبن حوقل، ابو القاسم محمد بن علي النصيبيني(ت : 367هـ/977م).**

36. صـورة الارض، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979م.

- **ابـن حيـان الاندلسـي ،أبـو عبـد الله محمـد بـن يوسـف بـن علـي بـن يوسـف بـن حيـان (745ه/1344م).**

37. تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض واخـرون، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2001.

- **الخزرجي، موفق الدين ابي الحسن علي بن ابي بكر بن الحسن (ت813ه/1410م).**

38. طـراز اعـلام الـزمن فـي طبقـات اعيـان الـيمن ، تحقيـق عبـد الله الحبشـي ، دار الكتـب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت، 1971.

- **المروزي، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني (ت ٤٨١هـ/1088م).**

39. سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.

- **الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ/1070م).**

40. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تصـحيح: محمد سعيد الحـوفي، مطبعـة السـعادة، القـاهرة، 1931م.

- **ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، (ت: 808ه/1405م).**

41. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصـرهم من ذوي الشـأن الأكبـر المعروف بان خلدون، تحقيق: خليل شحادة- سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1431ه/ 2001م.

- **ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ- 1282م).**

42. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

- **خليفة ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت 240هـ /951م).**

43. تاريخ خليفة ، تحقيق: سهيل زكـار ، دار الفكر للطباعـة والنشر والتوزيـع ، بيـروت ، 1993.

- **ابن داود الحلي، تقى الدين الحسن بن علي(ت747 ه/1346م).**

44. رجـال ابـن داود، تحقيـق: محمـد صـادق آل بحـر العلـوم، منشـورات مطبعـة الحيدريـة، النجف الأشرف،1392ه/ 1972م .

- **الداعي إدريس، عماد الدين القرشي (872هـ / 1467م).**

45. زهـر المعـاني، تحقيـق: مصـطفى غالـب، مجـد المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات والنشـر والتوزيع ، بيروت، 2007م.

- **ابـن الـديبع، أبـو الضـياء عبـد الـرحمن بـن علـي بـن الـدبيع الشـيباني الزبيدي(ت944ه/1537م).**

46. قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، حققه وعلق عليه: محمد بن على الأكوع، مكتبة الارشاد، صنعاء، 2006م.
- **الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت: 748ه/ 1347م).**
47. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: شعيب أرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت،1992م .
48. سير أعلام النبلاء، دار بيت الأفكار الدولية، بيروت، 2009م.
- **الهمداني، رشيد الدين فضل الله(ت718ه/1318م).**
49. جامع التواريخ، قسم الإسماعليين والفاطميين والنزاريين والدعاة والرفاق، طبعة: محمد تقي دانش بجوه ومحمد مدرسي الزنجاني، طهران، 1977م.
- **الروذوادي، ظهير الدين أبي شجاع محمد بن الحسين (ت448هـ/1056م).**
50. ذيل تجارب الأمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- **ابن أبي دينار، أبو عبد محمد بن القاسم (ت 1110هـ / 1698م).**
51. المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق: محمد شمام ،مطبعة 20مارس، (تونس – 1967) .
- **السبكي ، تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي (ت771هـ/ 1369م).**
52. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الضاحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، 1969م.
- **السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ/1497م).**
53. البلدانيات، تحقيق : حسام محمد القطان، دار العطاء، السعودية، 2001م.
- **السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت 483هـ).**
54. المبسوط ، دار المعرفة ،بيروت ،1414هـ /1993م .
- **السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد(498ه/1105م).**
55. تفسير السمعاني ، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن للطباعة والنشر ، السعودية ، 1997م.
- **السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمود بن منصور التميمي (ت 562هـ/1162م).**
56. الأنساب، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1382هـ/1962م.
- **ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/1286م).**
57. النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، القسم الخاص بمصر من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1970م.
- **السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر(ت ٩١١ ه/1505م).**
58. تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة العاني، القاهرة،1964م
59. حسن المحاضرة في اخبار مصر القاهرة، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة،1967م.
60. لب اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق بيزسوها نزقت، مطبعة لايدن بريل، 1942م.
- **أبو شامة المقدسي ، شهاب الدين بن محمد (ت665ه/1268م).**
61. الذيل على الروضتين، تحقيق : محمد الكوثري ، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت.
- **الشريف الرضي، محمد بن ابي احمد حسين بن موسى (ت406ه/1015م).**
62. ديوان الشريف الرضي ، منشورات مطبعة وزارة الارشاد الإسلامي، ايران ، 1406ه/1986م.

- **ابن شهر اشوب، رشيد الدين محمد بن علي(ت588ه/1192م).**

63. معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة واسماء المصنفين منهم قديماً وحديثاً، المطبعة الحيدرية ،النجف، 1961م.

- **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم أبو الفتح، (ت: 548ه/1086م).**

64. الملل والنحل، تح: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413ه/1992م.

- **الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت476ه/1083م).**

65. المهذب في فقه الامام الشافعي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية للطاعة والنشر، بيروت ،1955م.

- **الداعي المؤيد الشيرازي، هبة الله بن موسى بن داود ، (ت470هـ/1078م) .**

66. سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسن، دار الكاتب المصري، القاهرة ،1949م.

- **الصابئ ، إبراهيم بن هلال (384ه/994م).**

67. رسائل الصابئ والشريف الرضي ، تحقيق محمد نجم ، الكويت ،1961.

- **ابن دقماق صارم الدين إبراهيم (809 هـ / 1406م) .**

68. الانتصار لواسطة عقد الأمصار، نشر فولزر، مطبعة بولاق، القاهرة – 1893م.

- **ابو صالح الارمني، (ت 605ه/1208م) .**

69. كنائس واديرة مصر المعروف بتاريخ ابو صالح الارمني ، ترجمة وتحقيق إفيليت ، طبع في المطبعة المدرسية في مدينة أوكسفورد ،1895م.

- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت : 764هـ/ 1363م).**

70. امراء دمشق في الاسلام، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، مطبعة الترقي، دمشق - 1955م .

71. الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرناووط وتركي مصطفى ، ط1، (بيروت: دار أحياء التراث، 2000م).

- **ابن الصيرفي، أبو القاسم على بن منجب(ت542هـ/1147م).**

72. الإشارة إلى من نال الوزارة، ط1، القاهرة، 1924م.

- **الطائي ، عبدالله محمد بن علي بن الحسين بن رزام الكوفي (كان حيًّا سنة 347هـ).**

73. الرد على الإسماعيلية القرامطة وشرح مذاهبهم ، دراسة وتحقيق: فواز بن عبدالله الثبيتي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، 1436هـ.

- **الطبري، محمد جرير (ت310هـ/922م) .**

74. تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة،1976م.

- **ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن (ت617ه/1220م) .**

75. نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق ايمن فؤاد سيد، دار فرانتس شتاينر للطباعة والنشر، 1992.

- **ابن ظافر، جمال الدين علي بن منصور(ت613ه/ 1216م).**

76. أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام هزيمة وآخرون، مؤسسة حماد للخدمات والدراسات الجامعية، اربد- الأردن، 1999م.

- **ابن ظهيرة، محمد بن محمد بن أبي بكر(ت986ه/1578م).**

77. الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2003م

- **العصامي، عبد الملك بن حسين الشافعي (ت1111ه/ 1699م).**

78. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،1998م.
- **ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن اهرون (685هـ/1286م).**
79. تاريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبناني للنشر، بيروت ،1983.
- **ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله (ت 692ه/1292م).**
80. الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقيق : ايمن فؤاد سيد، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة، 1996م .
- **ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي(ت660ه/1261م).**
81. بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر ، بيروت ،1988.
- **عماد الدين القريشي، عماد الدين بن عبد الله(ت872ه/ 1488م).**
82. تاريخ الخلفاء في المغرب، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار المغرب للطباعة والنشر، بيروت، 2006م.
83. عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1968م.
- **عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي (ت 569هـ 1173م).**
84. تاريخ اليمن، ترجمة وتحقيق حسن سليمان محمود، دار الثناء للطباعة، القاهرة، د. ت.
- **العمري، ابن فضل الله (ت ٧٤٩ ه/1348م).**
85. مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق: مهدي النجم وكامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠ م.
- **العمري، على بن محمد العلوى(709ه/ 1309م).**
86. المجدي في أنساب الطالبين، تحقيق: أحمد المهدوي الدامغاني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة للطباعة والنشر، ايران ، 1409ه.
- **أبن عذارى، محمد بن أحمد بن عذارى المراكشي (توفي أواخر ق 7 هـ).**
87. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، 1998م.
- **ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت: 571ه/1176م).**
88. تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، 1993م.
- **ابي العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان القُضاعي(ت449ه/ 1057م).**
89. رسالة الغفران، تحقيق : محمد عزت نصر الله ، شركة علاء الدين للطباعة والتجليد ،دار احياء التراث العربي ، بيروت، د.ت.
- **ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمرو(ت 926هـ/ 1520م).**
90. تأريخ أبن ساباط المعروف بصدق الأخبار ،تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ،جروس برس للطباعة والنشر ، **بيروت،1993م.**
- **ابن فارس، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت395ه/1005م).**
91. معجم مقاييس اللغة ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي ، د.ت .
- **الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي (ت: 577هـ1182م).**
92. تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1974م.

- **الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن على المكي المالكي(ت832هـ 1436م).**

93. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م.

- **الفخر الرازي، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين.**

94. الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ، تحقيق: مهدي الرجائي ، قم ، 1998م.

- **ابو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (ت 732هـ/1331م).**

95. المختصر في تأريخ البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة.

96. اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق محمد كمال وفالح البكور، دار القلم العربي، حلب.

- **ابن الفقيه الهمداني ،احمد بن محمد(ت340ه/591م).**

97. مختصر كتاب البلدان ، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996.

- **ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ/1323م).**

98. مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد كاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ،1996م.

- **القرشي، محمد بن محمد بن احمد(ت729ه/1329م).**

99. معالم القربة في احكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان وصديق احمد عيسى، مركز النشر مكتب الاعلام الإسلامي، مصر ،1988.

- **القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ / 1284م).**

100. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت،2007.

- **القضاعي ، محمد بن سلامة بن جعفر بن علي (ت454ه/1062م).**

101. عيون المعارف وفنون اخبار الخلاف،ط2، تحقيق عبد الرحيم محمد السلوادي، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن ،2018.

- **القطيفي ، إبراهيم بن سليمان الفاضل،(ت950ه/1543م).**

102. السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ، 1413ه.

- **القلقشندي، احمد بن علي (821ه/1418م).**

103. مأثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، سلسلة الناشر تصدرها وزارة الارشاد والانباء في الكويت، 1964م.

- **القمي، سعد بن عبد الله بن أبي خلف (ت310هـ/913م).**

104. المقالات والفرق، تصحيح: محمد جواد مشكور، مطبعة حيدري ، طهران، 1963م.

- **ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي(ت555هـ/1160م).**

105. ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٣م.

- **ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر(ت774ه- 1372م).**

106. البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العرابي، بيروت، 1988م.

- **الكركي ،علي بن الحسن بن عبد العالي(ت 940ه/1533م).**

107. الخرجيات، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، 1413ه.

- **الكشي، محمد بن عمرو بن عبد العزيز (توفي حوالي 350هـ/961م).**

108. اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تحقيق: حسن المصطفوي ، مؤسسة النشر في جامعة مشهد، 1929م
- **ابن الكلبي، هشام بن السائب(ت204ه/819م).**
109. نسب معد واليمن الكبير، تحقيق محمود فردوس العظم، دار مكتبة النهضة، دمشق، 1998م.
- **القلقشندي ، أبو العباس بن احمد بن علي (ت821ه/1418م) .**
110. نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1980م.
- **الكندي، ابو يوسف محمد(350ه/961م).**
111. الولاة والقضاة، تحقيق: رفن كست، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.
- **الكليني ،أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق(328هـ/ 939م).**
112. الكافي، صححه وعلق عليه :علي أكبر الغفاري ،دار الكتب الإسلامية، ايران ،1363ه.
- **أبو مخرمة، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبدالله بن احمد (ت947ه/1567م).**
113. تاريخ ثغر عدن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
- **المسبحي، محمد بن عبيد الله (ت 420ه/ 1029م).**
114. أخبار مصر في سنتين، تحقيق: وليم ج. ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م.
- **المستنصر بالله ، أبو تميم معد بن علي(ت487ه/1094م).**
115. السجلات المستنصرية، تقديم وتحقيق: عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، مصر، 1954.
- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346ه/ 957م) .**
116. مروج الذهب ومعادن الجوهر، دققها ووضعها وضبطها الأستاذ يوسف اسعد داغر، دار الكتب اللبنانية للطباعة والنشر، بيروت ،1965 .
117. التنبيه والاشراف، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله اسماعيل الصاوي، دار الهادي للطباعة والنشر، القاهرة، 1938م.
- **مسكويه، أحمد بن محمد (ت412ه/1021م).**
118. تجارب الأمم ، تحقيق أبو القاسم امامي، مطابع دار سروش للطباعة والنشر، طهران ،2001م.
- **المصعب الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله (ت: 236هـ/846م).**
119. نسب قريش، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، 1951م.
- **المقريزي، أحمد بن علي، (ت: 845 ه/ 1442م).**
120. اتعاظ الحنفا أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال ، دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، 1996م.
121. إغاثة الأمة بكشف الغمة، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر، 1990م.
122. المقفى الكبير- تراجم مغربية ومشرقية من العترة العبيدية، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- **مؤلف مجهول من (كتاب القرن السادس الهجري) .**
123. الاستبصار في عجاب الامصار ، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.
- **ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله القيسي(ت842ه/1438م).**

124. توضيح المشتبه، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1993.
- **النجاشي، ابو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس(ت450ه/1058م).**
125. أسماء مصنفي الشيعة المشتهر برجال النجاشي ، تحقيق : الحجة السيد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ايران ، 1995م.
- **النوبختي ، أبو محمد الحسن بن موسى (من علماء القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).**
126. فرق الشيعة، عني بتصحيحه :هـ. بتر، مطبعة الدولة، استانبول،1931م.
- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ/1331م).**
127. نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد أمين ومحمد حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1992م.
- **أبن واصل، جمال الدين محمد بن سالم الحموي (ت 697هـ/1297م).**
128. مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ، تحقيق: جمال الدين الشيال وحسنين محمد ربيع واخرون ، المطبعة الاميرية ، دار الكتب الوثائقية القومية، القاهرة، 1957م.
- **الهمداني ، محمد بن عبد الملك (ت521ه/1127م) .**
129. تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق البرث يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليلكية ، بيروت ، 1961م.
- **اليافعي، عبد الله بن اسعد (768ه/1367م).**
130. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حققه وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،1997م.
- **ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ، (ت: 626ه/1229م).**
131. معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1992م.
- **يحيى بن سعيد الانطاكي (ت : 458هـ/1065م).**
132. صلة تاريخ سعيد بن البطريق او صلة تاريخ اوتيخا المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، مطبعة الاباء اليسوعين ، بيروت ،1909م.
- **أبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت183ه/799م).**
133. دار المعرفة للطباعة والنشر ، لبنان، 1979.

ثانياً: المراجع

- **ايلسيف.**
1. نيكيتا الشرق الإسلامي: ترجمة: منصور ابو الحسن، لبنان، د.ت.
- **سيد، أيمن فؤاد.**
2. الدولة الفاطمية تفسير جديد، دار مكتبة الأسرة، القاهرة، 2007م.
- **البار، محمد علي.**
3. عدن لؤلؤة اليمن، تاريخ عدن واليمن عبر العصور إلى عهد العبادلة، كنوز المعرفة، جدة.
- **الباشا، حسن.**

4. الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للطباعة ، القاهرة، 1989م.

- **البرغوثي ، عمر الصالح .**

5. الوزير اليازوري ، دار العربي ، مصر، د.ت.

- **لويس، برنارد.**

6. أصول الإسماعيلية، ترجمة: خليل أحمد جلو– جاسم محمد الرجب، دار النهضة العربية، القاهرة، 2000م.

- **بليغ ، عَبْد الله فكري بن محمد.**

7. الفوائد الفكرية للمكاتب المصرية، ط4 .المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، 1893.

- **بيتر، نورمان.**

8. الإمبراطورية البيزنطية، تعريب حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1950م.

- **بيطار، أمينة الدقماق، عمر.**

9. ابن الأثير الموسوعة العربية، دار القلم– جامعة دمشق، دمشق، 1997م.

- **بيطار، محمد شفيق.**

10. ديوان بني كلب بن وبرة، دار صادر، بيروت، 2001م.

- **تامر، عارف.**

11. تاريخ الإسماعلية (الدولة الفاطمية الكبرى)، رياض الريس للنشر والكتب، لندن، 1999م.

12. الظاهر لإعزاز دين الله، دار الجيل، ط1، 1980.

13. ملكة اليمن، سورية، اللاذقية، 1986م.

14. الموسوعة التاريخية للخلفاء الفاطميين، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، دمشق ،1980.

15. القرامطة، دار الطليعة الجديدة، دمشق، 1988م.

- **ترتون، ا.س .**

16. اهل الذمة في الإسلام، القاهرة، 1967م.

- **الدوري، تقي الدين عارف.**

17. صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد، 1980م.

- **جمال الدين، عبد الله محمد.**

18. الدولة الفاطمية ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر الى نهاية القرة الرابع الهجري ، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ، 1991.

- **الجنزوري، علية.**

19. الحروب الصليبية، المقدمات السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.

- **الجويني، عبد الله بن لطف الله حافظ أبرو.**

20. مجمع التواريخ السلطانيّة، ط. محمد مدرّسي الزنجانيّ، طهران، 1985م.

- **أبو حبيب، سعدي .**

21. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر للطباعة والنشر ، سوريا، 1988م.

- حسن، **أسامة.**

22. تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين لله الفاطمي ،دار الامل للنشر والتوزيع، شارع عبد العزيز ، القاهرة ،1997.

- **حسن، علي إبراهيم.**

23. تاريخ الدولة الفاطمية، دار العلم للملايين، القاهرة، 1996م.نساء لهن في التاريخ نصيب، القاهرة، 1970م.

24. تاريخ جوهر الصقلي (قائد المعز لدين الله الفاطمي)، المكتبة التجارية الكبرى للنشر، مصره،1933م.

25. مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني، الاعتماد للطباعة والنشر ، مصر، 1947م.

- **الحلبي، محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ.**

26. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تنقيح محمد كمال، دار القلم العربي، حلب، 1988م.

- **الحويري، محمود محمد.**

27. مصر في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ، 1996م.

- **خالد عبد الرحمن القاضي.**

28. الحياة العلمية في مصر الفاطمية ، الدار العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 2008، ص151

- **الخالدي ، فاضل.**

29. الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، دار الاديب للطباعة والنشر ، بغداد ،1969م.

- **الخربوطلي، علي حسني .**

30. العزيز بالله الفاطمي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ،1969.

- **الخشت، محمد عثمان.**

31. حركة الحشاشين، تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي، أسرار الباطنية والفرق الخفية، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1988م.

- **خضر، زيد محمد.**

32. حسن الصباح مؤسس الإسماعيلية النزارية(الحشاشين)، الجمعية المصرية للدراسات السردية، العدد 3، مارس، 2012م.

- **دفتري، فرهارد.**

33. الإسماعيليون– تاريخهم وعقائدهم، تر: محمد كنعان، دار الساقي، بيروت، 2001م، ط1،

- **دياب، صابر محمد.**

34. سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1973م.

- **رستم، أسد.**

35. كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، المكتبة البولسية، بيروت 1988.

- **الزركلي، خير الدين.**

36. الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.

- **زكي ، عبد الرحمن .**

37. موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1987.

- **زيدان جرجي.**

38. تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم، مكتبة مدبولي ، القاهرة، 1991م.

- **السامعي، إسماعيل.**

39. الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في ارساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي في القرن الرابع الهجري، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان،2010م.

- **السرجاني، راغب.**

40. الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2013م.

- **سرور، محمد جمال الدين.**

41. تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، نصر، 1990م، ط1، ص40.

42. الدولة الفاطمية في مصر، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979م.
43. النفوذ الفاطمي في مصر والشام خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، دار الفكر العربي، بيروت، 1964م.
- **عاشور، سعيد عبد الفتاح.**
44. الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 2010م.
- **السلومي، سليمان عبد الله.**
45. أصول الإسماعيلية (دراسة-تحليل-نقد)، ط1(الرياض: دار الفضيلة، 1422هـ/2001م).
- **سليمان ، سمير .**
46. الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2006.
- **سليمان ، محمود حسن.**
47. تاريخ اليمن السياسي، المجمع العلمي للنشر والتوزيع ، بغداد ، 1969.
- **سيد أحمد**
48. مفتاح الذهب تاريخ ملوك الاسلام وخلفاء العرب ،دار الفضيلة للطباعة والنشر ، مصر ،2003م
- **سيد، ايمن فؤاد.**
49. الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
50. شافعي، محمود سلام، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأوّل، الهيئة المصرية العامة، 1955م.
- **الشحماني، عبدالله بن عبد الوهاب المجاهد.**
51. اليمن الانسان والحضارة، منشورات المدينة، بيروت، 1985م.
- **شرف، إبراهيم حسن طه أحمد.**
52. عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية، دار مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2003م.
- **الشيال ، جمال الدين.**
53. تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي الى نهاية الدولة الفاطمية ،دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2000.
54. مجموعة الوثائق الفاطمية، (وثائق الخلافة وولاية العد والوزارة)، مكتبة الثقافة الوطنية، القاهرة، 2002م.

- **الشيرازي، محمد الحسيني.**

55. تلخيص الحضارة الإسلامية، مؤسسة المجبتى للطباعة والنشر، بيروت، 1999م.

- **الصلابي، علي بن محمد .**

56. دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 2006.

- **ابن ابي الضياف ، احمد بن الحاج (ت1291هـ/1874م).**

57. اتحاف اهل الزمان باخبار ملك تونس وعهد الامان ، تحقيق : لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار، تونس ،1963م .

- **طقوش ، محمد سهيل .**

58. تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر وبلاد الشام، . النفائس للطباعة والنشر، بيروت ، ٢٠٠٧م.

- **طليع ، أمين أحمد**

59. أصل الدروز الموحدين وأصولهم، بيروت، 1961.

- **طوسون، عمر.**

60. مالية مصر من عهد الفرعنة إلي الآن، الإسكندرية، 1931م.

- **ظهير، إحسان إلهي.**

61. الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، ، لاهور، 1987م.

- **عاشور ، سعيد عبد الفتاح .**

62. الحركة الصليبية، المكتبة الانجلو–المصرية للطباعة والنشر ،القاهرة ، 1963م.

- **العاملي ،جعفر مرتضى .**

63. علي والخوارج، المركز الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، 2002،ج2، ص237.

- **العبادي ، احمد مختار.**

64. في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت،1971م.

65. البحرية الإسلامية في المغرب والاندلس ،دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة ،1989.

- **عباس، احسان.**

66. العرب في صقلية، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، 1975م.

- **عبد الوهاب ، حسن.**

67. العمارة العربية الإسلامية في مصر ،جامعة بغداد ،بغداد ،1989،ص155 .

- **العدوي، إبراهيم احمد.**

68. الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1951.

- **العقاد ،عباس محمود.**

69. فاطمة الزهراء والفاطميون، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ،1998.

- **علي ، محمد كرد .**

70. خطط الشام ، تحقيق: عبد السلام محمد امين ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت،2021م.

- **خليل ،عماد الدين.**

71. الامارات الارتقية في الجزيرة والشام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1980م

- **عنان ، محمد عبد الله .**

72. الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر ، مصر ، 1983.

73. تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي، مطبعة لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ،1942.

74. الغنيمي، عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، دار العلوم الحديثة، القاهرة، 1994م.

- **فليب حتي.**

75. تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة التوزيع ، بيروت ، 2007.

- **فهمي، توفيق مقبل.**

76. الفاطميون والصليبيون ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ،بيروت ، 1980م .

- **قلعجي، قدري.**

77. صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ،شركة المطبوعات للطباعة والنشر ،بيروت، 200م.

- **كاشف، سيدة اسماعيل .**

78. مصر في عصر الاخشيديين ، مطبعة جامعة فؤاد ، القاهرة ، 1950م.

- **كحالة، عمر بن رضا.**

79. اعلام النساء، دمشق ، 1959م.

80. معجم قبائل العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت،1997.

- **لاي، شون.**

81. المؤلفات المختارة، دار النشر بالغات الأجنبية، بكين، 1982م.

82.ماري، ميخائيل .

83. المكتبة العربية الصقلية نصوص في التاريخ والبلدان والمراجع ، مطبعة الاوفست ، مكتبة المثنى ببغداد ،1857م.

- **محاسنة، محمد حسين.**

84. تأريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، الأوائل للطباعة والنشر، سوريا،2001.

- **المطوي، محمد العروسي .**

85. الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ،1982م .

- **محمد، سعاد ماهر .**

86. البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية ،طبعة دار الكاتب العربي، القاهرة ، 1967.

- **محمد، كمال السيد.**

87. اسماء ومسميات من تاريخ مصر ، القاهرة ، بغداد ، ١٩٨٦ م.

- **محمود، حسن سليمان.**

88. تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، مطبعة بغداد، بغداد، 1969م.

- **المدني ، ضامن بن شدقم الحسيني المدني (كان حياً سنة 1090هـ/1679م).**

89. تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار عليهم صلوات الملك الغفار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، 1999م .

- **مصطفى، شاكر.**

90. موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٩٣.

- **المعاضيدي ، خاشع عيادة .**

91. الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ، دار الحرية للطباعة ،بغداد – 1976م .

- **مفتاح، علي محمد فريد.**

92. الدولة الغزنوية في عهد السلطان المجاهد محمود بن سبكتين ،دار الوفاق للنشر والتوزيع، السعودية ،2021. .

- **مقديش ، محمود .**

93. نزهة الأنظار في عجائب التوريخ والاخبار ، تحقيق : علي الزواري ، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1988.

- **المناوي، محمد حمدي.**

94. الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، 1970م .

- **المنعم ، محمود عبد الرحمن.**

95. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 1999م.

- **موسى ، لقبال.**

96. دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩م.

- **ناجي ، محمود.**

97. تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبدالسلام ادم ومحمد الاسطى، مطبعة الغريب ، بيروت ،1970م .

- **الناصري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد(ت1315ه/1897م).**

98. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب والدار البيضاء.

- **هالم، هاينز.**

99. الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، تعريب سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق.

- **الهمداني، حسين بن فيض الله الجهني.**

100. الصلحيون والحركة الفاطمية في اليمن(268- 626هـ)، مكتبة مصر، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1955م.

- **الورداني ، صالح.**

101. الشيعة في مصر ، مكتبة مدبولي الصغير للطباعة والنشر ، القاهرة، 1993.

- **وليم الصوري .**

102. تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة وتعليق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1992م.

- **يموت، الشيخ شفيق،**

103. أهل الذمة في مختلف أطوارهم وعصوره، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، 2001م.

<u>الرسائل والأطاريح الجامعية</u>

- **المسعودي، دعاء سعود حسون نايف.**

1. الاغتيال السياسي في الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة كربلاء ، 2013.

- **الحمد، عادلة علي.**

2. قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، (الكويت، كلية الآداب، جامعة الكويت، 1976م).

- **الجنابي، رغد حميد ساجت مجرن.**

3. الخلافة الفاطمية انقساماتها السياسية والمذهبية وعلاقاتها بالمذاهب الاسلامية في مصر لمدة 358 هـ الى 567 هـ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2022.

- **الوخيان، عيس.**

4. القضاء في مصر في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤته، 2005م.

<u>البحوث والدراسات المنشورة</u>

- **حسين، محمد كامل.**

1. التشيع في الشعر المصري في عصر الايوبيين والمماليك ، مجلة المواسم ، العدد16، هولندا، 1993م.

- **سعيد، نضال حميد، محمد، هيفاء عاصم.**

2. الأزمات الاقتصادية التي اصابت مصر في خلافة المستنصر بالله الفاطمي(427-487هـ/1035- 1094م)، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد2، 2008م.

3. الشمري، محمد كريم إبراهيم.

4. استقرار قبيلة همدان في الكوفة حتى نهاية العصر الأموي، مجلة الذخائر، السنة 2، العدد8، بيروت، 2001م.

- **عنان، محمد عبدالله.**

5. العلائق بين مصر وبيزنطية في عهد الدول الفاطمية، مجلة الرسالة، الدبلوماسية في الاسلام، العدد 196، 5-4- 1937م.

- **محاسنة، محمد، الطراونة، محمد.**

6. الألقاب الفاطمية، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد 30 ،العدد 2، 2003م.

1. محي الدين، خانزاد صباح محي الدين.

2. تأثير الانشقاقات المذهبية والسياسية الاسماعلية على الدولة الفاطمية(297- 567هـ- 909- 1171م)، مجلة آداب الرافدين، جامعة صلاح الدين، قسم التاريخ، العدد 75، 1440هـ، 2018م.

The Fatimid state preoccupied the thought of historians of Islamic history who diligently wrote about the course of events that confronted the Arab Islamic state after the fall of the Umayyad state and the establishment of the Abbasid state, and the extent of its impact on the Arab Muslims, especially after the emergence of new political forces on the scene of events represented by the emergence of states in the East and the Maghreb that were able to To obtain its own autonomy or separation from the body of the Arab Islamic state during the era of the Abbasid state, including what arose in the East, such as the Tahirid emirate, the Saffarid emirate, and the Samanid emirate. As for Morocco, the Fatimid state preceded the emergence of many countries that also separated from the Abbasid state with autonomy or complete independence. Such as the Aghlabid state, the Idrisid, the Almohads, the Almoravids...etc., in addition to that, the establishment of the most dangerous state for the Abbasids is the Fatimid state, which was able to sweep through the Maghreb with its power, trying to overthrow the Abbasid state, to replace it; Because she saw that she was an extension of the Messenger of God, Muhammad, peace be upon him, and Imam Ali bin Abi Talib, peace be upon him, and Fatimah al-Zahra, peace be upon him, and she was more deserving of the caliphate than the Abbasids, so they were called the Fatimids after “Fatima al-Zahra, peace be upon her, and to gain money for her from the Shiites, especially those who resented the Abbasid state, so they were able to They establish a state that lasted for about two and a half centuries, during which they extended their influence east and west by spreading the Ismaili call by preachers in most parts of the Islamic world, and they called for the

necessity of joining under the legitimate rule of the Fatimids and renouncing the rule of the Abbasids, the usurpers of the caliphate. The sword subdued it, and in that they relied on the support of the Berber Kutama tribe, which provided them with a strong military cover that enabled them to subjugate most of the rebellious tribes there as well as confront the Umayyads in Andalusia, and as a result a great caliphate was formed - which extended to include most of the Far, Middle and Near Maghreb, Egypt and Nubia And the Levant and Hijaz (Mecca and Medina) and the countries of Yemen - had its features and civilization until it became comparable to the Abbasid caliphate in its first roles, but rather competed with it in its position in the Islamic world.

It was able to raise its flag in (Baghdad), the capital of the Abbasid Caliphate itself, in the year (450 AH / 1058 AD). However, the situation quickly changed, as the balance of power turned in favor of the Abbasids in cooperation with their Seljuk allies (the Turks), who were able to restore things to normal in (Baghdad) and then began to expand in Bilad al-Sham at the expense of the Fatimid lands, so they seized Jerusalem, Damascus and other cities, and were able to enter Egyptian lands and threaten Cairo itself in the year (469 AH / 1076 AD).

The balance of power was overturned again in the Islamic world after the arrival of the Crusader-Frankish forces from western Europe to the Levant in the year (490 AH / 1096 AD), who seized the city of (Jerusalem) and other Fatimid Levantine cities, establishing a new entity known as the Kingdom of (Bait al-Maqdis), so there were three The forces complaining of arms, the Abbasid and Fatimid caliphates, and the Crusaders, each lurking in wait for the other, and entered into a race for expansion, in which the Fatimid state was the biggest loser, as the Crusaders gradually seized the Levantine lands belonging to the Fatimid state. Accordingly, the Fatimid state became a small state that ruled in Egypt, which made it coveted by the Crusaders and Nur al-Din Zangi, who competed to annex it to their possessions, so Nur al-Din Zangi was able to seize it in the year (567 AH / 1171 AD), and thus the curtain fell on the Fatimid state and it left the stage of history.

Those external events that led to the fall of the Fatimid state would not have taken place without the bear of weakness in the body of the state internally, especially in the caliphate of Al-Mustansir Billah (427-487 AH / 1035-1094 AD). His era witnessed massive events that ravaged the state, as he assumed power as a young boy of no more than seven years of age, which led to a struggle between his mother and senior statesmen

over influence that resulted in administrative chaos and civil war between the military sects, in addition to the suffocating economic crisis that was known as (distress). The Great) (457-464 AH / 1064-1071 AD) Therefore, his reign is considered a turning point in the history of the Fatimid state from strength to weakness and from the era of the powerful caliphs to the era of the influence of the ministers who tyrannized power and interfered in choosing the caliphs, ignoring the principles of the Ismaili faith in the transmission of the Imamate from father to father The eldest son, and the position of the ministry accordingly became coveted by every aspirant to assume it, and the country entered into a spiral of violence over that position, which led to its weakness and eventually its downfall.

Therefore, we note that historians have raced to write about this state, especially the period extending from the second half of the seventh century AH / the thirteenth century AD, as this historical era is considered a right that was marked by the emergence of many prominent historians, including Ibn Al-Atheer, as he wrote about them in his historical works. The topic of the thesis was (News of the Fatimid state in the works of Ibn al-Athir, a study of his analysis) to find out the course of those events with impartial visions, as there are many historians who are unfair in their historical writing due to their flattery and lack of impartiality in writing historical events, although Ibn al-Athir was one of the most prominent Sunni scholars who excelled in legal sciences and specialized in some arts such as history, biographies and genealogies, so he was in the first row of Arab Muslim historians, so Ibn Khalkan () indicated to him that he was an imam in memorizing hadith and a memorizer of advanced and late dates, and Ibn Katheer () mentioned that his complete book is in History is one of the best events, and the state he wrote about contradicts his religious belief, but he wrote impartially about the Fatimid state and transmitted its events in the form of incidents of years arranged sequentially according to the time periods of the caliphs of the Fatimid state, conveying "historical events with all impartiality, so we noticed in the problem of proving the Fatimid lineage, for example, that it is between They are Alawites, so he called them Alawites in his writings, and he did not describe them as some historians of his sect called them Jews or Persians, in addition to that, Ibn Al-Athir was one of the contemporaries of the Fatimid state close to the course of events, as he was born in the Euphrates island in the year (555 AH / 1160 AD) and that the fall of the Fatimid state was The year (567 AH / 1171 AD), that is, Umrah was twelve years old when it fell, meaning that it was close to

the historical events that he experienced with the approaching end of the Fatimid state, so we find that he transmitted the most recent of them impartially, and Ibn Al-Atheer () indicated that he had traveled to the country Al-Sham in the year 584 AH / 1188 AD when the army of Salah al-Din al-Ayyubi was heading towards the liberation of Jerusalem, and this means that he had met Salah al-Din in Damascus, in addition to that, Ibn al-Athir was always moving between Damascus, Aleppo, Baghdad and Jerusalem.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Karbala

College of Education for humanitarian Science

Department of History

News of the Fatimid state in the book Al-Kamil fi Al-Tarikh by Izz al-Din Ibn al-Atheer (630 AH/1233 AD), a historical study

A thesis submitted by Student

Hussein Muhammad Ali Al-Aboudi

to the council of College of Education for humanitarian Science at University of Karbala as a part of fulfillment of Ph.D. Degree in Islamic History

Supervised By :

Prof .Dr.

Abbas Jubair Sultan

2023 A.C 1444A.H